المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الدراسات العليا
كلية الشريعة بالرياض
قسم الثقافة الإسلامية

حقوق الأقليات غير المسلمة في الإسلام

مع دراسة تطبيقية على جنوب السودان

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه

إشراف

الدكتور محمد رأفت سعيد
الأستاذ المشارك بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سابقاً
ووكيل كلية الآداب بجامعة الزقازيق حالياً

إعداد

إبراهيم بن عبد الكريم بن راشد المنيزي

المجلد الرابع
العام الجامعي ١٤١١هـ



الباب الثالث

دراسة تطبيقية
على جنوب السودان

الباب الثالث

دراسة تطبيقية

على جنوب السودان

ويشمل: أهمية هذه الدراسة، وثلاثة فصول، هي:

الفصل الأول: خلفية تاريخية عن السودان
(فصل تمهيدي)

الفصل الثاني: عوامل انتشار الإسلام
في جنوب السودان

الفصل الثالث: معوقات انتشار الإسلام
في جنوب السودان

أهمية هذه الدراسة

الباب الثالث

دراسة تطبيقية على جنوب السودان

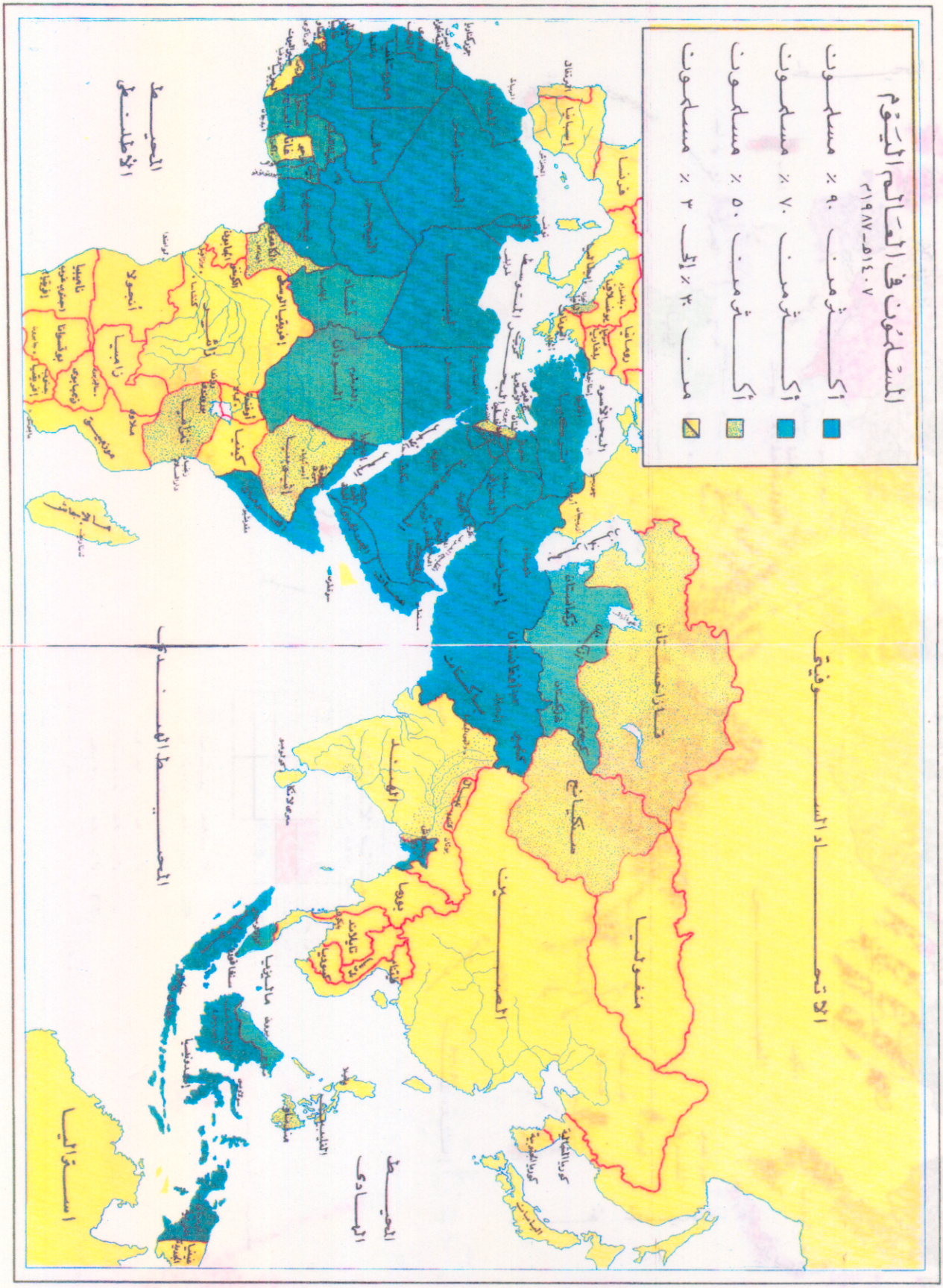
أهمية هذه الدراسة :

صعّد الإسلام - بفضل الله ونصره - وصوّب ، وشرّق في البلدان والآفاق وغرّب ، ولا غرو في ذلك ؛ إذ إنه دين الفطرة والسلام - وقد تحدثت عن عوامل ومعوقات انتشاره سابقاً - ، وقد أدرك الأعداء ذلك ، وأدركوا أن سيطرة الإسلام وانتشاره ، معناها : زوال سيطرتهم ، وأن بقاءه انقراض لهم ، وأن حياته موت لهم ؛ ولذا أجلبوا عليه بخيلهم ورجلهم ، وحاربوه سراً وجهاراً ، ومكروا مكراً كبّاراً ، ولا يزالون يعملون ليلاً ونهاراً . . ولكن يمكرون ويمكر الله ، والله خير الماكرين .

انظر : الخرائط ذات الأرقام : (١) ، (٢) ، (٣) .

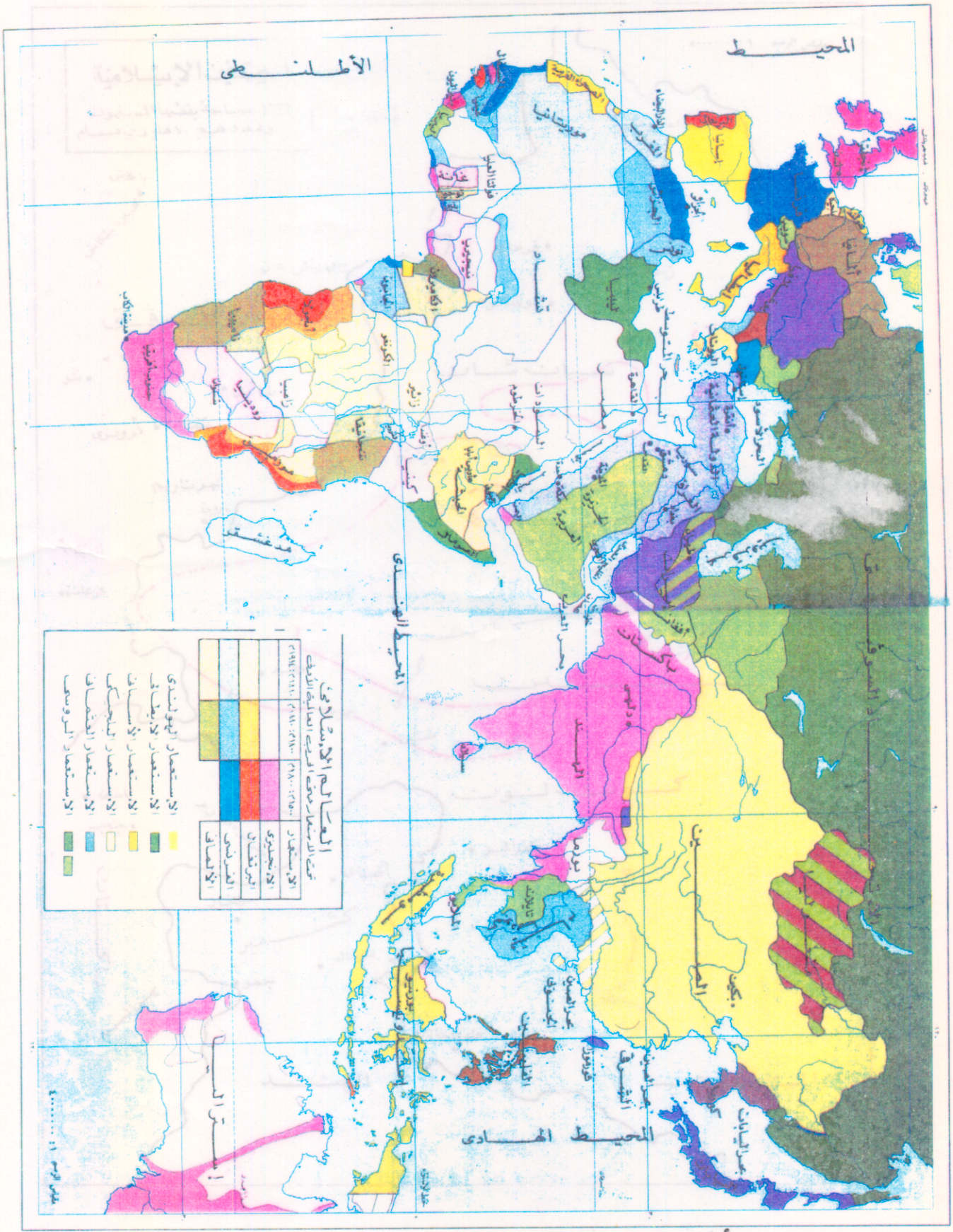
وقد ظهر مكرهم الخبيث ، وحقدهم الدفين ، الضارب جذوره في نفوسهم ، ونفوس آبائهم منذ السنين ، ظاهراً جلياً في الاحتلال الصليبي الوثني ؛ وذلك عندما استجمعت الدول المسلمة ما بقي من فتات قواها ، وطالبت في الاستقلال ، كلاماً حيناً ، وكلاماً حيناً آخر ، واستجابت دول الاحتلال ظاهرياً ، وأعطتها استقلالاً هزيلاً ضحكاً مبكياً ؛ فخرجت جيوشها العسكرية ، التي كانت تكلفها رجالاً ومالاً كثيراً ، وبقيت جيوشها الفكرية التي لا تحتاج لسوى عدة مفكرين وأقلامهم .

خريطـــة رقم (١)



د . حسين مؤنس ، أطلس تاريخ الاسلام ، ص : ٤٢٦ - ٤٢٧ .

خريطـــــة رقم (٢)



د . حسين مؤ نس ، أطلس تاريخ الاسلام ، ص : ٣٩٨ - ٣٩٩ .

خريطـــة رقم (٣)



د . حسين مؤنس ، أطلس تاريخ الاسلام ، ص : ٤٢٢ .

ومن مكيات هذا الاستقلال : أن جعل المحتلون بين بلدانه مناطق ذات أهمية جغرافية ، لا تخضع خضوعاً كاملاً للبلد المستقل ؛ بل يسيروا معه رويداً رويداً ، حتى إذا ما احتاج المحتل الحاقد إلى إثارة الفتنة والقلاقل هزّ هذا الاستقلال ، فتشعبت جدرانه ، وتقطعت خيوط العنكبوت التي كانت تربط بعضه ببعض ، ويتضح هذا الأمر في عدة مناطق من العالم الإسلامي ، مثل : كشمير ، إريتريا ، جنوب السودان ، وغيرها . انظر : الخريطة رقم (٤) .

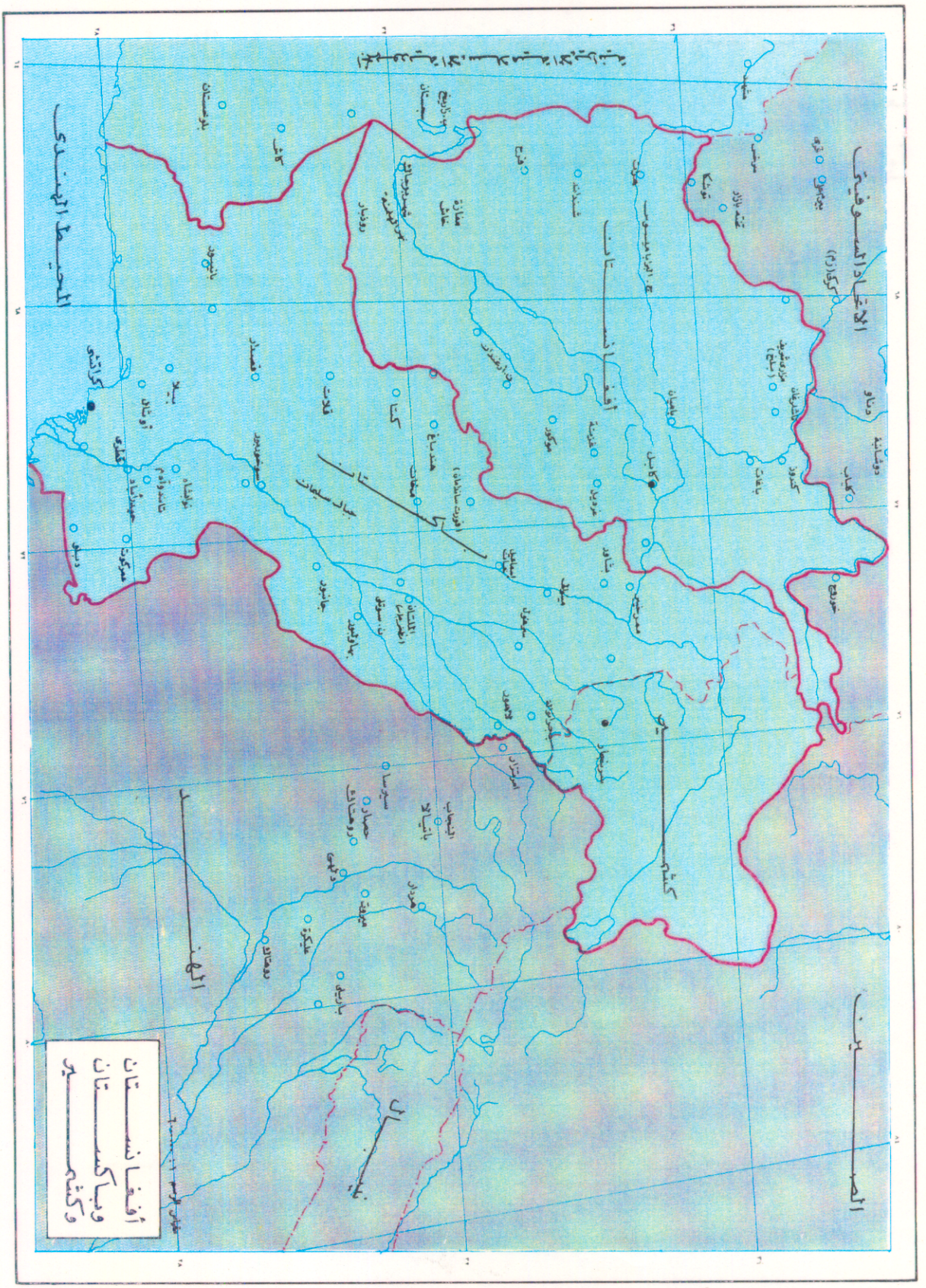
وقد اتجهت إلى الدراسة التطبيقية على قطر من أقطار العالم الإسلامي لأمور كثيرة مهمة ، منها :

١- حاجة كثير من المسلمين ؛ وبخاصة الدعاة إلى وجود تطبيق عملي على الواقع المعاصر ، بعد أن كثرت الدراسات النظرية ، التي تدور حول جوانب الأهمية والبحث ، دون أن تقوم بتلمس الواقع المعاصر تطبيقاً عملياً عليه .

ولا ريب في أن الرغبة في الدراسة التطبيقية يفتح أبواباً مغلقةً أمام كثير من الدعاة ، ومن محبي فعل الخير من أبناء المسلمين ، بعد أن يتحول الكلام النظري إلى عمل تطبيقي واضح المعالم ، بيّن الخطى .

٢- لكون تلك العوامل والمعوقات غير بارزة في ذلك القطر أكثر من غيرها ؛ فأسعى إلى توضيحها وتبيينها أمام إلى كل من يسعى إلى معرفتها .

خريطـــة رقم (٤)



د . حسين مؤنس ، أطلس تاريخ الاسلام ، ص : ٤٢٣ .

ثم إنني اخترت جنوب السودان ؛ ليكون محل دراستي التطبيقية لعدة أمور ، منها :

أولاً : الموقع المهم لجنوب السودان ؛ فهو بوابة واسعة إلى قلب أفريقيا ، وحدوده تماس دول كثيرة ، بخلاف غيره ، فهو ذو حدود مشتركة مع دولة تشاد ، وزائير ، وأفريقيا الوسطى ، وأوغندا ، وكينيا ، وأثيوبيا ، وإريتريا .

وإنه لمن الممكن أن يتم استغلال هذه البوابة في مجال نشر الإسلام في أواسط أفريقيا ، متى ما تمت معرفة العوامل والمعوقات في جنوب السودان . انظر : الخريطة رقم (٥) .

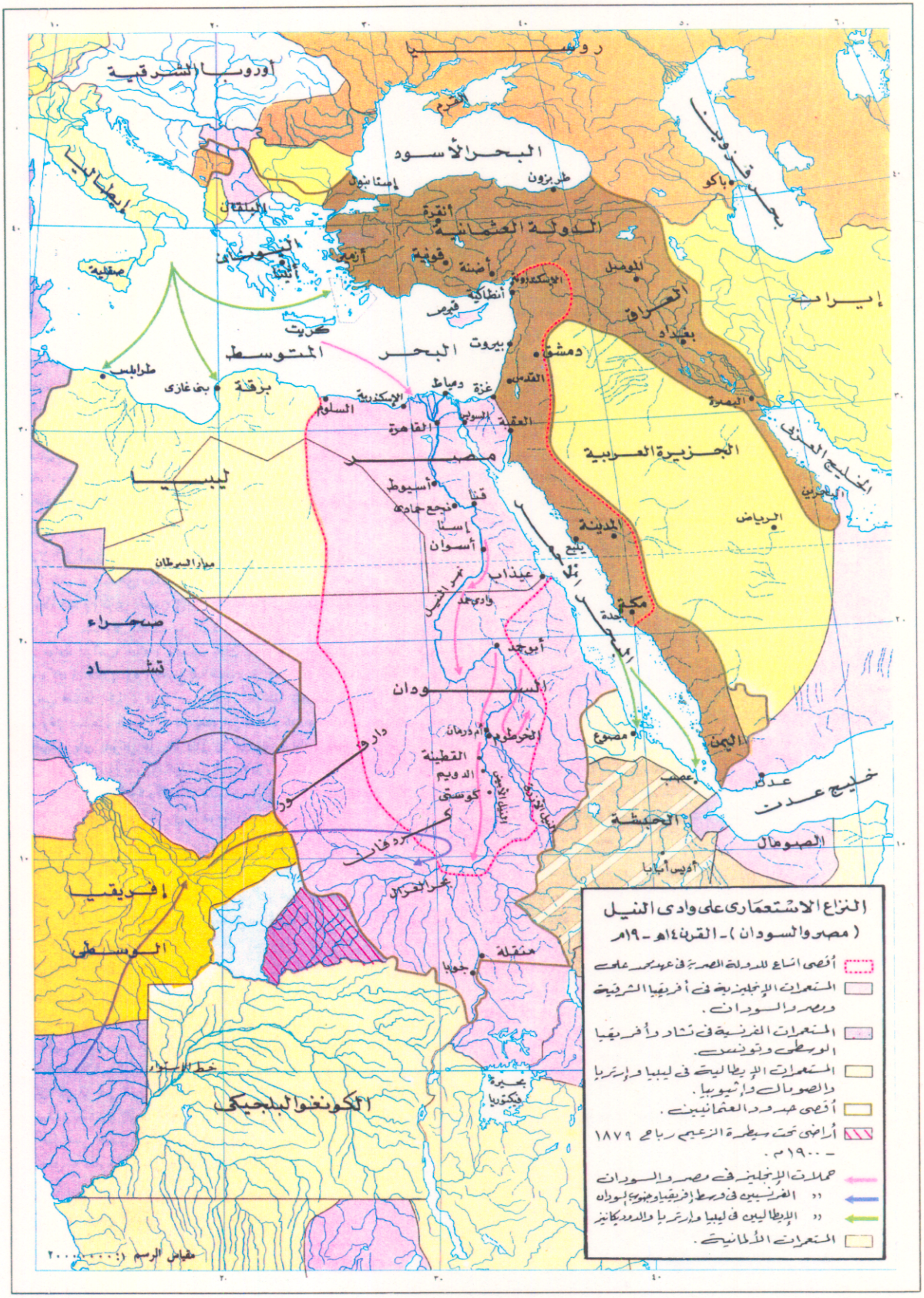
ثانياً : الوجود البشري الضخم للإرساليات التنصيرية في جنوب السودان ، والتي تريد أن تتحكم فيه ، وأن تصادر أي وجود إسلامي فيه ، وقد صالت وجالت فيه ، حتى حازت على السلطة ، وقادت الشعب.

ثالثاً : لتاريخه الإسلامي الحزين ؛ إذ تأخر دخول الإسلام إليه أولاً ، ولفساد حكم ولاة العثمانيين له ؛ إذ تسلط عليه الحكام النصارى ثانياً ، ثم إهماله في زمن الثورة المهدية ثالثاً .

رابعاً : لكونه مسكناً لأغلبية وثنية ، لا ديانة لهم ، والتأثير في الوثني أسهل من التأثير في أصحاب الاعتقادات الأخرى الفاسدة .

خامساً : اجتماع الوثنية والصليبية على عرقلة الإسلام فيه ، والتضييق عليه .

خريطـــة رقم (٥)



د . حسين مؤنس ، أطلس تاريخ الاسلام ، ص : ٣٣٣ .

وموضـــوع (دراسة تطبيقية على جنوب السودان) من الموضوعات المعاشة التي تمس حياة كل مسلم ، والتي تحتاج منا الآن إلى بحث دقيق يوضح مبهماتها ، ويجلي حقائقها ، ويضع - كما يقولون - النقـــاط على الحروف ، ويعرضها عرضاً إسلامياً في الساحة ؛ لكي يمكـــن التعامـــل معها تعاملاً يعود بالخير والفائدة على الإسلام والمسلمين .

ومن هـــــذا المنطلق : تتضح أهمية هذا الموضوع وفائدته الكبرى ؛ إذ إن كل موضوع يأخذ أهميته من فكرته ومادته ، وحاجة الأمة والمجتمع إليه . وإني لأرجو بهذه الدراسة التطبيقية أن أقدم أنموذجاً مشاهداً لعوامل انتشار الإسلام ومعوقاته في منطقة مهمة تشد الانتباه ، وتثـــير مطامع الأعداء الكفرة ، وقد قدمت شيئاً عن أهمية موقـــع جنـــوب السودان ؛ إذ يعد جنوب السودان منفذاً رحباً إلى قلـــب أفريقيـــا ؛ ومن ثم إلى جنوبها ، كما أن مجاورتها لكثير من الدول الأفريقيـــة يجعلها نقطة وصل لأغراض متعددة ، دينية ، وسياسية ، واقتصادية ، وقد فطن الأعداء الكفرة لهذه الأهمية ، وعملوا على الاستفادة منهـــا ، فهذا النشاط الكنسي قد ألقى بثقله فيه ، وجاء بقضه وقضيضـــه لاحتوائه ، وأرسل عدداً كبيراً من الإرساليات التنصيرية ، التي صالـــت وجالت فيه ، وعطلت ما وسعها الجهد على إعاقة العمل الإسلامي ، ومحاربة المسلمين ، وكبت صوت الإسلام . ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ

التي يراد اقتطاع جسمها بشبهة الإقليمية .. والإقليمية من الصائب التي نشرها أعداء الإسلام والمسلمين في الأمة المسلمة ؛ لكي لا تعي مواقعها ، ولا تتعرف على جغرافية بلادها ؛ ولكي تنسى الوحدة الإسلامية الكبرى .(٢)

فبعد أن كانت قضية جنوب السودان قضية تهم الأمة المسلمة، أصبحت قضية تهم الأمة الأفريقية ، ثم أصبحت قضية تهم السودانيين وحدهم .

وقد وضحت في الدراسة : أن ذلك من خطط الأعداء ومكرهم بالأمة المسلمة ، كما أكدت على أن هذه القضية قضية المسلمين كلهم، لا قضية السودانيين وحدهم .

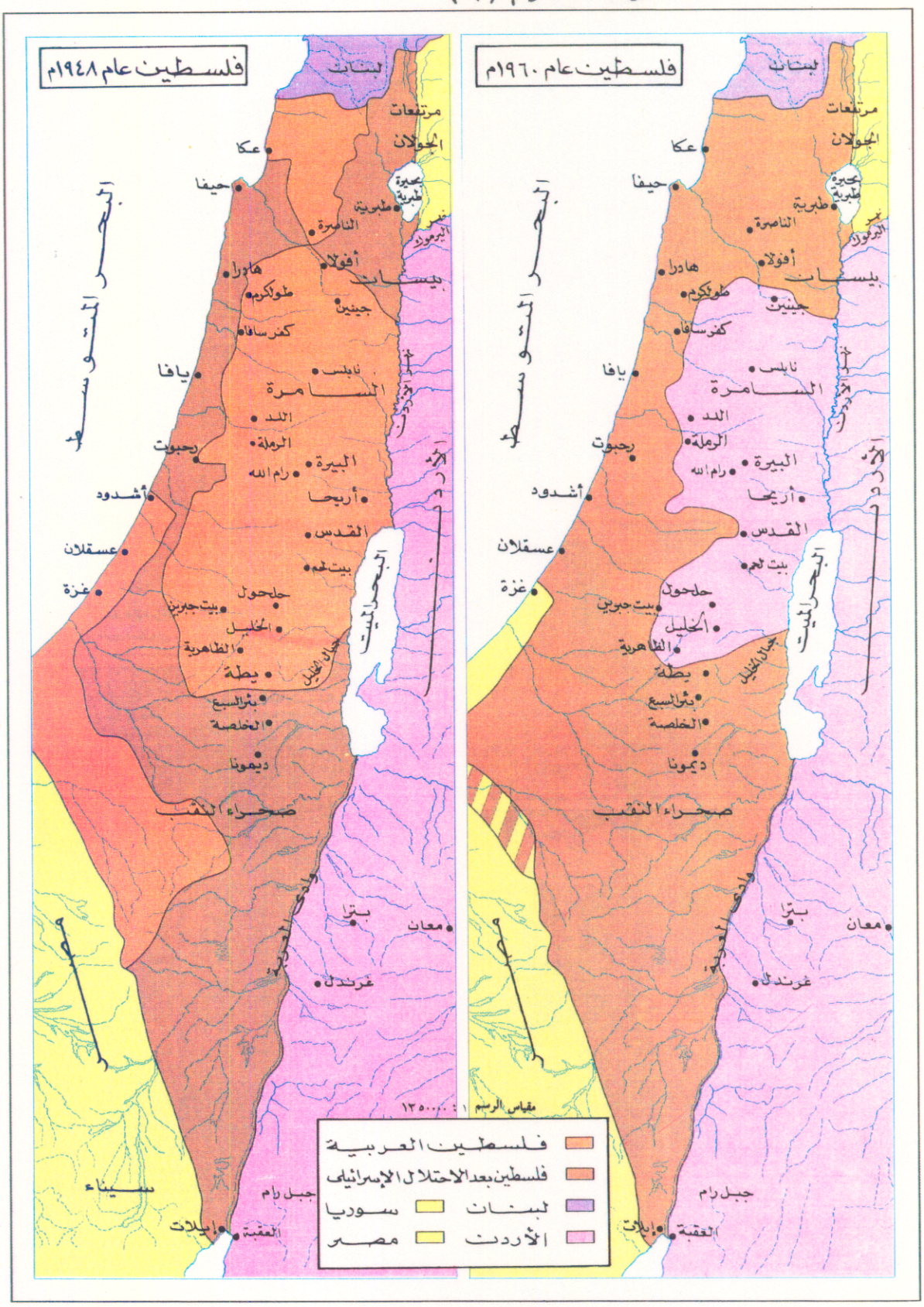
كما تتضح أهمية هذه الدراسة في : توضيح ما خلّفه الاحتلال

---

(١) سورة التوبة ، الآيتان : ٣٢ - ٣٣ .

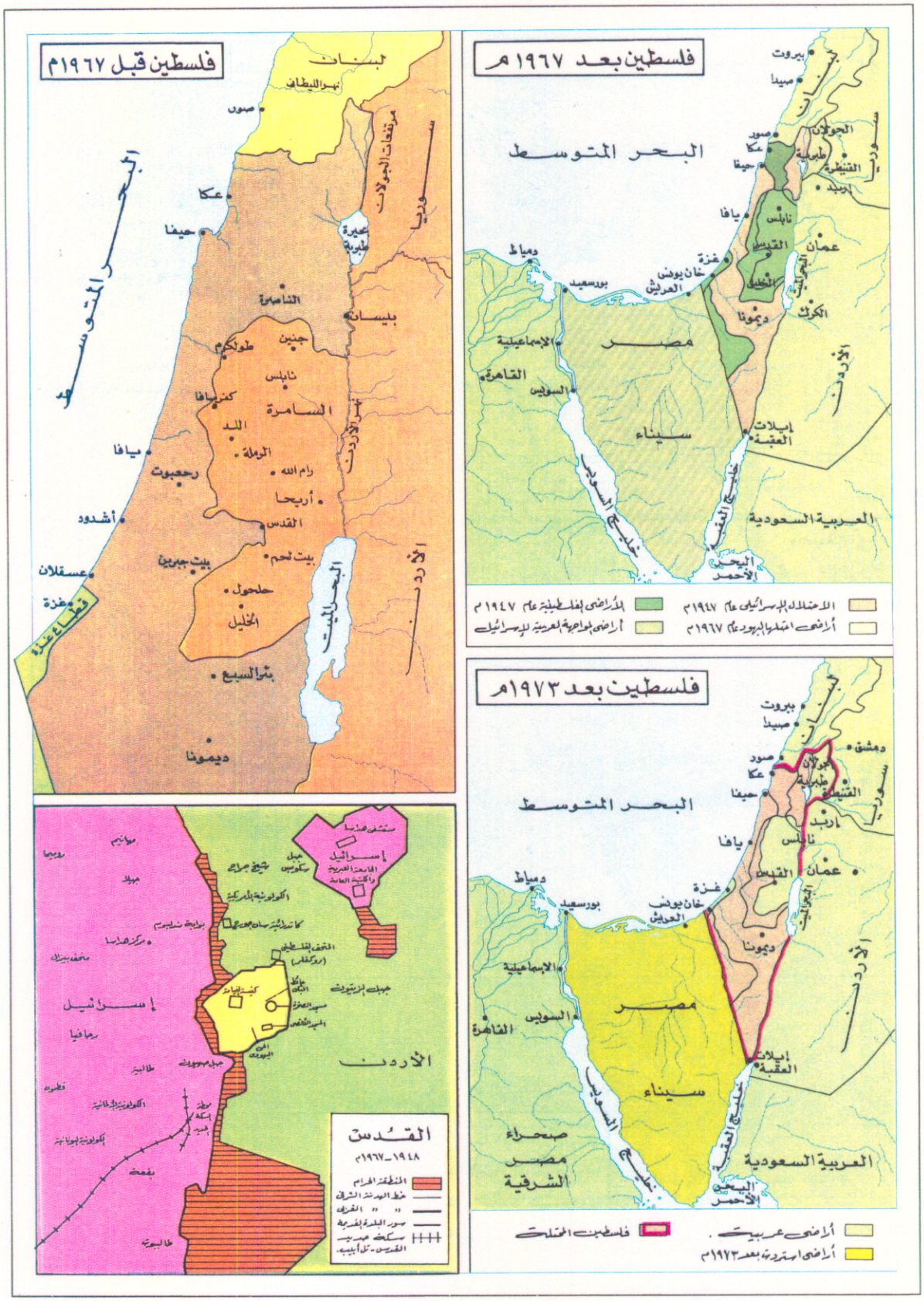
(٢) وهذا ما فعل بقضية فلسطين الكئيبة المغتصبة ؛ فبعد ما كانت قضية تهم المسلمين ، أصبحت قضية تهم العرب والعروبة ، ثم أصبحت قضية تهم الفلسطينيين وحدهم في غالب الأمر .
انظر : الخرائط ذات الأرقام : (٦) ، (٧) .

خريطـــــة رقم (٦)



د . حسين مؤنس ، أطلس تاريخ الاسلام ، ص : ٤١٥ .

خريطـــــة رقم (٧)



د . حسين مؤنس ، أطلس تاريخ الاسلام ، ص : ٤١٦ .

الصليبي الوثني الحاقد بعد خروج عساكره من مشكلات تنزف دماء المسلمين ، وتشغل قطاعاً كبيراً من المسلمين فيها ؛ من بين مشترك فيها عسكرياً ، أو كلامياً ، أو محاول إيجاد حلول مناسبة . . وقد حرصت في هذه الدراسة على إيضاح هذا الأمر ، وكشف هذه المشكلات .

وبما أن للصليبية الحاقدة في جنوب السودان بدأ طولى ، فإنها لن تدخر وسعاً في عرقلة العمل الإسلامي ؛ بل إنها ستحاول دفعها إلى هاوية الصمت والعجز ، وفي هذه الدراسة : وضّحت أساليبه في العرقلة ، وجهوده التي ما انفكت الكنيسة تساعدها ، وتشعل أوارها .

وقد حرصت في هذه الدراسة على : التعرف والتعريف بالمعالم التي ينبغي للعمل الإسلامي أن يضعها في حسابه ؛ لما لها من أثر في النتائج والعواقب ، مستقياً ذلك من جنوب السودان ، وما دار عليه من مؤامرات ، وما حدث فيه من عواقب ونتائج .

ومن أهم ما أرجو أن تقدمه الدراسة : مساعدة الدعاة ، وأهل التخطيط في المجتمعات المسلمة ، على التعرف على السبيل القويم ، الذي يصل بالجميع إلى المأمول من الطرق المثلى لنشر الدعوة الإسلامية في مثل منطقة الدراسة ، ومن التنبه الواعي لمخططات الأعداء الكفرة ، أيّاً كانوا ، وأين حلوا ، وفي الرقي الصحيح بالمجتمعات المسلمة ، لمسايرة العصر ، وقيادة أزمّته .

وأختم هذا بالتأكيد على ألا أمل للمسلمين - بعد الله

سبحانه وتعالى - إلا في أنفسهم ، والاعتصام بكتاب ربهم ، واتباع سنة نبيهم - صلى الله عليه وسلم - ، فلا غرب سيقيل عثرتهم ، ولا كفر يساند ضعفهم ، ولا علمانيين ، ولا يساريين ، ولا قوميين . . . الخ . سيطالبون بحقوقهم ، ويرفعون صوتهم .

ومن يتهيّب صعود الجبال ... يعش أبد الدهر بين الحفر
وقالت لي الأرض لمّا سألت ... أيا أم هل تكرهين البشر ؟ :
أبارك في الناس أهل الطموح ... ومن يستلذ ركوب الخطر
فلا الأفق يحضن ميت الطيور ... ولا النحل يلثم ميت الزهر
ولولا أسومة قلبي الرؤوم ... لما ضمت الميت تلك الحفر.(١)

---

(١) د . عز الدين إسماعيل ، ديوان أبو القاسم الشابي ، ص : ٤٠٨ ، ط : دار العودة ، بيروت ، سنة : ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، بتصرف . وانظر : رجاء النقاش ، أبو القاسم الشابي ، شاعر الحب والثورة ، ص : ١٣٥ - ١٣٦ ، ط : الأولى ، دار القلم ، بيروت ، سنة : ١٣٩١هـ - ١٩٧١م ، بتصرف .

الفصل الأول
(فصل تمهيدي)

خلفية تاريخية عن السودان

وفيه ستة مباحث هي :

المبحث الأول : دخول الإسلام السودان

المبحث الثاني : السودان في عهد الخلافة الإسلامية العثمانية

المبحث الثالث : السودان في عهد الثورة المهدية

المبحث الرابع : سياسة المناطق المغلقة أيام الاحتلال البريطاني

المبحث الخامس : الوضع الحالي لسكان الجنوب

وفيه مطلبان ، هما :

المطلب الأول : الهوية ، والثقافة

المطلب الثاني : التنمية ، والسياسة

المبحث السادس : التوزيع الجغرافي لسكان الجنوب

المبحث الأول

دخول الإسلام السودان

المبحث الأول

دخول الإسلام السودان

أولاً : انتشار القبائل العربية في السودان :

انتشرت القبائل العربية في السودان منذ زمن بعيد ، وتوغلت إلى الجنوب عند خط العرض ١٢°شمالاً (١) ، الذي عدّه الإنجليز حداً فاصلاً بين السودان الشمالي والجنوبي (٢) .

وقد قدمت تلك القبائل من الجزيرة العربية ، سعياً في طلب الرزق والتجارة ، وذلك عبر البحر الأحمر ، ومرزخ السويس ، وكان ذلك قبل تدفق العناصر المسلمة إلى أفريقيا الشرقية في بداية القرن

---

(١) تتكون دوائر الطول من : ٣٦٠° تشمل : ١٨٠° شرق خط صفر (جرينتش) ، و ١٨٠°غرب (جرينتش) ، أمّا خطوط العرض، فتشمل : ٩٠° شمال خط الاستواء ، و ٩٠°جنوب دائرة الاستواء، ودائرة الاستواء تعد الدرجة صفر.
د . محمد صبحي عبد الحكيم،وآخرين ، الأطلس المدرسي ، ص : ٥٤-٥٥ ، ط : مركز النشر بالمملكة المتحدة ، سنة : ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

(٢) د . محمد محمود الصياد ، د . محمد عبد الغني سعودي ، السودان دراسة في الوضع الطبيعي والكيان البشري والبناء الاقتصادي ، ص : ١٥٨ ، ط : الانجلو المصرية ، بالقاهرة ، سنة : ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م .
بخيت الرضا ، تاريخ السودان من أقدم العصور إلى قيام الأحزاب السياسية ، ص : ٥١ - ٥٢ ، ط : الثالثة ، المطبعة الحكومية ، بالخرطوم ، سنة : ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م . الناشر: وزارة التربية والتعليم السودانية .

السابع الميلادي.[١]

وتمت الهجرات والاتصالات العربية في شرق السودان، عبر البحر الأحمر، واستمرت تلك الهجرات والاتصالات بعد الإسلام.[٢]

وقد عرفت مناطق السودان غير الاستوائية هجرات وصلات عربية قديمة، فقد حدثت هجرات الحميريين[٣] قبل الميلاد بقرنين، وبعده، وقصدوا الحبشة، وقد هاجر بعضهم إلى منطقة النيل الأزرق والعطبرة، بل من المرجح أنهم وصلوا إلى كردفان، ودارفور[٤]. ولكن هذه الهجرات كانت قليلة العدد، مؤقتة في أغلب الأحيان.. أمّا الهجرات

---

(١) Roland Oliver and John Feyge, Summary of history Africa, page : 95, printed in : London, at: 1954 A.D.

(٢) الصادق المهدي، يسألونك عن المهدية، ص: ١١٩ - ١٢٠، ط: دار القضايا، بيروت، سنة: ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
عبده بدوي، الشعر الحديث في السودان (١٨٤٠-١٩٥٣م)، ص: ٤٠ - ٤١، ط: المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، الناشر: الرسائل الجامعية.

(٣) عيسى محمد جليل، جيبوتي، دراسة في الجغرافيا السياسية، ص: ١٩.
والحميريون: قبيلة من العرب القحطانية، تنسب إلى حمير بن سبأ. لهم دولة وحضارة، امتدت نحو سبعة قرون، وكان موطنها شمال اليمن. وعرف ملوكها بالتتابعة، أو الأقيال، واستمرت حتى ظهور الإسلام.
أحمد عطية الله، القاموس الإسلامي، جـ: ٢، ص: ١٦٦.
محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة، جـ: ١، ص: ٧٤٢.

(٤) Reid J.A., The Nomad Arab Camel, Breading trib's of the Sudan in the Anglo Egyption, page : 14, printed in: London, at : 1954 A.D.

المؤثرة فعلاً ، فقد بدأت مع ظهور الإسلام في القرن السابع الميلادي ؛ ولذلك نجد الارتباط بين الإسلام والعرب قائماً عند الشماليين في السودان[١] .

والسودان الشمالي كان يتكون من ممالك نصرانية ، هي : مملكة نوباتيا ، ومملكة المقرة ، ومملكة علوة[٢] ، وتسمى المنطقة كلها بلاد النوبة[٣] ، التي أصبحت مصدر اضطرابات ضد المسلمين ، الذين فتحوا مصر بقيادة عمرو بن العاص - رضي الله عنه - ، ولم تتوقف غزوات

---

(١) عبد الرحمن زكي ، تاريخ انتشار الإسلام في غرب أفريقيا ، ص : ٥١ ، ط : معهد الدراسات الإسلامية ، ذي الحجة ، سنة : ١٣٩٩هـ - نوفمبر ، سنة : ١٩٧٩م ، بالقاهرة .

(٢) محمد أحمد خلف الله ، الجذور التاريخية للعلاقات بين العرب والأفارقة ، ص : ٢١ ، ط : المستقبل العربي ، ببيروت .
وعلوة : هي مملكة تقع شرق الجزيرة الكبرى بين النيل الأبيض والأزرق ، تتميز بالتحضر والرقي ، ودين أهلها الإسلام والنصرانية على المذهب اليعقوبي ، وأساقفتهم يأتون من قبل صاحب الاسكندرية .
نعوم شقير ، تاريخ السودان ، ص : ٣٤٤ ، ط : الثانية ، دار الثقافة ، ببيروت ، سنة : ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م .

(٣) هي : منطقة بوادي النيل ، بمصر والسودان ، تمتد من أسوان إلى دنقلة . يتكلم سكانها لغة مخصوصة بهم ، إلى جانب اللغة العربية . وصلة مصر بالنوبة بدأت منذ فجر التاريخ ، غزاها الفراعنة ، ونصبوا ولاة عليها ، عرفوا بأمراء كوش . دخل النوبيون في النصرانية منذ القرن السادس الميلادي ، وقامت في المنطقة عدة ممالك نصرانية ، أهمها : مملكة دنقلة ، وبدأ الإسلام ينتشر في النوبة منذ ظهوره ، ولم يتم إسلامها إلا في القرن السادس الهجري الرابع عشر الميلادي .
أحمد عطية الله ، دائرة المعارف الحديثة ، ص : ١٠٠٣ .
د . حسين سعيد ، الموسوعة الثقافية ، ص : ١٠٠٤ .
محمد شفيق غربال ، وآخرين ، الموسوعة العربية الميسرة ، جـ : ٢ ، ص : ١٨٥١ .

النوبة لمصر .[١]

وقد كان الفتح الإسلامي لمصر ، سنة : ٢٠هـ - ٦٤٠م ؛ ومن ثم أخذ الدين الإسلامي الحنيف ، ينتشر تدريجياً في البلاد ، كلما قدم العهد بالعرب فيها ، وقد اعتنق بعض القبط الدين الإسلامي منذ البداية.[٢]

ويتفق جميع الكتّاب على قدم الهجرات العربية ، حتى الأجانب ، فنجد " ماكمايكل "[٣] يقول : كل ما في الأمر : أن التدفقات الكبرى ظهرت بعد الفتح الإسلامي ؛ بل تأخرت حتى العهد المطوكي ، حينما تغير الموقف فيما يتعلق بالقبائل العربية .[٤]

ثانياً : أهم الطرق التي سلكتها الهجرات العربية :

يختلف الكتّاب في أهم الطرق التي سلكتها الهجرات العربية ،

---

(١) محمد خلف الله ، الجذور التاريخية للعلاقات بين العرب والأفارقة ، ص : ٢٢ .

(٢) عبد الرحمٰن زكي ، تاريخ انتشار الإسلام في غرب أفريقيا ، ص : ٥٣ .

(٣) هو : هارولد ماكمايكل ، السكرتير الإداري للإدارة البريطانية في الحكومة السودانية ، وكان الحاكم العام للسودان - آنذاك - "جون مافي " الإنجليزي ، وقد خططا معاً بخبث ودهاء ، وحقد وتعصب، ومقت ؛ لزحزحة الكيان العربي ، والقضاء على الإسلام والمسلمين في جنوب السودان .
علي حسن عبدالله ، الحكم والإدارة في السودان ، ص : ١٧٨ ، ط : دار المستقبل العربي ، بالقاهرة ، سنة : ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

(٤) Mac Micheal , The Comming of the Arabs to the Sudan in the Anglo- Egyption , Sudan from Within, page: 42, printed in : London, at: 1964 A.D.

فيرى ماكمايكل : أن الطريق الرئيسة كانت طريق النيل حتى دنقلة (١) ؛ إذ استقر بعضهم في تلك المنطقة ، واتجه بعضهم الآخر غرباً نحو وادي اللعب ، ولكن قحل الصحراء الغربية أدى بمعظمهم إلى مواصلة (٢) الهجرة نحو الجنوب ، والجنوب الغربي من : كوستي (٣) على طول

---

(١) هي : عاصمة الإقليم المسمى باسمها ، وتعرف باسم " دنقلة الجديدة"، فتحها عبدالله بن سعد بن أبي السرح - رضي الله عنه - ، سنة : ٢٢هـ - ٦٤٢م في خلافة عثمان - رضي الله عنه - ، وعقد مع ملكها معاهدة تتضمن : أداء الجزية ، واستمر الحكم النصراني في دنقلة حتى القرن الرابع عشر الميلادي ، حين غزا السلطان محمد بن قلاوون بلاد النوبة ، وتم له فتح دنقلة ، وأجلس عليها أحد ملوكها ممّن اعتنقوا الإسلام ، وتبعه أهلها جملة ، وعدّ هذا التاريخ بداية الحكم الإسلامي في النوبة ، واستمرت دنقلة (القديمة) عاصمة للإقليم ، حتى خربها الشايقية إبّان القرن الثامن عشر ، وأعيد بناء مدينة دنقلة إلى الشمال من الموقع القديم على ضفة النيل الغربية .
سعيد صباغ ، الأطلس العربي ، ص : ٢٤ ، ط : القاهرة ، سنة : ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .
عبدالوهاب الكيالي ، الموسوعة السياسية ، جـ : ١ ، ص : ٨٠٥ .
أحمد عطية الله ، القاموس الإسلامي ، جـ : ٢ ، ص : ٣٩٣ - ٣٩٤ .

(٢) هي : إحدى الأقسام الجغرافية الثلاثة ، التي تنقسم إليها جمهورية مصر العربية . تتكون من هضبات يفصل بينها عدد من المنخفضات ، توجد بها الواحات (الخارجة ، والداخلة ، والبحرية ، والفرافرة ، وسيوة) ، التي تعتمد على مياه الينابيع . تكثر بها الكثبان الرملية .
د . حسين سعيد ، الموسوعة الثقافية ، ص : ٩٢٢ .
محمد شفيق غربال ، الموسوعة العربية الميسرة ، جـ : ٢ ، ص : ١٢٠١ .

(٣) هي : مدينة في المديرية الشمالية للسودان ، تقع على ثنية النيل قبل الجندل الرابع ، وجنوبها واديان : وادي العقدم ، ويؤدي إلى الجنوب ، ووادي الملك ويؤدي إلى الجنوب الغربي لكردفان ودارفور .
سعيد صباغ ، الأطلس العربي ، ص : ٢٤ .

وادي العقدم ، ومن الدبسة[1] على طول وادي الملك إلى كردفان ، ومنها انتشروا إلى دارفور ، أو إلى النيل الأبيض[2] عبر صحراء بويضة ، أو إلى حوض العطبرة شرقاً . . أما الطريق التي تتجه جنوب شرق أسوان[3] وكورسكو[4] ، سارة بأرض البجة[5] ، فهو في نظر ماكمايكل محدود الأهمية ؛

---

(١) هي : مدينة تقع على النيل جنوب دنقلة ، وغرب كوستي ، ويقع في جنوبها وادي الملك ، المؤدي إلى دارفور وكردفان .
سعيد صباغ ، الأطلس العربي ، ص : ٢٦ .

(٢) هو : جزء من النيل ، يبدأ من مصب السوباط ، وينتهي عند مصب النيل الأبيض . به بعض الجزر الكثيرة والكبيرة ، أهمها : بجاني ، وبولي ، ومصران ، وأبا . وفي أبا : بدأ المهدي ينشر دعوته .
محمد شفيق غربال ، الموسوعة العربية الميسرة ، جـ : ٢ ، ص : ١٨٧٠ .

(٣) هي : مدينة تقع جنوب مصر . وهي مدينة قديمة ، فرعونية الاسم ، كانت سوقاً للتجارة بين مصر وما يليها من أفريقيا ، وهي عاصمة محافظة أسوان .
أحمد عطية الله ، القاموس السياسي ، ص : ٨٩ .
محمد شفيق غربال ، الموسوعة العربية الميسرة ، جـ : ١ ، ص : ١٦٢ .

(٤) هي : بلدة صغيرة ، تقع على بعد اثني عشر ميلاً من السبوع . وقد اتخذت الحكومة المصرية هذه البلدة مركزاً من المراكز العسكرية في الحدود مدة الثورة المهدية . وفقدت أهميتها بعد إنشاء سكة الحديد من : حلفا إلى أبي حمد .
نعوم شقير ، تاريخ السودان ، ص : ٩٢ - ٩٣ .
سعيد صباغ ، الأطلس العربي ، ص : ١٨ .

(٥) هم : بادية الصحراء الشرقية ، ويقال لهم : البجاة ، والبيجة ، يسكنون ما بين النيل والبحر الأحمر . وهم من أقدم الشعوب في أفريقيا بعد السود ، هاجروا إليها من آسيا عن طريق مصر ، والبحر الأحمر من عهد بعيد . ظلوا على الوثنية إلى أن هاجر إليهم العرب المسلمون في القرن الأول للهجرة ، لكنهم مازالوا على لغتهم البيجاوية ، وحالهم الأولى من البداوة .
نعوم شقير ، تاريخ السودان ، ص : ٥٨ - ٥٩ .

لفقـــر المراعي ، وشـــح الميـــاه .[١]

أمّـــــا الدكتور محمد عـوض : فإنـه يختلـف مع ماكمايكل ، ويذهـــب إلى : أن الطـريق الثانية هي الطريـق الرئيسـة ؛ فهي مستعملة ومطروقـــة منـذ العـهود القديمة ؛ بينمـا الطريق الأولى طـريق طويلة تدور حول النيـل ، كمـــا أنهـا طريق زراعيـة مزدحمة بالسكان ، فلم تسلكها إلا الجماعـــات الصغـــــرى .[٢]

ويتفـق الاثنـــان على : أن عبـور البحر الأحمر لم يتم إلا بوساطـــة أعداد يسـيرة لا تقارن بحـال تلك الـتي أتت عن طريق الشمال .

انظر : الخريطة رقم (٨) .

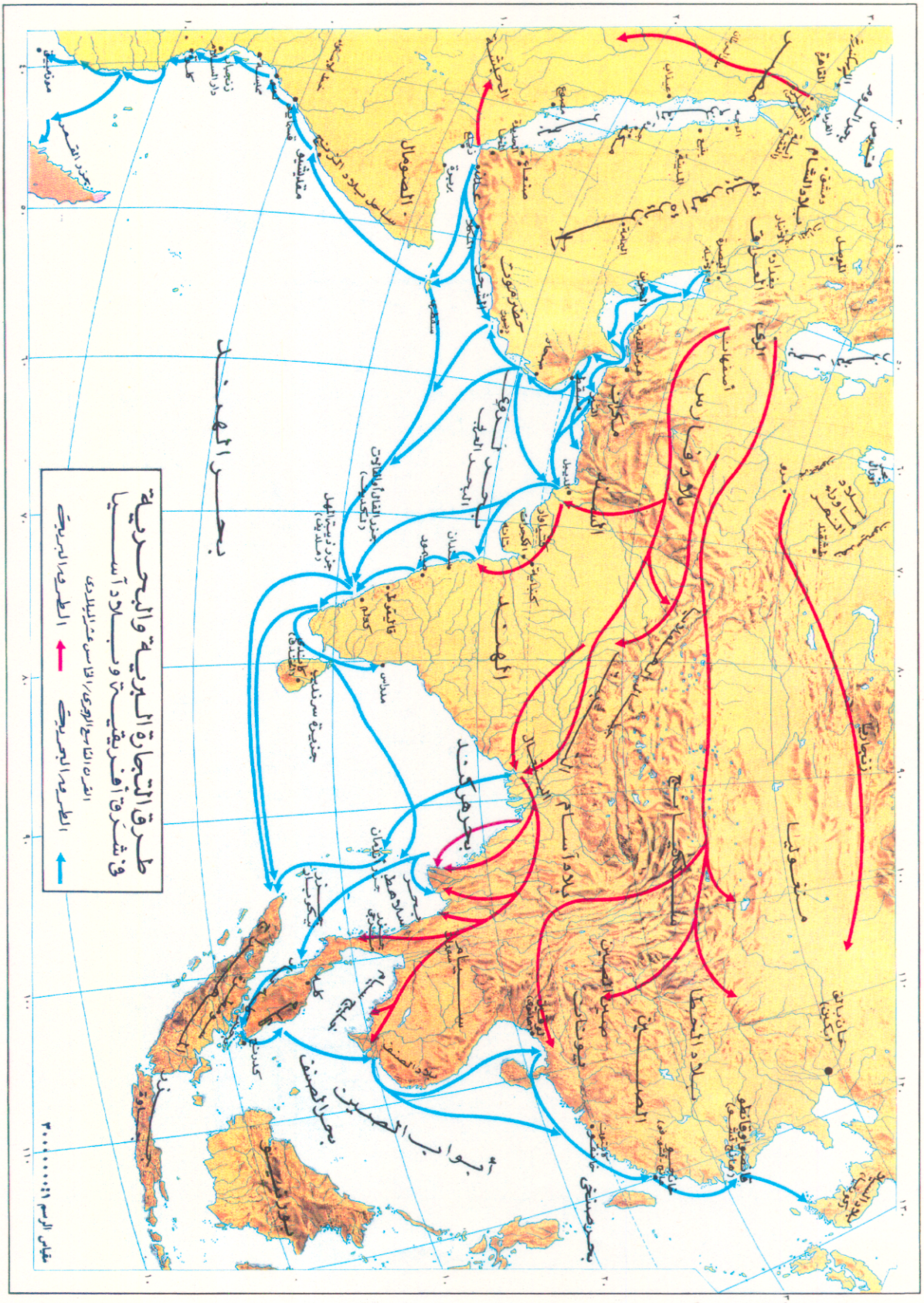
وقـد وجـدت القبائل العربية في بيئة السودان الجديدة ، ما ذكرهـا بمواطنها الأصلية ؛ بل لعلهـا وجـدت من غنى المراعي مـا لم تجـــــده في أراضي مصر من مراع كافيـة ، وكان انبساط سهول السودان ، فضـلاً عـن نشر الدعـوة الإسلامية ، وتسامح الإسلام ؛ ممّا ساعدهم على الانتشـــار ، وعلينـــا هنـــا : أن نتعرف على اتجاهات الهجرات ؛ فإن لهذه الاتجاهات أثرها في توطيد دعائم الإسلام وانتشاره .

---

(١) Mac Micheal , The Comming of the Arabs to the Sudan in the Anglo - Egyption , Sudan from within , page : 52.

(٢) د . محمد عوض ، السودان الشمالي ، ص : ١٦٠ - ١٦١ ، ط : معهد الدراسات الأفريقية ، بالقاهرة .

خريطـــة رقم (٨)



د . حسين مؤنس ، أطلس تاريخ الاسلام ، ص : ٣٨٨ .

ثالثاً : اتجاهات الهجرة إلى السودان :

١- هجرات من الشرق :

وصلت هجرات عربية إلى السودان عن طريق البحر الأحمر من قبل ظهور الإسلام ، واستمرت تلك الهجرات والاتصالات بعد الإسلام ، وزادها ازدياد النشاط التجاري إزاء ازدهار الدولة الإسلامية ، ونتيجة لتلك العلاقات التجارية والهجرات ، دخل الإسلام سواكن[(١)]، وغيرها من ثغور البحر الأحمر ، وامتدت هذه الهجرات إلى الداخل[(٢)].

٢ - هجرات من الشمال :

وفدت من مصر هجرات من العلماء والتجار والدعاة ، ومجموعات من القبائل العربية المهاجرة ، وتعاظم سيل الهجرة عندما فرّت القبائل من ضغط حكام مصر ؛ وبخاصة في عهد المماليك ،[(٣)] فوجدت في الهجرة

---

(١) هي : إحدى موانئ السودان ، تقع جنوب بورسودان ، وهي ميناء قديم العهد ، لها صلة تجارية بالحجاز والهند ، كانت المنفذ الرئيس للسودان على البحر الأحمر ، حتى أنشئت ميناء بورسودان .
أحمد عطية الله ، دائرة المعارف الحديثة ، ص : ٣١٦ .
محمد شفيق غربال ، الموسوعة العربية الميسرة ، جـ : ١ ، ص : ١٠٢٨ .

(٢) الصادق المهدي ، يسألونك عن المهدية ، ص : ١١٩ - ١٢٤ .
علي حسن عبدالله ، الحكم والإدارة في السودان ، ص : ٢٣ .

(٣) المماليك : كانوا في الأصل أرقاء ، جلبهم السلاطين المتأخرون من الأيوبيين ؛ ليدربوهم على الجندية ، وخدمة السلطان ، وقد أعتق كثير منهم ، وارتقى بعضهم إلى مناصب رفيعة في الدولة ، وفي سنة : ٦٤٨هـ - ١٢٥٠م : أنشأ دولة المماليك (عز الدين أيبك) . شنّ =

جنوباً ملجأ ومستقراً[1].

٣- هجرات من الغرب :

كان النشاط الإسلامي قوياً في شمال أفريقية ، وبخاصة في عهد عقبة بن نافع[2]. انظر : الخريطة رقم (٩) . فأحدث ذلك اتصالاً بالسودان من جهة الغرب . وعندما أغارت قبائل بني هلال ، التي أرسلها الحاكم الفاطمي ، لتأديب قبائل البربر في شمال أفريقية ، فتدفقت قبائل البربر إلى الجهات الداخلية ، ومنها من لجأ للسودان ، وعندما طرد

= سلاطين المماليك حروباً حامية ضد الصليبيين ، وصدوا هجمات المغول . حكموا مصر حوالي خمسين ومائتي سنة . قضى سليم الأول على دولتهم ، وتخلص منهم : محمد علي في مذبحة القلعة ، سنة : ١٢٢٦هـ - ١٨١١م .
أحمد عبد الرحيم مصطفى ، تاريخ مصر السياسي ، ص : ٤٧ ، ط: دار المعارف ، بالقاهرة ، سنة : ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م .
محمد جمال سرور ، مصر في عصر الدولة الفاطمية ، ص : ١٣٢ ، ط : مكتبة النهضة المصرية ، سنة : ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م .
محمود بن محمد بن عرنوس ، تاريخ القضاء في الإسلام ، ص : ١٠٥ ، ط : المطبعة المصرية الأهلية الحديثة ، بالقاهرة.
القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ : ٤ ، ص : ٣٦ .
عبد المجيد الحفناوي ، تاريخ القانون المصري ، ص : ٤٢٣ - ٤٢٤ ، ط : مؤسسة الثقافة الجامعية ، بالقاهرة ، سنة : ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.

(١) الصادق المهدي ، يسألونك عن المهدية ، ص : ١٢٣ .

(٢) هو : عقبة بن نافع بن عبد القيس ، الأموي القرشي الفهري ، من كبار القادة في صدر الإسلام . ولاه معاوية - رضي الله عنهما - أفريقية ، سنة : ٥٠هـ - ٦٧٠م ، فدخلها وفتحها ، وأسلم على يديه كثير من البربر . ثم تقدم إلى المغرب الأقصى ، فبلغ المحيط الأطلسي ، وفي طريق عودته دبرت له مكيدة ، فقتل فيها سنة : ٦٣ هـ - ٦٨٣م. =

خريطة رقم (٩)



المصدر: د. فيليب رفلة ، الجغرافية السياسية لأفريقيا ، ص: ٣٨ ،
ط: المنهضة المصرية ، القاهرة ، سنة: ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م .

العرب من الأندلس ، تدفقت هجرات عربية ، ومنها : هجرة القبائل الهلالية إلى أفريقية الغربية ، ووصل بعضها إلى دارفور.(١)

رابعاً : المجموعات العربية التي هاجرت إلى السودان :

وممّا سبق : نرى أنه قد قدم إلى السودان مجموعات من الهجرات ، كان من بينها مجموعات عربية كثيرة ، منها :

١- مجموعة القبائل الجعلية ، وهي : الميرغاب ، رياطاب ، جعلية ، مناصر ، شيقية ، جوابرة ، بديرية ، جمع ، جوامعة ، ركابية ، جموعية ، بطاحين ، وغيرها .

٢- قبائل الكواهلة ، وهي : كواهلة ، حسانية ، حسنات ، بنو حسين ، بنو حسان ، عبايدة ، وغيرها .

٣- مجموعة قبائل فزارة ، وهي : ردع ، سلمية ، مسيرية ، حمر ، رزيقات ، سليم ، دار محارب ، حوازمة ، مغاربة ، بنو هلبة ، تعايشة ، سلامات ، وغيرها .

٤- مجموعة قبائل جهينة ، وهي : رفاعة وفروعها ، لحويون ، عوامرة ،(٢)

= أحمد عطية الله ، القاموس الإسلامي ، جـ : ٥ ، ص : ٤٣٠ .
الزركلي ، الأعلام ، جـ : ٤ ، ص : ٢٤١ .

(١) د . عبد المجيد عابدين ، وآخرين ، قبائل من السودان الأوسط والسودان الغربي ، ص : ٩٦ ، ط : الأولى ، الدار السودانية للكتب بالخرطوم ، سنة : ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م .
الصادق المهدي ، يسألونك عن المهدية ، ص : ١٢٥ .

(٢) هي : قبيلة عربية ، من بطون قضاعة ، تنسب إلى جد جاهلي ، =

شكرية ، دار حامد ، زيادية ، شنابلة ، معالية ، كبابيش ، دغيم ، كنانة ، جلادين ، أولاد حميد ، وغيرها .(١)

انظر : الخريطة رقم (١٠) .

هاجرت تلك القبائل وعشرات غيرها إلى السودان ، حتى تجاوز عدد قبائل السودان العربية ثلاثمائة قبيلة ، عبر مئات السنين ، من قبل ظهور الإسلام .(٢)

وفي السودان : اختلطت تلك القبائل العربية بقبائل حامية ، نيلية ، استوائية ، موزعة الأوطان ، على طول البلاد وعرضها ، وبدرجات متفاوتة ، فامتزجت الدماء ، وتبودلت السحنات ، ممّا أورث السوداني صفته المشاهدة ، وجعله خلاطة بشرية عظمى .(٣)

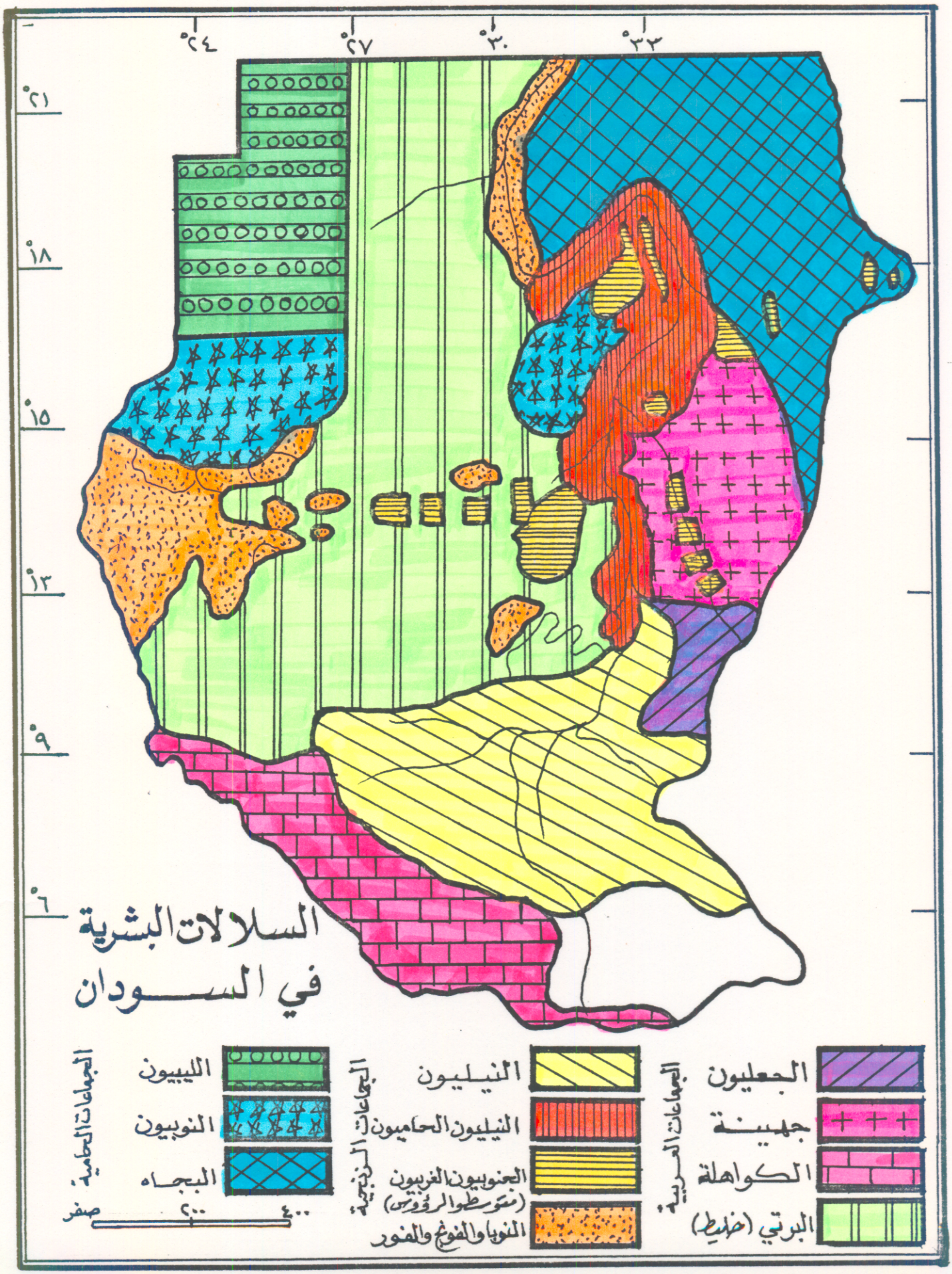
= يدعى جهينة بن يزيد بن ليث ، كانت تسكن جنوب الجزيرة ، ودخلت في الإسلام ، وسكنت بعض بطونها ، الكوفة والبصرة ، وانتقلت جماعات منها إلى مصر منذ الفتح الإسلامي ، وسكنوا الصعيد ، والصحراء الشرقية ، ما بين البحر الأحمر ، ووادي النيل إلى حدود السودان ، واختلطوا بقبائله البدوية .
أحمد عطية الله ، القاموس الإسلامي ، جـ : ١ ، ص : ٦٥١ .

(١) د . عبد العزيز كامل ، دراسات في الجغرافيا البشرية للسودان ، ص : (١٠١ - ١٠٤) ، ط : دار المعارف ، بمصر ، سنة : ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م .
الصادق المهدي ، يسألونك عن المهدية ، ص : ١٢٥ .

(٢) د . يوسف فضل حسن ، من معالم تاريخ الإسلام في السودان (الهجرات البشرية وأثرها في نشر الإسلام) ، ص : ٢٠ - ٢١ ، ط : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بالخرطوم ، مؤتمر الإسلام في السودان ، جماعة الفكر والثقافة الإسلامية ، بالخرطوم .
علي حسن عبد الله ، الحكم والإدارة في السودان ، ص : ٤٥ .

(٣) المركز الإسلامي الأفريقي بالخرطوم ، السياسة التعليمية والثقافة العربية في جنوب السودان ، ص : ٩ ، سنة : ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

خريطـــــة رقم (١٠)



المصدر: د. محمد الصياد، وآخرون، السودان، الأنجلو المصرية، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.

ومن أمثلة ذلك : الامتزاج الكبير ما حدث من قبيلة خزام، وقبيلة المساليت ، كما اختلطت أنساب البجة ، والكواهلة ، وتداخلت تداخلاً وثيقاً ، وانخلطت بطون جعلية في قبائل تقلى ، وتأصلت في دنقلا بطون عربية ؛ فصار إقليم دنقلة متعدد القبائل والبطون . وعموماً امتزجت بطون جعلية بقبائل النوبة الشمالية ، وبطون عربية انخرطت في الغور[١]، فكان الامتزاج السلالي واضحاً بين الرزيقات والدنكا ، والمسيرية والحوازمة، ونوبة الغرب[٢]، وكثير من الدنكا من أصول عربية ، امتزجت مع العناصر المحلية .[٣]

وغلبت على هذا الامتزاج صفتان : انتشار الإسلام ديناً ، وانتشار اللغة العربية لسان عبادة ومخاطبة عامة . وهكذا أسلم السودان واستعرب ، ولم يكن هذا الانتشار بتوجيه من سلطة مركزية ؛ بل جرى نتيجة عوامل اجتماعية وتاريخية معينة ، واستمر مندفعاً قروناً بعد قرون بذاتية متوقدة .[٤]

---

(١) Francis Deng, Dynamic of Indification , Abssis for national Integration in the Sudan K.U.P . , page:94, printed in : London, at:1973 A.D.

(٢) الرزيقات ، والحوازمة ، والمسيرية ، هي : قبائل عربية بدوية استوطنت السودان منذ القرن السادس الميلادي.
علي حسن عبدالله ، الحكم والإدارة في السودان ، ص : ٧٣ .

(٣) Francis Deng, Dynamic of Indification, Abssis for national Integration in the Sudan K.U.P., page:94.

(٤) الصادق المهدي ، يسألونك عن المهدية ، ص : ١٢٧ .

ومما لا شك فيه : أن نجاح الإسلام وانتشاره في تلك البقاع، اعتمد على ما اتصف به من قيم ووحدة وتماسك ، وما اتجه إليه من التركيز على اعتناق الجماعات والمناطق الكاملة للدين الجديد ، أكثر من التركيز على الأفراد المشتتين في أماكن متفرقة .(١)

خامساً : سبب عدم اتجاه تلك الهجرات إلى الجنوب :

لقد حالت العوامل الجغرافية (الطبيعية) إلى حد كبير دون وقوع الاتصال والاختلاط البشري المذكور في معظم مناطق جنوب السودان ؛ فعبر البر حالت دونه غابات وجبال ، وعبر النهر حالت دونه السدود الصعبة الاختراق ، وعندما توافرت الوسائل التي ذللت العقبات الجغرافية ، الحائلة دون الاتصال ، تدخلت عوامل سياسية وإدارية لتعزل إقليم السودان الجنوبي .(٢)

فقد جعلت الإدارة البريطانية في السودان من جنوبه منطقة مغلقة ،(٣)

---

(١) Harold Alfred , Mac Maichael, A History of the Arabs in the Sudan and some acount of the people who preceded them, page:116, printed in : London, Cass New York Barnesand Noble, at:1967 A.D.

(٢) د . فيليب رفلة ، الجغرافية السياسية لأفريقيا مع دراسة شاملة للدول الأفريقية ، سياسياً واقتصادياً وطبيعياً ، ص : ٧٣ ، ط : النهضة المصرية ، بالقاهرة ، سنة : ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م .
د . شوقي عطية الجمل ، إعادة بناء أفريقية الجديدة ، ج : ٢ ، ص: ١١٥ ، ط : معهد الدراسات الأفريقية ، جامعة القاهرة .

(٣) سنتناول بالحديث (سياسة المناطق المغلقة) في المبحث الرابع من هذا الفصل بإذن الله تعالى ومشيئته .

وطبقت عليها ما أسمته : سياسة جنوب السودان ، وهي سياسة تهدف إلى المحافظة على تراث الجنوب القبلي ، وثقافته الموروثة ، وعزلها عن المؤثرات الإسلامية والعربية ، وأن تسلط عليها التنصير المسيحي وحده ، وتجعله يتخذ من الإنجليزية لغة تفاهم ، وذلك على نحو ما فعلوا في أفريقيا الاستوائية .(١)

وبعد الكشف المصري للمناطق الجنوبية ، ومنابع النيل ، قدمت بعثة تنصيرية كاثولوكية من أوربا في ٢٨ من شهر ذي الحجة ، سنة : ١٢٦٥هـ - الموافق : ١٣ من شهر نوفمبر ، سنة : ١٨٤٩م ، على رأسها القس " كوبلخر "(٢) تحت ستار دراسة ونسخ لغة الباري(٣) . . وذلك بوساطة شخص يدعى " لوجيه " ، حتى تمكنوا من ترجمة الصلوات ، والترانيم

---

(١) د . فيليب رفلة ، الجغرافية السياسية لأفريقيا ، ص : ٧٣ .

(٢) هو : كوبلخر أو كوبلهر : قس نمساوي كاثولوكي ، كان على رأس البعثة الكاثوليكية لجنوب السودان ، بعد فتحه في زمن الخلافة الإسلامية العثمانية . وقام بنشاط تنصيري واسع في السودان ، وبخاصة في منطقة الباري .
د . إبراهيم عكاشة ، التبشير النصراني في جنوب سودان وادي النيل ، ص : ٤٠٢ ، ط : دار العلوم ، بالرياض ، سنة : ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

(٣) هي : قبائل تسكن الجنوب السوداني في المديرية الاستوائية ، ولغتهم هي : إحدى لغات جنوب السودان ، التي قدرت في سنة : ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م بأن اللغات الرئيسة المحلية في جنوب السودان ، وصلت اثني عشرة لغة ، يتحدث بكل منها ثلاثون ألفاً على الأقل ، وليس بالجنوب لغة محلية سائدة ، وإنما السائدة هي العربية الدارجة ، التي شابهها كثير من اللغات واللهجات المحلية .
Professor Bashir M.O., The Southern Sudan, Background to Conflict, Horst and Co., page:25 - 26, printed in : London, at:1388 H.- 1968 A.D.

النصرانية بتلك اللغة ، مما سهّل عليهم ممارسة الدعوة التنصيرية ، وإلى جانب ذلك تمكن " مترزنر " أحد أعضاء البعثة الكاثوليكية من إعداد قواعد النحو ، والمصطلحات اللغوية الخاصة بلغة الباري والدنكا ، كما أنه ترجم تعاليم الديانة النصرانية بلغة هذه القبائل ، وقام أحد القساوسة من البعثة نفسها بإعداد ملخصات وافية للأناجيل المختلفة بلغة الشعوب النيلية . كل هذه الأعمال أسهمت إلى حد كبير في انتشار النصرانية في تلك البقاع من أفريقية .(١) وإلى جانب البعثات التنصيرية أتاحت مصر الفرصة للرحالة والمكتشفين لتحقيق رغباتهم ومغامراتهم بالتوغل في الجنوب .(٢)

سادساً : كيفية انتشار الإسلام في السودان :

كانت الهجرات العربية مع ظهور الإسلام في القرن السابع الميلادي ، هي العامل المؤثر في انتشار الإسلام في السودان ، لذلك وجد رباط وثيق بين الشماليين الذين استقبلوا أفواج الهجرات العربية ، وبين

---

(١) Taniolo E., the first Contenary of the Roman Cathalic Mission to Centeral Africa, S.N.R., Vol:2o, page:106-109, printed in: London.

(٢) دفتر رقم (٢٨) صادر المعية . ترجمة الوثيقة التركية ، رقم: ٤٦٩ ، مرسوم من الوالي إلى حاكم عام السودان بتاريخ ٢٤ من شهر رجب ، سنة : ١٢٥٤هـ - الموافق : ١٢ أكتوبر ، سنة : ١٨٣٨م .

الإسـلام والعـرب .[١]

ويـروى عن يزيـد بن أبي حـبيب:[٢] أن المسلمين لمـا فتحـوا مصـر، بعـث عمرو بن العاص إلى القرى التي حولهـا ، فبعـث عقبـة بن نافـع الفهـري إلى النوبـة ، فدخلـت خيولهـم أرض النوبة ، كمـا تدخـل صـوائف الـروم .[٣]

ولقـد لقي المسلمون بالنوبة قتالاً شديداً ، حتى جرح عامتهم ؛ إذ إن أبناء النوبة رماة حاذقون ، حتى سماهم العرب " رماة الحدق " ، ولم يصالحهـم عمرو، ولم يزل يكالبهم حـتى ولـي أمر مصـر عبدالله بن سعد بن أبي السرح[٤]

---

(١) D.G. Vanteebi, History of Christian in Further Nubbian Kingdoms and New Sudan, page:64- 65, printed in:Khartoum, at:1398 H.- 1978 A.D.

(٢) هو : أبو رجاء الأزدي ، مولاهم ، الفقيه المصري ، ولد في خلافة معاوية ، سنة : ٥٣هـ - ٦٧٣م . يقـال : إنه أحد ثلاثة جعل عمر بن عبدالعزيز الفتيا إليهم . توفي سنة : ١٢٨هـ - ٧٤٦م .
الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، جـ : ١ ، ص : ١٢٩ ، رقم الترجمة : ١١٦ .
ابن حجر ، تهذيب التهذيب ، جـ : ١١ ، ص : ٣١٨ ، رقم الترجمة : ٦١٤ .

(٣) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص : ٢٣٨ - ٢٣٩ .
ومعنى كما تدخل صوائف الروم : أي : تعد النوبة أرضا معادية ، تتاخم مصر ، كما تتاخم بلاد الروم الشام والجزيرة ، وترسل من ثغورهـا إلى بلاد الروم الحملات الصيفية المعروفة بالصوائف .
البلاذري ، فتوح البلدان ، ص : ٢٤١ .

(٤) هو : عبدالله بن سعد بن أبي السرح ، القرشي العامري . أسلم قبل الفتح . وكان من كتّاب الوحي للنبي - صلى الله عليه وسلم - . ولي مصر سنة : ٢٥هـ - ٦٤٦م ، وفي أثناء ولايته مد الفتوح في الشمال الأفريقي إلى تونس . مات بعسقلان في أثناء صلاته ، سنة : ٣٧هـ - ٦٥٧م .
ابن الأثير ، أسد الغابة ، جـ : ٣ ، ص : ١٧٣ .

فصالحهم[١]. ويروى أن أهل النوبة هم الذين سألوا عبدالله بن أبي السرح الصلح والموادعة[٢]، فأجابهم إلى ذلك على غير جزية، لكن على هدية ثلاثمائة رأس كل سنة، وعلى أن يهدي المسلمون إليهم طعاماً بقدر ذلك.[٣]

وروى أبو عبيد القاسم بن سلام[٤]، عن أبي لهيعة[٥]، عن يزيد

= ابن عبدالبر، الاستيعاب، جـ: ٣، ص: ٩١٨، رقم الترجمة: ١٥٥٣.
الزركلي، الأعلام، جـ: ٤، ص: ٨٨.

(١) نعوم شقير، تاريخ السودان، ص: ٦١.

(٢) السابق، ص: ٦٩.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ص: ٢٣٩.

(٤) هو: أبو عبيد القاسم بن سلام، الهروي، البغدادي، من كبار العلماء بالحديث والأدب والفقه، ولد بهراة، سنة: ١٥٧هـ-٧٧٤م.
له أكثر من عشرين مصنفاً في القراءة والحديث والفقه، وهو أول من صنف في غريب الحديث.
من مصنفاته: "الغريب المصنف" و"أدب القاضي" و"المذكر والمؤنث" و"الأموال"، وغيرها. توفي بمكة المكرمة، سنة: ٢٢٤هـ- ٨٣٨م.
الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، جـ: ١٢، ص: ٤٠٣ - ٤١٦.
الذهبي، تذكرة الحفاظ، جـ: ٢، ص: ٤١٧، رقم الترجمة: ٤٢٣.
ابن حجر، تهذيب التهذيب، جـ: ٨، ص: ٣١٥، رقم الترجمة: ٥٧٢.
سركيس، معجم المطبوعات، جـ: ١، ص: ١٢١.
الزركلي، الأعلام، جـ: ٥، ص: ١٧٦.

(٥) هو: أبو عبدالرحمن عبدالله بن لهيعة بن عقبة، الحضرمي، المصري، ولد سنة: ٩٧هـ- ٧١٦م، قاضي الديار المصرية، وعالمها ومحدثها.
ولي قضاء مصر، سنة: ١٥٥هـ- ٧٧٢م لمدة تسعة أشهر.
توفي سنة: ١٩٤هـ- ٨١٠م.
ابن أبي حاتم الرازي، الجرح والتعديل، جـ: ٥، ص: ٦٤٥- ٦٨٢.
ابن حجر، رفع الأصر عن قضاة مصر، جـ: ٢، ص: ٢٨٧ - ٢٩٢، تحقيق: حامد عبدالمجيد، ط: المطابع الأميرية، بالقاهرة.
ابن حجر، تهذيب التهذيب، جـ: ٥، ص: ٣٧٢، رقم الترجمة: ٦٤٨.

ابن أبي حبيب : " ليس بيننا وبين الأساود عهد ولا ميثاق ، وإنما بيننا هدنة ، على أن نعطيهم شيئاً من قمح وعدس ، ويعطونا رقيقاً . . . "[١].

ورويت برواية مقاربة عن الليث بن سعد[٢] ، إمام أهل مصر[٣] .

وتذهب رواية : بأن أهل النوبة بعثوا بالبقط[٤] أول عام ، فأهدوا إلى عمرو بن العاص أربعين رأساً ، فكره أن يقبل ذلك منهم ، ورده على عظيم من عظماء القبط ، وهو القيم لهم فيها[٥].

قال المقريزي[٦] : . . . وقد حفظ بعض أحكام الصلح بين

---

(١) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص : ٢٤٠ .

(٢) هو : أبو الحارث الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي بالولاء ، إمام أهل مصر في عصره ، ولد في قلقشندة ، سنة : ٩٤هـ - ٧١٣م ، عاصر الإمام مالك ، وأخذ عنه . توفي في القاهرة ، سنة : ١٧٥هـ - ٧٩١ م ، وقبره فيها معروف .
الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، جـ : ١ ، ص : ٢٢٤ ، رقم الترجمة : ٢١٠ .
ابن حجر ، تهذيب التهذيب ، جـ : ٨ ، ص : ٤٥٩ ، رقم الترجمة : ٨٣٢ .
عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين ، جـ : ٨ ، ص : ١٦٢ .
الزركلي ، الأعلام ، جـ : ٥ ، ص : ٢٤٨ .

(٣) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص : ٢٤١ .

(٤) البقط : هو ما يقبض من سبي النوبة كل عام .
المقريزي ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، جـ : ٢ ، ص : ١٩٩ .

(٥) نعوم شقير ، تاريخ السودان ، ص : ٦٢ .

(٦) هو : أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم الحسيني العبيدي ، تقي الدين المقريزي ، مؤرخ الديار المصرية . ولد بالقاهرة ، سنة : ٧٦٦هـ - ١٣٦٥م . تقلب في عدة وظائف قضائية وإدارية في القاهرة ودمشق .
له مصنفات ، منها : " المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار " و "السلوك" و " تاريخ الأقباط " ، وغيرها .

المسلمين وأهل النوبة بالفسطاط قبل حرقها ، وبعض هذه الأحكام يقول : " إنّا عاهدناكم على أن توافونا في كل سنة بثلاثمائة رأس ، وستين رأساً ، وتدخلوا بلادنا مجتازين غير مقيمين ، وكذلك ندخل بلادكم على أنكم إن قتلتم من المسلمين قتيلاً ، فقد برئت منكم الهدنة ، وعلى إن آويتم للمسلمين عبداً ، فقد برئت منكم الهدنة ، وعليكم رد آباق المسلمين ، ومن لجأ إليكم من أهل الذمة ".(٢)

ويروى أن غزوات عبدالله بن أبي السرح بلغت دنقلة ، في سنة : ٣١هـ - ٦٥١م ، وأن العهد بينه وبين أهل النوبة تضمن شرطاً لصيانة مسجد دنقلة .(٣)

= توفي بالقاهرة ، سنة : ٨٤٥هـ - ١٤٤١م .
محمد عبدالله عنان ، مؤرخو مصر الإسلامية ، ومصادر التاريخ المصري ، ص : ٨٥ - ١٠٤ ، ط : الأولى ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، بالقاهرة ، سنة : ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م.
الشوكاني ، البدر الطالع ، جـ : ١ ، ص : ٧٩ .
الزركلي ، الأعلام ، جـ : ١ ، ص : ١٧٧ .

(١) هي : مدينة أسسها عمرو بن العاص ، سنة : ٢١هـ - ٦٤١م ، وهي تعرف الآن باسم " مصر القديمة " . ظلت الفسطاط عاصمة لمصر منذ فتحها . . ولمّا أسس الفاطميون القاهرة تقهقر حال الفسطاط ، فشملها الإهمال ، حتى أمر " شاور " بإحراقها سنة : ٥٦٤هـ - ١١٦٩م لمّا غزا " أموري " ملك بيت المقدس مصر ، حتى لا تقع غنيمة بيد الصليبيين .
أحمد عطية الله ، دائرة المعارف الحديثة ، ص : ٤٦٨ .
محمد شفيق غربال ، الموسوعة العربية الميسرة ، جـ : ٢ ، ص : ١٣٠٠ .

(٢) المقريزي ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، جـ : ٢ ، ص : ١٩٩ - ٢٠٠ ، ط : صادر ، ببيروت .

(٣) السابق ، الجزء والصفحات نفسها .
عبدالمجيد عابدين ، دراسات في تاريخ العروبة في وادي النيل ، ملحقة بكتاب (البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب) للمقريزي ، ص : ١٤٢ ، ط : القاهرة ، سنة : ١٣٨١هـ - ١٩٦١م.

أمّـــا قبائل البجة ما بين النيل والبحر الأحمر مثا بلي النوبة ، فإن أول من صالحهم من ولاة مصر بعد الفتح الإسلامي عبدالله بن الحبـــاب[١]، ويقـــال : إن جماعات عربية من "بلي " نزحت إلى بلاد البجة قبل الإسلام، كما هاجر الحضارمة إليها في القرن السادس للميلاد ، ولعلهم امتزجـــوا ببلي هنـــاك .[٢]

ثم كانوا في زمن المسعودي[٣] المؤرخ هم المسلمون ، دون سائـــر البجة ، ويسمون اللغة العربية (بلويت) أي : اللغة البلوية، نسبة إلى بلي ، التي حطت العربية إليهم ، فتمثلتها لغة البجة (وهي لغة حامية) ، ولن لم تستطع اللغة العربية التغلب على لغة البجة ـ حينذاك ـ لقلـة العـــرب النازحين بالقياس إلى قبائل البجة الكثيرة المتشعبة . ويظهر أن السبئيين[٤]

---

(١) ابن الحكم ، فتوح مصر والمغرب ،وحاشيته ، ص : ٢٥٢ ، تحقيـــق : عبدالمنعم عامر ، ط : القاهرة ، سنة : ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م.

(٢) محمد السيد غلاب،وآخرين ، البلدان الإسلامية والأقليات المسلمة في العالم المعاصر ، ص : ٣٦ - ٣٧.

(٣) هو : أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي ، جغرافي ومؤرخ عربي ، ولد ونشأ في بغداد ، أمضى شبابه في التجوال .
من مؤلفاته : " مروج الذهب " و " معادن الجوهر " و " التنبيه والإشراف" و " الإبانة عن أصول الديانة "، وغيرها . نزل مصر واستقر بالفسطاط، وبها توفي ، سنة : ٣٤٦هـ - ٩٥٧م.
سركيس ، معجم المطبوعات ، ص : ١٧٤٤ .
محمد شفيق غربال ، الموسوعة العربية الميسرة ،جـ : ٢ ،ص : ١٧٠٠ .
الزركلي ، الأعلام ، جـ : ٤ ، ص : ٢٧٧ .

(٤) هم : أهل اليمن ، نسبة إلى بلاد سبأ ، أو سلكة سبأ . كانت لهـــم حضارة عظيمة ، وقد ركبوا البحر وانتشروا على الساحل الأفريقي المقابـل . وعبروا إلى داخل أفريقية ، مثل : بلاد القرن الأفريقي ، والسودان .
عيسى محمد ، جيبوتي ، دراسة في الجغرافيا السياسية ،ص : المقدمة .

وأعقابهم ، كانوا هم العنصر الغالب على عرب السودان في أزمان الجاهلية[١] .

وبعد مقتل مروان بن محمد[٢] - آخر الخلفاء الأمويين قرب بوصير[٣] - في الصعيد الأدنى[٤] من أرض مصر ، سنة : ١٣٢هـ - ٧٥٠م ، هرب عبد الله[٥] ، وعبيد الله بن مروان في جماعة من أتباعهما إلى بلاد النوبة ، ولحق بهم

---

(١) المسعودي ، مروج الذهب ، جـ : ١ ، ص : ٢٣٥ .

(٢) هو : مروان بن محمد بن مروان بن الحكم ، آخر خلفاء بني أمية ، ولد سنة : ٧٠هـ - ٦٨٩م ، تميز عهده بكثرة الفتن والاضطرابات على يد الشيعة والخوارج ، ثم العباسيين الذين قاتلهم في موقعة " الزاب " وانتهت بهزيمته وفراره إلى مصر ، ثم قتله في قرية " بوصير " ، سنة : ١٣٢هـ - ٧٥٠ م ، وبموته انتهت الخلافة الأموية .
الدياربكري ، تاريخ الخميس ، جـ : ٢ ، ص : ٣٢٢ .
أحمد عطية الله ، دائرة المعارف الحديثة ، ص : ٦٢٠ .
الزركلي ، الأعلام ، جـ : ٧ ، ص : ٢٠٨ .

(٣) هي : قرية بإقليم الفيوم في مصر ، وتعرف اليوم باسم " أبو صير دفنو " ، وهي تتبع مركز " أطسا " .
أحمد عطية الله ، القاموس الإسلامي ، جـ : ١ ، ص : ٣٩٣ .

(٤) الصعيد الأعلى والأدنى : يطلق على وادي النيل في مصر ، من ملتقى دلتاه إلى حدود السودان ، ويعرف بصعيد العليا ، أو الوجه القبلي .
أحمد عطية الله ، القاموس الإسلامي ، ص : ٢٧٣ .

(٥) هو : عبد الله بن مروان بن محمد الأموي ، من بقايا بني أمية في الشام ، مُنّ فرّ من عبد الله بن علي العباسي إلى بلاد النوبة ، ثم ظفر به الأمير نصر بن محمد بن الأشعث في فلسطين ، وقيل : في جدة ، فأخذه وقدم به على المهدي العباسي في بغداد ، فحبسه في المطبق ، حتى مات في أيام الرشيد .
ابن الأثير ، الكامل في التاريخ (حوادث سنة : ١٦١هـ) ، جـ : ٦ ، ص : ٥٤ .
ابن العماد ، شذرات الذهب ، جـ : ١ ، ص : ١٨٤ .
الزركلي ، الأعلام ، جـ : ٤ ، ص : ١٣٧ .

آخرون من أصحاب مروان ، فبلغ عددهم ألفين أو ضعف ذلك.[١] وكانت أرض النوبة - وقت ذلك - تنقسم إلى ثلاث ممالك نصرانية ، ومن الطبعي : أن ينزل المروانيون الهاربون أدنى أرض النوبة إلى مصر مملكة المقرة . ويروى أنهم وافوا ملك النوبة ، وأقاموا في بلده زمنًا ، ثم ترك المروانيون بلاد النوبة ، واتجهوا إلى الشرق نحو بلاد البجة ، ولقوا منهم مقاومة شديدة ، وتفرقوا يريدون ساحل البحر.[٢]

وقد ظلت البجة مصدر خطر على مصر ، وتتابعت غاراتهم على الصعيد في مختلف العهود ، وفي عهد الخليفة العباسي المتوكل[٣]، أغارت البجة على أرض مصر ، وامتنعوا عن أداء ما كانوا يؤدون من معدن الذهب الذي بأرضهم ، وقتلوا عدداً من المسلمين ، فلمّا تزايد شر البجة على أهل صعيد مصر ، ولّى المتوكل محمد بن عبدالله القمي[٤] حرب البجة

---

(١) D.G. Vanteebi, History of Christian in Further Nubbian Kingdoms and New Sudan , page: 81- 83.

(٢) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، جـ : ٦ ، ص : ٥٤ .
عبدالمجيد عابدين ، دراسة في تاريخ العروبة ووادي النيل ، ص: ١٤٢ .

(٣) هو : أبو الفضل المتوكل على الله جعفر بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد . ولد ببغداد سنة: ٢٠٦هـ - ٨٢١م ، بويع بالخلافة ، سنة: ٢٣٢هـ - ٨٤٦م . أغتيل في سامراء ، سنة : ٢٤٧هـ - ٨٦١م .
الديار بكري ، تاريخ الخميس ، جـ : ٢ ، ص : ٣٣٧ .
أحمد عطية الله ، دائرة المعارف الحديثة ، ص : ٥٩٨ .
الزركلي ، الأعلام ، جـ : ٢ ، ص : ١٢٧ .

(٤) هو : أبو أحمد محمد بن عبدالله القمي ، قائد عباسي شجاع ، ولاه الخليفة العباسي المتوكل حرب البجة ، وقاتلهم ، وتم له النصر عليهم ، ورجع إلى بغداد .
ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، جـ : ٢ ، ص : ٢٩٧ .
الزركلي ، الأعلام ، جـ : ٦ ، ص : ٢٢٢ .

سنة : ٢٣٨ هـ - ٨٥١ م ، وكتب إلى والي مصر عنه عنبسة بن إسحاق الضبي[١] بإعطاء جنده ما يحتاجون إليه .[٢]

وقد كانت إبل البجة ذعرة ، تنفر من أي شيء ، فجمع القسي الأجراس ، وعلقها في أعناق الخيل ، ثم حمل على البجة ، فنفرت إبلهم من أصوات الأجراس ، وفرت إلى الجبال والأودية ، وتبعهم المسلمون ، فانتصروا عليهم انتصاراً مبيناً ، وقتل صاحب البجة ، ثم قام من بعده ابن أخته ، وكان أبوه أحد ملوك البجويين ، وطلب الهدنة ، فأبى المتوكل إلى أن تم الصلح سنة : ٢٤١هـ - ٨٥٥م على أداء الإتاوة والبقطة، وتكاثر العرب من ربيعة[٣] منذ عهد المتوكل في أرض المعدن (الذهب) التي كانت تنتشر فيها البجة ، وكان المسلمون قد ضاقوا بغارات البجة على ساكنهم، وإفزاعهم المصلين ، كما حدث يوم صلاة العيد .[٤]

---

(١) هو : أبو حاتم عنبسة بن إسحاق بن مشمر بن عبيد الضبي ، أحد أمراء العصر العباسي ، تولى على مصر ، وداست ولايته أربع سنين وبضعة أشهر .
أحمد عطية الله ، القاموس الإسلامي ، جـ : ٥ ، ص : ٥٥٨ .
الزركلي ، الأعلام ، جـ : ٥ ، ص : ٩١ .

(٢) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، جـ : ٢ ، ص : ٢٩٣ - ٢٩٧ .
D.G.Vanteebi, History of Christian in Further Nubbian Kingdoms and New Sudan, page:93- 94.

(٣) هي : أحد القبائل العربية الكبرى ، تنسب إلى ربيعة بن نزار ، كانت تسكن شرق الجزيرة ، من : العراق شمالاً ، إلى اليمامة والبحرين .
أحمد عطية الله ، القاموس الإسلامي ، جـ : ٢ ، ص : ٤٩٦ .
محمد شفيق غربال ، الموسوعة العربية الميسرة ، جـ : ١ ، ص : ٨٦٢ .

(٤) د . يوسف فضل ، من معالم تاريخ الإسلام في السودان ، ص : ٣٠ .

وروى المقريزي : أن العمري خرج بمجموعة إلى بلاد البجة غضباً لله والمسلمين - كما روى ذلك ابن الأثير[١] - وواصل غاراته على البجة والنوبة، حتى أخذ من البجة الجزية ، ولولا تدخل ابن طولون[٢] من ناحية، وانقسام القبائل التي صحبت العمري من جهة أخرى، وخروج بعضها عليه ، لتمكن العمري من تكوين أول إمارة عربية إسلامية في سودان وادي النيل[٣].

وقد استطاعت ربيعة أن توطد مكانتها في الصعيد الأعلى ، وفي أرض المورن بنوع خاص ، وتحالفوا مع الحدّاربة[٤] ، وهم مسلمو البجة ، وباقي البجة من الكفار، فقوي كل فريق بالآخر على من ناوأهما[٥].

---

(١) هو : أبو الحسن عز الدين علي بن محمد ، ولد بجزيرة ابن عمر، سنة : ٥٥٥هـ - ١١٦٠م . له مؤلفات ، منها : "الكامل في التاريخ" و "أسد الغابة" و "الجامع الكبير" و "اللباب" . توفي سنة : ٦٣٠هـ - ١٢٣٣م .
سركيس ، معجم المطبوعات العربية والمستعربة ، جـ : ١ ، ص : ٣٦ .
أحمد عطية الله ، القاموس الإسلامي ، جـ : ١ ، ص : ٢٤ .
الزركلي ، الأعلام ، جـ : ٤ ، ص : ٣٣١ .

(٢) هو : أبو العباس أحمد بن طولون ، مؤسس الدولة الطولونية بمصر والشام ، ولد بمدينة سامرا في سنة : ٢٢٠هـ - ٨٣٥م . أرسله بايكباك إلى مصر نائباً عنه ، سنة : ٢٥٤ - ٨٦٨م ، فاستقل بحكمها ، واستمر بحكم مصر نحواً من سبع عشرة سنة .
أحمد عطية الله ، القاموس الإسلامي ، جـ : ٤ ، ص : ٥٧٣ - ٥٧٦ .
الزركلي ، الأعلام ، جـ : ١ ، ص : ١٤٠ .

(٣) نعوم شقير ، تاريخ السودان ، ص : ٨٨ .
عبد المجيد عابدين ، دراسات في تاريخ العروبة ، ص : ١٤٣ .

(٤) هم : مسلمون من أبناء البجة . . والداخلة من البجة كفار يعبدون صنماً لهم ، وحين عمّ الإسلام البجة أزال منها عبادة الأوثان .
نعوم شقير ، تاريخ السودان ، ص : ٨٩ .

(٥) عبد المجيد عابدين ، دراسات في تاريخ العروبة في وادي النيل ، ص : ١٤٤ .

وفي عصر الفاطميين استطاعت ربيعة وحلفاؤها أن يؤسسوا أول إمارة عربية في أرض المعدن ، وكانت أسوان مقراً لها ، وامتد سلطانها جنوباً في أرض مريس ، وكان زعيمهم صاحب المعدن قد أشار إليه المسعودي ووصفه بذلك ، ويدعى أبا مروان بشر بن إسحاق ، وقد أقر الفاطميون هذه الإمارة الناشئة ، واستعانوا بها أحياناً.(١)

وقد أغار النوبيون سنة : ٦٧١هـ - ١٢٧٢م على أطراف مصر ، رغبةً في الاستيلاء على سواكن ، أو تجاوباً من تلك المملكة النصرانية ، مع الإحساس الصليبي ، وتواطأوا مع الصليبيين بعد أن استولى الظاهربيبرس على كثير من معاقلهم.(٢)

وقد عدت الحملة التي قام بها ، سنة : ٦٧٤هـ - ١٢٧٥م فتحاً حقيقياً للنوبة ، وأصبحت مملكة مقرة النوبة جزءاً من السلطنة المملوكية التي يحكمها السلطان الظاهر بيبرس ، وملكها نائباً عن السلطان في حكم بلاد النوبة ، وعليه أن يرسل نصف حصيلة ما يجمعه من بلاد النوبة خالصاً للسلطان ، فضلاً عن عدد من الهدايا.(٣)

ثم ما لبث ملوك "علوة" أن بعثوا - أيضاً - إلى السلطان

---

(١) د . يوسف فضل حسن ، من معالم تاريخ الإسلام في السودان ، ص: ٣١ .

(٢) د . محمد السيد غلاب ، البلدان الإسلامية ، ص : ٣٩٧ .

(٣) D.G.Vanteebi, History of Christian in Further Nubbian Kingdoms and New Sudan, page:174-175.

قلاوون - سلطان مصر - يعلنون ولاءهم ، ويحكمونه فيما ينشب بينهم وبين ملوك دنقلة من نزاع ، وفي سنة : ٨٦٥هـ - ١٢٨٧م : انتهى التحكيم بتوجيه قلاوون حملة كبيرة إلى النوبة ، وأخضعها ووضع على مملكة النوبة أميرًا مملوكيًا إلى جانب الملك الجديد ، وتعهد الملك الجديد أن يدفع البقط القديم ، والجزية السنوية ، وسائر الحقوق السلطانية ، وعسكرت حامية مملوكية بدنقلة[(١)] ، واستدعى الأمر حملات أخرى ، وقد أسلم بعض الأمراء ، وكان هذا عاملاً حاسمًا في سقوط مملكة النوبة النصرانية ؛ إذ أخذ بنو كنز[(٢)] يظهرون في أحداث النوبة[(٣)] ، وقد احتفظوا بلغتهم العربية ، إلى جانب اللغة النوبية ، وما لبث ملك النوبة أن انتقل إلى أيدي بني كنز ، سنة : ٨٢٣هـ - ١٢٢٣م ، وأتت قبائل عربية أخرى بلاد النوبة ، كما شاركت جماعات من العرب المقيمين بمصر في الحملات على بلاد النوبة ، ومنهم من أقام هناك ، وأعان هؤلاء بني كنز على سلطانهم ، وأدى قدوم العرب إلى النوبة والاختلاط بأهلها إلى انتشار الإسلام فيها ؛ وبخاصة بعد أن صار ملوكها من المسلمين ، وانقطعت الجزية كما قال ابن خلدون والقلقشندي[(٤)]

---

(١) D.G. Vanteebi , History of Christian in Further Nubbian Kingdoms and New Sudan, page:175.

(٢) هم : من القبائل التي تجري في عروقها الدماء العربية ، فأصلهم من عرب ربيعة ، وهم يعيشون بين أسوان وكورسكو.
علي حسن عبدالله ، الحكم والإدارة في السودان ، ص : ٤٤ .

(٣) د . حسن سليمان محمود ، ود .جلال الجاويش ، تاريخ السودان في العصور القديمة ، ص : ١٥٤ ، ط : مكتبة مصر ، بالقاهرة .

(٤) ابن خلدون ، العبر ، جـ : ٣ ، ص : ٢٣١ .
القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ : ٤ ، ص : ٣٦ .
والقلقشندي هو : أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ، ثم =

لبلاد النوبة ، بعد قيام دولة بني كنز ، ولم يكد منتصف القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي يأتي ، حتى كان النوبيون قد اعتنقوا الإسلام، عدا قلة ظلت على نصرانيتها.[1]

وتعرضت مملكة علوة النصرانية في جنوب بلاد النوبة ، لما تعرضت إليه مملكة مقرة في الشمال ، من عوامل التفكك والانحلال ، كما تعرضت مدة قرنين من القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي ، لإغارات من مملكة الزغاوة ، التي امتدت من بحيرة تشاد[2] في الغرب إلى أطراف النوبة في الشرق ، ويبدو أنها شملت الكاتم ودارفور في القرن الرابع عشر الميلادي ، ثم استطاع عرب جذام وغيرهم من العرب المهاجرين من مصر

= القاهري . ولد بقلقشندة ، إحدى قرى قليوب ، بقرب القاهرة ، سنة : ٧٥٦هـ - ١٣٥٥م ، وتولى بعض الوظائف الإدارية .
من مؤلفاته : " صبح الأعشى في صناعة الإنشاء " و " حلية الفضل وزينة الكرم في المفاخرة بين السيف والقلم " و " قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب زمان "، وغيرها . توفي سنة : ٨٢١ هـ - ١٤١٨م .
محمد عبدالله عنان ، مؤرخو مصر الإسلامية ، ص : ٧٦ - ٨٤ .
الزركلي ، الأعلام ، جـ : ١ ، ص : ١٧٧ .

(١) ابن خلدون ، العبر ، جـ : ٣ ، ص : ٢٣٢ .
القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ : ٤ ، ص : ٣٨ .
د . مصطفى محمد سعد ، الإسلام والنوبة في العصور الوسطى ، ص : ١٧٤ ، ط : القاهرة ، سنة : ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م .

(٢) هي : بحيرة في وسط أفريقية ، تعد السادسة في العالم من حيث المساحة ، تحف بها جمهوريات : نيجيريا ، والنيجر ، وتشاد ، والكاميرون .
أحمد عطية الله ، القاموس الإسلامي ، جـ : ١ ، ص : ٤٦٨ .
محمد شفيق غربال ، الموسوعة العربية الميسرة ، جـ : ١ ، ص : ٥١٧ .

أن يجتاحوا مملكة الزغاوة ، ويسيطروا على منطقة دارفور ؛ إذ اتخذوها قاعدة للإغارة على ما جاورها من أقاليم حتى مملكة (بورنو)[1] في الغرب، وأجمعت الروايات التاريخية على أن نهاية مملكة علوة جاءت في أوائل القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي ، على يد جماعة من العرب والفونج[2].

ومما ساعد على انهيار مملكة علوة : أن قبائل جهينة وغيرها من القبائل العربية أخذت تنشئ إمارات مستقلة ، داخل مملكة علوة، ويذكر القلقشندي : أنه ضمن الإمارات التي نشأت في أوطان البجة ، حتى الحدود الحبشية ، وبلاد النوبة ثمان إمارات تراسلت مع السلطنة المملوكية في القرنين : الثامن والتاسع للهجرة / الرابع عشر والخامس عشر للميلاد ، وظهرت عدة ممالك ومشيخات إسلامية منذ القرن التاسع الهجري في حوض النيل الأوسط ، مما زلزل أسس المملكة النصرانية (علوة) ؛ إذ تزايد انتشار الإسلام بين أهل البلاد ، وصار الحكم الفعلي في بيت شيخ القبيلة ،

---

(١) هي : إحدى دول السودان الأوسط ، اقتسمتها منذ أوائل القرن التاسع عشر انجلترا وفرنسا وألمانيا ، وهي موزعة اليوم بين جمهوريتي : نيجيريا ومالي . قامت فيها سلطنة إسلامية منذ دخول زعماء بعض القبائل الأفريقية في الإسلام إبّان القرن الخامس الهجري ، وعرفت هذه الدولة بالسلطنة السيفية .
مكي شبيكة ، السودان عبر القرون ، ص : ٦٥ .
أحمد عطية الله ، القاموس الإسلامي ، ج : ١ ، ص : ٢٠٦ .
محمد شفيق غربال ، الموسوعة العربية الميسرة ، ج : ١ ، ص : ٣٥٦ .

(٢) مكي شبيكة ، السودان عبر القرون ، ص : ٦٦ .
د . حسن سليمان محمود ، د . جلال جاويش ، تاريخ السودان في العصور القديمة ، ص : ١٥٧ .

١- مملكة الفونج (٩١٠هـ - ١٥٠٥م / ١٢٣٥هـ - ١٨٢٠م) ، وكانت قاعدتها سنار.(١)

٢- سلطنة دارفور (١٠٤٦هـ - ١٦٣٧م/ ١٢٩٢هـ - ١٨٧٥م) ، وقد قامت في الأطراف الغربية من السودان ؛ ولعلها كانت تضارع مملكة الفونج في عظمتها .

٣- مملكة تقلا ، التي تأسست حوالي سنة : ٩٧٧هـ - ١٥٧٠م ، واستمرت إلى حوالي سنة : ١٣٠٧هـ - ١٨٩٠م . وقد قامت في الركن الشمالي الشرقي من منطقة جبال النوبة(٢) من غرب السودان ، وكانت أقل من الأخريين عظمة .

* ولنا مع كل مملكة منها وقفة ، فيما يأتي : -

---

(١) هي : مدينة بوسط جمهورية السودان ، على النيل الأزرق ، عاصمة مملكة الفونج المسلمة . ترتبط سنار بالخرطوم والأبيض والرصيرص بالسكة الحديدية . على مقربة منها بني سد سنار ، سنة : ١٣٤٣هـ - ١٩٢٥م على النيل الأزرق ؛ لري أراضي الجزيرة .
أحمد عطية الله ، دائرة المعارف الحديثة ، ص : ٣١٠ .
محمد شفيق غربال ، وآخرين ، الموسوعة العربية الميسرة ، جـ : ١ ، ص : ١٠١٨ .

(٢) هي : عدة جبال إلى جنوب كردفان ، قيل : إن عددها تسع وتسعون جبلاً ، وهي تمتد جنوباً وشرقاً إلى النيل الأبيض ، وغرباً إلى دارفور ، وفي كثير منها ينابيع وأشجار يتخللها سهول خصيبة ، تقوم فيها الغابات ، وسكانها قبائل شتى من النوبة . ومن هذه الجبال ما دخل في طاعة مصر في الفتح الأول ، ومنها : ما لم يدخل . وقد اختلف المؤرخون في أصل تسميتها بجبال النوبة .
نعوم شقير ، تاريخ السودان ، ص : ١٢٧ .

أولاً : سلطنة الفونج (٩١٠هـ - ١٥٠٥م/١٢٣٥هـ - ١٨٢٠م) :

بانتصار سلطنة الفونج وحلفائهم العرب ، بدأت في السودان سلطنة إسلامية عربية قوية ، اتخذت من "سنار" عاصمة لملكها[1] . كما أصبح سلطانها الأول " عمارة دونقيس" . . أمّا عبد الله جماع ، مؤسس مشيخة العبدلاب[2] ، فقد أصبح وزير "عمارة دونقيس " ، ويليه في الأهمية ، وتم الاتفاق بينهما على أن يكون السلاطين من الفونج ، والوزراء من العرب ؛ وذلك في سنة : ٩٠٩هـ - ١٥٠٤م .[3]

وقد أدخل العرب إلى السودان أشياء كثيرة ، أهمها : الحياة القبلية ، التي عرفوها في الجزيرة العربية ، كما جعلوا لغتهم العربية تسود البلاد ، مختلطة بلغة السودانيين ، حتى تكونت اللهجة السودانية الحديثة ، وأدخل العرب الدين الإسلامي الحنيف ، الذي انتشر في شمال السودان ، وشرقه ، وغربه ، ووسطه ، واتسعت رقعة سلطنة الفونج ، وأصبحت حدودها تمتد من حدود الحبشة الحالية شرقاً إلى الشايقية شمالاً ، وكاد أن يكون شمال السودان خاضعاً لسلطنة الفونج . انظر: الخريطة رقم (١١) ، إلا أن وجود ولاة الحكام الأتراك في هذا الإقليم

---

(١) علي حسن عبدالله ، الحكم والإدارة في السودان ، ص : ٢١ .

(٢) هم : ذرية الشيخ عبدالله جماع الذي حكم مع عمارة دونقيس دولة الفونج ، وقد خلف عبدالله جماع ابنه الشيخ عجيب الملقب بالمانجولة ، أي : ما نجل إلا له ، ومنه لقب (مانجل) الذي يخاطب به شيوخ العبدلاب .
نعوم شقير ، تاريخ السودان ، ص : ١٢٩ .

(٣) مكي شبيكة ، السودان عبر القرون ، ص : ٥٨ - ٦٢ .

خريطـــة رقم (١١)



د . حسين مؤنس ، أطلس تاريخ الاسلام ، ص : ٣٣٠ .

وقف مانعاً دون ذلك[١]. تلك السلطنة التي لم تكن سوى محاولة لإيجاد صيغة إدارة موحدة للبلاد ، فلم تكن حكومة بالمعنى الحديث ؛ بل كانت حكومة شبه مركزية ؛ فللسلطان الأرض ، وللزعماء الحكم على قبائلهم ، وكانت أهم الصعوبات التي تواجه السلاطين اتساع البلاد ، وصعوبة المواصلات ، وكان سلاطين الفونج لا يطلبون من زعماء القبائل غير الجزية ، والخضوع الاسمي لهم[٢].

ولمّا أصبح "دكين"[٣] العادل سلطاناً في نظام الحكم ، قلّل من شأن حكم الفرد المطلق ، وعيّن مجلساً من الأعيان ، وعظماء السلطنة ، وجعل المجلس يجتمع أربعة أيام في الأسبوع ، وكان للمجلس سلطة طيبا ، بمقتضاها يستطيع عزل السلاطين[٤].

ومن أبرز الظواهر في هذه السلطنة : دخول التعليم عن طريق الفقهاء الذين وفدوا من الأندلس والحجاز[٥] ، وغيرها ، وهؤلاء الفقهاء ساعدوا

---

(١) السابق ، ص : ٦٢ .

(٢) ضرار صالح ضرار ، تاريخ السودان الحديث ، ص : ١٥ ، ط : الثالثة ، الدار السودانية ، سنة : ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

(٣) هو : الملك دكين بن نائل ، الملقب بالعادل ، حكم من سنة : ٩٧٠ هـ - ١٥٦٣م ، حتى سنة : ٩٨٥هـ - ١٥٧٨م ، ولقّب بالعادل لتطبيقه ومحبته للعدل ، ورتب دواوين الحكومة ، ونظم البلاد .
نعوم شقير ، تاريخ السودان ، ص : ١٠٠ - ١٠١ .

(٤) مكي شبيكة ، السودان عبر القرون ، ص : ٦٦ .
ضرار صالح ضرار ، تاريخ السودان الحديث ، ص : ١٦ .

(٥) هو : مهبط الدعوة الإسلامية في غرب شبه الجزيرة العربية ، وهو أحد المناطق التي تنقسم إليها المملكة العربية السعودية ، ويقع في الشمال من عسير ، وإلى الغرب من نجد ، ويجاور حدود الأردن من الشمال . / أحمد عطية الله ، القاموس الإسلامي ، جـ : ٢ ، ص: ٤١ .

كثيراً على نشر الدين الإسلامي ، وشجع ذلك سلاطين الفونج ، الذين كانوا يأتون بالفقهاء والعلماء[1] ، ويجعلون لهم مكانة عالية وكبيرة في الدولة .

وفي عهد الفونج نشطت الدعوة الإسلامية ، وكانت سنار مركزاً للعلوم الإسلامية ، وبخاصة في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ، وتطلعت إليها شتى أنحاء السودان شرقاً وغرباً ، وكان النابهون من العلماء والدعاة يرحلون إلى ملوك الفونج وأمرائهم ؛ ليعيشوا في جوارهم . وكانت سلطنة دارفور تستعين بفقهاء جزيرة سنار ؛ لنشر العلم في ربوعها ، وارتحل عدد من السناريين لطلب العلم بالأزهر الشريف[2] في مصر ، وأقام بعض علماء الأزهر المصريين في مملكة سنار ، وأدى انتشار الإسلام بينهم إلى الاندماج القبلي[3] .

ثانياً : مملكة دارفور (٨٤٨هـ - ١٤٤٥م / ١٢٩٢هـ - ١٨٧٥م) :

قامت دارفور على التجارة[4] ، وهؤلاء قد قدموا إلى دارفور

---

(١) مكي شبيكة ، السودان عبر القرون ، ص : ٦٦ .

(٢) هو : مسجد جامع ، ومدرسة إسلامية ، بدأ بإنشائه جوهر الصقلي ، قائد المعز لدين الله الفاطمي ، سنة : ٣٥٩هـ - ٩٧٠م ، وافتتح للصلاة في السابع من شهر رمضان ، سنة : ٣٦١هـ - الموافق : ٢١ يونيو ، سنة : ٩٧٢م . واختلف في سبب تسميته بالجامع الأزهر . محمد أبو العيون ، الجامع الأزهر ، نبذة في تاريخه ، ص : ٧ ، ط : مطبعة الأزهر ، سنة : ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م .
سنية قراعة ، تاريخ الأزهر في ألف عام ، ص : ١٩ - ٢١ ، ط : مكتب الصحابة الدولي ، بمصر .

(٣) ضرار صالح ضرار ، تاريخ السودان الحديث ، ص : ١٨ - ١٩ .

(٤) هم : قوم قدموا إلى دارفور ، من إقليم بحيرة تشاد جنوب الصحراء =

عليهم.[١] وبايعوه على السمع والطاعة ، وكان ذلك سنة : ٨٤٨ هـ - ١٤٤٥ م، فأقام في عاصمة جده في جبل مرة ، وكان أول سلالة السلاطين العربية ، الذين تولوا دارفور نحو من ثلاث وأربعين وأربعمائة سنة ، إلى أن دخلت في حوزة الحكومة المصرية الخديوية على يد الزبير رحمة الله باشا ، وذلك سنة : ١٢٩١هـ - ١٨٧٤م عندما هزم الزبير سلطان الفور السلطان " إبراهيم قرض " .[٢]

وهكذا تأسست أول دولة إسلامية جمعت عدة مناطق ، بينها منطقة دارفور ، ويبدأ التاريخ الواضح بمملكة دارفور منذ سنة : ١٠٤٦هـ - ١٦٣٧م ، حينما تولى " سليمان سونج[٣] " بن أحمد المعقور السلطة . وقد وحّد المعقور القبائل ، وبسط نفوذه على دارفور وكردفان، وحفر خطاً من الآبار بين الفاشر[٤] ومرتفعات كاجا ، وكان له أثر

---

(١) نعوم شقير ، تاريخ السودان ، ص : ١٥٠ .

(٢) علي حسن عبدالله ، الحكم والإدارة في السودان ، ص : ٤٩ .

(٣) هو : سولنج أو سولونق . ويطلق على أول السلاطين المسلمين للفور، وهو سليمان سولنج ، ومعنى كلمة " سولنج " في لغة الفور ، أي : العربي .
علي حسن عبدالله ، الحكم والإدارة في السودان ، ص : ٥٠ .

(٤) هي : بلدة متسعة ، أسسها السلطان عبدالرحمن ، الذي تولى دارفور ، وجعلها عاصمة ملكه ، وصارت عاصمة سلطنة الفور فيما بعد . وقد دخلت في حوزة الحكومة المصرية على يد الزبير باشا ، سنة : ١٢٩١هـ - ١٨٧٤م ، ثم سقطت بيد الدراويش ، سنة : ١٣٠١هـ - ١٨٨٤م ، حتى استرداد السودان ، فحكمها الأمير " علي دينار " ، فتولاها على جزية يدفعها لحكومة السودان .
نعوم شقير ، تاريخ السودان ، ص : ١٢٩ .
أحمد عطية الله ، دائرة المعارف الحديثة ، ص : ١٩١ .
محمد شفيق غربال ، الموسوعة العربية الميسرة ، جـ : ١ ، ص : ٧٧٣ .

في تيسير سبل التجارة بين الشرق والغرب ، وفي ربط دارفور بمراكز الإسلام في الشرق ، وقد استخدم أحمد المعقور الفقهاء ؛ ليعلموا الناس الإسلام، وانتهج ابنه سليمان سولنج منهاجه ، وأسس المساجد والمدارس ، واستخدم الأسلحة النارية ، ودخل الناس في دين الله أفواجاً ، على إثر اتصالهم بالفقهاء ، واحتكاكهم بالتجار والدعاة ، وقد ظل الحكم في أعقاب سليمان ، حتى سنة : ١٣٣٤هـ - ١٩١٦م ، وفقدوا كردفان بعد وفاة سليمان ، ثم استردوها ، وخضعت للحكم المصري ، سنة : ١٢٩١هـ - ١٨٧٤م ، حتى انسحبت جيوش مصر من السودان.(١)(٢)

ثالثاً : مملكة تقلا (٩٧٧هـ - ١٥٧٠م / ١٣٠٧هـ - ١٨٩٠م) :

تأسست مملكة تقلا حوالي سنة : ٩٧٧ هـ - ١٥٧٠م في الركن الشمالي الشرقي من جبال النوبة ، واستمرت المملكة حتى أواخر القرن التاسع عشر ، وهي في منطقة رشاد(٣) ، وسكانها مسلمون ، وترجع إلى هجرة زاهد من الجعليين ، الذي نزل وسط تلال تقلا ، فاجتذب سكان النوبا بورعه وأخلاقه ، وصاهر زعيم الإقليم ، فتولى ابنه " جبلي أبو جريدة " الملك حوالي

---

(١) علي حسن عبدالله ، الحكم والإدارة في السودان ، ص : ٤٩ ، بتصرف واختصار .

(٢) السابق ، الصفحة نفسها .

(٣) رشاد : هي اسم مدينة قاعدة مملكة تقلا ، وترجع تسمية المدينة إلى رشيد الجعلي أبو جريدة ، الذي أتى من المغرب لتلك المنطقة ، فانتشرت قبيلته بها ، وحكمت المنطقة .
علي حسن عبدالله ، الحكم والإدارة في السودان ، ص : ٥٧ .

سنة : ٩٧٧هـ - ١٥٧٠م ، ولم يلبث أن سيطر على الإقليم الشرقي من الجبال بين تالودي في الجنوب ، وأبي جبل في الشمال ، وخلفه في الملك تسعة عشر من أبنائه وأحفاده ، وفي ظل هذه الأسرة انتشر الإسلام والعربية في المنطقة ،وأعان على ذلك التزاوج مع القبائل النوباوية ، كما عمل أولئك الملوك على تشجيع القبائل العربية على الهجرة ، واستيطان ذلك الركن من السودان ، بعد أن كانت جبال النوبا قلعة تحتمي بها الجماعات النوباوية البعيدة عن الإسلام والعربية ، فأخذت جماعات من الجعليين وغيرهم تهاجر من الأقاليم النهرية ، ومنها بطون كاملة من الكواهلة ، وكنانة ، وانتشر بسببها الإسلام والعربية في جبال النوبا الشرقية .(١)

وبفتح محمد علي باشا الكبير لتلك البلاد وضمها إلى مصر ، كانت جيوشه أداة ضم وتوحيد لأجزاء السودان المتفرقة ، وبلغت الحملات أعالي النيل ، وأطلق محمد علي على تلك الأراضي كلها اسم السودان ؛ فتكونت هذه الوحدة السياسية الكبيرة ، وتميزت عن جيرانها.(٢)

ثامناً : دخول الإسلام جنوب السودان :

لم يعرف تاريخ الجنوب السوداني قبل القرن التاسع عشر؛ لذا كان تأثره بالعرب والإسلام قليلاً ، ويعد أول اتصال للجنوب مع العالم

---

(١) علي حسن عبدالله ، الحكم والإدارة في السودان ، ص : ٥٧ .
د . محمد السيد غلاب ، البلدان الإسلامية ، ص : ٤٠٥ .

(٢) السابقين ، الصفحات نفسها .

الخارجي هو : ما حدث على يد القبطان العثماني سليم[١] ، سنة : ١٢٥٥هـ - ١٨٣٩م / ١٢٥٧هـ - ١٨٤١م ، بأمر من محمد علي باشا - والي مصر - ؛ وذلك لاكتشاف منابع النيل ، وفتح طريق للتجارة ، وقد وصل إلى " فندكرو "[٣] ، سنة : ١٢٥٧هـ - ١٨٤١م .[٤]

وجاء في تقرير القبطان سليم : أن اللغة العربية لم تعرف في الجنوب .[٥] ومنه بدأت صلة الجنوب باللغة العربية مع الحملات الثلاث ؛ لاكتشاف منابع النيل ، وبدأ دخول الإسلام معها .[٦]

ومما يلحظ : أنه طول مدة الحكم العثماني الإسلامي لمصر والسودان ، ظل جنوب السودان يدار ويحكم بوساطة أوربيين أشال :

---

(١) هو : أحد قادة محمد علي باشا - والي مصر - في عهد الخلافة الإسلامية العثمانية ، وقد أرسله محمد علي باشا ؛ لاكتشاف منابع النيل ، وتوسيع ملكته .
المركز الإسلامي الأفريقي بالخرطوم ، السياسة التعليمية والثقافة العربية في جنوب السودان ، ص : ٩ ، العدد : الصادر في شهر ذي الحجة ، سنة : ١٤٠٣هـ - الموافق : شهر سبتمبر ، سنة : ١٩٨٣م .

(٢) المركز الإسلامي الأفريقي ، السياسة التعليمية ، ص : ٩ .

(٣) هي : مدينة تقع في المديرية الاستوائية في جنوب السودان ، وهي : منطقة جوبا الحالية .
المركز الإسلامي الأفريقي ، السياسة التعليمية ، ص : ١٠ .

(٤) د . شوقي عطية الجمل ، إعادة بناء أفريقيا ، ج : ٢ ، ص : ١٧ .

(٥) السابق ، الجزء والصفحة نفسها .

(٦) المركز الإسلامي الأفريقي ، السياسة التعليمية ، ص : ٩ .

صموئيل بيكر[١] ، وتشارلز جوردون[٢] - البريطانيين - ، والإيطالي جيسي باشا[٣] ، واليهودي الألماني ادوارد شنتزر[٤] الذي ادعى الإسلام ، وتسمى بأمين باشا.[٥]

وفتح الحكام الأوربيون الذين كانوا يديرون أقاليم جنوب

---

(١) هو : رحالة ومؤلف بريطاني ، ولد سنة : ١٢٣٦هـ - ١٨٢١م . بدأ رحلته إلى أعالي النيل ، أواخر سنة : ١٢٧٨هـ - ١٨٦٢م ، عينته الحكومة المصرية حاكماً عاماً على إقليم خط الاستواء ، وهي الوظيفة التي خلفه فيها جوردون ، سنة : ١٢٩١هـ - ١٨٧٤م . توفي سنة : ١٣٠٩هـ - ١٨٩٢م .
أحمد عطية الله ، القاموس الإسلامي ، جـ : ١ ، ص : ٤١٢ .
عبد الوهاب الكيالي ، الموسوعة السياسية ، ص : ١٣٧ .
محمد شفيق غربال ، الموسوعة العربية الميسرة ، جـ : ١ ، ص : ٤٦٩ .

(٢) هو : تشارلز جورج جوردون ، قائد وإداري بريطاني . عينه الخديو إسماعيل حاكماً عاماً للسودان ، من سنة : ١٢٩٠هـ - ١٨٧٣م ، حتى سنة : ١٣٠٢هـ - ١٨٨٥م ، ولكن قوات المهدي قتلته في أثناء محاصرتها للخرطوم ، وسقوطها في أيديهم ، وذلك سنة : ١٣٠٢هـ - ١٨٨٥م .
محمد شفيق غربال ، الموسوعة العربية الميسرة ، جـ : ١ ، ص : ٦٦٢ .

(٣) هو : ضابط إيطالي ، انضم إلى جوردون باشا في خط الاستواء ، الذي أرسله على رأس حملة ، سنة : ١٢٩٥هـ - ١٨٧٨م لفتح خط الاستواء ، ومطاردة سليمان بن الزبير ، وبعد أن فرغ من أمر سليمان عاد إلى " ديم الزبير " ، ونظم مديرية بحر الغزال .
نعوم شقير ، تاريخ السودان ، ص : ٥٦٥ ، ٦١٠ .

(٤) هو : ادوارد كارل اسكار سنيتزر ، مستكشف ألماني يهودي ، ولد في أويلن بسيلزيا ، سنة : ١٢٥٦هـ - ١٨٤٠م ، وتسمى بأمين باشا ، بعد أن أعلن إسلامه ظاهرياً في تركيا ، وفي سنة : ١٢٩٥هـ - ١٨٧٨م عين حاكماً لمديرية خط الاستواء المصرية . أغتيل بالقرب من شلالات استانلي في الكونغو ، سنة : ١٣٠٧هـ - ١٨٩٠م .
أحمد عطية الله ، القاموس الإسلامي ، جـ : ١ ، ص : ١٩١ .
محمد شفيق غربال ، الموسوعة العربية الميسرة ، جـ : ١ ، ص : ٢٢٩ .

(٥) د . شوقي عطية الجمل ، إعادة بناء أفريقيا ، جـ : ٢ ، ص : ١٨ .

السودان الباب على مصراعيه للتنصير[١] والكنائس ، وأدخلوا تجارة الرقيق التي أصبحت فيما بعد أهم تجارة في جنوب السودان.[٢] انظر : الخريطة رقم (١٢) .

وفي فترة حكم المهدية : لم تقم بأية أعمال لنشر الإسلام في جنوب السودان ، ويرجع أهم سبب في ذلك : لسحب تدعيماتها من الجنوب ، والاهتمام بالدفاع والحرب في الشمال والشرق ؛ مما أوجد فراغاً في الجنوب.[٣]

أما في فترة الحكم الثنائي[٤] للسودان : فقد فتحت الأبواب

---

(١) إن معنى كلمة (تنصير) أي : إدخال الناس في النصرانية ، فلا تقترن بأية صفة ، بل هي صفة دالة على ذاتها ، فلا يقال : تنصير إسلامي ، ولا يهودي ؛ بل يقال : تسليم وتهويد ، كما يقال : تنصير .

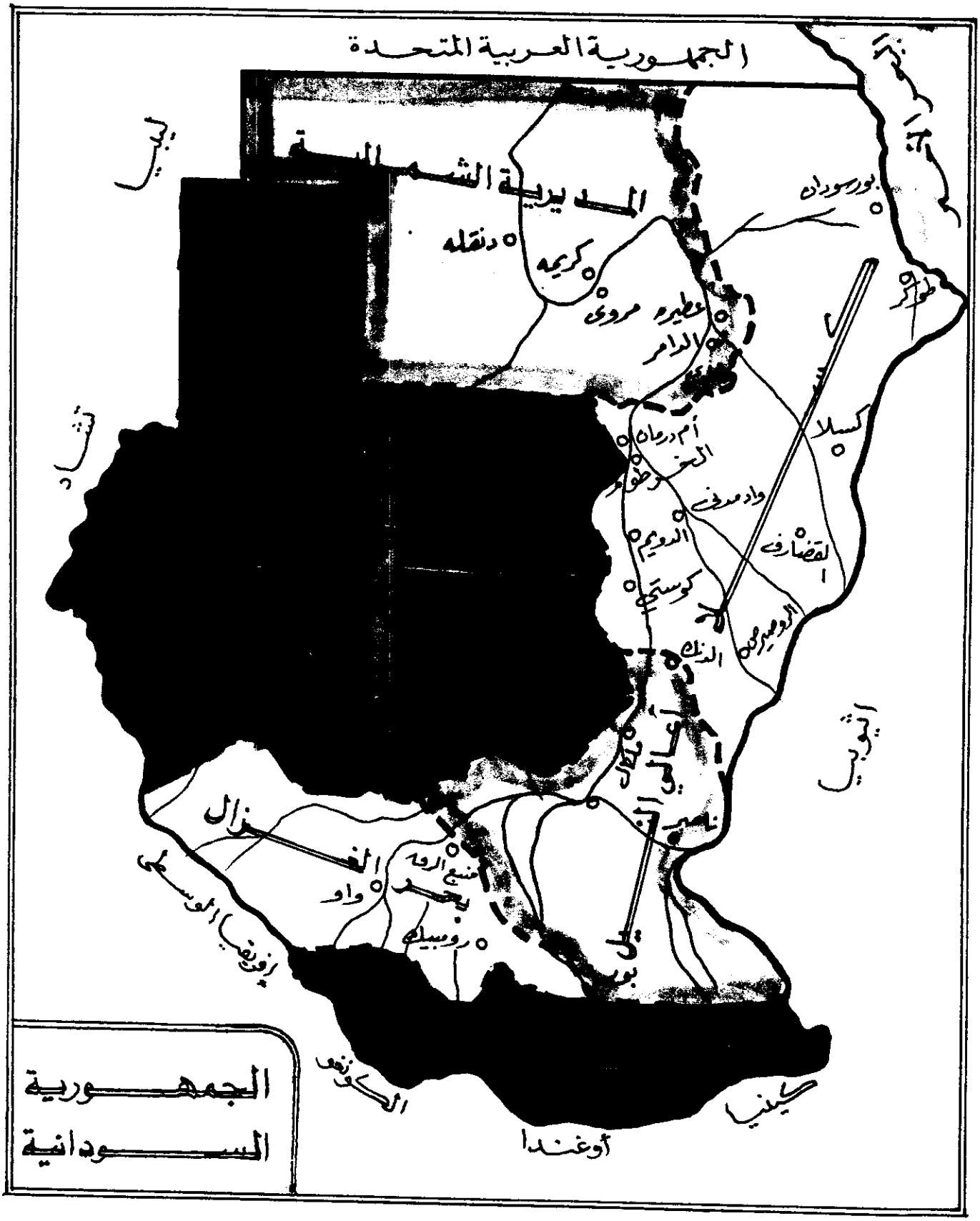
(٢) د . شوقي عطية الجمل ، إعادة بناء أفريقيا ، جـ : ٢ ، ص : ١٨ .

(٣) السابق ، الجزء نفسه ، ص : ١٩ .

(٤) بعد أن احتلت بريطانيا مصر ، سنة : ١٢٩٨هـ - ١٨٨٢م ، سيرت حملات أنجلو مصرية إلى السودان ، وأقامت حكماً ثنائياً مصرياً في السودان ، عبر اتفاقية ، سنة : ١٣١٦هـ - ١٨٩٩م . وهي الاتفاقية التي عرفت باسم (الوفاق بين حكومة جلالة ملكة بريطانيا ، وحكومة الجناب العالي خديو مصر بشأن إدارة السودان) . وتضمنت تفويض الرئاسة العليا العسكرية والمدنية في السودان إلى حاكم عموم السودان ، وهو : إنجليزي ، ويكون تعيينه بأمر عال خديو ، بناء على طلب الحكومة البريطانية . وأعيد التأكيد على هذه الاتفاقية في معاهدة سنة : ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م بين مصر وبريطانيا .
نعوم شقير ، تاريخ السودان ، ص : ١٨٨ - ١٩٠ .
أحمد عطية الله ، القاموس الإسلامي ، جـ : ٢ ، ص : ٥٥٦ .
عبدالوهاب الكيالي ، الموسوعة السياسية ، ص : ٣٢١ .

خـــريطـــة رقـــم (١٢)

أقـــاليم الســـودان



المصدر: د. محمد الصياد، ومحمد سعودي، السودان، ص: ١٦٠،
ط: مكتبة الأنجلو المصرية، بالقاهرة، سنة: ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م.

على مصراعيها للكنائس والإرساليات ؛ بل قسموا الجنوب لدوائر نفوذ بين الكنائس ؛ إذ أتاحوا لهم حرية التخطيط، وتنظيم التعليم ، والنشر وإدارته . ونظراً لأن هدف تلك الكنائس تنصيري في معظمه ، يدفعه الحقد والتعصب ضد الإسلام والمسلمين ، فلم تهتم بالتعليم إلا بالقدر الذي يخدم هدفها ، فلم يتعد التعليم مدارس القرى ، والمراحل الابتدائية ، وركزت جهودها على تطوير اللهجات المحلية ، وترجمة الإنجيل ، وتدريسه ، على أنه العلم الأساس ، ومحاربة اللغة العربية، التي هي أساس تعلم الدين الإسلامي وانتشاره . كما أشاعوا ونشروا اللغة الإنجليزية ، وعملوا على محو كل أثر للإسلام والمسلمين ، وحرمان أبناء المسلمين من التعليم ، إضافة إلى أن الآباء أبعدوا أبناءهم عن التعليم ؛ خوفاً من التنصير.[1] ولا سيما أن بعض الكنائس جعلت الوصول لمدارسها مشروطاً بالتعميد . ولم تكتف المؤسسات النصرانية بذلك؛ بل مارست ضغطها على الحكومة الإنجليزية ؛ لمحاربة كل المؤسسات والعوامل التي تؤدي إلى نشر الإسلام وثقافته ، فتم استبعاد القوات السودانية ، واستبدلوا بها قوات جنوبية نصرانية ووثنية تحت إمرة ضباط إنجليز ، واستبدلوا بالجمعة العطلة الأسبوعية الأحد ، وطالبت تلك المؤسسات النصرانية باستبعاد الشماليين ، وغيرهم من المسلمين العاملين بالإدارة في الجنوب إلى الشمال ، كما بدأوا في المطالبة

---

(١) الجبهة القومة الإسلامية ، مسألة جنوب السودان ، مجلة (السياسة الدولية) ، العدد : ٩١ ، ص : ١٥٢ ، الصادر بتاريخ جمادى الأولى ، سنة : ١٤٠٨هـ ـ الموافق : يناير، سنة : ١٩٨٨م.

بفصل الجنوب ، وضمه لأوغندا أو كينيا .[١]

تلك حال الجنوب مع الإسلام ، وقد أشار الكتاب السنوي للتنصير الصادر سنة : ١٤٠١هـ - ١٩٨١م عن مجلس الكنائس العالمي إلى أن معظم سكان جنوب السودان وثنيون ، ثم يليهم المسلمون ، فالنصارى ، والإحصاء كالآتي :

- ١٨٪ مسلمون .
- ١٧٪ نصارى .
- ٦٥٪ وثنيون .[٢]

كما ثبت أن أثر الإسلام قوي في المدن ؛ بينما النصرانية في الأرياف . . أما الأوساط المتعلمة : فإن أثر النصرانية أكبر من أثر الإسلام بكثير ، ويرجع ذلك لإغلاق باب التعليم أمام المسلمين بوسائل شتى ، وتحويل الجنوبيين إلى النصرانية ، وإسناد المراكز والوظائف والأمن والقوات المسلحة لنصارى الجنوب .[٣]

تلك هي نكبة الجنوب الذي يبلغ عدد سكانه ربع سكان السودان ،

---

(١) Professor Bashir M.O., The Southern Sudan , Background to Conflict, Horst and Co., page : 133 - 134 .

(٢) الجبهة القومية الإسلامية ، مسألة جنوب السودان ، عرض وتحليل ومقترحات ، ورقة مقدمة لمؤتمر الجبهة الإسلامية القومية في دورانعقاده ، بتاريخ ١٩ من شهر شعبان ، سنة : ١٤٠٥هـ - الموافق : ٩ مايو ، سنة : ١٩٨٥م ، ص : ٣ .

(٣) السابق ، الصفحة نفسها .

فحسب إحصاء سنة : ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، بلغ سكان الجنوب : ٢٩٦ر١٧٢ر٥ نسمة ، من جملة سكان السودان البالغ عددهم حسب الإحصاء نفسه : ٥٨٢ ر ٥٩٢ر٢١ نسمة .(١)

ومما يلحظ ؛ أن دخول الإسلام واللغة العربية جنوب السودان حدث إبّان انحطاط الخلافة الإسلامية الكبرى ، وضعف كيانها ؛ إذ انفتح الجنوب على العالم الإسلامي في القرن التاسع عشر ، حينما كانت الخلافة العثمانية(٢) تتهاوى أمام ضربات الأوربيين الشرسة ، كما أن الرسميين الذين دخلوا السودان كانوا من العلمانيين ، الذين يقولون بفصل الدين عن الدولة .(٣)

كما أن ممثلي الخلافة الإسلامية العثمانية في جنوب السودان كان جلهم من النصارى ؛ لذا فإن الإسلام الذي دخل جنوب السودان ،

---

(١) السابق ، الصفحة نفسها .

(٢) بعد انتقال الخليفة العباسي إلى القاهرة ، وفتح السلطان سليم الأول العثماني لمصر ، سنة : ١١٢٧هـ - ١٧١٥م ، وتنازل الخليفة العباسي له ، انتقلت الخلافة إلى السلاطين العثمانيين ، واعترف بهم جمهور المسلمين بعد اتساع الإمبراطورية العثمانية الإسلامية . وظلت الخلافة العثمانية قائمة ، وازدهرت ، وتألقت ، ثم بدأت تضعف بسبب مكر الكفرة الحاقدين ، إلى أن ألغيت بعد المؤامرات والكيد من الأعداء الكفرة ؛ وذلك بقيام الجمهورية التركية (العلمانية) ، سنة : ١٣٤١هـ - ١٩٢٣م ، وتضمن ذلك عزل السلطان محمد السادس ، ونفي السلطان عبد المجيد رحمهما الله .
أحمد عطية ، القاموس الإسلامي ، جـ : ٢ ، ص : ٢٦٧ .
محمد شفيق غربال ، الموسوعة العربية الميسرة ، جـ : ١ ، ص : ٧٦٢ .

(٣) المركز الإسلامي الأفريقي ، السياسة التعليمية ، ص : ١٣ - ١٤ .

إنما جاء نتيجة للجهد الشعبي ، والاتصال الحضاري العفوي ؛ إذ إن حدود الإسلام المتحركة أصابها السكون منذ القرن السابع عشر الميلادي ، وتوقف في السودان عند قطاع الأبيض ، كوستي ، سنجة ، القلابات[1] . والتقدم جنوب هذا القطاع كان تقدماً فردياً عن طريق التجار (الجلابة) والفلاتة ، وقد قام الزبير باشا[2] بنشر الإسلام في الجنوب ، وسيطر على الجنوب ، وتزوج ابنة السلطان " تكيما " سلطان الزاندي[3] ، ثم ضم دارفور إلى ملكته ، ولكنه رفع الراية المصرية على تلك المملكة ؛ معلناً تبعيته لخديو مصر ، وكون " زريبة[4] " ، وجعلها عاصمة لملكه ، وسماها " ديم زبير " ،

---

(١) د . عبد العزيز كامل ، وجه السودان ، دراسة حضارية مقارنة ، مجلة (الدراسات السودانية) ، كلية الآداب ، جامعة الخرطوم ، العدد : الأول ، المجلد الثاني ، ص : ٥ ، الصادر في : ٢٤ من شهر محرم ، سنة : ١٣٩٠هـ - الموافق : ٢١ من شهر مارس ، سنة : ١٩٧٠م .
والقلابات ، سنجة ، كوستي : هي أسماء مدن تقع على خط عرض ١٣° شمالاً تقريباً ، وتقع القلابات شرق السودان على حدود الحبشة .
سعيد صباغ ، الأطلس العربي ، ص : ٢٤ .

(٢) هو : الزبير رحمة الله باشا ، ولد سنة : ١٢٤٥هـ - ١٨٣٠م ، وهو من قبيلة (الحميديات) شمال الخرطوم . كون جماعة منفصلة ، وأسس عاصمة له هي : " ديم زبير " ، سنة : ١٢٨٢هـ - ١٨٦٥م . توفي سنة : ١٣٣٠هـ - ١٩١٢م عن ثلاثة وثمانين عاماً .
التيجاني عامر ، جنوب السودان ، بحر الغزال ، ص : ٢١ - ٢٢ .

(٣) قبائل الزاندي : تسكن جنوب السودان في مديرية بحر الغزال . وقد أقيم مشروع في منطقة جنوب السودان عرف باسم : مشروع الزاندي ، كان لإقامته آثار إيجابية طيبة للجنوب ، وبخاصة قبائل الزاندي .
التيجاني عامر ، جنوب السودان ، بحر الغزال ، ص : ١٣٠ .

(٤) الزريبة : هي مركز تجارة المغامرين ، أو رئاسة عملهم ، وتسمى بالزريبة ؛ لأنها توضع للحماية من الهجوم البشري والحيواني ، في استحكامات وقائية من الأخشاب والشوك ، ونحوها .
التيجاني عامر ، جنوب السودان ، بحر الغزال ، ص : ١٨ .

وهي مدينة موجودة حتى الآن في مديرية بحر الغزال ، وانتهى الزبير باشا بتحديد إقامته بالقاهرة ، ثم بقتل ابنه سليمان الزبير ، الذي تولى حكم بحر الغزال على يد روموليوجيسي باشا .(١)

وفي عهد الحكم الثنائي : حورب الإسلام حرباً شعواءَ ، إذ كان الإداريون في الجنوب جميعهم من النصارى ، وقد استتب الأمر لهم من قبل عهد الحكم الثنائي للسودان ، فقويت شوكتهم ، وعملوا على نشر النصرانية ، ومساندة الكنيسة ، ومراكز التنصير ، وعملوا جاهدين على تنصير الجنوب السوداني ، محاولة منهم للحد من النشاط الإسلامي في الجنوب.(٢)

وكان الوجود المصري في الجنوب يتمثل في الحامية المصرية ، وبعض الموظفين ، وكان لهم فضل كبير في نشر اللغة العربية ، والدين الإسلامي في الجنوب ، إذ أنشأوا المساجد ، ومنها : مسجد جامع (واو)(٣) و(جوبا)(٤)

---

(١) نعوم شقير ، تاريخ السودان ، ص : ٣٠٠ - ٣٠٢ .

(٢) د . إبراهيم عكاشة ، التبشير النصراني في جنوب سودان وادي النيل ، ص : ٢٠ - ٢١ .

(٣) هي : عاصمة مديرية بحر الغزال ، تقع على بحر جور . وبعد العناية بشئون الملاحة ، أصبحت البواخر تصل حتى (واو) .
نعوم شقير ، تاريخ السودان ، ص : ١١٩ .
التيجاني عامر ، جنوب السودان ، بحر الغزال ، ص : ٢٤ .

(٤) هي : مدينة في جنوب السودان ، عاصمة المديرية الاستوائية ، وأخذت مكانة غندكرو القديمة . تقع على الضفة الغربية لبحر الجبل . عقد بها مؤتمر عرف باسم " مؤتمر جوبا " ، سنة : ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م ، إبّان الحكم البريطاني في السودان .
المركز الإسلامي الأفريقي ، السياسة التعليمية ، ص : ١٠ .
أحمد عطية الله ، القاموس السياسي ، ص : ٥١٤ .
محمد شفيق غربال ، الموسوعة العربية الميسرة ، جـ : ١ ، ص : ٦٥٧ .

و (ملكال)[1] ، أي : في عواصم المديريات الجنوبية ، ولم يقف المد الإسلامي برغم هذا الاختناق الذي يمر به ؛ ففي سنة : ١٣٢٧هـ - ١٩١٩م : قامت الأورطة المصرية ببناء مسجد (واو) الكبير في منطقة استراتيجية مهمة، وقام التجار الشاليون بتحسينه وتوسيعه ، كما أخذت تظهر الكتاتيب (الخلاوي) لتعليم القرآن الكريم ، وفي سنة : ١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م : كون عدد من التجار والمواطنين الشاليين بجوبا لجنة لإنشاء جامع برئاسة الأمين أحمد سليمان - سر تجار جوبا - ، ولكن المستر بار - مدير الاستوائية - عمل على إعاقة بناء الجامع ، حتى تم في الأربعينات .[2]

أما مسجد (ملكال) : فقد تأخر إلى سنة : ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م، حينما تقدم عمال الري المصريون في ملكال بطلب لوزارة الأشغال المصرية ، فأدرج في ميزانيتها بناء الجامع في ذلك المكان ، وتم استكماله سنة : ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م .[3]

ومما يلحظ : أن الإسلام بطبيعته الذاتية التي هي فطرة الله التي فطر الناس عليها ، يحمل جاذبية أخاذة للأفريقي ، ولعامة البشر،

---

(١) هي : عاصمة مديرية أعالي النيل ، وتقع على بداية النيل الأبيض. سعيد صباغ ، الأطلس العربي ، ص : ٢٤ .

(٢) المركز الإسلامي الأفريقي ، السياسة التعليمية ، ص : ١٩ - ٢٠ .

(٣) د . أحمد جمال الدين ، الصحافة أيام زمان ، جريدة (الأيام) السودانية ، الخرطوم ، العدد الصادر بتاريخ ٢٣ من شهر صفر، سنة : ١٣٩٩هـ - الموافق : ٢٢ من شهر يناير ، سنة : ١٩٧٩م ، ص : ٦ .

على أن تقديمه لهم - أي : للأفارقة - قد تم بوساطة أفريقيين ، وهو ينظر إليه بوصفه ديانة أفريقية ، وينظر إلى النصرانية بوصفها ديانة أجنبية[١] .

والإسلام قد دخل حياة المجتمع الأفريقي ، دون أن يحدث خللاً في هذه الحياة ؛ ومن ثم فهو لم يحدث خللاً لواحدة من أكبر مظاهر قوة الأفريقي ، ألا وهي الجماعة . . أمّا النصرانية فبسبب تركيزها على الطابع الفردي للديانة كثيراً ما كانت عاملاً في تفسخ وتفريق حياة الجماعة[٢] .

كما أن الإسلام يجذب الأفريقي ؛ لأنه يخلو من أي تمييز عنصري ، فأيّاً كان لون البشرة ، وأيّاً كان مركزه الاجتماعي ، وأيّاً كان وضعه الاقتصادي ، يكون دائماً موضع ترحيب في أثناء أداء الصلاة في المسجد ، والاختلاط بإخوانه المسلمين ، ولا يمكن للنصرانية أن تدعي شيئاً مماثلاً في ممارسة عقيدتها[٣] .

ولا يفوتنا أن نعلم أن المحتل الصليبي الحاقد إدراكاً منه لهذه العوامل ، وأنه لا سبيل إلى تحويل المسلمين عن دينهم بشتى الوسائل التقليدية ، بعدما تبين لهم ضعف حركة التنصير في مواجهة المد الإسلامي على المستوى الشعبي ، اتجهت مخططاتهم إلى غزو الإسلام من الداخل ، دون مواجهة فعلية معه ، إلا في أضيق الحدود ، فتركوا مؤسسات التعليم

---

(١) محمد عمر موسى ، النشاط التبشيري الكنسي في جنوب السودان (١٩٧٢ - ١٩٨٥م) ، ص : ٢٠٧ .
(٢) السابق ، الصفحة نفسها .
(٣) السابق ، ص : ٢٠٨ .

الإسلامي التقليدية ، كالكتاتيب ، والمعاهد الدينية ، كما كانت ، وأقاموا بجانبها مؤسسات تعليمية دينية حديثة ، مدعمة بخدمات حضارية واجتماعية وثقافية وعلاجية ، إلى غير ذلك . فربطوا بها تقدم المجتمع ونهضته ، وربطوا بها مصائر الناس ومصالحهم ، فعانت المجتمعات المسلمة من هذا الغزو الحضاري المدمر ؛ إذ سعت أهدافهم إلى تعطيل فاعلية الإسلام في حياة الدولة والمجتمع ، وإهمال الثقافة الإسلامية ، بحيث لا يشعر المسلمون بوجود إسلامهم ، إلا في أماكن العبادة ، ومراكز تدريس الدين .[1]

ومما لا ريب فيه : أن منفذ هذه السياسة هو ما يسمى بالإرساليات .[2] ويلحظ أن جهود هذه الإرساليات تخدم المجتمع بشكل أو بآخر ، وهي في النهاية توضح حقيقتين :

الأولى : أن الإرساليات التنصيرية لم تترك باباً إلا طرقته ، ولا طريقاً إلا سلكتها ؛ لتحقيق آمالها في تنصير الجنوب ، وهو أمل يتحقق ببطء ، ولكن بشكل مؤكد . هذا إذا لم يواجه التيار النصراني تيار إسلامي أشد منه بأسلوبه الحضاري نفسه ، فالتغلغل مس كل عصب الحياة في جنوب السودان ، فنما وترعرع في أشكال النشاطات الإنسانية كلها ؛ بل إنه يشرك الأجهزة الحكومية ؛

---

(١) د . كمال حمزة ، التبشير المسيحي وبعض أساليبه وآثاره ، ص : ٢ ، ط : المطبعة العصرية ، بدبي ، بدولة الإمارات العربية المتحدة .

(٢) د . إبراهيم عكاشة ، التبشير النصراني في جنوب سودان وادي النيل ، ص : ١٩ - ٢٠ .

بل بعض الهيئات الإسلامية معه في تنفيذ بعض البرامج ، مما يعطيه قدراً من السلطة في مجال الإغاثة والتوطين ، والأهم من ذلك : إعطاؤه قدراً أعظم من المصداقية .

الثانية: ازدهار النشاط التنصيري في الجنوب ، يعني : غياب أو تقاعس المسلمين هناك ، والمسلمين القادرين على تقديم العون في كل أنحاء العالم .(١)

وقد برزت مجهودات في أوائل الثمانينات من هذا القرن إلى حيز الوجود للتصدي للنشاط التنصيري ، ولدفع الدعوة الإسلامية بطرق مدروسة وحضارية ، حتى يمكنها مواجهة المد التنصيري الجارف ، تمثلت في : ظهور منظمات وجمعيات رسمية وشبه رسمية ؛ لتأخذ مكانتها ، وتقوم بواجبها نحو الدعوة الإسلامية ، مثل : منظمة الدعوة الإسلامية ، وهيئة إحياء النشاط الإسلامي ، ومجلس التبشير الإسلامي في الجنوب ، والجمعية الخيرية الاستوائية ، والجبهة القومية الإسلامية ، وغيرها .(٢)

وقد تكونت تلك المنظمات والهيئات استجابة لأمر الله - سبحانه وتعالى - الذي أوجب على عباده المؤمنين إبلاغ دينه للناس كافة ، والسعي لتحرير الإنسان على وجه الأرض من ربقة الشرك والضلال ، والرقي به على نهج الدين القويم ، والتبشير بالحق والعدل ، هداية إلى الخير

---

(١) محمد عمر موسى ، النشاط التبشيري الكنسي في جنوب السودان ، (١٩٧٢ - ١٩٨٥م) ، ص : ٢٠٩ .

(٢) السابق ، ص : ١٩٨ - ١٩٩ .

في الدنيـــا والآخـــرة .[١]

ولقد كانت هذه الكيانات المسلمة ضرورة للإضطلاع بعبء الدعـوة الإسلامية ، والتصدي للحملات الجائرة الحاقدة بذات الوسائل ، حتى يمكـن نشر عقيـدة الإسلام السمحة بين الجماعات غير المسلمة ، ونشر روح التفاهـم والتسامح بين الجماعات المسلمة ، وأصحاب الديانات الأخرى ، وتوجيـه الجماعات المسلمة ، وتطويرها فكريًا ، وثقافيًا ، واجتماعيًا ، وفقـًا لتعالـيم القرآن والسنة .[٢] وكذا الإسهام في التنمية الاجتماعية والاقتصادية ، والرعاية الصحية ، والإغاثة ، والتوطين للجماعات المسلمة .[٣]

وقد وضعت المنظمات والهيئات نشر الإسلام وفقاً لخطط واستراتيجيات علمية على مراحل مبرمجة منظمة ، وعلى عاتق دعـاة مؤهلين لذلك العمـل العظيم عن طريق القيام بدراسات علمية ميدانية ؛ ترمي لتبصر الواقـــع واتجاهاته في أفريقيا ، وتقوية الصلات بين الأفراد والهيئات ، والمنظمـــات الإسلامية العاملة في مجال نشر الدعوة ، وتنمية المجتمع .[٤]

وبعد هذا الذي وصلنا إليه في مبحث (دخول الإسلام السودان) نخلص إلى النتائج الآتية :

---

(١) منظمة الدعوة الإسلامية ، النظام الأساس ، ص : ١ ، ط : الرابعة ، الخرطوم ، شهر صفر ، سنة : ١٤٠٧هـ - الموافق : أكتوبر ، ١٩٨٦م.

(٢) السابق ، الصفحة نفسها .

(٣) السابق ، ص : ٣.

(٤) دليل منظمة الدعوة الإسلامية ، ص : ٢ ، ط : الثانية ، شهـــر جمادى الأولى ، سنة : ١٤٠٧هـ - الموافق : يناير ، سنة : ١٩٨٧م.

الأولى : إن الهجرات البشرية من شبه الجزيرة العربية إلى السودان ، وجدت قبل وبعد ظهور الإسلام ، وتدفقت أمواجها ، وبخاصة في بداية القرن السابع الميلادي .

الثانية : إن تدفق الهجرة من شبه الجزيرة العربية تم عبر البحر الأحمر ، وبرزخ السويس ، إلى شرق أفريقيا هو : المعبر الأول لتلك الهجرات .

الثالثة : إن القبائل المهاجرة توغلت إلى ما بعد خط عرض ١٢° شمالاً ، وهو الخط الذي عده الاحتلال الإنجليزي - فيما بعد - حداً فاصلاً بين شمال السودان وجنوبه .

الرابعة : كانت هناك هجرات لقبائل عربية مسلمة ، من غرب أفريقية ، واستقرت بالسودان ، وبخاصة القبائل الهلالية ، التي وصلت إلى دارفور .

الخامسة : أتت بعض القبائل مع الفتح الإسلامي من الشمال ، وبعضها أتى فاراً إبّان الاضطراب السياسي لدى سقوط الدولة الأموية ، وقيام الدولة العباسية ، وبعض هذه القبائل ينتمي إلى الأمويين .

السادسة : تكونت أول دولة مسلمة في السودان بفضل الله ، ثم بسواعد أبناء العرب المسلمين المهاجرين المخلصين عبر البحر الأحمر ؛ إذ تأسست مملكة (الفونج) بأيديهم .

السابعة : كان الفتح الإسلامي من الشمال عبر ممالك النوبة النصرانية ، حيث المعبر الطبعي ، وهنا وقع الصدام المسلح الذي انتهى في أول

لقاء أيام " عبدالله بن سعد بن أبي السرح " بفرض البقط على أهل النوبة ، وتوقيع المصالحة .

الثامنة: تكررت محاولات الخروج على الصلح من نصارى النوبة ، وفي كل مرة لا يجدون سبيلاً إلا التسليم والمصالحة ، حتى أسلم حكامهم ، وانتشر الإسلام بينهم ، فوضعت عنهم الجزية ، وصاروا لبنة في جسم السودان المسلم .

التاسعة: شهدت الممالك المسلمة التي قامت في السودان (مملكة الفونج ، ودارفور ، وتقلا) نهضة إسلامية أدت إلى انتشار العربية والإسلام ، وقد كانت (سنار) - وهي قاعدة مملكة الفونج - مركزاً للعلوم الإسلامية ، وتطلعت إليها شتى أنحاء السودان شرقاً وغرباً ، وكان العلماء يرحلون إلى ملوك الفونج ؛ إذ ينالون الحظوة لديهم .

العاشرة : ظلت هذه الممالك الثلاث قائمة بالسودان عدة قرون ؛ فمملكة الفونج قامت سنة : ٩١٠هـ - ١٥٠٥م ، واستمرت حتى سنة : ١٢٣٥هـ - ١٨٢٠م ، أي : ثلاثة قرون . ومملكة دارفور قامت سنة : ١٠٤٦هـ - ١٦٣٧م ، واستمرت حتى سنة : ١٢٩٢هـ - ١٨٧٥ م ، أي : أكثر من قرنين وربع القرن . . أمّا مملكة (تقلا) : فقد تأسست حوالي سنة : ٩٧٧هـ - ١٥٧٠م ، واستمرت إلى حوالي سنة : ١٣٠٧هـ - أواخر القرن التاسع عشر الميلادي ، أي : ما يساوي ثلاثة قرون أو يزيد قليلاً .

الحادية عشرة : إن هذه الممالك - طوال الحقبة التي كانت فيها ذات سلطان - لم تخضع لسلطان أجنبي ؛ بل حتى الخلافة الإسلامية العثمانية ، التي كانت تحكم مصر والشام منذ سنة : ٩٢٢هـ - ١٥١٧م ، لم يكن لها نفوذ على ممالك السودان .

الثانية عشرة : بدأ النفوذ الإسلامي العثماني التركي يمتد إلى ممالك السودان على يد محمد علي باشا منذ سنة : ١٢٣٥هـ - ١٨٢٠م ، مع حركة الكشوف التي بدأها محمد علي لجنوب السودان . (وسنتناول بمزيد من التفصيل هذه الحقبة بعد هذا المبحث مباشرة إن شاء الله) .

الثالثة عشرة : على الرغم من وجود الممالك الإسلامية ، فلم يعرف السودان الكيان السياسي بمعناه الحديث ، إلا بعد انتهاء حركة محمد علي باشا التوسعية .

الرابعة عشرة : ظل جنوب السودان بمعزل - غالباً - عن المد الإسلامي المتنامي في الشمال ، وسيطرت عليه الوثنية ، ولم تصل إليه أنوار الإسلام - غالباً - إلا مع حركة الكشوف التي بدأها محمد علي باشا ؛ إذ أخذ الإسلام والعربية يشقان طريقهما بين ركام عات من الوثنية .

الخامسة عشرة : زاحمت النصرانية المتعصبة الحاقدة المد الإسلامي في الجنوب ، وساعد على ذلك : الوهن الذي أصاب الخلافة الإسلامية العثمانية ، وكون معظم الحكومة العثمانية التركية في جنوب السودان ، كلهم نصارى .

السادسة عشرة : وتستثنى جهود التاجر المغامر الشمالي الزبير باشا ، الذي عمل على نشر الإسلام ، وإقامة حكومة إسلامية في بحر الغزال ، إلا أنه لم يحالفه التوفيق ، فاعتزل ولجأ إلى القاهرة . . أمّا ابنه سليمان الزبير : فقد سلم نفسه لجيسي باشا الإيطالي ، الذي أعدمه ومن معه رمياً بالرصاص .

السابعة عشرة : نشطت الإرساليات التنصيرية في جنوب السودان بخاصة ، وفي شماله - أيضاً - ، وحاولت من خلال مخططاتها الخبيثة ، والأبعاد الاستراتيجية التي تهدف لتحقيقها بضرب الإسلام في الشمال وحصاره ، بحيث لا يخترق الجنوب ؛ بل يطوق ويضيق عليه ، ووجدت المناخ الملائم في ظل الحكم الثنائي الإنجليزي المصري للسودان ؛ إذ حرص الإنجليز على فصل الجنوب عن الشمال .

الثامنة عشرة : جدير بالذكر : أن فترة حكم المهدية (ولها دراسة مفصلة ستأتي في المبحث الثالث إن شاء الله) لم يكن لها تأثير إيجابي على الإسلام في جنوب السودان ؛ وذلك بسبب انصرافها إلى الدفاع والحرب في الشمال والشرق .

التاسعة عشرة : أصبح المسلمون الآن في جنوب السودان يمثلون ١٨٪ ، والنصارى ١٧٪ ، والباقي ٦٥٪ وثنيون ، لا يدينون بدين .

العشرون : على الرغم من هذه النسب المئوية ، فإن المراكز والوظائف والأمن والقوات المسلحة في جنوب السودان في يد النصارى الحاقدين المتعصبين ؛ وذلك بسبب إغلاق أبواب التعليم في وجه المسلمين

بشتى الوسائل والسبل الماكرة العفنة .

الحادية والعشرون : إن الإسلام الذي يمثل ١٨٪ من نسبة سكان جنوب السودان ، إنما انتشر في المقام الأول بذاتيته ، وبالجهود الفردية الخالصة لوجه الله سبحانه وتعالى .

الثانية والعشرون : إن الهجرات العربية المؤثرة في السودان ، هي التي جاءت ترفع راية الإسلام ؛ إذ انتشر الإسلام بين السودانيين بقيمه الكبرى ، ومثله العظمى ، وبسماحته ، وبيسر مبادئه ، وعن طريق القدوة الحسنة بالمسلمين العرب ، الذين جاءوا إلى البلاد .

الثالثة والعشرون : كان للجلابة (التجار الشماليون) أثر كبير في نشر الإسلام بجنوب السودان ؛ إذ حطوا إلى الجنوب الدين ، واللغة ، والعادات والتقاليد ، وبعضهم استوطن مدن الجنوب ، وتزوج من الزعماء والملوك والسلاطين ؛ فزاد ذلك من انتشار الإسلام .

الرابعة والعشرون : وصل الإسلام إلى جنوب السودان عن طريق التجار والدعاة إلى الله - جل وعلا - وبعض الأفراد ، وقد أدى اكتشاف منابع النيل على أيدي المصريين ، أو من يمثلهم إلى ربط جنوب السودان بالعالم الخارجي .

الخامسة والعشرون : بفضل الله - سبحانه وتعالى - تدارك المؤمنون الأقوياء ، وأصحاب الغيرة والنظر الثاقب من المسلمين الأمر ؛ فأنشأوا المنظمات والجمعيات التي تهدف إلى مقابلة مكر المنصّرين وكيدهم ، بمكر هو أهدى ، وكيد هو أقوم ، وأجدى للبشرية جمعاء .

المبحث الثاني

السّودان في عهد الخلافة الإسلاميّة العثمانية

المبحث الثاني

السودان في عهد الخلافة الإسلامية العثمانية

حملت الدولة العثمانية راية الخلافة الإسلامية ، فانضوت تحت لوائها بلدان العالم الإسلامي في شتى بقاع المعمورة ، وامتد نفوذها ليشمل أجزاء كبيرة من آسيا وأوربا وأفريقيا ، وعلى امتداد أربعة قرون والعالم الإسلامي بعامة ، والبلاد العربية بخاصة ، تشكل جزءاً حيوياً في جسد الخلافة الإسلامية العثمانية . . يرتبط بها ارتباطاً وثيق العرى ؛ فقد كانت الخلافة الإسلامية مصدر قوته ، وموئل عزته ، حتى تكالبت الدول الأوربية مسعورة ، ورمت دولة الخلافة عن قوس واحدة ، فأصمت فؤادها ، وهدمت أركانها ، وانفرط عقد الأمة الواحدة الذي انتظم في سلك الخلافة الإسلامية العثمانية ؛ ليصبح بعد ذلك حبّات متناثرة يسهل على كل طامع أن يلتقط منها ما يشاء .

وعلى الرغم من امتداد الفتح العثماني على البلاد العربية في الزمان والمكان ، إلا أن السودان ظل بعيداً عن هذا الفتح ، وفي منأى من هيمنة آل عثمان وولاتهم إلى زمن محمد علي باشا ، الذي رأى حين استولى على مقاليد الأمور في مصر ، ودانت له أنها تعتمد اعتماداً كلياً على مياه النيل لري أراضيها ؛ لذا شرع يفكر في الاستيلاء على كل وادي النيل ، بما في ذلك منابعه ، التي لم تكن معروفة من قبل ، واستشعر محمد علي أن الدول الأوربية الكافرة تمد يد العون للحبشة ؛ للضغط على مصر

من خلال التهديد بتحويل مجرى النيل ، وكانت الأطماع الفرنسية والبريطانية والإيطالية والبرتغالية في أفريقيا قد بدأت تظهر آنذاك ؛ ممّا جعل محمد علي يفكر باهتمام في أمر السودان.(١)

وكانت أولى الخطوات في سياسة محمد علي التوسعية في السودان : أن أرسل وفداً محملاً بالهدايا لسلطان (الفونج) ، سنة : ١٢٢٨هـ - ١٨١٣م ، لتدعيم أواصر الصداقة من ناحية - أو في الظاهر - ، ولدراسة أحوال مملكة الفونج السياسية والتجارية والحربية من ناحية أخرى.(٢)

ويبدو أن الوفد جال في طول البلاد وعرضها ، وعرف أحوالها السياسية ، والعسكرية ، والاقتصادية ، فلمّا عاد قدّم تقارير تفيد ضعف سلطنة الفونج بخاصة ، والسودانيين بعامة ، كما أفادت التقارير - أيضاً - انعدام الأسلحة النارية في السودان.(٣)

وعلى ضوء ذلك أشار محمد علي على صديقه ومستشاره في الشئون الحربية ، محمد بك لاظوغلي(٤) بالخطوط الرئيسة ، التي يجب

---

(١) Professor Bashir M.O., The Southern Sudan , Background to Conflict, Horst and Co., page: 38 - 39.

(٢) مكي شبيكة ، السودان عبر القرون ، ص : ٩٤ .

(٣) ضرار صالح ضرار ، تاريخ السودان الحديث ، ص : ٢١ .

(٤) هو : صديق محمد علي ومستشاره ، ووكيله ، وكان من الآحاد المعدودين ، الذين شيدوا حكومة محمد علي في مصر ، تولى حكم السودان بعد وفاة عثمان بك ، سنة : ١٢٤١هـ - ١٨٢٦م ، كانت مدة حكمه بضعة أشهر . توفي في ٢٢ من شهر رمضان ، سنة : =

١- الكشف عن منابع النيل التي ظلت مجهولة حتى ذلك الوقت، وقد رأى محمد علي ضرورة الكشف عنها ؛ فأصدر أوامره إلى مدير البحر الأبيض ؛ لتجهيز حملة لإرسالها للنيل الأبيض ، بقيادة القبطان سليم.[1] لاكتشاف منابع النيل ، والسيطرة على مداخل البحر الأحمر ، التي تتحكم في طريق التجارة بين الشرق والغرب.[2]

٢- القضاء نهائياً[3] على المماليك الذين نجوا من مذبحة القلعة ، وهربوا إلى صعيد مصر[4] ، فأرسل ابنه إبراهيم باشا على رأس حملة

---

(١) دفتر رقم (٣٠٢) معاونة جهادية ، ترجمة : الإفادة التركية ، رقم (٣١٠) من ديوان معاونة الجهادية إلى مديرية البحر الأبيض بتاريخ ٣ جمادى الآخرة ، سنة : ١٢٥٤هـ - الموافق : ٢٣ أغسطس، سنة : ١٨٣٨م .

(٢) د . شوقي عطية الجمل ، تاريخ سودان وادي النيل ، جـ : ٢ ، ص : ٦٩ .

(٣) هي : مذبحة دبرها محمد علي باشا ؛ للتخلص من أعدائه المماليك في شهر صفر ، سنة : ١٢٢٦هـ - الموافق : مارس ، سنة : ١٨١١ م ؛ وذلك بأن دعا زعماء المماليك إلى القلعة لحضور احتفال كبير، فأوقع بهم بأن أغلق وراءهم باب القلعة الضخم ، وأمر جنوده بإطلاق النار عليهم ؛ بينما يجتاز موكبهم طريق باب العزب ، وهي طريق كثيرة التعاريج ، عميقة الغور .
د . حسين سعيد ، الموسوعة الثقافية ، ص : ٧٦٨ .

(٤) هو : الابن الأكبر لمحمد علي . ولد في قولة ، سنة : ١٢٠٣هـ - ١٧٨٩م . كان قائد للجيوش المصرية في عهد أبيه . تولى حكم مصر في شهر جمادى الأولى ، سنة : ١٢٦٤هـ - الموافق : أبريل ، سنة : ١٨٤٨م ، بسبب عجز أبيه . وتوفي في شهر ذي الحجة ، سنة : ١٢٦٤هـ - الموافق : نوفمبر ، سنة : ١٨٤٨م ، في حياة أبيه .
أحمد عطية الله ، القاموس الإسلامي ، جـ : ١ ، ص : ١٠ .
عبد الوهاب الكيالي ، الموسوعة السياسية ، جـ : ١ ، ص : ١٧ .
الزركلي ، الأعلام ، جـ : ١ ، ص : ٧٠ .

للقضاء عليهم ، وقد استتب بهم الأمر في دنقلة ، وكونوا جيشاً أملاً في العودة لحكم مصر ، وقد هزمهم إبراهيم باشا ، وفرّ من بقي منهم إلى دارفور وكردفان .(١)

٣- البحث عن مناجم الحديد في جبال دارفور ، لمزيد الحاجة إليها للنهضة الصناعية التي بدأها ، فأرسل الفنيين المتخصصين في صهر الحديد ، وتشكيله إلى أماكن استخراجه .(٢)

٤- الرغبة في تنشيط الحركة التجارية التي انتابها الركود والتوقف فترة من الزمن .(٣)

٥- الرغبة في تجنيد جيش من السودانيين وتدريبهم على الأساليب الأوربية الحديثة ، وذلك لسهولة انقيادهم ، وولائهم عن الجند الألبانيين(٤) الذين كانوا مصدراً للقلق ، ورغبة منه في التخلص من هؤلاء الألبانيين بإرسالهم لميدان القتال في السودان .(٥)

٦- الحصول على الذهب من مناجم الذهب ، للإنفاق منه على جيشه

---

(١) ضرار صالح ضرار ، تاريخ السودان الحديث ، ص : ٢٤ - ٢٥ .
(٢) السابق ، ص : ٢٥ .
(٣) مكي شبيكة ، السودان عبر القرون ، ص : ٩٦ .
(٤) يطلق عليهم : الأرناؤوط ، والألبانيون وهم شعب آري ، سكنوا ألبانيا منذ أقدم العصور ، وبعد فتح العثمانيين ألبانيا في أواخر القرن التاسع الهجري /الرابع عشر الميلادي ، أصبح الأرناؤوط من الفرق العسكرية المهمة في الجيش العثماني ، ومنها الفرقة التي كانت تحت قيادة محمد علي ، واستعان بها في الاستيلاء على ولاية مصر ، سنة : ١٢٢٠هـ - ١٨٠٥م .
أحمد عطية الله ، القاموس الإسلامي ، جـ : ١ ، ص : ٧٢ .
(٥) نعوم شقير ، تاريخ السودان ، ص : ١٩٥ .

أخبار قوة جيش إسماعيل تتوالى عليه ، ليتخذ له موقفاً من الغزو الخارجي ، وكان إسماعيل على علم بما يجري في أراضي الجعليين ، وزعيمهم الملك " نمر " ، الذي كان يتزعم المقاومة .(١)

ولمّا سلّم الملك " صبير " إلى إسماعيل انضم هو ورجاله من الشايقية إلى قوات إسماعيل ؛ لإخضاع بقية الأراضي السودانية ، وبانضمام الشايقية إلى الجيش الغازي ، بدأ لهم تاريخ جديد ، وهو التعاون مع الأتراك العثمانيين في مصر ، حتى قيام الثورة المهدية ، بعد ستين عاماً من هذا التاريخ . . وقد استأنف إسماعيل الزحف إلى كوستي عبر الصحراء قاصداً بربر .(٢)

ويذكر بعض المؤرخين : أن الملك " نمر " اضطر إلى تقديم الولاء لإسماعيل ، وتبعه الملك جاويش ، ثم عرض سلطان الفونج الملك " ماري " التسليم ، ووقع تنازلاً عن جميع سلطانه لخليفة المسلمين في القسطنطينية ، مبايعاً له في : الثالث عشر من شهر رمضان ، سنة : ١٢٣٦هـ - الموافق : الثالث عشر من شهر يونيو ، سنة : ١٨٢١م .(٣)

وبذلك أصبحت البلاد تحت سيطرة السلطان العثماني اسمياً ، والواقع أنها تحت إدارة محمد علي باشا ، ودخل الجيش الغازي " سنار "

---

(١) السابق ، الصفحة نفسها .
(٢) ضرار صالح ضرار ، تاريخ السودان الحديث ، ص : ١٩٨ .
(٣) مكي شبيكة ، السودان عبر القرون ، ص : ١٠٦ .

عاصمة مملكة الفونج ، وبسقوطها سيطر محمد علي على جزء كبير من حوض نهر النيل ، والنيل الأزرق[١] .

ثم لم يطب المقام للجند في " سنار " ، لسوء مناخها ، فرحل إسماعيل إلى " ودمدني "[٢] ، وبنيت الثكنات ، ومكاتب الحكومة ، ورتّب حكومة للقرى قوامها قائمقامات[٣] لكل واحدة منها ، ويساعده مشايخ للأخطاط[٤].

وبعد مضي سنتين من مغادرة إسماعيل باشا الديار المصرية لفتح السودان ، قضاهما في قتال وغزوات ،أراد العودة إلى القاهرة ، بعد أن هدأت الحال في السودان ، فترك وكيلاً عنه في " ودمدني" ، وسار شمالاً بحرس في اتجاه " شندي " ، وما أن دخلها حتى استدعى الملك " نمر "

---

(١) السابق ، ص : ١٠٧ .
والنيل الأزرق : نهر في وسط جمهورية السودان ، وهو أهم روافد النيل ، يجري جنوباً وغرباً ، حتى يلتقي بالنيل الأبيض عند الخرطوم ، فيكونان النيل .
د . حسين سعيد ، الموسوعة الثقافية ، ص : ١٠١١ .
محمد شفيق غربال ، الموسوعة العربية الميسرة ، جـ : ٢ ، ص : ١٨٧٠ .

(٢) هي : مدينة بوسط جمهورية السودان ، على النيل الأزرق ، وهي عاصمة مديريته ، وأهم المناطق الزراعية في السودان .
د . حسين سعيد ، الموسوعة الثقافية ، ص : ١٠٤٦ .
سعيد صباغ ، الأطلس العربي ، ص : ٢٦ .

(٣) أي : قائم مقام الأمير في رئاسة الآلاي ، وكان يطلق على وكيل أمير الآلاي ، ثم صار الآن يعين بقيادة الأورطة ، وهو عربي لا يغير ، إلا أنه ينبغي ألا يعرف بإدخال الألف واللام على أوله .
أحمد تيمور باشا ، الرتب والألقاب المصرية ، ص : ١٦ ، ط : مطابع دار الكتاب العربي ، بالقاهرة .

(٤) مكي شبيكة ، السودان عبر القرون ، ص : ١١٩ .

والمساعد ، وطلب منهما نقوداً وماشيةً وجمالاً بما يقدّر بعشرين ألف جنيه ، وهو مبلغ تقصر موارده م المحدودة عن أدائه ، وكان إسماعيل يريد بهذا أن يحمل معه هدايا لوالده " محمد علي " ، ودهش " نمر " لهذه المطالب ، وأبدى اعتراضه بلهجة بها قوة لم يرض عنها الباشا ، وما كان لـ " نمر " أن يخاطب بلهجة آمرة ، وهو ملك الجعليين - ولإسماعيل إذ ذاك في العشرين من عمره - وتكلم الملك " نمر " وهو جالس أمام الباشا في ذل وانكسار ، فكان رد الباشا على اعتراض الملك " نمر " بصفعة على وجهه بغليونه الطويل ، وكاد " نمر " يجرد سيفه ، إلا أن ساعده غمز إليه أن يرجيء الانتقام لفرصة أخرى ، وتغيّرت سحنة " نمر " ، وأبدى القبول بتسليم المطلوب في اليوم الآتي (١) .

وفي اليوم الآتي : جهّز الملك " نمر " احتفالاً ، وأسكر القوم ، حتى ناموا ، وفي أثناء ذلك وضع القصب الجاف حول مقام الباشا ومن معه ، وأضرم فيه النيران ، ووقف الجعليون بسيوفهم يقضون على من يخترق النيران ، ومات إسماعيل باشا ورفاقه خنقاً وحرقاً في الليلة السابعة عشرة من شهر صفر ، سنة : ١٢٣٩هـ - الموافقة : للثانية والعشرين من شهر أكتوبر ، سنة : ١٨٢٣م (٢) .

---

(١) مكي شبيكة ، السودان عبر القرون ، ص : ١٢١ .

(٢) ضرار صالح ضرار ، تاريخ السودان الحديث ، ص : ٤٣ - ٤٤ بتصرف واختصار .

حملات الدفتردار الانتقامية :

سمع الدفتردار[١] في كردفان بمقتل إسماعيل باشا ، فنهض من فوره مجرداً حملة انتقامية ؛ إذ تحرك الدفتردار بمعظم جيشه نحو النيل الأبيض، فذعر منه عرب الحسانية ، واحتموا بالجزر على النيل ، لكنه وصل إليهم، وأوقع بهم مجزرة هائلة ، واتجه إلى البر الغربي للنيل ، وشياطين الخراب والدمار تسير في ركابه ،حتى حلّ بـ" التمة "[٢] ، وأوقع بها ، حتى أربى عدد القتلى على الألفين ، ووقع في أسره ما يربو على ثلاثة آلاف ، وهؤلاء قتلوا عن آخرهم - أيضاً - ؛ لأن أحدهم حاول تسديد ضربة من حربته نحو الدفتردار ، وبعد أن ترك " التمة " خراباً يباباً ، اتجه إلى الشمال لملاقاة زعيمي التمرد " نمر " ، والمساعد ؛ إذ رحلا لمحاصرة " بربر "[٣] ، واستمر القتل ، ودارت دائرته على الجعليين ، بعد أن تركوا في ميدان المعركة نحو ألف قتيل ، غير كثيرين غرقوا في النهر . وبهذا انهارت تلك المقاومة الأولى ، فانفك الحصار عن " بربر " ، واتجه الدفتردار ليعمل السيف في بلاد الجعليين ، فأخذ يقتل وينشر الرعب ، وواصل سيره حتى " ود مدني "،

---

(١) هو : محمد بك الدفتردار، صهر محمد علي باشا والي مصر ، كان رجلاً شرساً ، حاد الطباع ، محباً للأذى .
مكي شبيكة ، السودان عبر القرون ، ص : ١٢٢ .

(٢) هي : بلدة تقع غرب النيل ، وغرب شندي ، وهي إحدى معاقل القبائل الجعلية .
مكي شبيكة ،السودان عبر القرون ،ص : ١٢٢ .

(٣) هي : مدينة سودانية ، تقع على النيل ، كانت في الماضي مركزاً تجارياً مهماً في طريق القوافل .
أحمد عطية الله ، دائرة المعارف الحديثة ، ص : ٥٨ .

وكان ذلك الانتقام الأول للدفتردار[١].

وكانت المرحلة الثانية لحملة الدفتردار الانتقامية : أن جهز جيشاً للحاق بالمتمردين ، وحرض القبائل لإمداده بالمساعدة والعون ، فهزم " نمراً " بعد أن قتل عدداً كبيراً من أهله وعشيرته ، واتجه مع نفر قليل من أصحابه حين انجلت المعركة شرقاً ، فاستقر بالحبشة ، وعندما جمع الدفتردار الأسرى وجدهم يفوقون أربعة آلاف أسير ، منهم : عدد من نساء " نمر " وبناته وخالاته وعماته ، فسيقوا كلهم إلى النيل ، وأرسلوا بعدها إلى مصر ؛ ليباعوا في سوق الرقيق[٢]. ولكن قناصل الدول الأوربية شعروا بالمجازر التي ارتكبها الدفتردار ، والفظائع التي قام بها ؛ فقد وصل عدد القتلى إلى حوالي ثلاثين ألفاً ، فأثاروا دولهم ، وفي إثر احتجاجهم أطلق محمد علي عدداً كبيراً من الأسرى ، وأعادهم إلى السودان[٣].

وبعد تلاشي قوة الملك " نمر " لم يكتف الدفتردار بذلك ؛ بل تابع هجومه على كل من كان يعضد حركة المقاومة القومية ضد جنود محمد علي ؛ ففتك بأهل " شندي "[٤] ، وأحرق بلدة " الدامر " ، وقتل من وجد فيها ، وسار الدفتردار إلى شرق النيل الأزرق ، ووصل إلى المتمردين قبل أن يلحقوا

---

(١) ضرار صالح ضرار ، تاريخ السودان الحديث ، ص : ٤٤ - ٤٥ .
(٢) مكي شبيكة ، السودان عبر القرون ، ص : ١٢٣ - ١٢٤ .
(٣) ضرار صالح ضرار ، تاريخ السودان الحديث ، ص : ٤٥ .
(٤) هي : بلدة على بعد سبعة أميال من مصب الأتبرة بالنيل ، وهي : مركز المجاذيب ، فقهاء الجعليين ، ولهم فيها مدرسة قديمة مشهورة لتعليم القرآن الكريم .
مكي شبيكة ، السودان عبر القرون ، ص : ١٢٦ .

بالحبشة ، فقتل الكثير ، وأسر نحو سبعة آلاف ، سيقوا كلهم إلى " أبي حراز" ثم وصل الدفتردار إلى " كسلا " ، فقتل وسبى ، ثم رجع إلى مكان إقامته بالنيل ، وبهذا ختمت صحيفة دموية لم يشهد السودان مثلها في تاريخه.(١)

التوسعات العثمانية في السودان :

أدرك محمد علي أن سيادته على البحر الأحمر ، يمكن أن تعيد له أهميته التجارية القديمة ، فتستفيد مصر من طريق التجارة المارة بهذا البحر ، وهذا ما أطلق عليه (سياسة البحر الأحمر) . وذكرها إبراهيم باشا ، إذ قال لبعض الأوربيين في أثناء حروب الشام : ما لنا والأناضول ، ميداننا الطبعي ، هو : بلاد العرب ، والبحر الأحمر ، والمناطق النيلية .(٢) انظر : الخريطة رقم (١٣) .

وفي عهد إسماعيل باشا خديو مصر - حفيد محمد علي - امتد التوسع جنوباً وشرقاً حتى وسع مديرية فاشودة ، ومملكتي : أنيورو وأوغندة ،(٣)

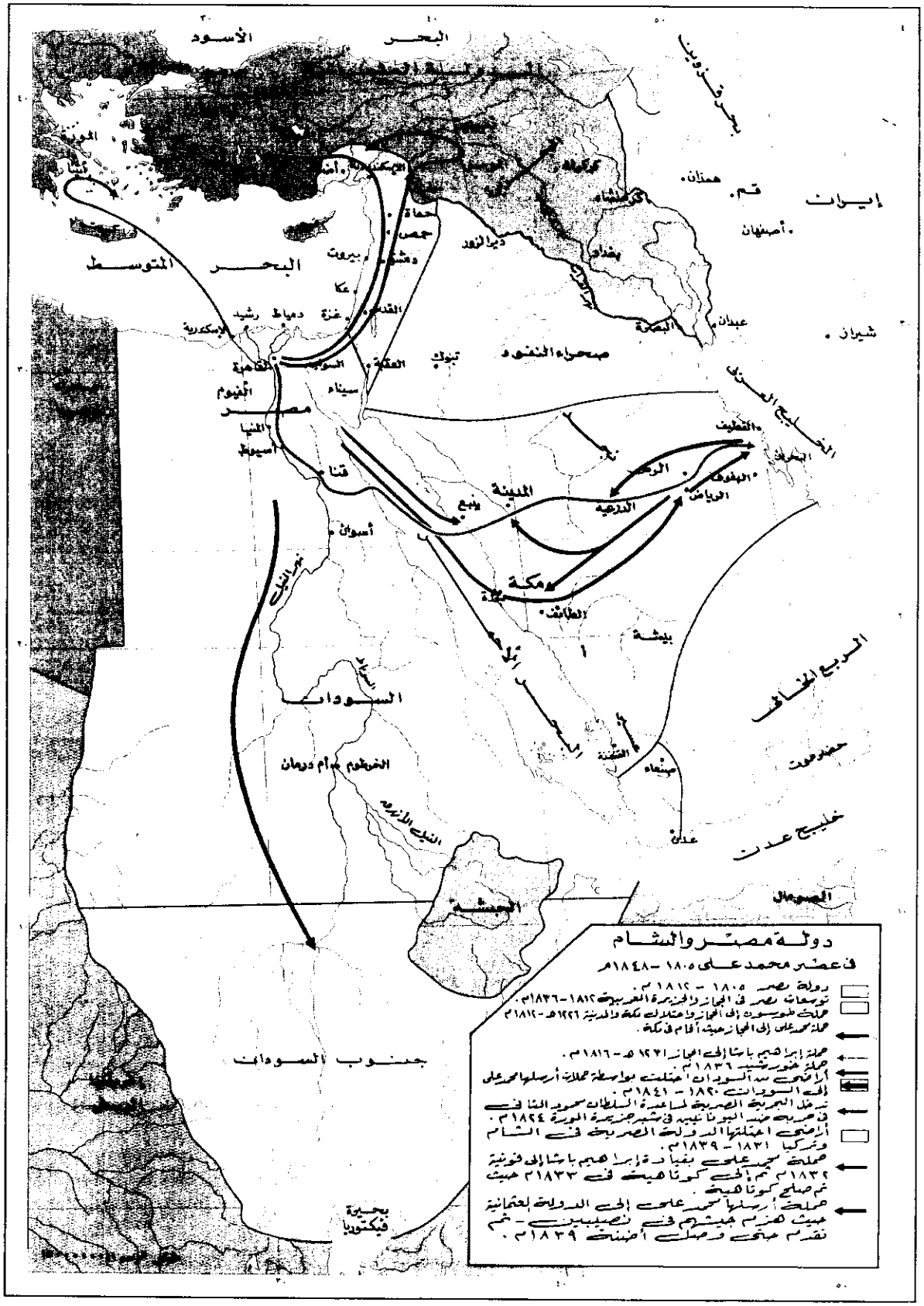
---

(١) مكي شبيكة ، السودان عبر القرون ، ص : ١٢٤ .

(٢) Hill R., Egypt in the Sudan : (1820 - 1881 A.D.), page: 46, printed in: London, at: 1956 A.D.

(٣) هو : الابن الثاني لإبراهيم باشا . ولد بالقاهرة ، سنة : ١٢٤٥هـ - ١٨٣٠م . خلف عمه سعيد باشا على عرش مصر ، سنة : ١٢٧٩هـ - ١٨٦٣م . عزله السلطان عبد الحميد بضغط من فرنسا وبريطانيا في شهر جمادى الآخرة ، سنة : ١٢٩٦هـ - الموافق : يونيو ، سنة : ١٨٧٩م . توفي سنة : ١٣١٢هـ - ١٨٩٥م .
أحمد عطية الله ، القاموس الإسلامي ، جـ : ١ ، ص : ١٠٦ .
عبد الوهاب الكيالي ، الموسوعة السياسية ، جـ : ١ ، ص : ١٩٠ .
الزركلي ، الأعلام ، جـ : ١ ، ص : ٣٠٨ .

خريطـــــة رقم (١٣)



د . حسين مؤنس ، أطلس تاريخ الاسلام ، ص : ٣٠٦ .

وإقليمي : بحر الغزال ، وخط الاستواء ،وسلطنة دارفور ، وتم التوسع شرقاً نحو زيلع[١] على البحر الأحمر ، وبربرة ، وتاجور[٢] ، وهرر[٣] ، وسواحل الصومال الشمالية ، كما وفق السلطان على ضم سواكن ، ومصوع[٤] إلى الخديو إسماعيل ، على أنها أملاك مصرية ، وتمت بذلك وحدة النهر من منابعه

---

(١) هي : ميناء صومالي على البحر الأحمر ، وعندما قررت الحكومة المصرية إخلاء السودان ، جلت القوات المصرية عنها ، وآل أمرها إلى الإنجليز، إلى أن استقلت الصومال .
أحمد عطية الله ، دائرة المعارف الحديثة ، ص : ٢٦٧ .
محمد شفيق غربال ، الموسوعة العربية الميسرة ، جـ : ١ ، ص : ٩٣٩ .

(٢) هي : أحد الموانئ الصومالية على البحر الأحمر ، وهي من المواقع المهمة ،ذات التأثير في مضيق باب المندب .
عيسى محمد جليل ، جيبوتي ، دراسة في الجغرافيا السياسية ،ص :المقدمة .

(٣) هي : مدينة بالحبشة ، وسكان هذه المنطقة من القبائل الإسلامية ، كانت " هرر " عاصمة سلطنة أقامها بعض أمراء المسلمين . وفي سنة : ١٢٩٢هـ - ١٨٧٥م ، استنجد أهلها بالخديو إسماعيل ، فتم للمصريين الاستيلاء عليها ، وبعد إخلاء السودان أخلاها الجيش المصري . بها مسجد الشيخ " أبادر " ، يحتفظون فيه كل عام بذكرى أول من أدخل الإسلام في المنطقة .
أحمد عطية الله ، دائرة المعارف الحديثة ، ص : ٧٠٩ .
د . حسين سعيد ، الموسوعة الثقافية ، ص : ١٠٢٤ .
محمد شفيق غربال ، الموسوعة العربية الميسرة ،جـ : ٢ ، ص : ١٨٩٤ .

(٤) هي : ميناء مهم بإريتريا ، وقد ضمت إلى أملاك مصر ، سنة : ١٢٨٣هـ - ١٨٦٦م ، حتى استولت عليها إيطاليا ، سنة : ١٣٠٠هـ - ١٨٨٣م. تقع على جزيرة مرجانية ، قريبة من الساحل ، يبلغ طولها نحو : ميل ، يصلها بالساحل جسر أقيم منذ الحكم المصري العثماني .
أحمد عطية الله ، دائرة المعارف الحديثة ، ص : ٦٣٣ .
د . حسين سعيد ، الموسوعة الثقافية ، ص : ٩٢٥ .
محمد شفيق غربال ، الموسوعة العربية الميسرة ،جـ : ٢ ، ص : ١٧١٠ .

حتى مصبه في البحر الأبيض المتوسط.[١]

أصبحت أملاك الخديو إسماعيل تمتد من البحر المتوسط شمالاً إلى منطقة البحيرات جنوباً، ومن سواحل البحر الأحمر والمحيط الهندي حتى رأس حافون، وجوار دفوي[٢] شرقاً. انظر: الخريطة رقم (١٤). فكان لمصر أثر في نشر الإسلام والمدنية والعمران في السودان، يقول صموئيل بيكر: "إن مصر وحدها هي التي تستطيع أن تنقل الحضارة والمدنية إلى مجاهل أفريقيا، وهي القادرة دون غيرها على نشر الأمن والنظام في ربوع السودان".[٣]

ولقد تمكن إسماعيل باشا منذ توليه السلطة، سنة: ١٢٧٩ هـ - ١٨٦٣م من إتمام الكشف عن منابع النيل الاستوائية؛ إذ إن محمد علي تمكن من كشف المنطقة حتى خط عرض ٤٢° شمالاً.[٤]

---

(١) يوسف فوزي عبد الله العريني، استرداد السودان، ص: ٥، رسالة ماجستير مخطوطة بكلية الآداب بجامعة القاهرة، سنة: ١٣٨١هـ - ١٩٦١م.

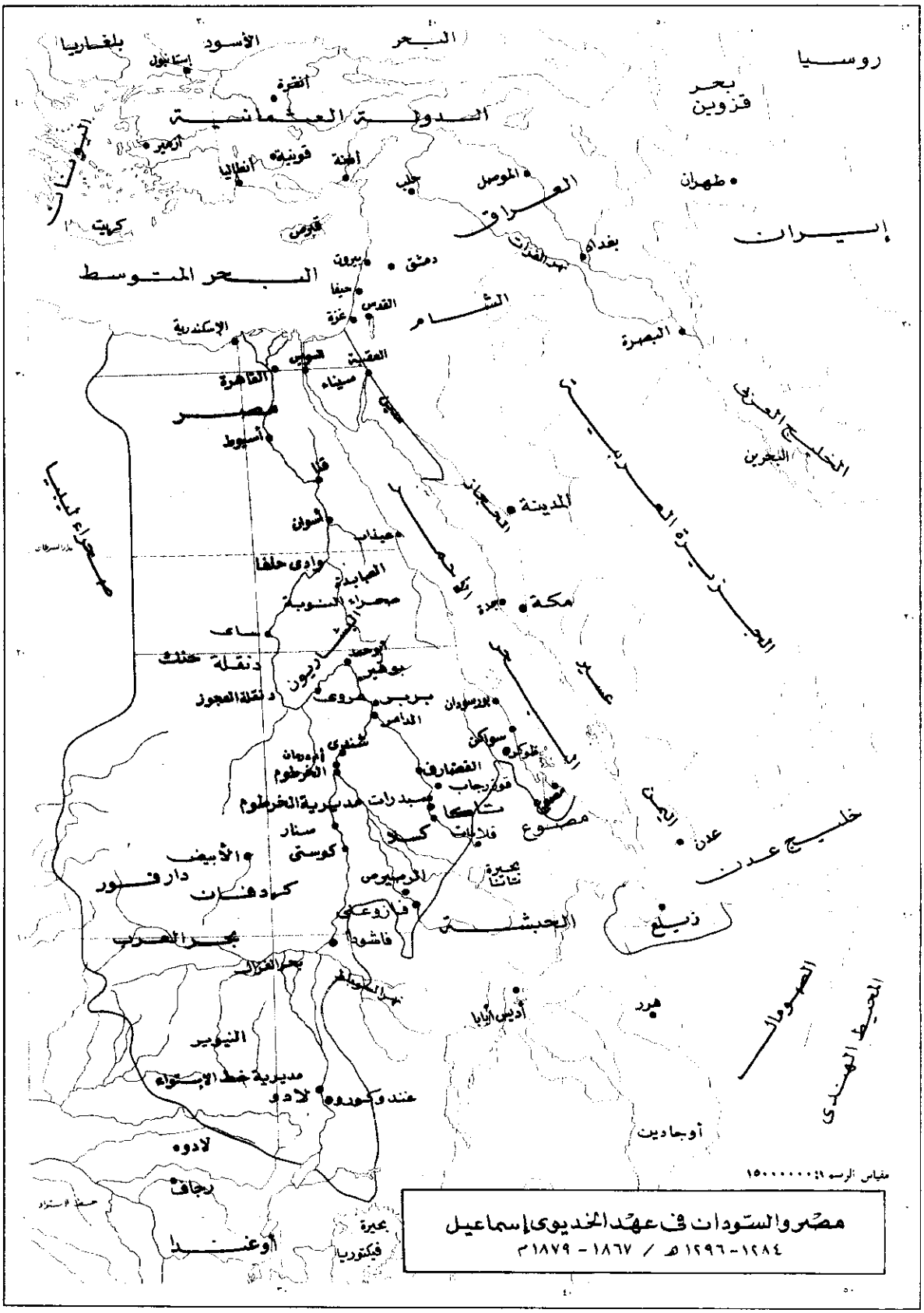
(٢) هما: رأسان من الأرض في المحيط الهندي، ويتبعان الصومال، وهما منطقتان مهمتان، سيطرت بريطانيا عليهما بعد إخلاء مصر لها. عيسى محمد جليل، جيبوتي، دراسة في الجغرافيا السياسية، ص: المقدمة.

(٣) د. حسين فوزي النجار، السياسة والاستراتيجية في الشرق الأوسط، ص: ٢٢٧، ط: المكتبة المصرية، بالقاهرة، سنة: ١٣٧٣هـ - ١٩٥٣م.

(٤) د. زاهد رياض، كشف القارة الأفريقية، ص: ١٤٢، ط: القاهرة، سنة: ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م.

Professor Bashir M.O., The Southern Sudan, Background to Conflict, Horst and Co., page:39.

خريطـــــة رقم (١٤)



مصر والسودان في عهد الخديوي إسماعيل
١٢٨٤-١٢٩٦ هـ / ١٨٦٧ - ١٨٧٩ م

د . حسين مؤنس ، أطلس تاريخ الاسلام ، ص : ٣٣١ .

ومما يلحظ : أن الطريق الشمالية إلى أعالي النيل ، هي الطريق الطبعية ، إذ من خلالها وصلت جميع المؤثرات الحضارية في العصور الوسطى والحديثة ، وهي المدخل الطبعي مع النيل للوصول إلى منابعه.(١)

تطور الإدارة العثمانية في السودان :

بعد مقتل إسماعيل بن محمد علي باشا على يد الملك " نمر " ؛ انتقاماً لكرامته ، أصبح أحمد بك الدفتردار حاكماً عسكرياً على كل من كردفان وسنار(٢).

وقد استطاع الدفتردار برصاص بنادقه ، وقنابل مدافعه وقسوته أن يخضع بقية السودان ، ومنذ ذلك الحين ارتبط اسم العثمانيين بالظلم والقسوة ، ولم يخضع السودانيون لهم إلا لضعفهم العسكري والقومي ، وكان من نتائج المجازر البشرية الرهيبة التي ارتكبها الدفتردار: أن زرعت بذور القومية السودانية ، وربطت بين قلوب القبائل وحدة الصف والهدف ، وهو الخلاص من حكم الخلافة الإسلامية العثمانية ، الذي يمثله الولاة المتسلطون ، الذين جاءوا من مصر إن عاجلاً أو آجلاً.(٣)

وباستقرار الحال في السودان ، قسّم محمد علي البلاد إلى مديريات بلغ عددها ست مديريات ، هي : دنقلا ، بربر ، الخرطوم ، سنار ، فازوغلي ،

---

(١) د . فيليب رفلة ، الجغرافيا السياسية لأفريقيا ، ص : ٢٣ .
(٢) نعوم شقير ، تاريخ السودان ، ص : ٢٠٨ .
(٣) مكي شبيكة ، السودان عبر القرون ، ص : ١٢٥ .

كردفان ، ثم ضمت مديرية "التاكا" في شرق السودان ، بعد سنة: ١٢٥٦هـ - ١٨٤٠م ، فأصبحت المديرية السابعة .(١)

ويذكر بعض الباحثين : أنه تم تعيين حاكم عام على السودان سمي الحكمدار ، وكان يتمتع بالباشوية ، ومنحت له السلطات العليا الإدارية والتشريعية ، والتنفيذية والعسكرية ، ثم استبدل محمد علي منصب الحكمدار بمنصب "المنظم" في السودان ، ولم يجعل للمنظم أي سلطات على بقية المديريات في السودان ، ثم أعاد المنصب مرة أخرى ، وقسمت المديريات إلى مراكز يشرف على كل مركز كشاف برتبة نقيب .(٢)

وقد أدخل محمد علي القانون التركي في البلاد ؛ ليحل محل التقاليد القبلية في كل الأحكام ، فأصبح نافذاً في كل القضايا المدنية والجنائية ، وأدخلت المحاكم الشرعية ، وعيّن رئيساً للقضاة على كل الديار السودانية ، وأصبح يملأ المركزين : القضاء والإفتاء ، وله ديوان في الخرطوم ، ويساعده في النظر في القضايا أحد القضاة والمفتي ومجلس من العلماء .(٣)

الضرائب :

اشتهرت الضرائب في القرن التاسع عشر : بأنها لغة الإدارة التركية ، التي يمثلها الولاة المتسلطون في ربوع بعض الدول ، التي تحت

---

(١) نعوم شقير ، تاريخ السودان ، ص : ٢٠١ - ٢١١ .
(٢) السابق ، ص : ٢١١ .
(٣) ضرار صالح ضرار ، تاريخ السودان الحديث ، ص : ٥٣ .

حكم الخلافة الإسلامية العثمانية ، ومن هذه الدول : السودان.[١] وقد عد السودانيون هذه الضرائب دلالة على استعباد الأتراك المصريين لهم ؛ إذ تعمل على تقييد حريتهم ، وتؤكد عبوديتهم ، وقد أساء محصلو الضرائب للأهالي ؛ إذ كانوا شرذمة من الكتبة الأقباط ، الذين أرسلهم محمد علي ؛ ليكونوا محاسبين ، تصحبهم شراذم من الجنود الأتراك ، فينزلون ضيوفاً غير مرغوب فيهم على القرى ، فيصبح مأواهم ومأكلهم ومشربهم ورشوتهم من جيوب أهل القرية ، فلا يخرجون منها إلا بعد أن يستنفدوا آخر ما عند الأهلين ، ومنذ ذلك الوقت بدأت هجرات أهل القرى والمدن فراراً من الضرائب ، وهجر الفلاحون الأرض ؛ بل تمت الهجرة خارج السودان إلى أراضي الحبشة ؛ فراراً من الضرائب الباهظة ، وطريقة جبايتها.[٢]

القوات المسلحة :

كان الجيش العثماني الذي غزا السودان من الألبانيين والأرناؤوط والمغاربة ، ولم يكن بصفوف جيش محمد علي مصريون ، وقد استعان محمد علي بالسودانيين ؛ لتكوين جيش له يعتمد عليه بدلاً من الألبانيين ، ولكنه فشل في ذلك ؛ إذ مات الكثير منهم لأسباب صحية ، فاضطر الوالي أن يعود بهم إلى السودان ، حتى يخدموا في الجهادية ضمن القوات

---

(١) السابق ، الصفحة نفسها .
(٢) مكي شبيكة ، السودان عبر القرون ، ص : ١٤٤ - ٤٥ .

التي تساعد على أمن البلاد.[1]

وبعد سنة : ١٢٣٩هـ - ١٨٢٤م : بدأ في تجنيد الفلاحين المصريين ، ومنذ ذلك التاريخ بدأ إشراك الجندي المصري في الخدمة بأراضي السودان جنباً إلى جنب مع الجندي التركي ، فأصبح جيش مصر في السودان يتكون من عناصر مختلفة ، مثل : الأتراك ، والمغاربة ، والمصريين ، ومن السودانيين : الشايقية ، والجهادية السود ، الذين جلبوا من جنوب السودان ؛ ليكونوا نواة للجيش المصري الحديث آنذاك ، وتضخم عدد الجيش شيئاً فشيئاً ، حتى أصبح تعداده ، ستة عشر ألف جندي ، سنة : ١٢٦١هـ - ١٨٤٥م ، وكانت أهم أعمال هذا الجيش : حفظ الأمن ، وجمع الضرائب بشتى الطرق ، حتى أصبح محصل الضرائب والجندي شيئاً واحداً.[2]

إشراك السودانيين في الحكم :

عندما أصبح خورشيد باشا حاكماً عاماً للسودان ، عمل بوصية محمد بك - الذي كان حاكماً عاماً على السودان قبل تولي خورشيد - بتقريب الشيخ العالم عبد القادر الزين السوداني إليه ، ومنذ أن حكم خورشيد السودان ، شهدت البلاد نوعاً جديداً من الحكم ؛ إذ كان هذا الحكمدار

---

(١) السابق ، ص : ١٤٦ .
(٢) ضرار صالح ضرار ، تاريخ السودان الحديث ، ص : ٥٤ .

على درجة عالية من حسن الإدارة والتنظيم ، فقد أشرك السودانيين في إدارة البلاد ، وأقام المجالس المحلية في كثير من أنحاء السودان ، وجعل الشيخ عبدالقادر الزين مستشاره الأول في شئون الحكم ، وإدارة مواطني السودان ، وبتقريب الشيخ عبدالقادر إليه ، هرع باقي مشايخ البلاد وأعيانها للسلام على الحكمدار ، فقابلهم خورشيد بالبشر والترحيب والإيناس، وأطلق سراح المسجونين من أيام عثمان بك ، الذي تولى الحكم قبل محو بك.(١)

وقد امتاز الشيخ عبدالقادر الزين بسعة الأفق ، والأمانة في النصح ، والشجاعة ، ممّا جعله نافذ الكلمة عند الحكمدار ، فهو الذي يعرف دخائل الناس ، ويعرف أخلاقهم وعاداتهم ، وكان أقوى حلقة اتصال بين الحاكم والمحكوم.(٢)

وقد حرص خورشيد في أن تساس البلاد سياسة إنسانية ، فجمع مجلساً مكوناً من كبار الموظفين والضباط والأعيان ، وبعد مناقشات طويلة دارت في ذلك المجلس ، أرسل خورشيد خلاصة الموقف في البلاد إلى محمد علي باشا.(٣)

وبمعاونة الشيخ عبد القادر لخورشيد ، أصبحت مشكلات السودان التي تواجه الحاكم ، يمكن حلها ، وكانت أهم العقبات ، هي : فرار السودانيين من أوطانهم إلى تخوم الحبشة ، ودارفور والبحر الأحمر

---

(١) نعوم شقير ، تاريخ السودان ، ص : ٥٦ .
(٢) السابق ، ص : ٥٧ .
(٣) ضرار صالح ضرار ، تاريخ السودان الحديث ، ص : ٥٦ ، بتصرف واختصار .

حول سواكن ، التي كانت تحت سيطرة العثمانيين ووالييهم في جدة ، وكان من آثار تلك الهجرة : أن قل الزرع ، واستغلال الأراضي ، وهرب عدد كبير من الرعاة بثروتهم الحيوانية ، وقل السكان في القرى ، وتعذر جمع الضرائب ، وعندما طرح خورشيد المشكلة على الشيخ عبد القادر الزين ، كانت لآرائه أفضل النتائج على السودانيين ، وعلى الحكم المصري في السودان(١). فقد أشار على خورشيد باشا بأن يعفي مشايخ القبائل من الضرائب ، وكذلك الفقهاء ، وعلماء الدين ، كما أشار عليه بأن يلغي متأخرات الضرائب(٢) ، وأن يعطي الأمان لكبار القادرين من الزعماء ومن معهم ، وسار الشيخ عبد القادر رسولاً من خورشيد إلى بعض هؤلاء الزعماء ، وأعطاهم الأمان ، وعيّن الشيخ إدريس ود عدلان شيخاً على الفونج(٣).

ولولا فضل الله - سبحانه وتعالى - ثم معاونة الشيخ عبد القادر لنشبت أزمات في البلاد ، وقد ساعد ما أرتآه الشيخ عبد القادر على تمكين الاستقرار والاستمرار المنشود في البلاد(٤).

وقد حاول خورشيد التوسع بالهجوم على المناطق الجنوبية ، فأغار على قبائل الدنكا ، سنة : ١٢٤٢هـ - ١٨٢٧م ، وعلى قبائل الشلك ، سنة : ١٢٤٥هـ - ١٨٣٠م ، وكانت سلسلة غارات انتهت باضطرار الحكم المصري للانسحاب من تلك المناطق ، دون أن يوطد حكمه فيها ، واكتفى بإعداد

---

(١) السابق ، ص : ٥٧ .
(٢) السابق ، الصفحة نفسها .
(٣) نعوم شقير ، تاريخ السودان ، ص : ٢١٤ - ٢١٥ .
(٤) السابق ، ص : ٢١٠ .

الرجال ، لكي ينخرطوا في سلك الجندية.[١]

ووقعت مناوشات على الحدود مع الحبشة ، بسبب التحالف الحبشي مع القبائل السودانية اللاجئة إليها ، ولم يحرز المصريون نجاحاً أبعد من استيلائهم على منطقة القلابات ، وهي منطقة متنازع عليها.[٢]

وقد تصدت بريطانيا للفتح العثماني الإسلامي وطوقته ، وكانت بريطانيا تنظر إلى تلك المناطق على أنها مناطق لنفوذها ، ولم يستطع محمد علي أن يخوض معارك مع الإنجليز في ذلك الوقت ، وأصدر أوامره للحكمدار أحمد باشا أبو ودان - الذي خلف خورشيد - بالامتناع عن التوسع نحو الحبشة.[٣]

إدارة عباس الأول ، ومحمد سعيد (١٢٦٤هـ - ١٨٤٨م/١٢٧٩هـ - ١٨٦٣م) :

تربع عباس الأول[٤] بن طوسون بن محمد علي على الأريكة الخديوية ، سنة : ١٢٦٤هـ - ١٨٤٨م ، بعد وفاة عمه إبراهيم ، وجده الهرم لا يزال

---

(١) السابق ، ص : ٢٢٠ .
(٢) مكي شبيكة ، السودان عبر القرون ، ص : ١٢٣ .
(٣) ضرار صالح ضرار ، تاريخ السودان الحديث ، ص : ٥٩ .
(٤) هو : ابن طوسون بن محمد علي الكبير ، ثالث ولاة مصر . ولد بجدة ، سنة : ١٢٢٨هـ - ١٨١٣م . تولى الحكم في شهر ذي الحجة ، سنة : ١٢٦٤هـ - الموافق : نوفمبر ، سنة : ١٨٤٨م ، بعد وفاة إبراهيم باشا . توفي مقتولاً في قصره ببنها ، سنة : ١٢٧٠ هـ - ١٨٥٤م .
أحمد عطية الله ، دائرة المعارف الحديثة ، ص : ٤٠٧ .
د . حسين سعيد ، الموسوعة الثقافية ، ص : ٦٥٠ .
الزركلي ، الأعلام ، جـ : ٣ ، ص : ٢٦١ .

على قيد الحياة ، وكان خالد باشا لا يزال الحكمدار على السودان ،ويبدو أن خالداً والحكام في المديريات انتهزوا فرصة شيخوخة محمد علي ، وتهاونوا في الإدارة، واشتغلوا فيما يملأ جيوبهم ؛ إذ كثر نشاط خالد باشا في مسألة الذهب ؛ لينتفع به هو شخصياً (١). ولهذا تبين لعباس عدم انضباط الأمور في السودان ، فاتخذ عباس في إدارته لحكمه نظام المجالس ؛ فما من قرار إلا ويصدر - في معظم الأحيان - في المجلس المخصوص، أو العمومي (٢).

وقد عمل عباس على إعادة توزيع المديريات ، وأمد السودان بعدد من الكتبة والمحاسبين ، الذين كان السودان في حاجة إليهم ، حتى ينظم الإدارة الحكومية ، والمراجعة المالية ، وقد وفدت أعداد كبيرة من الأقباط للقيام بهذا العمل الذي مهروا فيه (٣).

وباعتلاء محمد سعيد (٤) العرش ، سنة : ١٢٧٠هـ - ١٨٥٤م ،ورث تركة مثقلة في الإدارة السودانية ، والخطط التي وضعها أسلافه ،فاتجه محمد سعيد

---

(١) ضرار صالح ضرار ، تاريخ السودان الحديث ، ص : ٦٥ .

(٢) مكي شبيكة ، السودان عبر القرون ، ص : ٥٤٧ .

(٣) Palleme Lgnatius , Travels in Kordofan, page:190, printed in : London , at : 1844 A.D.

(٤) هو : محمد سعيد بن محمد علي . ولد سنة : ١٢٣٧هـ - ١٨٢٢ م ، خلف أخاه عباس الأول في الحكم ، سنة : ١٢٧٠هـ - ١٨٥٤م. فتح أبواب مصر والسودان على مصراعيها للنفوذ القنصلي ، والاستغلال الأجنبي . اتهم بالإسراف ، فاضطر إلى الاستدانة - توفي سنة : ١٢٧٩هـ - ١٨٦٣م .
د . حسين سعيد ، الموسوعة الثقافية ، ص : ٨١٥ .
الزركلي ، الأعلام ، جـ : ٦ ، ص : ١٤٠ .

بنفسه للسودان في شهر جمادى الآخرة ، سنة : ١٢٧٣هـ - الموافق : يناير، سنة : ١٨٥٧م ، والتقى بالإداريين هناك ، وكان حريصاً على تحسين الإدارة الحكومية في السودان ، عيّن أخاه حكمداراً للسودان ، سنة : ١٢٧١هـ - ١٨٥٥م .(١)

وكان الخديو والحكمدار يعملان جاهدين على تحقيق سعادة ورفاهية السودانيين بمنحهم إدارة أكثر نزاهة ، وقد عمد الخديو إلى إدخال نظام الحكومات المحلية ، حتى يمكن للسودانيين الاشتراك في حكم بلادهم ، فأصدر أوامره بالبدء فيها ، وجعل لكل مديرية مجلساً .(٢)

وكان أعضاء هذه المجالس يقررون الطرق التي يتم بها تطوير البلاد ورفاهيتها ، وبخاصة في شئون الضرائب ، ومع مجالس المديريات أقام سعيد مجلساً مركزياً في الخرطوم ، يتكون أعضاؤه من ممثلين لمجالس المديريات ، إذ يجتمعون في العاصمة ، لتنسيق العمل بين المديريات السودانية ، وقد ظهر زعماء من السودانيين في تلك الفترة ، منهم : أحمد أبو سن - زعيم قبيلة الشكرية(٣) - ، والفقيه عبد الرافع ، وتصدّر هذان الزعيمان حركات الإصلاح في البلاد ، وبخاصة في الخرطوم . ولمّا عيّن

---

(١) مكي شبيكة ، تاريخ شعوب وادي النيل (مصر والسودان) في القرن التاسع عشر، ج : ٢ ، ص : ٥٠٧ .

(٢) نعوم شقير ، تاريخ السودان ، ص : ٢٣٩ .

(٣) هي : قبيلة من أصول عربية ، وتنتمي إلى القحطانية ، ويعيشون في السودان في جهة مديرية النيل الأزرق .
محمود شاكر ، السودان ، ص : ٦٥ .

أراكيل بك سديراً على الخرطوم ، سنة : ١٢٧٣هـ - ١٨٥٧م ، اعترض الزعيمان السودانيان فأرسلا إلى مصر ، إذ وضعا في سجون الاسكندرية ، ثم سمح لهما بالرجوع للسودان (١).

وكانت وجهة اعتراض السودانيين على تعيين أراكيل بك : أنه أرمني نصراني ، وما دفعهم إلى ذلك إلا الغيرة على دينهم ، ولا يقبلون أن يولي الخديو عليهم غير المسلمين (٢).

إبطال تجارة الرقيق :

عمل سعيد باشا ما كان يجب عليه في بلدين مسلمين ، يستظلان براية واحدة ، وحكم واحد ، فقد ألغى الجمارك التي كانت قائمة بين مصر والسودان ، وأصدر أمراً صريحاً بإبطال غزوات صيد السود ، بل أصدر منعاً صريحاً للإتجار بالرقيق (٣) ، فقد أصدر " إرادة كريمة " إلى حكمدار السودان نصت على منع الإتجار بالرقيق (٤).

وكان البحارة الذين يعملون مع التجار الأوربيين في النيل الأبيض يحضرون معهم بعض الرقيق ، فأمر بضبط هؤلاء ، وإعتاق الرقيق المجلوب (٥).

---

(١) ضرار صالح ضرار ، تاريخ السودان الحديث ، ص : ٧٥.
(٢) نعوم شقير ، تاريخ السودان ، ص : ٢٢٨ - ٢٢٩.
(٣) مكي شبيكة ، السودان عبر القرون ، ص : ١٥١.
(٤) دفتر رقم (٧٢١) قيد الأوامر واللوائح بديوان الخديو ، مكاتبة رقم (١٠)، صفحة : ١٢ ، بتاريخ : شهر ربيع الأول ، سنة : ١٢٨١هـ - الموافق : أغسطس ، سنة : ١٨٦٤م.
(٥) مكي شبيكة ، السودان عبر القرون ، ص : ١٥٢.

وقد تزعم الإنجليز الحملة بمقاومة الرق ، وما كان ذلك عن حسن نيه ، أو رغبة في إنقاذ البشرية ؛ بل كان وسيلة لعقد المعاهدات مع الحكام المحليين ، وعن طريق هذه المعاهدات يمكن للأسطول البريطاني أن يفتش السفن بحثًا عن الرقيق ، وفي الوقت نفسه تكون له قواعد بحرية ثابتة ، كما يمكنهم منع وصول الرقيق إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، التي طردت الإنجليز ؛ وبذلك يضربون الاقتصاد الأمريكي الزراعي ، القائم على وفرة الأيدي الزنجية المجلوبة من سوق الرقيق .(١)

وقد اشتهر جنوب السودان بتلك التجارة ، ولم يكن من الممكن لهؤلاء التجار الاستغناء عنها ، على الرغم من أنهم كانوا يتجرون في العاج الأبيض ، لكن تكلفة حمله إلى الخرطوم كانت تكودهم ؛ ومن ثم كانوا يعمدون لاصطياد الزنوج ليحملوا هذا العاج لهم دون مقابل ، ثم يصدرونهم مع العاج ، سواء بسواء .(٢)

ولذلك لم تغد كثيرًا محطات التفتيش الحكومية المقامة في المناطق الجنوبية من البلاد ؛ وبخاصة على نهر السوباط ، لمنع الإتجار في الرقيق ؛ وذلك لاتفاق الحرس مع التجار ، إضافة إلى أن قناصل الدول الأوربية في الخرطوم كانت تعمل جاهدة على عرقلة تطبيق قانون منع الإتجار في الرقيق على رعاياها .(٣)

---

(١) محمد صفي الدين أبو العز ، أفريقيا بين الدول الأوربية ، ص : ١٠٣ ، ط : القاهرة ، سنة : ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م .
(٢) نعوم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان ، ص : ٢٤٧ .
(٣) السابق ، ص : ٢٤٩ .

الإدارة في عهد إسماعيل باشا (١٢٧٩هـ - ١٨٦٣م/١٢٩٦هـ - ١٨٧٩م) :

اتبع إسماعيل باشا في إدارته للسودان سياسة كانت ذات ثلاثة مظاهر ، رئيسة هي :

١- عمد إلى توسيع الإمبراطورية المصرية في السودان ومنابع النيل ، وسواحل البحر الأحمر ، ودارفور، وهذه كانت آمال محمد علي السياسية ، وأراد إسماعيل وضعها موضع التنفيذ ، وأن يحقق السيطرة على وادي النيل من منبعه إلى مصبه ، وربطه السودان بالعالم الخارجي عن طريق موانئ البحر الأحمر ، والاستيلاء على مناطق غرب السودان ، حتى تكون التجارة السودانية جميعها في قبضته .(١)

٢- لم يستطع السودان أن يتمتع بحكم عادل ، على الرغم من محاولات الإصلاح التي مارسها خلفاء محمد علي في الحقل الإداري ، إذ لم يكن من بين خلفائه من يضاهيه حنكةً ، وقوةً وعزمًا ، فسمح خلفاؤه ومنهم : إسماعيل باشا للتجار الأجانب والمغامرين والباحثين عن الثروة ، والمرابين ، أن ينهبوا الاقتصاد السوداني والمصري على السواء .(٢)

ولم يكتف إسماعيل بالسماح للمغامرين والمكتشفين الأوربيين باستغلال الاقتصاد ، بل إنه عيّن بعضهم مديرين وحكامًا للسودان المسلم أمثال :

---

(١) ضرار صالح ضرار ، تاريخ السودان الحديث ، ص : ٧٧ .

(٢) Roland Oliver and John Feyge , Summary of history Africa , Page : 160 , Printed in : London , at : 1954 A.D.

صموئيل بيكر ، والجنرال جوردون ، وكذلك الألماني اليهودي شينتزر الذي ادعى الإسلام . وكانت وجهة نظر إسماعيل باشا تتمثل في إدخال سياسة جديدة متحضرة - كما يتصور - غير أن الواقع أثبت أن هذه السياسة كانت عامل إخضاع للمنطقة كلها تحت النفوذ البريطاني[١] ؛ إذ إن هؤلاء المكتشفين وجدوا المال اللازم لهم ، والظروف المهيئة لسيطرة انجلترا على السودان كله ؛ بل نشر النصرانية ، وتشجيع الإرساليات ، ومدها بالمعونات من الخزانة المصرية .[٢]

٣- نشطت سياسة الإدارة الخديوية نشاطاً منقطع النظير في منع تجارة الرقيق ؛ وذلك بسبب الضغط الأوربي على إسماعيل باشا ، فقد كانت بريطانيا أكثر الدول تشدداً في محاولتها لمنع تجارة الرقيق ، ولم يكن ذلك في الحقيقة - كما أسلفنا - بدافع إنساني - كما تزعم - ؛ بل بغرض بسط النفوذ والهيمنة على سواحل البحر الأحمر ، والقرن الأفريقي ، وسواحل أفريقيا الشرقية ، ونشر النصرانية ، ومنع انتشار الإسلام .[٣] وقد كان الأسطول البريطاني يقوم بتفتيش السفن التي تبحر من السودان ، ويعاقب تجار الرقيق بمصادرة ما معهم من الرقيق ، والتصرف فيهم ، دون إعادتهم إلى أوطانهم .. وغير خاف أن بريطانيا كانت أعرق الدول احتكاراً لتجارة الرقيق ؛ إذ بلغ ما صدّرته منهم حوالي : ثمان وأربعين ألف

---

(١) السابق ، ص : ١٩٢ .

(٢) Professor Bashir M.O., The Southern Sudan, Background to Conflict, Horst and Co., page:48.

(٣) د . وهبي البوري ، البترول والتعاون العربي الأفريقي ، ص : ١٧ - ١٨ ، ط : الأوبك ، الكويت ، سنة : ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

جنـدي في السـنة ، وذلك لفـترة ثلاثين عاماً ، وبلـغ مـا قامت الشركات البريطانية بتصديره من الرقيق في الفترة ما بين : ١٠٩١هـ - ١٦٨٠ م/ ١٢٠٠هـ - ١٧٨٦م حوالي (٢ر١٣٠ر٠٠٠) زنجي ، واستمرت الأعداد في تصاعد بعد ذلك.(١)

جنوب السودان في عهد الخلافة العثمانية :

أصبح جنوب السودان بعيداً عن متناول الخديوية المصرية ، إذ كان إمّا مستقلاً بقبائله الأفريقية ، وإمّا واقعاً تحت نفوذ تجار الرقيق من الأوربيين ، وكان واضحاً للخديو إسماعيل أن هناك تسابقاً بينه وبين المغامرين الأوربيين ، للسيطرة على النيل في منابعه ، لذلك قرر الخديو أن يسرع في ضم تلك المناطق قبل أن يرفرف عليها علم أوربي.(٢)

بحث الخديو إسماعيل عن مغامر ليقوم بهذه المهمة ، فوجد الرحالة صموئيل بيكر ، وذلك حتى يؤمن لمصر كل مجرى النيل ، وتم الاتفاق بين الخديو وبيكر ، سنة : ١٢٨٦هـ - ١٨٦٩م.(٣) قام صموئيل بيكر برحلتين ، وقد شنّ صموئيل حرباً في غاية العنف والقسوة على قبائل الباري السودانية الجنوبية بلا مبرر ، محتجاً بأنه يعمل في خدمة الحكومة المصرية ، وكان ذلك في غير صالح السياسة المصرية ، بل كان لصالح السياسة البريطانية ،(٤) كما سيظهر لنا التاريخ بعد ذلك .

---

(١) محمد صفي الدين أبو العز ، أفريقيا بين الدول الأوربية ، ص : ١٠٣ .
(٢) مكي شبيكة ، تاريخ شعوب وادي النيل ، ص : ٥٣٤-٥٣٦ ، بتصرف .
(٣) نعوم شقير ، تاريخ السودان ، ص : ٢٥٣ .
(٤) د . فيليب رفلة ، الجغرافيا السياسية لأفريقيا ، ص : ٢٣ .

ونظرًا لتأثر وانبهار إسماعيل باشا بالحضارة الأوربية ؛ إذ تفتحت عيناه وهو في الرابعة عشرة من عمره على تلك الحضارة الجوفاء في فيينا ، والمجر ، وباريس التي أتم تعليمه بها ، فتكونت شخصيته واتجاهاته هناك ، وكان يريد أن يجاري عواهل أوربا الكفرة ، فكانت فكرته في الوصول لذلك : أن يستعين دائمًا بالأوربيين.[1] ومن ثم لمّا أراد أن يكل مهمة بيكر ، اختار المغامر الإنجليزي جوردون ، وتم تعيينه سنة : ١٢٩١هـ - ١٨٧٤م لإدارة مديرية خط الاستواء ، وقد جعل عاصمة المديرية "لادو"[2] بدلاً من "غندكرو".[3]

أراد جوردون أن يتجنب أخطاء بيكر المتمثلة في استخدام القسوة والقهر والعنف مع قبائل الباري ، واستطاع بمساعدة معاونيه من ألمان وأمريكيين وإيطاليين[4] ، وغيرهم ، أن يسوس تلك القبائل ، ويكسب ودها ، كما أقام حوالي عشر محطات عسكرية في تلك المناطق ، ساعدت كثيرًا على توطيد الأمن ، ومطاردة تجار الرقيق ، إلا أن جوردون تسبب في ضياع أوغندا التي كانت تنظر شمالاً في اتجاه السودان ومصر في ارتباطها

---

(١) مكي شبيكة ، تاريخ شعوب وادي النيل ، ص : ٥١٥ .

(٢) هي : بلدة صغيرة في منطقة جوبا ، تقع شمال بلدة الرجاف في المديرية الاستوائية بجنوب السودان .
د . إبراهيم عكاشة ، التبشير النصراني في جنوب سودان وادي النيل ، ص : ٣٩ .

(٣) مكي شبيكة ، تاريخ شعوب وادي النيل ، ص : ٥١٥ .

(٤) Roland Oliver and John Feyge , Summary of History Africa , Page: 192.

بالعالم الخارجي ، إلا أنها اتجهت شرقاً نحو كينيا ، وشرق أفريقيا ، وانقطع اتصالها بمجرى النيل .[١]

وقد ثار جدل حول الحامية المصرية على أوغندا ، واتهم جوردون بأنه هو الذي سحب الحامية المصرية منها .[٢]

وقد كان " أمتيسة " - ملك أوغندا - لديه رغبة في الاتصال بحكومة مصر ، لترسل له بعض علماء المسلمين ؛ ليعلموه دين الإسلام ، فأصدر إسماعيل أمره إلى حكمدار السودان لتنفيذ هذه الرغبة ، فكان سفير الخديو - مع الأسف - لبلاط " أمتيسة " شان لونج[٣] ، وأرسل جوردون سفارة ثانية على رأسها أوربي نصراني آخر ، ليمثل الخديو ، ولم يكن المجال خالياً لمؤثرات مصر والدين الإسلامي ؛ إذ حل " استانلي "[٤] المكتشف الشهير ببلاط " أمتيسة " ، ومنه عرف قوة الدول الأوربية ، كما عرف شيئاً عن النصرانية .

---

(١) ضرار صالح ضرار ، تاريخ السودان الحديث ، ص : ٧٩ .

(٢) Roland Oliver and John Fege , Sullary of History Africa, page: 192.

(٣) هو : ضابط أمريكي ، كان يعمل مع جوردون ضمن الإداريين الأوربيين ، الذين خدموا في السودان ، ثم عمل سفيراً لمصر في أوغندا .
آلان مورهيد ، النيل الأبيض ، ص : ١٧٤ - ١٧٥ .

(٤) هو : أحد الرواد الأوائل لاكتشاف أعالي النيل ، وهو من أعظم المراسلين الأجانب مثابرةً ودأباً وتعصباً ومقتاً وحقداً على الإسلام والمسلمين ، واسمه الحقيقي " رولاندز " ، وهو من أصل إيرلندي ، وجنسيته أمريكية ، وسمي " استانلي " نسبة إلى أمريكي تبناه في الصغر . وقد طاف ببحيرة فيكتوريا ، وبحيرة تنجانيقا ، ومنابع النيل عموماً .
آلان مورهيد ، النيل الأبيض ، ص : ١١٨ ، ١٢٩ .

ولمّـــا كان "أمتيسة" متقلباً بطبعه ، وكانت رغبته في التحالف لشـــد أزره على خصومه ، إضافة إلى تقصير إسماعيل باشا ومثله في الســـودان في إرســـال رجل نصراني كافر ؛ لـــذا تحـــول "أمتيسة" للنصرانيـــة . وكان قد طلـــب من أحـد مساعدي جوردون التحالف معه في حربـــه ضد خصمه ملك أنيورو ، ولم يكن باستطاعة مساعـــد جـــوردون أن يلبي هـذا الطلـب إلا بإذن من رئيسه جوردون ، وعندمـــا غـــادر مساعد غوردون "أرنست" رواقا خاصة أوفدا ـ آنذاك ـ أعطاه استانلـي خطاباً لإرساله لانجلترا ، وفي أثناء رجوعه حاملاً هذا الخطاب إلى عندكرو قتل في الطريق قريباً من مقر جوردون ، وعندما جهّز للدفن وجد الخطاب في جيبه ، فبعث به جوردون لانجلترا ، وكان الخطاب عبارة عن : نداء للرأي العام الإنجليزي ، وللكنيسة بخاصة ، يهيب بهم لإرســـال بعثات تنصيرية إلى مجاهل أفريقيا ؛ لتنشر التعاليم النصرانية هناك ، وكانـــت هذه هي بداية التنصير في هذه المنطقة .(١)

المنطقة الغربية من السودان (سلطنة دارفور) :

لم تستطع مصر الوصول إلى فتح دارفور والاستيلاء عليها ، ولم يتم ذلك إلا على يد أحد المغامرين السودانيين ، الذين كانوا يؤمنون إيماناً جازماً بوجوب وحدة الأمة المسلمة ، وكان ينظر إلى مصـــر على أنهـــا مركز للوحدة الإسلامية ، وللخديوية على أنها تمثل سلطان المسلمين

---

(١) مكي شبيكة ، تاريخ شعوب وادي النيل ، ص : ٥٤١ .

في مصر والسودان.[1] كان ذلك الرجل المغامر هو الزبير رحمة من قبيلة الجعليين ، شارك في التجارة في الجنوب ، وسار من نجاح إلى نجاح ، وتوسعت تجارته لتوفيق الله وعونه ، ثم لذكائه وشخصيته القوية ، وقوة إيمانه ، فقد طرق أراض جديدة في جنوب السودان لم يطرقها أحد غيره ، وقد صاهر قبائل الجنوب - وسبق أن أشرنا إلى ذلك في المبحث الأول - وبخاصة ملوكها حتى أصبح سيدًا مهيبًا ، وذلك بفضل الله ثم قوته العسكرية الخاصة ، التي تتكون من السود - أي : الزنوج - الذين أسلموا على يده ، وحطوا السلاح دفاعًا عنه.[2]

وقد دخل الزبير بحر الغزال منتصرًا ، وأسّس حكومة صار هو رئيسها ، فحكم المنطقة حكمًا إسلاميًا ، بعد أن كون لنفسه مجلسًا للشورى من بعض العلماء ، لإقرار أحكامه في تلك المنطقة ، وهذه أول حكومة إسلامية تقام في تلك المنطقة ، وفتح للتجار الشماليين أبواب بحر الشمال ، التي كانت تنعم تحت حكمه بالهدوء والأمن.[3]

ولم يطل الاستقرار ببحر الغزال ، لأن الخديو إسماعيل كان يفكر في ضمها لأملاكه ، وعيّن الزبير مديرًا لها ، ومنحه لقب البكوية ، وبذلك ضم بحر الغزال لمصر ، ووصل الأمر الرسمي في : شهر شوال ، سنة : ١٢٩٠هـ - ديسمبر ، سنة : ١٨٧٣م ، وحتى يؤمن التجارة ، اضطر الزبير

---

(١) التيجاني عامر ، جنوب السودان ، بحر الغزال بين العصابات والحكومات ، ص : ٢٢ .

(٢) ضرار صالح ضرار ، تاريخ السودان الحديث ، ص : ٨٠ .

(٣) المركز الإسلامي الأفريقي ، السياسة التعليمية ، ص : ١١ .

إلى محاربة قبائل الرزيقات ، وهزمها ، وكانت غير خاضعة للخديو . كما دارت معارك بين الزبير والفور ، انتهت بانتصار الزبير انتصاراً حاسماً ، ومنحه الخديو الباشوية .[١]

كان نجاح الزبير باشا سبباً في حقد حكمدار عام السودان ، الذي عمل على التخلص منه ؛ فأوقع بينه وبين الخديو ، وفي إثر ذلك استدعى الخديو الزبير باشا إلى القاهرة ، وحدد فيها إقامته .[٢]

ولقد كان الصراع بين حكمدار السودان والزبير باشا صراعاً قوياً ؛ إذ كان الزبير باشا يرى تخفيف الضرائب ، والاكتفاء بالزكاة ، التي فرضها الله ـ سبحانه وتعالى ـ ، ويريد الحكمدار أن يعصر البقرة التي جف ثديها بعد أن كانت حلوباً .[٣]

تعيين الجنرال جوردون باشا حاكماً عاماً على السودان :

أعجب إسماعيل باشا بسياسة جوردون ؛ لذلك أسند إليه منصب حكمدار السودان ، بعد أن كان مديراً للاستوائية .[٤]

وحين تولى جوردون منصبه الجديد ، كان سليمان بن الزبير باشا مديراً لبحر الغزال بدلاً من والده ، فوشي به عند جوردون : بأن والده

---

(١) السابق ، ص : ١٢ .
(٢) ضرار صالح ضرار ، تاريخ السودان الحديث ، ص : ٨٣ .
(٣) السابق ، الصفحة نفسها .
(٤) السابق ، ص : ٨٦ .

أرسل إليه خطاباً ليثور على الحكومة ، وتحت تأثير هذه الوشايات ، عقد جوردون محكمة لمحاكمة الزبير ، وابنه سليمان غيابياً ، وألقى القبض على أفراد عائلة الزبير ، رجالاً ونساءً وأطفالاً ، وصادر أمواله ومراكبه وعقاراته[١] ، وبعث بإعدام الزبير وابنه إلى الحكومة بالقاهرة ، وحبس كل أفراد العائلة ، ثم أرسلهم إلى الخديو إسماعيل ، وطلب جوردون من الخديو تنفيذ حكم الإعدام في الزبير المقيم بالقاهرة إقامة محددة[٢] . كما كلف جوردون جيسي الإيطالي للقيام بحملة للقبض على سليمان ابن الزبير في بحر الغزال ، وقد أعدّ جيسي مكافأة لمن يقتل أو يقبض على سليمان بن الزبير بلغت ألف جنيه ، ولم يستطع جيسي هزيمة سليمان هزيمة ساحقة أو قتله ، إلا أن الزبير باشا أرسل إلى ابنه بأن يقوم بتسليم نفسه للسلطات الخديوية ، فسلّم سليمان نفسه عملاً بنصيحة والده ، واثني عشر رجلاً من أعوانه إلى جيسي ، الذي ما كان منه إلا أن أهانهم وقيدهم ثم قتلهم[٣] . وكانت هذه أكبر خيانة عرفت في تاريخ البلاد ، وبمقتل سليمان انتهت الثورة في بحر الغزال ، كما انتهت بعدها بفترة ثورة دارفور[٤] .

---

(١) مكي شبيكة ، تاريخ شعوب وادي النيل ، ص : ٢٣٦ .
(٢) ضرار صالح ضرار ، تاريخ السودان الحديث ، ص : ٨٩ .
(٣) السابق ، ص : ٩٠ .
(٤) نعوم شقير ، تاريخ السودان ، ص : ٣٠٣ .

تقويم أعمال الزبير باشا :

كان للزبير جهد طيب ، وأثر متميز في نشر اللغة العربية والإسلام، وإقامة دولة تحكم بالشريعة الإسلامية في بحر الغزال ، وقد تعرض الزبير لكثير من التشويه والتشهير ؛ مما جعل صورته تهتز في الأذهان ؛ إذ درج بعض الباحثين على إظهاره ؛ بأنه تاجر رقيق فحسب ، متجاهلين الظرف التاريخي وظروف المنطقة وأوضاعها ، ومتناسين إصلاحاته ، وأثره الرائد في بناء السودان ونشره للإسلام .(١)

وموقف الزبير من الرقيق يوضحه بقوله : كان من عادة تلك البلاد - بلاد نيام نيام -(٢) أنهم يبيعون فريقاً من أهل الجنايات ، كالسارق والزاني في الأسواق ، ويذبحون فريقاً آخر ، ويبيعون لحومهم كالأبقار ، ويشتريها أهل تلك الجهات ليأكلوها ، فكلما رأيت منهم ذلك أخذت أشتري من أجد فيه اللياقة لحمل السلاح وأفديه من الذبح ، حتى بلغ ما اشتريته نحو خمسمائة شخص تقريباً ، وصرت أطعمهم حمل الأسلحة النارية ، إلى أن عرفوا ذلك ، وسلحتهم جميعاً بالأسلحة التي أحضرتها معي .(٣)

---

(١) المركز الإسلامي الأفريقي ، السياسة التعليمية ، ص : ١١ .

(٢) النيام نيام : يطلق على قبائل آكلة لحوم البشر ، وهي قبائل الزاندي ، وهي كبرى القبائل بعد الدنكا ، ومن أكثرها ولوعاً بالحرب .
التيجاني عامر ، جنوب السودان ، ص : ١٣٠ .

(٣) John , Head , Zobair Pasha , History , K.M., page : 31 , printed in : London , at: 1333 H. - 1913 A.D.

ويحدثنا الزبير عن حكمه ، فيقول : " حكمت البلاد بالكتاب والسنة ، وشرعت في تحديثها وعمارتها ، وتوسيع نطاق التجارة فيها "[1].

وترتب على هذه السياسة : التفاف الجنوبيين حوله ، وخدمتهم طواعيةً واختياراً في جيشه . . ولما قرر سليمان بن الزبير الاستسلام لجيسي - ممثل السلطة الخديوية - ، سنة : ١٢٩٦هـ - ١٨٧٩م رفض أتباعه ذلك ، وذهب ألف منهم بقيادة رابح فضل الله بحطته الشهيرة إلى الغرب ، إذ تم على أيديهم فتح مملكة البورنو ، ومناطق متوظة في تشاد الحالية[2].

ولا ترجع أهمية الزبير وجنوده إلى أنه حكم بحر الغزال ، وضمها لسلطانه ، وكذا سلطنة الفور ، إلا أن المهدية استفادت - فيما بعد - من الدروس والخبرات التي أفرزتها مدرسة الزبير الحربية ، التي أخرجت قادة كباراً ، منهم : حمدان أبو عنجة ، والنور عنقرة ، والزاكي طمل[3].

استتب الأمر في عهده ، وازدهرت التجارة ، وأدى ذلك إلى تقوية الإسلام وانتشاره ، وكذلك اللغة العربية ، كما كان للمجندين الجنوبيين من جيش الزبير أثر بارز في نشر الإسلام ، واللغة العربية في جنوب السودان ؛ لأن ولاء هؤلاء الجنوبيين ظل يتنقل عبر الحكام والمغامرين بعد إبعاد

---

(١) المركز الإسلامي الأفريقي ، السياسة التعليمية ، ص : ١١ .
(٢) السابق ، ص : ١٢ .
(٣) السابق ، الصفحة نفسها .

الزبير ، فعملوا مع جوردون ، وأمين باشا ، وجيسي ، وقد عرف هؤلاء الجنود - فيما بعد - باسم الجهادية .[١]

سياسة الخوف وعدم الاستقرار :

لقد أشاع التجار الأوربيون ، أمثال : بسلي ، وبلزاك ، وجاناس بسبب غزواتهم لاصطياد الرقيق الفزع والخوف وعدم الاستقرار والانعزال والقضاء على السكان . . كما أن العنف الذي ساد في القرن التاسع عشر بالجنوب لم يسببه الشماليون . . وبعض الصعاب الحالية لم تنشأ نتيجة لاتجاهات الشمال ، بل نتيجة السياسة التي انتهجها الأوربيون مثلو الخلافة العثمانية في القاهرة .[٢] فقد مارس صموئيل بيكر سياسة العنف والإرهاب التي ما يزال أدب الزاندي الشعبي يحكي عنها ، وكذلك مارس جوردون العنف باعتباره وسيلة إدارية ناجحة ، وفي فترة المهدية حينما حدث الفراغ الحكومي في الجنوب ، حدث الخراب ، وقامت قبائل الزاندي وغيرها بغزو القبائل الصغرى ، واسترقاقها ، حتى محوا قرى كاملة من الوجود ببحر الغزال ، وقد عبّر عن ذلك ضابط بريطاني بقوله : " إن أعضاء قبيلة النايرونج دنكا فزعت خوفاً من النوير إلى الغابة ، وأصبحت مختبئة باستمرار كالصمغ وسط الأشجار ".[٣]

---

(١) محمد عبدالقادر نصر الدين ، جيوش المماليك ، والسلطنات السودانية تكوينها وتسليحها ومداركها ، ص : ١٤ ، ط : معهد الدراسات الأفريقية الآسيوية ، بالخرطوم ، سنة : ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

(٢) المركز الإسلامي الأفريقي ، السياسة التعليمية ، ص : ١٣ .

(٣) السابق ، الصفحة نفسها .

استخدم جوردون الحكم البربري في وقت جاء فيه لينهي مثل هذا الحكم ، وكان جوردون مثالاً حيّاً للاضطرابات الفكرية ، والتغيير السريع ، كان لا يثق في الأتراك الذين كانوا يديرون السودان ؛ لانغماسهم في الرشوة ؛ ومن ثم كان يعمل على تغيير الكثير منهم ، وبدأ في تعيين عدد من السودانيين ، ولم يلبث أن غيّر موقفه من هؤلاء السودانيين - أيضاً - فاستعان بعدد من الأوربيين ، الذين عرفهم في رحلاته ، أو وصلوا في زيارات للسودان ، فعين شارل الفرنسي ، وسلاطين النساوي[1] ، وجيسي ، والطياني ، وسيدالبا الإيطاليين ، وجيفلر[2] الألماني ، وكذلك الدكتور شنتزر الألماني ، الذي اعتنق الإسلام ظاهرياً ، وسمى نفسه الدكتور أمين[3] .

---

(١) هو : بارون رودلف كارل فون سلاتين باشا . ولد بمدينة فيينا ، سنة : ١٢٧٣هـ - ١٨٥٧م . دعاه جوردون للخدمة معه في السودان ، سنة : ١٢٩٦هـ - ١٨٧٩م . وفي سنة : ١٢٩٨هـ - ١٨٨١م : عين مديراً عاماً على دارفور . ادعى الإسلام ، فسمى نفسه : عبد القادر سلاطين . وقع في أسر المهدي ، وبقي في أسر خليفته التعايشي عشر سنين . هرب من الأسر ، سنة : ١٣١٢هـ - ١٨٩٥م ، ووصل القاهرة فمنحه الخديو عباس حلمي رتبة الباشوية . اشترك في حملة دنقلة بقيادة " كيتشنر " ، ثم عين مفتشاً عاماً للسودان المصري الإنجليزي ، سنة : ١٣١٨هـ - ١٩٠٠م . له : كتاب " السيف والنار في السودان " .
نعوم شقير ، تاريخ السودان ، ص : ٦٠٧ - ٦٠٨ .
أحمد عطية الله ، القاموس الإسلامي ، جـ : ٣ ، ص : ٤١٤ .

(٢) هو : جيفلر أو جيكلر باشا : عينه جوردون مديراً عاماً لمنع تجارة الرقيق ، ثم عين رئيساً لمصلحة التلغرافات السودانية ، وبعد مقتل راشد بك - مدير فاشودة - أرسله رؤوف باشا إلى فاشودة على رأس قوة من العساكر ، حتى يصل المدد من مصر . وبعد عزل رؤوف باشا قام جيفلر بأعباء الأعمال بالوكالة ، حتى سنة : ١٢٩٩هـ - ١٨٨٣ م .
نعوم شقير ، تاريخ السودان ، ص : ٦٥٨ .

(٣) آلان مورهيد ، النيل الأبيض ، ص : ١٩٤ .

وباستخدام هؤلاء الأوربيين ، دخل السودان مرحلة حرجة ؛ لأنهم كانوا من النصارى ، الذين يهدفون إلى ابتلاع كل البلاد الإسلامية منذ الحروب الصليبية ، وكانوا امتداداً للصليبيين في السودان ، وقد شعر السودانيون بأن الدول النصرانية قد تكالبت عليهم مسعورة ، وأرسلت هؤلاء الإداريين لطعن الإسلام والمسلمين ، وكان لصرامة الإجراءات التي اتخذت ضد السودانيين ما جعلهم يحقدون على الأتراك المصريين ، الذين جلبوا لهم الكفر القادم من أوربا .(١)

لم يكن لهؤلاء الأوربيين ما يمتازون به عن غيرهم من سودانيين ومصريين وأتراك ، حتى تخوّل لهم السلطة دون سواهم ؛ بل كان بعضهم من الشهاب المندفع ، مثل : سلاطين باشا النمساوي ، الذي كان في الخامسة والعشرين من عمره ، عندما عينه جوردون مراقباً عاماً على الضرائب ، ثم مديراً على دارفور ، وجيسي الإيطالي الذي تآمر مع جوردون - حاكم عام السودان - على سليمان بن الزبير باشا ، وغدر به وأعدمه ، بعدما وعده بالأمان لو سلم نفسه ، إلا أن الغدر والمكر والخبث يجري في دمائهم ، وسياسة نشر النصرانية ، والقضاء على الإسلام والمسلمين ، مخططة ومغروزة في أذهانهم .(٢)

---

(١) Professor Bashir M.O., The Southern Sudan , background to Conflict , Horst and Co., page: 47 - 48.

(٢) الجبهة الإسلامية القومية ، مسألة جنوب السودان عرض وتحليل ومقترحات ، ص : ٢٠ .

نتائج سياسة صموئيل بيكر وجوردون والإداريين الأوربيين :

كان لسياسة هؤلاء الأوربيين نتائجها الخطيرة على المنطقة كلها ، فقد أدت هذه السياسة إلى قيام الثورة المهدية ، التي سنفردها بالحديث بعد هذا المبحث .

كما أن هذه السياسة كانت السبيل الممهد للأطماع الاحتلالية الصليبية في السودان ، يقول شاليه لون في كتابه " مصر وأملاكها الضائعة " : إن إدارة جوردون وبيكر هي التي أغضبت السودانيين ، وأثارت ثائرتهم ، ولا شك أن انجلترا تركت النار تتقد ؛ ليكون لها مسوغ في إخراج مصر والحلول محلها .(١)

وقد عمل الإداريون على تمزيق القبائل وإضعافها نتيجة الحملات التأديبية التعسفية ، والإجراءات القهرية القسرية الموجهة ضد القبائل التي رفضت الخضوع للإدارة الجديدة .(٢) وبحجة استتباب الأمن أريقت الدماء ، وفتحت الأبواب للكنائس لتعمل في جنوب السودان ، وأدخلوا تجارة الرقيق ، وصارت أهم تجارة في الجنوب شارك فيها نصارى لبنان وفئة من تجار الشمال ، الذين باءوا بإثمها ، ووقع عليهم اللوم ، وأسقط العمل الرئيس للأوربيين ونصارى لبنان في هذه التجارة .(٣)

---

(١) نقلاً عن : داود بركات ، السودان المصري ومطامع السياسة البريطانية ، ص : ٤١- ٤٢ ، ط : القاهرة ، سنة : ١٣٦١هـ - ١٩٤٢م .

(٢) Professor Bashir M.O., The Southern Sudan, Background to Conflict, Horst and Co., page: 50.

(٣) الجبهة الإسلامية القومية ، مسألة جنوب السودان ، ص : ٣ .

ومن أهم النتائج وأخطرها ، وأشدّها فتكاً بالإسلام والمسلمين : فتح الباب للإرساليات التنصيرية على مصراعيه ، وأصبحت لهذه الإرساليات اليد المطلقة في التعليم ، ويبدو أن السلطات الاحتلالية بمساعدة هؤلاء الإداريين أرادت أن تسابق الزمن في صنع كيان جنوبي نصراني منفصل تحسبًا لنتائج اليقظة الإسلامية والسياسية ، التي بدأت إرهاصاتها في الثلاثينات من القرن العشرين ، وأدت إلى ميلاد مؤتمر الخريجين ، الذي عقد سنة : ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م .(١)

الإصلاحات في عهد إسماعيل باشا خديو مصر :

أظهر الخديو إسماعيل اهتمامًا بإمبراطوريته في أفريقيا ، وبخاصة السودان ، واهتم بوجه خاص بالتعليم ، فأمر بفتح المدارس الابتدائية في المدن الرئيسة ، مثل : الخرطوم ، والأبيض ، وبربر ، ودنقلة ، وكسلا ، حتى يتلقى فيها أبناء الموظفين المصريين العلوم ، وقد كانت مفتوحة لمن يريد من السودانيين الدخول فيها ، فتلقى فيها عدد كبير من السودانيين تعليمهم ، وأصبح هؤلاء من موظفي الدولة ، والتحقوا بسلك الكتبة والمحاسبين والعاملين على التلغراف وغيره .(٢)

وكانت الكتاتيب أو الخلاوي - كما يسميها السودانيون - منتشرة في في السودان ، إذ يدرّس فيها القرآن الكريم ، وبعض العلوم الدينية ،

---

(١) المركز الإسلامي الأفريقي بالخرطوم ، السياسة التعليمية ، ص : ٢٠ .
(٢) ضرار صالح ضرار ، تاريخ السودان الحديث ، ص : ٩٧ .

وكانت هذه الكتاتيب تتفاوت في أهميتها حسب شهرة الفقهاء ، الذين يدرسون فيها . واتخذ إسماعيل سياسة مساعدة هذه الكتاتيب بدفع رواتب شهرية للفقهاء المسئولين عنها ، وشجع ذلك رجال التعليم الديني ؛ لكي يمضوا قدماً في الإبقاء على الخلاوي حية ، وكان من الواضح ؛ بل من المؤكد أن السودانيين محبون للعلوم الشرعية ، فرغبوا فيها ، وأقبلوا على تعلمها ، أكثر من غيرها ، وكان أثر هذه الخلاوي كبيراً وظاهراً على السودانيين ، كما أنها ساعدت كثيراً منهم على معرفة القراءة والكتابة ؛ وذلك لأداء صلاتهم ، فكان لا بد لهم من حفظ القرآن الكريم أو ما تيسر منه .(١)

أمّا الزراعة : فقد اهتم بها إسماعيل اهتماماً يضارع اهتمام محمد علي باشا ، فكان ممتاز باشا - محافظ سواكن - من أكبر المهتمين بزراعة القطن في دلتا خور بركة ، وشارك ممتاز باشا في اهتمامه بالزراعة الإداري السوداني حسن بك خليفة - مدير بربر -(٢) ، وقد شجع الأهالي على زراعة كل الأراضي التي هجرها أهلها ؛ فراراً من الضرائب ، كما شجعهم على الري بالقنوات على الطريقة المصرية .(٣)

أمّا في مجال المواصلات : فقد اهتم بها إسماعيل باشا ، على اختلافها ، وقد أراد أن يبني خطاً حديدياً من حلفا إلى السودان ،

---

(١) المركز الإسلامي الأفريقي ، السياسة التعليمية ، ص : ٢٨ - ٢٩ .

(٢) Roland Oliver and John Feyge, Summary of History Africa, Page: 161.

(٣) ضرار صالح ضرار ، تاريخ السودان الحديث ، ص : ٩٨ - ٩٩ .

إلا أن الأحوال المالية التي كانت عليها مصر حالت دون ذلك . وقد أنشأ إسماعيل باشا شبكة تلغراف طولها ثمان وأربعون ألف ميل من الأسلاك التي ربطت بين عدد كبير من أجزاء السودان ، وامتدت فربطت بين مصر والسودان، سنة : ١٢٨٦هـ - ١٨٦٩م . كما بلغت السفن النيلية حوالي العشرين ، وكانت تجوب السودان شمالاً وجنوباً.(١)

لقد كان إسماعيل امتداداً لجده محمد علي باشا والي مصر ، فعمل على وحدة وادي النيل . انظر : الخريطة رقم (١٥) . وامتد التوسع جنوباً وشرقاً حتى شمل مديرية فاشودة ، ومملكتي أنيورو وأوغندا ، وإقليمي بحر الغزال ، وخط الاستواء ، وسلطنة دارفور ، كما شمل سنهيت(٢) ، وزيلع، وبربرة ، وهرر ، وسواحل الصومال الشمالية ، كما وافق السلطان على ضم سواكن ومصوع إليه نهائياً ، وتمت وحدة نهر النيل ، فأصبح النهر يجري في أرض مصرية الحكم ، وأصبحت أملاك الخديو تمتد من البحر المتوسط شمالاً إلى منطقة البحيرات جنوباً ، ومن سواحل البحر الأحمر والمحيط الهندي حتى رأس حافون شرقاً إلى حدود داداي غرباً(٣).

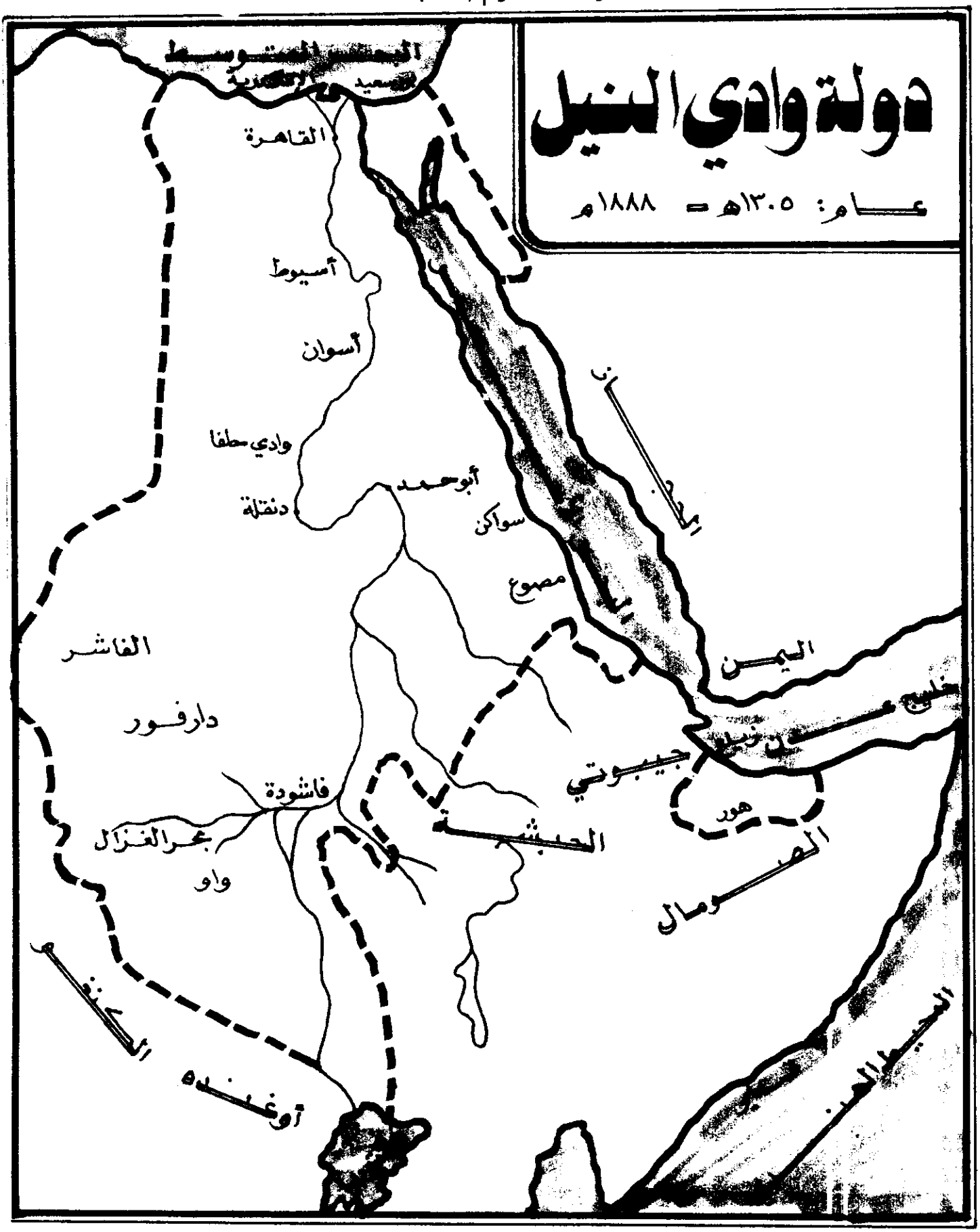
---

(١) السابق ، ص : ٩٩ .

(٢) هي:احدى مدن مديرية كسلا ، تمر بها الطريق التجارية إلى كسلا ، عدّها إسماعيل باشا داخلة في الفتح الأول لكسلا ، واستولى عليها سنة : ١٢٩١هـ - ١٨٧٤م ، مما أغضب الملك يوحنا - ملك الحبشة - وظلت تحت الحكم المصري إلى أن أخليت وسلمت للحبشة ، سنة : ١٣٠٢هـ - ١٨٨٥م.
نعوم شقير ، تاريخ السودان ، ص : ١١٩، ٦٠٢، ٦٠٣ .

(٣) عيسى محمد جليل ، جيبوتي ، دراسة في الجغرافيا السياسية ، ص : ٢١ - ٢٢ .

خريطـــة رقم (١٥)



المصدر: يوسف فوزي العربني ، استرداد السودان ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، سنة : ١٣٨١هـ - ١٩٦١م.

ومنذ الربع الأخير من القرن التاسع عشر بدأت موجة الاحتلال الصليبي الأوربي تطغى على القارة الأفريقية ، واتخذت هذه الموجة أحد أهدافها الرئيسة : دولة وادي النيل ، مستغلة الارتباك الذي نزل بالحكومة المصرية ، وبخاصة مسألة الديون ، وبلغ قصر نظر إسماعيل في هذه الفترة أن استخدم في حكومة السودان موظفين أوربيين كفرة ، مما كان له أكبر الأثر في قيام الثورة المهدية .(١)

وقد اضطر الخديو إسماعيل في سنة : ١٢٩٦هـ - ١٨٧٩م إلى اعتزال الحكم في مصر بسبب الضغط البريطاني الفرنسي عليه ، لإغراقه مصر في الديون من الدول الأجنبية ، ولم يستطع سدادها ، وباعتزال إسماعيل رأى جوردون أن موقفه سيكون ضعيفاً فاستقال وحل محله رءوف باشا حاكماً على السودان .(٢)

ولقد كان الشعور العام مهيئاً لاندلاع الثورة ، وفي حاجة إلى قائد ، وكانت الطريق مهيئة لذلك ، الأمر الذي ساعد على قيام الثورة المهدية .

وبعد هذا الذي عرضنا له في مبحث (السودان في عهد الخلافة الإسلامية العثمانية) نخلص إلى النتائج الآتية :

---

(١) يوسف فوزي العريني ، استرداد السودان ، ص : ٤ .
(٢) ضرار صالح ضرار ، تاريخ السودان الحديث ، ص : ١٠٠ .

الأولى: إن الخلافة الإسلامية العثمانية - على الرغم من امتداد سلطانها على البلاد العربية في الزمان والمكان - لم يكن لها يد على السودان، فلم يخضع لهيمنتها إلى أن استولى محمد علي باشا على مقاليد الحكم في مصر.

الثانية: باستتباب الأمر لمحمد علي باشا في مصر، شرع ينظر إلى مكامن الخطر، حتى يوصد أبوابها، فاستشعر وجود خطر يتهدد مصر من جهة الحبشة، التي تفكر بمعونة الأوربيين في تحويل مجرى النيل؛ ومن ثم رأى من الضرورة أن يبادر بالسيطرة على مجرى النهر العظيم من المنبع حتى المصب، فبدأ بالحملة على السودان.

الثالثة: لم يقدم محمد علي على حملته على السودان دون سابق إعداد؛ بل خطط ودبّر، واستكشف طريقه بأن بعث وفداً أعد له التقارير عن أحوال البلاد، وعلى ضوء ذلك جرد حملته بكامل عدتها، سنة: ١٢٣٥هـ - ١٨٢٠م بقيادة ابنه إسماعيل باشا.

الرابعة: اجتمعت عدة دوافع عملت على حفز همة محمد علي باشا لفتح السودان، بالإضافة إلى رغبته في السيطرة على مجرى النيل.

الخامسة: لم يكن للسودان حين دخلته قوات محمد علي كيان سياسي أو قومي؛ بل هو عبارة عن ممالك وسلطنات يبطش فيها القوي بالضعيف، وكانت الأجزاء الجنوبية تعيش في جهالة وبداوة كباقي جهات أفريقيا الاستوائية.

السادسة : استطاع محمد علي أن يوحّد السودان ، ويقضي على العصبيات القبلية ، منشئاً بذلك كياناً سياسيًا ، له وزنه في ظل حكومة مركزية تتولى مقاليد الأمور .

السابعة: كانت حملات الدفتردار التي شنها انتقاماً ممّن غدروا بإسماعيل باشا ابن محمد علي من أسوأ الصفحات الدموية ، التي لم يشهد تاريخ السودان مثلها .

الثامنة : باستقرار الحال في السودان ، قسّم محمد علي البلاد على النظام الإداري العثماني إلى مديريات بلغ عددها ستًا ، وعين حاكمًا عامًا للسودان ، سمّي بالحكمدار .

التاسعة : أدخل محمد علي القانون التركي للبلاد ، كما أدخل نظام المحاكم الشرعية ، وعيّن رئيسًا للقضاة على الديار السودانية ، يعاونه في القضايا الكبرى ، كالجنايات مجلس للعلماء يضم المفتي ، وبعض العلماء .

العاشرة : اهتم محمد علي بجمع الضرائب ، وجعل على أمرها قومًا فيهم غلظة ، حتى إن كثيرًا من أهل القرى رأوا في هذا استعبادًا لهم ، وثقلاً تنوء به كواهلهم ، فآثروا هجرة الأرض والديار ، ولجأ بعضهم إلى الحبشة .

الحادية عشرة : أنشأ محمد علي جيشًا بالسودان ، كان يضم عناصر مختلفة من : أتراك ، ومغاربة ، ومصريين ، وسودانيين ، وبخاصة من جلبوا

من جنوب السودان ، حتى أصبح عدد الجند حوالي ستة عشر ألف جندي ، وكانت أهم أعمال الجند : حفظ الأمن ، وجمع الضرائب .

الثانية عشرة : تم اختيار منطقة التقاء النيلين : الأبيض ، والأزرق ، سنة : ١٢٣٩هـ - ١٨٢٤م ؛ لتكون مقرًا لإقامة قلعة ، ثم طورت حتى صارت العاصمة " الخرطوم " بدلاً من " سنار " ، و " ود مدني " .

الثالثة عشرة : في الفترة التي حكم فيها خورشيد باشا السودان ، من سنة : ١٢٤١هـ - ١٨٢٦م ، حتى سنة : ١٢٥٤هـ - ١٨٣٨م عمل على تقريب بعض السودانيين إليه ؛ وبخاصة الشيخ عبدالقادر ، الذي كان أقوى حلقة اتصال بين الحاكم والمحكوم ، كما شهدت البلاد في عهد هذا الحكمدار نوعًا جديدًا من الحكم ، فقد كان خورشيد باشا على درجة عالية من حسن الإدارة والتنظيم ، فأنشأ المجالس المحلية ، وأشرك السودانيين في الحكم ، وساد الاستقرار ربوع السودان في عهده .

الرابعة عشرة : حاول خورشيد باشا التوسع في المناطق الجنوبية ، ووقعت مناوشات بينه وبين الحبشة ، إلا أن بريطانيا طوقت هذا التوسع وحالت دونه ؛ إذ كانت ترى هذه المناطق ميدانًا لنفوذها .

الخامسة عشرة : تمت في عهد محمد علي رحلات استكشافية ؛ للوصول إلى منابع النيل الأصلية ، وإن كانت لم تتمكن من تحقيق غايتها ، إلا أنها لأول مرة في التاريخ المعروف تخترق منطقة السدود ، وتكشف حقيقتها ؛ وبسبب هذه الرحلات تم فتح الطريق وربط الجنوب بالشمال ؛ وخصوصًا بعد إنشاء ترسانة للسفن والمراكب في الخرطوم .

السادسة عشرة : لمّـــا تربع الخديو عباس بن طوسون - حفيد محمد علي - على الأريكة الخديوية ، سنة : ١٢٦٤هـ - ١٨٤٨م ؛ تبيّن لـــه أن الأمور في السودان ليست على ما يرام ، وأنه يجب أن تغـير الأداة الإدارية ، فاتخذ نظام المجالس ، فما من قرار يصدر إلا في المجلس المخصوص أو العمومي .

السابعة عشرة : عمل عباس على إعادة توزيع المديريات ، وإمداد السودان بالكتبة والمحاسبين ، وإن كانت شوكة التجار الأجانب قد قويت ونفوذهم قد تبلور في الجنوب ، وجبال النوبة بسبب تدفق إرساليات التنصير آنذاك .

الثامنة عشرة : تولى محمد سعيد عرش الخديوية المصرية ، سنة : ١٢٧٠هـ - ١٨٥٤م ، فورث تركة مثقلة في الإدارة السودانية ، ممّا جعلـه يتجه بنفسه إلى السودان ، والتقى بالإداريين هناك ، وعيّن أخـاه حكمدارًا للسودان ، سنة : ١٢٧١هـ - ١٨٥٥م ، وعملا معًا جاهدين على تحقيق منفعة ورفاهية السودان لمنحه إدارة أكثر نزاهة ، واضعًا في اعتباره : أن السودان جزء من مصر ، يتمتع بإشراف مباشـر من الوزارة المصرية ، وأدخل نظام الحكومات المحلية ، وجعـل لكل مديرية مجلسًا ، كما أنشأ مجلسًا مركزيًا بالخرطوم ، وظهر زعماء سودانيون في هذه الفترة شاركوا في الحكم ، منهم : أحمد أبو سن ، والفقيه عبد الرافع ، اللذان اعترضا على تعيين " آراكيل بك " مديرًا على الخرطوم ؛ لأنه أرمني نصراني كافر ، وهم مسلمون ، فلا يحكمهم إلا مسلم .

التاسعة عشرة : وفي عهد سعيد - أيضاً - ألغيت الجمارك بين القطرين : مصر والسودان ، وصدر أمر خديوي صريح بمنع صيد السود ، والإتجار في الرقيق .

العشرون : في عهد الخديو إسماعيل باشا - حفيد محمد علي - (١٢٧٩هـ - ١٨٦٣م / ١٢٩٦هـ - ١٨٧٩م) امتد نطاق السيطرة والتوسع، فأصبحت أملاكه تمتد من البحر المتوسط شمالاً إلى منطقة البحيرات جنوباً ، ومن سواحل البحر الأحمر والمحيط الهندي حتى رأس حافون وجوار دفوى شرقاً ، وتم الكشف عن منابع النيل الاستوائية .

الحادية والعشرون : سمح إسماعيل باشا للتجار الأجانب والمغامرين والباحثين عن الثروة والمرابين أن ينهبوا الاقتصاد السوداني والمصري على السواء ؛ بل إنه عيّن بعض هؤلاء المغامرين مديرين وحكاماً للسودان المسلم، أمثال : صموئيل بيكر ، وجوردون ، واليهودي الألماني شينتزر الذي ادعى الإسلام ، وسمّى نفسه الدكتور أمين باشا .

الثانية والعشرون : كان هؤلاء الإداريون الأوربيون الباب الواسع ، الذي ولج منه التبشير ، وبخاصة في الجنوب تحت ستار الإدارة المصرية، وشعارات العمل الإنساني ، وقد اتسم هؤلاء الإداريون بالقسوة والشراسة التي نسبت إلى الخلافة الإسلامية العثمانية ، وإلى الدين الإسلامي .

الثالثة والعشرون : كان هؤلاء الإداريون الأوربيون مفتاح العون الذي أعان

القوى البريطانية لاحتلال السودان ، تلك القوى التي وطدت الأمر لإرساليات التنصير في السودان ؛ وبخاصة في جنوبه .

الرابعة والعشرون : على الرغم من سوء الإدارة الأوربية التي حكمت باسم الخديو ، فإن إسماعيل باشا كانت له إصلاحات في السودان ، تمثلت في : أمره بفتح المدارس الابتدائية ، وصرف الرواتب لفقهاء الخلاوي الذين يحفّظون القرآن الكريم ، وعلوم الدين . كما اهتم بالزراعة ، وأنشأ شبكة تلغراف تربط جميع مديريات السودان ، وتربط السودان بالقاهرة ، هذا بالإضافة إلى توسعه وبسط نفوذه على منابع النيل ؛ إذ تمت في عهده وحدة نهر النيل ، فكان النهر يجري في أرض تدين للسيطرة المصرية من منبعه حتى مصبه .

الخامسة والعشرون : كان الزبير رحمة باشا واحدًا من أبناء الشمال ، وكان تاجرًا مغامرًا ، ومسلمًا غيورًا ، يؤمن بوحدة السودان تحت راية الإسلام بقيادة الخديوية المصرية ، وبفضل الله ـ سبحانه وتعالى ـ ثم ذكائه وشخصيته ، وتوسعه في التجارة ، وحشده الأتباع من حوله ، صاهر قبائل الجنوب ؛ وبخاصة ملوكها ، وكوّن لنفسه جيشًا من الزنوج استولى به على بحر الغزال . فكان له أثر في نشر الإسلام في تلك البقاع .

السادسة والعشرون : وفي بحر الغزال أنشأ الزبير باشا أول حكومة إسلامية تحكم بالكتاب والسنة ، وفتح أبواب بحر الغزال للتجار من الشمال ؛ إذ كانت المنطقة تنعم تحت حكمه بالهدوء والأمن ، فعينه الخديو

إسماعيل مديراً على بحر الغزال ، لكن حقد حكمدار السودان ودسّه ، كانا سبباً في تحديد إقامة الزبير باشا في القاهرة عقب استدعائه إليها .

السابعة والعشرون : تعرّض الزبير باشا لكثير من التشويه والتشهير من قبل الباحثين الغربيين الكفرة ، خصوصاً باعتباره تاجر رقيق ، والحق أنه كان يشتري المحكوم عليهم بالذبح والأكل في قبائل نيام نيام ، ثم يدربهم على حمل السلاح ، ويعاملهم معاملة أبنائه ، ولذا التف أهل الجنوب حوله ، ورفضوا أن يسلّم ولده سليمان نفسه لجيسي باشا الإيطالي مثل الخديو ، الذي غدر فعلاً بسليمان وأتباعه ، فقتلهم بعد وعد بالأمان .

الثامنة والعشرون : ولن ينس التاريخ جهود الزبير باشا في نشر الإسلام واللغة العربية في الجنوب ، وبخاصة بين رجال جيشه ، وأبناء المنطقة التي حكمها .

التاسعة والعشرون : كما كان للزبير فضل لا ينكر ، إذ قدّم للسودان ثلاثة من أشهر قادة الثورة المهدية ، الذين تربوا في مدرسته الحربية ، وهم : حمدان أبو عنجة ، والنور عنقلة ، والزاكي طمل .

الثلاثون : اتخذت بريطانيا من قضية تجارة الرقيق ذريعة لإقامة قواعد لأسطولها في البحر الأحمر والسواحل الأفريقية ، بحجة تفتيش المراكب لضبط المتاجرين بالرقيق ، وتناست بريطانيا أنها كانت

الدولة الأولى في هذه التجارة ، كما تناست دور التجار الأوربيين ، ونصارى لبنان في هذه التجارة ، وألصقت التهم ، وأنزلت اللائمة كلها على الشاليين المسلمين ؛ لتطعن بذلك في الدين الإسلامي الحنيف ، الذي أمر بقطع دابر الرق ، وحث على العتق ، وهي تفتح الأبواب لإرساليات التنصير .

* * *

المبحث الثالث

السّودان في عهد الثورة المهديّة

المبحث الثالث

السودان في عهد الثورة المهدية

مدخل : (المهدي المنتظر) كلمة تطلق فتثير كثيراً من التساؤلات ، ويدور حولها كثير من الجدل ، وتتشعب أطراف الحديث ، وتشتجر الحجج ، ويأتي كل صاحب رأي ببرهانه . . وليس يعنينا هنا هذا المصطرع الخلافي ، فنحن لسنا بصدد الدرس الفقهي للأحاديث النبوية الشريفة الواردة في شأن المهدي المنتظر . . فذلك أمر من تحرّاه في مظانه عثر عليه ، بدون كثير عناء .

أمّا الذي يعنينا - حقاً - فهو : دراسة " السودان في عهد الثورة المهدية " ، بوصفها جزءاً من دراستنا التطبيقية على جنوب السودان لعوامل انتشار الإسلام ومعوقاته .

وما نحسب أن ذلك يقتضينا أن نتتبع حياة مؤسس الحركة المهدية ، أو توجهاته الفكرية ، إلا بالقدر الذي يخدم الدراسة ، ولا يثقل كاهلها ، وإن كان ذلك لا يمنعنا أن نسجل بين يدي ما سنقدمه : رؤيتنا لما نعتقد أن الصواب خلافه ، وبخاصة فيما يتعلق بالمنطلق العقدي عند دعاة المهدية ، وكذلك بعض ما جاء به المهدي من أحكام وآراء ، ربّما كشفنا عنها إن اقتضى السياق ذكرها .

ثم يبقى أن نقرر : أن أهم ما سنتجه إليه في هذا الجزء من الدراسة ، ما يأتي :

أولاً : العوامل التي ساعدت على قيام الثورة المهدية .

ثانياً : اتجاهات ومبادئ دعوة المهدي .

ثالثاً : إصلاحات المهدي ، ومقاومته للاحتلال .

رابعاً : تأثر المهدية بالدعوات والحركات الإصلاحية .

خامساً : انتصارات المهدي ومواقعه المشهورة .

سادساً : التأييد الإسلامي للحركة المهدية .

سابعاً : التعايشي ومسيرة الحركة المهدية .

ثامناً : الظروف التي أحاطت بالدولة المهدية .

تاسعاً : المهدية والوضع في جنوب السودان .

وبـــذلك نستطيع أن نقدم صورة للسودان في عهد الثورة المهديـة التي أضرم أوارها ، وأورى زنادها أبو عبدالرحمٰن محمد أحمد بن عبد اللـــه الملقب بالمهدي ، الذي يدعي أن نسبه من جهـة أبيه إلى الحسن بن علـي ابن أبي طالب - رضي الله عنهما - ، ومن جهة أمه إلى : العبـــــاس ابن عبد المطلب - رضي الله عنه -.[1] وهذا الادعاء غير صحيح .

وقد أطاح المهدي بأسرة محمد علي في السودان ، سنة : ١٣٠٢هـ - ١٨٨٥م ، وأقام دولة سيطرت على السودان نحو خمسة عشر عامًا . وبسقوطها بدأت فترة الحكم الثنائي للسودان .[2]

---

(١) عبدالودود شلبي ، الأصول الفكرية لحركة المهدي السوداني ، ص : ١٧ ، ط : القاهرة ، سنة : ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

(٢) د . حسن أحمد إبراهيم ، الفكر السياسي عند مهدي السودان ، مجلـــة (دراسات أفريقية) ، العدد : الثالث ، ص : ٨ ، إصدار : المركـــز الإسلامي الأفريقي بالخرطوم ، رجب ، سنة : ١٤٠٧هـ - الموافق : أبريل ، سنة : ١٩٨٧م .

أولاً : العوامل التي ساعدت على قيام الثورة المهدية :

لم تأت الثورة المهدية من فراغ ، وإنما سبقتها مقدمات أدت إليها ، وأعانت على اندلاعها ، وكانت النفوس مهيئة للانخراط في تيارها ، إذ أقبل الناس من جميع أنحاء السودان لمبايعة محمد المهدي ، فلقيت دعوته التي بدأت تعرف قبل الاحتلال الإنجليزي لمصر بعام واحد ، أي : سنة : ١٢٩٨هـ - ١٨٨١م نجاحًا منقطع النظير ، وظلت تمضي صعدًا حتى أطاحت بأسرة محمد علي الحاكمة للسودان ، سنة : ١٣٠٢هـ - ١٨٨٥م .

وللمهديين - من وجهة نظرهم - أسباب كانت وراء حركتهم ، وهي أسباب موضوعية في مجملها وتفصيلها ، وتدور حول ثلاثة محاور رئيسة ، تتمثل في :

١- حالة الإسلام على وجه العموم .

٢- ثم حالة الإسلام في أفريقية .

٣- وأخيرًا حالة السودان بصورة خاصة .

أمَّا تفصيل الأمر فهو فيما يأتي :

١- <u>حالة الإسلام على وجه العموم</u> :

أ- كان العالم الإسلامي يعاني من تفرق الكلمة - على الرغم من وجود دولة الخلافة - وهو تفرق نشأ عنه إحساس عام بالضيق بأحوال المسلمين ، وتوق لاتحاد الكلمة ، ولمّ الشمل بصورة أفضل .

ب- كان خيال المسلمين - ولم يزل - مشدودًا بأصداء تجربة الإسلام

في الصدر الأول ، فهم دائمًا متشوقون لتكرار ما فعله ذلك الرعيل .

جـ - كانت السلطات السياسية المتحكمة في البلاد الإسلامية - بما آلت إليه - قد أصبحت لا تمثل كيانًا شرعيًا حقًا ، ولا ترعى حقوق رعاياها حق رعايتها .(١)

د - أثقلت المظالم الاجتماعية كاهل الناس ، حتى صارت لا أول لها ولا آخر ، وزادها تفاقمًا تسلط موظفي الدولة على الرعايا نهبًا لمواردهم ، وشاركهم الأعيان ، وذوو الجاه .

هـ - الهجمات التي بدأ يشنها الاحتلال الأوربي الحاقد على العالم الإسلامي ؛ بسطًا لنفوذه وهيمنته .

و - التطلع المُلِح في كل أنحاء العالم الإسلامي للخلاص من سوء الحال ، وإقامة وضع تتحقق فيه سلامة الدين ، وعدالة الحكم ، وكفالة المعاش ، ورد الكرامة السليبة .(٢)

٢- <u>حالة الإسلام في أفريقيا</u> :

أ - كان الحال في أفريقيا مشتركًا مع الحال الإسلامي بعامة ، إضافة إلى التطلع لوضع سياسي يعبر عن الواقع الجديد .

ب - كانت الشعوب المسلمة في أفريقيا عمومًا تتعلق آمالها بنظام يكفل لها الحياة الإسلامية بكامل حلقاتها .

---

(١) الصادق المهدي ، يسألونك عن المهدية ، ص : ١٤٣ - ١٤٤ .
(٢) السابق ، ص : ١٤٤ - ١٤٥ .

جـ - ومن ثم تكرر التطلع المشوق لقيادة تمسك زمام الأمر ، فتهدم الواقع المرفوض ، وتقيم الوضع المنشود ؛ ولذا تكررت في الأقطار الأفريقية المسلمة توقعات المصلح المجاهد .(١)

٣- حالة السودان بصورة خاصة :

أ - ركب الفساد الحياة المدنية ، ولم يعد مأمولاً في الطبقات القيادية المعهودة إصلاح الحال .

ب - استشرى الظلم الاجتماعي ؛ إذ نعمت بالامتيازات قلة ، وجردت من الحقوق غالبية السكان .

جـ - تسلط الحكم نهباً وسلباً وحرماناً للرعية ، وصار معزولاً يطبق سياسات لا صلة لها بواقع البلاد ، وكان الناس يهمسون بالتطلع للخلاص .(٢)

د - هذا علاوة على ما ذكرناه من أن القائمين على أمر السودان من قِبل الخديوية المصرية ، كانوا أجانب أشال : جوردون ، وجيسي باشا ، والدكتور أمين اليهودي الألماني . وكلهم مارسوا تسلطاً على الشعب ، وكانوا قساة القلوب ، غلاظ الأكباد في تعاملهم ، هذا إلى جانب أنهم عطوا على توطيد الهيمنة للقوى

---

(١) عبد الوهاب أحمد عبد الرحمٰن ، توشكي ، دراسة تاريخية لحملة عبد الرحمٰن النجومي على مصر ، ص : ١٢ - ١٤ ، ط : دار جامعة الخرطوم ، سنة : ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

(٢) السابق ، ص : ١٤ .

الاحتلالية الصليبية ، وفتحوا الأبواب للإرساليات التنصيرية.[1]

وفي ظل هذه الأسباب التي هيأت الأجواء ، وأعانت على النتائج ، ظهرت حركات شتى على مستوى العالم الإسلامي ، وكانت الثورة المهدية في السودان هي محصِّلة هذا كله وثمرته ، وانتقل السودان إلى عالم الثورة تحت قيادة محمد أحمد المهدي.[2]

وإنصافاً للحق : فإننا لا نستطيع أن نغمط المهدي حقه فيما أداه من إصلاحات اجتماعية ، ومقاومة عنيفة للاحتلال .

ثانيًا : اتجاهات ومبادئ دعوة المهدي :

١- الاتجاه الفكري العام :

وهو : اتجاه يمثل عقيدة المهدية ، ولا مفر لنا من ذكره ، ونحن نقدم صورة لمبادئ الدعوة المهدية ، على أننا نقرر بين يدي هذا الكلام أنه يخالف عقيدة أهل السنة والجماعة ، وليس المقام للمناقشة والتفنيد ، وإنما هو لبيان المبادئ التي قامت عليها الثورة المهدية. فقد ادعى المهدي : أنه إمام القرن الذي كلفه الله - سبحانه وتعالى - ورسوله - صلى الله عليه وسلم - بسد فراغ القيادة التي شغرت بخلو كرسي الخلافة عن المصطفى ، فهو خليفته ، وهو الذي يوحد الطرق

---

(١) السابق ، الصفحة نفسها .

(٢) د . يوسف فضل حسن ، د . محمد إبراهيم أبو سليم ، د . محمد أحمد الحاج ، تاريخ الإسلام في السودان ، ص : ٩٦ ، ط : دار الفكر للطباعة والنشر ، بالخرطوم ، سنة : ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

الصوفية حول الكتاب والسنة ، والقيادة الموحدة ، دون إنكار لفضل مشايخ الطرق على ما قدموه من هداية ، وما تحلوا به من صلاح وتقوى ، والخروج من سكينة الخلوة إلى ساحة الجهاد .[١]

وقد أمر المهدي بإلغاء المذاهب الفقهية المعروفة ، وعدّ العهد السابق عليه عهد جاهلية ، وأمر أتباعه بأن يأخذوا بتفاسيره هو ، وأكّد أنه المجتهد الأوحد ، ومن ثم لم يكتف بإحراق الكتب الفقهية والدينية ، بل وضع حظراً شديداً على النشاط الفكري ، ومنع تداول الكتب إلا ما يجيزه هو ، وقد دخل بذلك في صراع شديد مع العلماء.[٢]

وقام بهجوم قاس وعنيف عليهم ، وعلى معارفهم ، محاولاً وقف التيار القديم - كما يسميه - ، والذين ساروا عليه ، وواضعاً تياراً جديداً . وبذلك عطّل الحركة الفكرية ، وأعطى نفسه حق الاستنباط ، واستخراج الأحكام دون غيره .[٣]

وقد أمر المهدي بتشريعات غريبة ، منها : أحكام لا توافق الشريعة الغراء ، مثل :

أ - إباحته إرجاع المطلقة ثلاثاً ، دون أن تنكح زوجاً آخر ، وقد خالف بذلك قول الله تعالى : (فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ . . .)[٤] . كما خالف بذلك سنة رسول الله

---

(١) الصادق المهدي ، يسألونك عن المهدية ، ص : ١٦٤ .
(٢) إبراهيم بن سليمان الباحوث ، الحركة المهدية في السودان ، عقيدتها وآثارها ، ص : ١١٥ ، رسالة ماجستير ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، كلية أصول الدين - قسم العقيدة .
(٣) السابق ، ص : ١١٣ .
(٤) سورة البقرة ، آية : ٢٣٠ .

ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وإجماع الأمة .

ب ـ المبالغة في العقوبات التعزيرية ، فهو يقول : من وقفت كاشفة رأسها ولو للحظة عين تؤدب بالضرب سبعة وعشرين سوطاً ، ومن تكلمت بصوت عال تضرب سبعة وعشرين سوطاً ، ومن تكلم مع أجنبية وليس بعاقد عليها ، ولا لأمر شرعي ، يضرب سبعة وعشرين سوطاً .(١)

وبعض أهل العلم يقولون : لا يزاد في التعزير على عشر جلدات، ويستدلون بحديث أبي بردة(٢) مرفوعاً : " لا يجلد أحد فوق عشرة أسواط إلا في حد من حدود الله ".(٣)

---

(١) منشورات المهدية ، ص : ١٨٦ - ١٨٧ ، تحقيق : د . محمد إبراهيم أبو سليم ، المنشور الصادر في شهر شوال ، سنة : ١٢٩٨هـ - سبتمبر، سنة : ١٨٨٨م ، ط : دار الجيل ، بيروت ، سنة : ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م. عبد الكريم الخطيب ، المهدي المنتظر ومن ينتظرونه ، ص : ١١٢ ، ط : الأولى ، القاهرة ، سنة : ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

(٢) هو : أبو بردة الحارث بن عمرو ، وقيل : مالك بن هبيرة ، خال البراء بن عازب ، وقيل : اسمه هاني ، حليف الأنصار ، صحابي جليل ، شهد بدراً وما بعدها ، روى عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ والبراء ، وجابر، وغيرهم . توفي في أول خلافة معاوية ـ رضي الله عنه ـ ، بعد أن شهد مع علي ـ رضي الله عنهما ـ حروبه كلها .
ابن حجر ، الإصابة ، جـ : ٧ ، ص : ١٧- ١٨ .
ابن حجر ، تهذيب التهذيب ، جـ : ١٢ ، ص : ١٨ .
ابن حجر ، تقريب التهذيب ، ص : ٦٢١ ، رقم الترجمة : ٧٩٥٢ .

(٣) رواه البخاري ، في صحيحه ، كتاب الحدود ، باب كم التعزير والأدب ، جـ : ٨ ، ص : ٣٢ .
ورواه مسلم ، في صحيحه ، كتاب الحدود ، باب قدر أسواط التعزير ، جـ : ٣ ، ص : ١٣٣٣ ، رقم الحديث : ١٧٠٨ .
كلاهما من حديث : أبي بردة الأنصاري ، وهذا لفظ مسلم . =

جـ - المبالغة في عقوبة شارب التبغ والتنباك ؛ إذ جعله يجلد ثمانين سوطاً[١] ، فبلغ به حد السكر ، مع أن التبغ والدخان لم يرد فيهما حد أصلاً .[٢]

د - تحديده المهور ؛ إذ ألزم أتباعه بألا يزيد مهر الثيب عن خمسة ريالات ، ومهر البكر عن عشرة ، ولا يزيد اللباس عن ثوبين .[٣] وليس ذلك من السنة التي وإن دعت إلى تخفيف المهر ، فإنها لم تدع إلى الإلزام بحد أقصى لا يتعداه .[٤]

هـ - أنه حجر حرية تصرف الإنسان في ماله الخاص ، مخالفاً بذلك هدي الإسلام ، الذي جعل الحجر على اثنين ، لا ثالث لهما : فاقد الأهلية لسفه أو صغر أو جنون ، والمدين بسؤال غرمائه ذلك ، وما عدا ذلك فالشريعة الإسلامية تقر الملكية الخاصة ، وتقيم كثيراً من أحكامها على الاعتراف بها ، والتشجيع عليها .[٥]

و - منع المهدي أن تتزين النساء بالذهب والفضة ، دون تحريم

= ورواه أحمد ، في مسنده ، جـ : ٣ ، ص : ٤٦٦ ، من حديث أبي بردة ، بمعناه ، وجـ : ٤ ، ص : ٤٥ .
ورواه الحاكم ، في المستدرك ، جـ : ٤ ، ص : ٣٧٠ .
ورواه الدار قطني ، في سننه ، جـ : ٣ ، ص : ٢٠٨ .

(١) منشورات المهدية ، ص : ١٨٦ .
(٢) سعد محمد حسن ، المهدية في الإسلام ، ص : ٢٠٣ ، ط : دار الكتاب العربي ، بالقاهرة ، سنة : ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م .
(٣) منشورات المهدية ، ص : ٣٠٠ .
(٤) سعد محمد حسن ، المهدية في الإسلام ، ص : ٢٠٤ .
(٥) عبد السلام العبادي ، الملكية في الشريعة الإسلامية ، طبيعتها ووظيفتها وقيودها ، القسم الأول ، ص : ٣٩٧ - ٣٩٨ .

لهما ، مع أن التزين بهما للنساء مباح شرعاً ، وهو يقـــول في بيان ذلك : "إن الذهب والفضة لا يحرم لبسهما إلا أنهما يعطلان في الآخرة ، لتعاطي المباهاة الكثيرة ".(١)

ومنعه هذا يخالف قـــول الله -سبحانه وتعالى- : ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾ .(٢)

والذهب والفضة من الزينة ، كمـــا أن الأصل الإباحة ، ما لم يأت نص بالتحريم .

هذا هو الاتجاه الفكري العام ، وبعض الآراء والأحكام الغريبة التي حملتها الدعوة المهدية ، وكانت منطلقاً فكرياً لها .

٢- <u>الاتجاه الروحي</u> :

اشتملت الدعوة المهدية على الحض على الزهد في الدنيا ، والترهيب بالمشاق ؛ لأنها تهذب الروح ، والحث على الاستعداد الدائـــم للآخرة ، بالاشتياق إلى الله جل وعلا .

وتقـرن الدعوة ما بين الزهد والاستعداد للآخرة ، والتضحية بالمـال والنفس ، جهاداً في سبيل الله تعالى ، وهذه المعاني تلتقي في نفس المؤمن ، فتوقظ فيه روح البذل والفداء ، وترتبط الجندية عنـــده بهذه الروح .(٣)

---

(١) منشورات المهدية ، ص : ١٩٩ .
(٢) سورة الأعراف ، آية : ٣٢ .
(٣) الصادق المهدي ، يسألونك عن المهدية ، ص : ١٦٣ .

٣- الاتجاه السياسي :

اشتملت الدعوة المهدية على المطالبة بقيادة مفوضة مسئولة أمام الله -سبحانه وتعالى- ، وأن يكون الأمر شورى ما بين القبائل والبطون ، من غير أن يحول تفرق الأرحام ، دون اتحاد الكلمة ، وهي قيادة يساندها جيش شعبي بروح فدائية ، هدفه : إحياء الإسلام، وتحرير الديار .(١)

أمّا العلاقات الخارجية ، فتتمثل في : اتحاد إرادة دعاة الإصلاح والعلاج ؛ لبعث الإسلام ، وتحرير البلاد ، ومواجهة جميع أعدائه دون هوادة .(٢)

هذا والقيادة المهدية تعطي عمالها في وظائفهم تفويضاً حاسماً ، وتحاسبهم على سلوكهم ، وتشاورهم في الأمر .(٣)

٤- الاتجاه الاقتصادي :

نادى دعاة المهدية بأن تكون الثروة الأساس في بيت المال ، وأن يكسب الناس عيشهم بالعمل الحلال وحده ، وللمال الذي يجمعونه حرمة ، ولا بد أن يراعوا أن المال مال الله ، استخلفهم فيه ، فلا يصرفونه إلا في المعروف ، وفي حال صرفه في غير وجه شرعي ، أو في المباهاة ، يجب رده إلى بيت المال بالقوة ، ويؤخذ عنوة .(٤)

---

(١) عبد الكريم الخطيب ، المهدي المنتظر ومن ينتظرونه ، ص : ١٦٣ .
(٢) الصادق المهدي ، يسألونك عن المهدية ، ص : ١٦٥ .
(٣) السابق ، الصفحة نفسها .
(٤) سعيد محمد حسن ، المهدية في الإسلام ، ص : ٩٢ .

فالمـــال عصب الحياة ، إلا أنه لا يستغل لاستعباد الإنســـان الذي أعزه الله وكرمه على سائر مخلوقاته ؛ إذ جعله قمة الكائنات الحية ، قـــال تعالـــى : (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾)[1] . فحينمـــا يكون المال في يد الإنسان ، فهو وسيلة للمساعدة على قضاء الحاجة ، فلا يصرف في الضلال، وسوء السبيل ، ومن قعد عن العمـــل والكسب ، بسبب عجز أو نحوه ، فبيت مال المسلمين يقوم بالإنفاق عليه وكفالتـــه .[2]

٥- الاتجاه الاجتماعي :

كانت إزالة مظاهر الترف والفساد منطلقًا رئيسًا للدعوة المهديـة ؛ فحاربت الخمر والدخان والفساد والجنس ، وغيرها من مسببـــــات الفســـاد ، ودعـت إلى تسهيل الزواج ، حتى لا تحول كثرة النفقـــات دونـه ، وحـتى لا يكون وسيلة لإتلاف أموال الناس ، التي هي مـــال الله ، الذي استخلفهم فيه ؛ ومن ثم جهدت الدعوة المهديـة فـــي محاربة العادات السودانية المستكرة .[3]

تلكم هي : أهم المنطلقات التي تمثل مبادئ الدعوة المهديـــة باتجاهاتها المختلفة ؛ سواء العقدية ، أم الفكرية ، أم الروحية ، أم السياسية ، أم الاجتماعية .

---

(١) سورة الإسراء ، آية : ٧٠ .
(٢) عبدالوهاب أحمد عبدالرحمن ، توشكي ، ص : ١٨ - ١٩ .
(٣) نعوم شقير ، تاريخ السودان ، ص : ٦٠٩ - ٦١١ .

وفي إطار هذه التوجهات دعا المهدي إلى تحرير وتوحيد الأقطار المسلمة ، فبعد أن استتب له الأمر في السودان وجّه الدعوة لخديو مصر وأهلها ، ولأهالي مراكش[١] ، ومالي[٢] ، وفاس ، وغيرها من البلاد ، وقد خاطب قبل ذلك السنوسي[٣] في ليبيا ، وحياتو بن سعيد بن عثمان

---

(١) هي : المدينة الثانية بالمملكة المغربية ، تقع في الداخل على نهر تنسيفت ، ينتهي عندها الخط الحديدي القادم من الدار البيضاء. أنشأها يوسف بن تاشفين ، سنة : ٤٥٠هـ - ١٠٦٢م . عاصمة دولة المرابطين ، أهم معالمها : مئذنة الكتيبة ، التي تم بناؤها سنة : ٥٩١هـ - ١١٩٥م ، كانت محطة تبدأ منها القوافل العابرة للصحراء.
أحمد عطية الله ، القاموس السياسي ، ص : ١٤٥ .
محمد شفيق غربال ، الموسوعة العربية الميسرة ، جـ : ٢ ، ص : ١٦٧٨ .

(٢) هي : إحدى جمهوريات أفريقيا الغربية ، ليس لها سواحل ، عاصمتها "باماكو" يجري في جنوبها الخصيب نهر السنغال ، والنيجر ، احتلتها فرنسا سنة : ١٣١٣هـ - ١٨٩٦م ، وعرفت باسم : السودان الفرنسي ، وانضمت للرابطة الفرنسية ، سنة : ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م . استقلت سنة : ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م ، وكونت مع جمهورية السنغال اتحاد مالي ، وقبلت عضواً بالأمم المتحدة ، ثم انضمت إلى منظمة الوحدة الأفريقية ، سنة : ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م ، ازدهرت مالي في العصور الوسطى حينما كانت دولة إسلامية أفريقية كبرى ، وما زال المسلمون معظم سكانها الآن .
أحمد عطية الله ، القاموس السياسي ، ص : ١٣٨٨ .
محمد شفيق غربال ، الموسوعة العربية الميسرة ، جـ : ٢ ، ص : ١٦٣٠ .

(٣) هو : محمد بن محمد بن علي ، الابن الأكبر للسنوسي الكبير ، ولد بالزاوية البيضاء ، سنة : ١٢٦٠هـ - ١٨٤٤م ، خلف أباه بعد موته ، قاد الحركة السنوسية وقويت في أيامه ، وتم على يديه انتشارها ، حتى بلغت الملايو شرقاً ، بينما تغلغلت في أنحاء السودان الشرقي والغربي والحبشة والصومال ، ولقيت إقبالاً في الشمال الأفريقي بأسره . نقل مركز الدعوة السنوسية من الجغبوب إلى الناج بواحة الكفرة ، ثم انتقل منها إلى جرو في إقليم واداي . حاول المهدي السوداني كسب تأييد السنوسيين ، بينما أثار هذا التطور مخاوف سلطان الخلافة الإسلامية =

في سكوتو ، وجاءه وفد من الأراضي المقدسة.[1]

وقد أرسل خطاباً إلى الخديو في القاهرة ، وهذا الخطاب يجمع المعاني التي خاطب بها المسلمين في كل مكان ، قال المهدي مخاطباً الخديو : " . . . وهكذا صارت جيوشك تأتيني ثلة بعد ثلة ، وأقدم لهم الإنذارات ولم تنفعهم ، والله يؤيدني وينصرني عليهم . . . ويقطع دابرهم إلى أن قلت حيلتك ، وتلاشى أمرك ، فسلمت أمر أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - لأعداء الله الإنجليز ، وأحللت لهم دماءهم وأموالهم ، وما كان يحسن بكم أن تتخذوا الكافرين أولياء من دون الله ، وتستعينوا بهم على سفك دماء أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - ، أفلم تسمع قول الله تعالى : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾)[2] . وقوله تعالى : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾)[3] . واعلم

= العثمانية السلطان عبدالحميد . توفي المهدي السنوسي بجرو ، سنة ١٣٢٠هـ - ١٩٠٢م .
أحمد عطية الله ، القاموس الإسلامي ، جـ : ٣ ، ص : ٥٣٢ .
الزركلي ، الأعلام ، جـ : ٧ ، ص : ٧٦ .

(١) الصادق المهدي ، يسألونك عن المهدية ، ص : ١٧٨ .
(٢) سورة المائدة ، آية : ٥١ .
(٣) سورة الممتحنة ، آية : ١ .

أن هذا الملك لم يصل إليك إلا بموت أو عزل من كان قبلك ، وهو خارج من يدك بمثل ما صار إليك ، فتدارك نفسك فيما ينجيك عند ربك ، إذا مثلت بين يديه ، وسألك عما جرى منك ، إياك والركون إلى قول علماء السوء الذين أسكرهم حب الجاه والمال ، حتى اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة ، فيهلكوك كما أهلكوا من قبلك ، وليكن في علمك أن أمرنا هذا ديني ، مبني على هدى من الله ، ونور من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ويؤيد من الله بجنود ظاهرين وباطنين ، وما قصدنا منه إلا إحياء دين الأنبياء والمرسلين ، ولا نريد من ذلك ملكاً لأحد ، ولا جاهاً ، ولا مالاً ، فإن نوّر الله بصيرتك ، وخالفت النفس الأمارة بالسوء ، وقبلت هدينا ، وأتيت إلى الله بنية خالصة ، فعليك أمان الله ورسوله ، وما بيننا إلا المحبة الخالصة لوجه الله تعالى ، فنكون نحن جميعنا يداً واحدة على إقامة الدين ، وإخراج أعداء الله من بلاد المسلمين ، وقطع دابرهم باستئصالهم من عند آخرهم ، إن لم ينيبوا إلى الله ويسلموا .

وقد حررت إليك هذا الكتاب وأنا بالخرطوم ، شفقة عليك ، وحرصاً على هدايتك ، فأرجو الله أن يشرح صدرك لقبوله ، ويدلك على صلاحك ورشادك في الدارين ، وها أنذا قادم إلى جهتك بجنود الله عن قريب - إن شاء الله تعالى - ، فإن أمر السودان قد انتهى ".[1]

وقبل ذلك أرسل المهدي الدعوة إلى محمد المهدي السنوسي أن يهاجر إلى السودان للعمل معه ، على إحياء الدين ، وتوحيد بلاد

---

(١) منشورات المهدية ، ص : ٢٠٨ .

المسلمين ، وذلك في شهر رجب ، سنة : ١٣٠٠هـ - الموافق : مايو ، سنة : ١٨٨٣م .[1]

ثالثاً : إصلاحات المهدي ومقاومته للاحتلال :

ومن باب الإنصاف والعدل : ألا نغمط المهدي حقه ، فيما أسداه من إصلاحات اجتماعية ، وما أدّاه من مقاومة عنيفة للاحتلال الصليبي الحاقد . . ذلك أنه كان يلمس المفارقات الواضحة في الدولة التي تحمل راية الإسلام ، وتدّعي أنها إسلامية ، ثم تفوّض غير المسلمين على حكم المسلمين ، مثل : جوردون الإنجليزي ، وجيسي الإيطالي ، وسلاطين النساوي ، وغيرهم .

كما أنها تسمح بالمجاهرة بالمفاسد ، فلا تحرّم البغاء ، وشرب الخمر ، بل يحدث ذلك تحت سمعها وبصرها ، وفي ظل حمايتها ، وهي مع ذلك ألغت الأحكام الشرعية ، فاستبدلت بها قوانين غير إسلامية ، فقد كان المهدي جالسًا مع قاضي الكدة ، فشكت امرأة للقاضي شخصًا شرب عندها خمرًا ولم يدفع الثمن ، فانتظر المهدي تطبيق القاضي لشرع الله في شارب الخمر وبائعها ، وقال : احكم يا قاضي بالإسلام ، فاعتذر القاضي بأن الأحكام التي طبه تطبيقها لا تشمل ذلك ، فخرج المهدي من مجلسه غاضبًا .[2]

---

(١) الصادق المهدي ، يسألونك عن المهدية ، ص : ١٧٩ .
(٢) عبد الوهاب أحمد عبد الرحمٰن ، توشكي ، دراسة تاريخية ، ص : ١٦ .

وقد دفعت هذه المفارقات المهدي ؛ لكي يجعل الإصلاح غاية من غايات دعوته ؛ ولذا كانت له إصلاحاته الاجتماعية الواضحة ؛

فقد أحدث المهدي ثورة حقيقية في السودان ، قضت على كثير من الرذائل الاجتماعية ، وحرّم شرب الخمر ، وقضى على الزنا والسرقة ، إلى غير ذلك من وجوه الإصلاح الاجتماعي .(١)

وفيما يأتي نص بيان نشره المهدي من مقره الجديد في دارالحكومة بالأبيض ، يبين لنا توجهاته الإصلاحية ؛ إذ يقول :

" توبوا جميعًا إلى الله ، وأقلعوا عن كل عادة سيئة مرذولة ، كأعمال الجسد المزرية ، وتعاطي الخمر ، والتبغ ، والكذب ، وشهادة الزور ، وعدم إطاعة الوالدين ، والسرقة ، وأكل حقوق الناس بغير حق ، والتصفيق والرقص ، والتغامز ، والبكاء والنواح على رأس الميت ، وفاحش القول ، والغيبة والنميمة ، وصحبة النساء الغريبات . . . واكسوا نساءكم ثياب الحشمة ، وأمروهن باجتناب محادثة من لا يعرفن ، وكل من لا يطيع هذه المبادئ خارج على طاعة الله ورسوله ، وسيعاقب وفقًا للشريعة الإسلامية . . . أدّوا الصلاة في أوقاتها ، وزكوا على أموالكم ، وأعطوا الزكاة لأميرنا الشيخ منصور (حاكم الأبيض الجديد) ؛ ليؤديها إلى بيت المال ، اعبدوا الله ، ولا تباغضوا ، وتعاونوا على البر والتقوى ".(٢)

---

(١) آلان مورهيد ، النيل الأبيض ، ص : ٢١٧ .
(٢) منشورات المهدية ، ص : ١٨٣ - ١٨٤ .
آلان مورهيد ، النيل الأبيض ، ص : ٢١٧ .

وقد جعلت المهدية من تقويم الفرد وإصلاحه بوصفه ذاتاً مستقلة الأداة الأساس لإحداث التغيير الاجتماعي الكلي ، الذي أرادت به إنشاء مجتمع مسلم في السودان ، أي : أنها اهتمت بالفرد أولاً[1] . ويتضح ذلك من نص البيعة التي كانت تؤخذ ممّن ينضمون للحركة ، إذ يقول النص: " بسم الله الرحمٰن الرحيم ، عاهدت الله ، وعاهدت الرسول ، وعاهدت المهدي على طاعتك ، وألا نشرك بالله شيئاً ، ولا نسرق ، ولا نزني ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتي ببهتان ، ولا نعصيك في معروف ، وترك الدنيا ، واختيار ما عند الله تعالى بنصرتك واتباعك ، بنفسي ، وما ملكته ".[2]

ومن الأهداف الاجتماعية الإصلاحية التي حرصت المهدية على تحقيقها في المجتمع المسلم السوداني مبدأ المساواة ، منطلقاً من قول الله سبحانه وتعالى : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾).[3] فلا نعمة إلا نعمة الدين ، ولا حسب ، ولا نسب إلا بالتقوى ، وكان مبدأ المساواة مطبقاً حتى بالنسبة للرقيق ، كما كان للمرأة - أيضاً - وضعها الموقر في المجتمع السوداني أيام المهدية ، إذ كانت المرأة في صفوف المجاهدين ، وقد حفظ

---

(١) د . جلال يحيى ، الثورة المهدية وأصول السياسة البريطانية في السودان ، ص : ٤٠ - ٤١ ، ط : القاهرة ، سنة : ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م .

(٢) منشورات المهدية ، ص : ١٠٩ .

(٣) سورة الحجرات ، آية : ١٣ .

لها التاريخ هذا العمل البارز في المعارك .[١]

أمّـــا في مجال مقاومة الاحتلال : فقد حرص المهدي على إحياء روح الجهاد في نفوس أتباعه ، وإذكاء هذه الروح ، نلحظ ذلك من بعض المنشورات التي كتبها ، ففي منشور كتبه سنة : ١٣٠٠هـ - ١٨٨٣م ، يقـــول : " فإني عزمت عليكم أن تتجردوا من الدنيا ، وتعرضوا عنها بالزهد فيهـــا اختياراً ، ليصير فعلكم هذا في زمانكم هذا سنّة حسنة للمتقدمين بكم ، فيكون لكم أجرها ، وأجر من عمل بها كما في الحديث ... فواجب عليكم أن تعطوا بذلك حسب ما ظننا بكم ، ولا تمسكوا شيئاً من أرزاق الدنيا ، لتكثروه وتدخروه ، بعد هذا الإنذار والبيان ، بل ابذلوها في الله ، وتجهزوا بها للجهـــاد في سبيله بجميع آلات الاستعداد ، لتكونوا دائماً على أهبة واستعداد لحرب الجهاد ، وليوم المعاد ".[٢]

وقـــال في منشور آخر في التاريخ نفسه : " وجاهدوا في سبيل الله ، واعلموا أن سيفاً سل في سبيل الله أفضل من عبادة سبعين سنة ".[٣]

وبهذه الروح قاوم المهدي الاحتلال الصليبي الإنجليزي بشكل لم يعهده المحتلون من قبل لدى الدول المسلمة الأخرى ، فقد التحم مع الإنجليز الكفرة في حملات عدة ، قتل فيها بعض قادتهم الكبار ، الذين وضعتهم

---

(١) د . جلال يحيى ، الثورة المهدية ، ص : ٤٢ .
(٢) منشورات المهدية ، ص : ٢١٣ .
نعوم شقير ، تاريخ السودان ، ص : ٦١١ - ٦١٢ .
(٣) منشورات المهدية ، ص : ٢١٥ .
الصادق المهدي ، يسألونك عن المهدية ، ص : ١٧٦ .

بريطانيا ، للتنكيل بالمسلمين ، ومن أهمهم : هكسي باشا[1] ، وجوردون باشا ، كما التحم مع الجيش المصري ، الذي كانت توجهه بريطانيا ، وخرج من كل هذه المعارك والحملات منتصراً هو ومن معه من الدراويش[2] ، حتى مَلَك الخرطوم[3] ، وسائر السودان ، وجعل عاصمته " أم درمان " ، وسنتناول بالتفصيل - إن شاء الله - انتصارات المهدي ومواقعه المشهورة ، لكن الذي

---

(١) هو : ضابط إنجليزي ، انتظم في الجيش الهندي ، سنة : ١٢٦٥هـ - ١٨٤٩م . شهد عدة وقائع حربية في الهند والحبشة . قدم إلى مصر سنة : ١٢٩٩هـ - ١٨٨٢م ، فعيّن رئيساً لأركان الجيش المصري ، ولمّا ألغي جيش عرابي وصدر الأمر بإرساله إلى السودان عيّن رئيس أركان حرب الجيش في السودان ، سنة : ١٣٠٠هـ - ١٨٨٣م . جرّد حملة على ودبر جوب ، الذي كان يشهر العصيان وهزمه ، وقام بحملة على كردفان مزوداً بالأسلحة والذخائر ، فهزمه المهديون ، وقتل في المعركة في الخامس من محرم ، سنة : ١٣٠١هـ - الموافق ٥ نوفمبر ، سنة : ١٨٨٣م .
نعوم شقير ، تاريخ السودان ، ص : ٧١٥ - ٧٢٥ .

(٢) عرف أتباع المهدي بالدراويش ، أي : الزّهاد الذين التفوا حول دعوته ، وقد سمّاهم بهذا الاسم الإنجليز وولاة الحكم العثماني ، لِمَا تحمله التسمية من التحقير والتصغير والازدراء . . أمّا المهدي : فسمّى أصحابه الأنصار .
الصادق المهدي ، يسألونك عن المهدية ، ص : ١٨٠ .

(٣) هي : مدينة بوسط جمهورية السودان على النيل شمال غربي الخرطوم ، ويربط بينهما جسر على النيل الأبيض . أكبر مدن السودان ، وعاصمته التجارية ، وسوق لكثير من منتجات السودان ، وبها دفن المهدي ، الذي اتخذها عاصمة لحكومته ، سنة : ١٣٠١هـ - ١٨٨٤م ، وحصلت معركة عندها عرفت باسم " معركة أم درمان " ، وهي الموقعة التي نشبت بين المهديين والجيش المصري ، وبعض الفرق الإنجليزية في سنة : ١٣١٦هـ - ١٨٩٨م ، وانتهت بسقوط أم درمان ، وفرار التعايشي .
أحمد عطية الله ، دائرة المعارف الحديثة ، ص : ٣٥ .
محمد شفيق غربال ، الموسوعة العربية الميسرة ، جـ : ٢ ، ص : ٢١٥ .

نريد أن نقرره هنا : أنه مهما يكن من أمر هذه الحملات الإنجليزية المصرية ، واتجاه كثير من الباحثين إلى التقليل في استعداداتها ، أو نقص عدتها وعتادها ،[1] فإن من الثابت : أن بريطانيا كانت منزعجة كل الانزعاج من المهدي الذي أيقظ روح الجهاد الإسلامي في نفوس أتباعه.[2]

رابعاً : تأثر المهدية بالحركات الإصلاحية :

قامت المهدية لتصحيح وضع سائد في السودان آنذاك ، وهي حركة إصلاحية تنشد الإصلاح بمستوياته المختلفة ، وتتوخى في ذلك الحرص على سلامة المنهاج والسداد فيما تبتغيه .

والحركات الإصلاحية - بطبيعة غايتها - كثيراً ما تتأثر ببعضها ؛ سواء في التنظيم ، أم في تلافي الأخطاء[3] .. ولقد تأثرت الحركة المهدية بالحركات الإصلاحية التي قامت في أماكن عدة من البلدان الإسلامية في آسيا وأفريقيا ، ولكن ربما يكون تأثرها شديداً بالحركات التي قامت في شمال أفريقيا ، وكذلك دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله - ، وهي أقدمها ، وسنتناول باختصار شديد تلك الحركات ومؤثراتها ، وأوجه الشبه :

* أولى تلك الحركات الإصلاحية ، هي : دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله - التي قامت في نجد بشبه الجزيرة العربية ، عندما ترك الناس

---

(١) عباس محمود العقاد ، الإسلام في القرن العشرين ، ص : ٧٢ ، ط : القاهرة .
(٢) إبراهيم الباحوث ، الحركة المهدية في السودان ، ص : ١٠١ .
(٣) السابق ، ص : ١٠٣ .

التوحيد ، واتجهوا للشرك بالله ، فكثرت الأضرحة ، وعبادتها ، بل أشركوا مع الله - تعالى - ، وأقفل باب الاجتهاد ، وكثرت البدع ، وعمَّ الظلم والجور والفساد ، ولذلك فدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب قد ركَّزت على إرساء العقيدة ، وفتح باب الاجتهاد ، فكثرت مؤلفاته في التوحيد والعقيدة.(١)

وقد انتشرت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله - في أكثر البلدان الإسلامية ، وذلك لأن موسم الحج كان الأرض الخصبة لنشر الدعوة ، وميداناً صالحاً لذلك ، وبخاصة استمالة أكابر الحجاج ، ليكونوا خير سفراء في بلدهم ، فيقوموا بالدعوة في مواطنيهم ، إضافة إلى سلامة اتجاه دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب العقدي.(٢)

ووجه الشبه(٣) : في أن الحركتين قامتا من أجل الإصلاح الديني ، والقضاء على الفساد والظلم ، والذي حاول القضاء على الحركتين هم : ولاة الأتراك العثمانيون في مصر .

---

(١) د . عبدالودود شلبي ، الأصول الفكرية لحركة المهدي السوداني ، ص : ٧١ .

(٢) السابق ، الصفحة نفسها .

(٣) إن كان هناك أوجه شبه بين الحركة المهدية ، ودعوة الشيخ محمد ابن عبدالوهاب - رحمه الله - فإن هناك تبايناً جذرياً في التوجه العقدي ، فالمهدية حركة صوفية بكل ما تحمله الكلمة من دلالة ومعنى ، بينما دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله - دعوة لتنقية العقيدة من شوائب شتى ، منها : شائبة الفكر الصوفي ، وغيره من صور البدع ، والإحداث في دين الله سبحانه وتعالى .

* أمّـــا ثانية هذه الحركات ، فهي : الحركة السنوسية ، ومؤسسها هو: محمد بن علي السنوسي الخطابي الإدريسي ، الذي تنقل في بلدان إسلاميـــة كثيرة ، منها : الحجاز ، اليمن ، الجزائر ، واستقر في الصحراء الليبيـــة ، وبدأ حركته الإصلاحية هناك.(١)

وقد اختار مكان إقامته " واحة جغبوب " ، وبنى بها مسجداً ومدرســة للعلوم الدينية ، بعيداً عن متناول أيدي الحكومة ، ثم بدأ نشاطه ببناء الزوايا.(٢)

ومع أن السنوسية في أول أمرها كانت حركة إصلاحية قامت لتحريـــر ليبيا من براثن الاحتلال الصليبي ، إلا أنها إلى جانب ذلك أصبحت حركة لنشر تعاليم الدعوة الإسلامية ، فدخلت عدة قبائل أفريقية في الإسلام بسببها ، إلا أن التصوف قد غلب على بعض تعاليمها.(٣)

* وثالثة هذه الحركات التي تأثرت بها الحركة المهدية ، هي : حركـــة جمال الدين الأفغاني(٤) الفكرية ، وقد تجوّل جمـــال الدين الأفغاني في

---

(١) الصادق المهدي ، يسألونك عن المهدية ، ص : ١١١ .

(٢) الزوايا : عبارة عن مسجد ، ومدرسة لتحفيظ القرآن الكريم ، ومساكـــن لطلاب العلم ، ومكتبة ، إلى غير ذلك من المرافق الضرورية.
الصادق المهدي ، يسألونك عن المهدية ، ص : ١١٢ .

(٣) الصادق المهدي ، يسألونك عن المهدية ، ص : ١١٤ .
إبراهيم الباحوث ، الحركة المهدية في السودان ، ص : ١٠٤ .

(٤) هو : جمال الدين محمد بن صفدر الحسيني الأفغاني ، ولد ببلـــدة " أسعد أباد " بأفغانستان ، سنة : ١٢٥٤هـ - ١٨٣٩م ، وانتقل منها إلى كابل ، ودرس اللغتين : الفارسية والعربية ، وأصول الدين . ارتحل بعد ذلك إلى الهند ودرس بها علوم الطبيعيات ، وغيرها ، وزار إيران =

أغلب البلدان الإسلامية ، وكانت أخصب أيامه ، هي ؛ فترة إقامته بالقاهـــرة ، منذ سنة : ١٢٩١هـ - حتى سنة : ١٢٩٩هـ - الموافق : ١٨٧١م - ١٨٧٩م ؛ وذلك قبل إجباره على الرحيل منها .(١)

وقد كان المهدي في حركته الإصلاحية متأثراً ببعض الحركات الإصلاحية الإسلامية التي ذكرناها ، فتأثر بأسلوب الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله - في القوة على الأعداء ، واتبع طريقة السنوسية في الهجرة مـــن دار الحرب إلى دار السلام ، كمـــا أن هناك تطابقاً في الأهداف بين المهدية والسنوسية ؛ فلقد كان هدف المهديين في السودان والسنوسيين في ليبيـــا توحيد صفوف الأمة المسلمة ، ويتضح ذلك من خلال سيرتهم ، علمـــاً بـــأن

= والحجاز ، واستانبول ، وحضر إلى القاهرة وأقام بها ، واتصل بعلمـــاء الأزهر ، وزعماء الحركة الوطنية ، وتصدّر الدعوة إلى الإصلاح ، والتجديد في التفكير . أجبر على ترك مصر إلى الهند في سنة : ١٢٩٩هـ-١٨٧٩م ، ثم انتقل إلى فرنسا في سنة : ١٣٠٠هـ - ١٨٨٣م ؛ إذ أصدر مع محمد عبده مجلة (العروة الوثقى) ؛ لإيقاظ المسلمين ، ومهاجمة الاحتلال ، وبيان أخطاره ، والدعوة إلى الجهاد . انتقل إلى بطرسبرج في سنـــة : ١٣٠٣هـ - ١٨٨٦م ، وأقام بها ثلاث سنوات ، وقام بجولة زار فيهـــا طهران ، واشترك في حركة إصلاحية ، فاتهم بإثارة الرأي العام ، فنفـي منها إلى البصرة ، فذهب إلى أوربا ، وأصدر من لندن (ضياء الخافقين) وارتحل إلى استانبول بدعوة من السلطان العثماني ، ولكنه لم يلبـــث أن أصيب بمرض السرطان ، فتوفي سنة : ١٣١٤هـ - ١٨٩٧م .
زكي مجاهد ، الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجريـــــة ، جـ : ١ ، ص : ١٥٤ ، رقم الترجمة : ٤٧٣ .
أحمد عطية الله ، القاموس الإسلامي ، جـ : ١ ، ص : ٦٢٨ .
عبدالوهاب الكيالي ، الموسوعة السياسية ، جـ : ١ ، ص : ٢٣١ .
الزركلي ، الأعلام ، جـ : ٦ ، ص : ١٦٨ .

(١) د . علي حسن الخربوطلي ، تاريخ العالم الإسلامي ، ص : ٢٢٤ .

المهدي لم يخف إعجابه الشديد بمحمد السنوسي.[1]

* وقد تأثرت المهدية - إضافة إلى ما سبق - بالثورة العرابية[2]، التي قامت قبل الحركة المهدية بزمن يسير[3]؛ بل إن الثورة العرابية في مصر، كانت هي العامل الرئيس الذي أدى إلى إشعال الحركة، وإلى قيام المهدي ضد الحكومة والسلطة في ذلك الوقت[4]، ولعل ذلك يرجع إلى ما يأتي:

١- أن الحركة المهدية قامت بعد أشهر قليلة من الثورة العرابية.

٢- أن الأسباب التي أدت إلى قيام الثورة العرابية قريبة من الأسباب التي أدت إلى قيام الثورة المهدية.

٣- أن الثورة كانت على نظام الحكم نفسه بمساوئه المعروفة في مصر والسودان.

---

(١) إبراهيم الباحوث، الحركة المهدية في السودان، ص: ١٠٤.

(٢) هي: حركة قومية مصرية، اتخذت في مراحلها الأخيرة طابعاً عسكرياً، أصبح غالباً طابعها، لأنه اقترن بالاحتلال البريطاني لمصر، وقد اشتق اسمها من مفجرها أحمد عرابي باشا. استهدفت إقامة حياة نيابية دستورية في البلاد. بدأت جولتها التي كسبها عرابي ضد الخديو توفيق فيما يعرف بحادثي: قصر النيل، وعابدين، وفي: ١٦ من شهر ربيع الأول سنة: ١٢٩٩هـ - الموافق: ٤ فبراير، سنة: ١٨٨٢م، ألف محمود سامي البارودي وزارة الثورة، وفيها عرابي وزيراً للجهادية والبحرية، وأصدرت الوزارة اللائحة الأساس، متضمنة مبدأ المسئولية الوزارية أمام مجلس النواب، وحق المجلس في إقرار الميزانية. تعرضت الثورة للتآمر داخلياً وخارجياً، وانتهت بتدخل بريطانيا، وضرب أسطولها للاسكندرية، ونشوب الحرب بين مصر وبريطانيا، وهزيمة الجيش المصري في معركة "التل الكبير"، واحتلال القاهرة في: ٣ من شهر ذي القعدة، سنة: ١٢٩٩هـ - الموافق: ١٥ سبتمبر، سنة: ١٨٨٢م.
أحمد عطية الله، القاموس الإسلامي، جـ: ٥، ص: ٣١٣-٣١٦.
د. حسين سعيد، الموسوعة الثقافية، ص: ٣٢٦.

(٣) إبراهيم الباحوث، الحركة المهدية في السودان، ص: ١٠٤.

(٤) د. عبد الودود شلبي، الأصول الفكرية لحركة المهدي السوداني، ص: ١٥.

٤- يقـــال : إن الفتوى التي أصدرها علماء الأزهر في ذلك الوقـــت بخروج الخديو من الإسلام ؛ بسبب خيانته ، وانحيازه إلى الجيـــش البريطاني ، قدمت إلى المهدي ، وجعلها حجة كبيرة ؛ لتضفي الصبغة الدينية على حركته ضد سلطي هذا الحاكم ونوابه في القطر السوداني .

٥- إن الجيش المصري الذي كان معدًّا للقضاء على الحركة المهديـــة ، كان مشغولاً في القاهرة بحربه ضد الإنجليز والخديو ، فلمَّـا فشلـــت الثورة العرابية ، وسيطر الإنجليز على مقاليد الحكم في القاهرة ، أرسل الخديو فرقًا من الجيش بقيادة الإنجليز لإخماد الثورة المهديـــة ، وكان هناك اعتقاد سائد بين الجند : أنهم لم يرسلوا إلى الســـودان إلا لقتلهم ، والتخلص منهم ، فأصبح الضباط والجنود المصريون يفرون بأسلحتهم وعتادهم إلى صفوف المهدي.[1]

ولم يكن السودان بعيدًا عن الأحداث التي وقعت في مصر ، فقـــد كانت الفرقة السودانية في الجيش المصري في مقدمة الفرق الثائرة ، وكـان قائدها الأميرلاي عبدالقادر حلمي[2] ـ أحـد زعماء الثورة العرابيـــة ـ

---

(١) السابق ، ص : ١٥ - ١٦ .

(٢) هو : ضابط مصري ، تركي الأصل . ولد في حمص ، ســـنة : ١٢٥٣هـ - ١٨٣٧م ، وتلقى العلم في مصر ، ثم بالمدرسة الحربية بدمشق ، وأرسل إلى فيينا ؛ لتلقي العلوم العسكرية . التحق بالجيش المصري ، ووصـل إلى رتبة لواء . عيّن ناظرًا لديوان السودان ، ســـنة : ١٢٩٩هـ - ١٨٨٢م ، فحاكمًا عامًّا له . اشترك في الحرب السودانية ضد قـــوات المهدي . أحيل على التقاعد ، سنة : ١٣٠٠هـ - ١٨٨٣م . عيّن وزيـرًا للحربية والبحرية ، سنة : ١٣٠١هـ - ١٨٨٤م . توفي سنة : ١٣٢٦هـ - ١٩٠٨م .
محمد شفيق غربال ، الموسوعة العربية الميسرة ، جـ : ٢ ، ص : ١١٨٤ .

فكان الضباط السودانيون مؤيدين ومساندين للحركة المهدية في القاهرة، إضافة إلى انضمام معظم أعضاء ثورة عرابي[١] المنفيين في السودان إلى المهدي، فكان لهم تأثير في نشاط الثورة المهدية.[٢]

لذلك نجد أن الثورة العرابية كان لها أثر بارز في الحركة المهدية، فهي التي أعطت المهدي الإشارة، وفتحت أمامه الطريق إلى القيام بحركته، وألهبت حماس السودانيين لنصرته.[٣]

---

(١) هو: أحمد عرابي بن محمد عرابي بن محمد وافي، عسكري وسياسي مصري، تنسب إليه الثورة العرابية. ولد بقرية "هرية رزنة" من نواحي الزقازيق، محافظة الشرقية، سنة: ١٢٥٧هـ - ١٨٤١م، درس في الأزهر، ثم انتظم جنديًا في الجيش، وبلغ رتبة الأمير لاي في عهد الخديو توفيق، ثم لواء. عين ناظرًا للحربية في وزارة محمود سامي البارودي. تزعم ثورة الجيش المصري، سنة: ١٢٩٩هـ - ١٨٨٢م للقضاء على النفوذ الأجنبي في البلاد، ثم قاد الجيش ضد قوات بريطانيا، إلا أنه هزم في "التل الكبير" من السنة نفسها، ودخل الإنجليز القاهرة، وأحيل عرابي وأنصاره إلى المحاكمة، وحكم عليه بالإعدام، ثم خفف الحكم للنفي إلى جزيرة "سيلان". عاد إلى مصر، سنة: ١٣١٩هـ - ١٩٠١م؛ إذ قضى فيها بقية حياته، حتى توفي سنة: ١٣٢٩هـ - ١٩١١م.
عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، جـ: ١، ص: ١٠٠.
أحمد عطية الله، القاموس السياسي، ص: ٩٧٩.
محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة، جـ: ١، ص: ٦١.
الزركلي، الأعلام، جـ: ١، ص: ١٦٨.

(٢) د. عبد الودود شلبي، الأصول الفكرية لحركة المهدي السوداني، ص: ١٣٨ - ١٣٩.

(٣) عصمت حسن زلفو، كررى، ص: ٨١، ط: الثانية، مكتبة التمدن الحديثة، بالخرطوم.

وقد أمر المهدي أتباعه بعدم قتل جوردون ، وأوصاهم قائـــلاً : " الغوردون يا إخواننـا لا تقتلوه ، بل اقبضوا عليه حيًا ، وأحضروه إلينـا ، لأن فيه فائدة عظيمة ، فإننـا نريد أن نسلمه لأهله ، ونفدي به رجلـين عظيمين همـا : الزبير ، وعرابي ".(١)

تـلك هي أهم الحركات التي تأثرت بها الحركة المهدية في انطلاقاتها في أرجاء السودان .

خامسًا : انتصارات المهـدي ومواقعه المشهورة :

بدأت الدعوة إلى المهدية تأخذ طابع الجدية ، عندما أعلن محمـد أحمد المهدي عنها ، وذلك في جزيرة " أبـا "(٢) في أول شهر شعبـان ، سنة : ١٢٩٨هـ - الموافق : يونيـو ، سنـة : ١٨٨١م ، وبدأ بإرسـال

---

(١) السابق ، الصفحة نفسها .
د . فاطمة علم الدين عبد الواحد ، التطورات الاجتماعية في الريف المصري قبل ثورة : ١٩١٩م ، ص : ٧٥ ، ط : مطابع الهيئة المصرية العامـة للكتاب ، بالقاهرة ، سنة : ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

(٢) هي : جزيرة على النيل الأبيض ، تبعد عن الخرطوم جنوبًا بحوالـي أربعين وماءتي كيلو متر ، وإلى الشمال من مدينة كوستي . اشتهر أمرهـا إبّان الثورة المهدية في السودان ، بعد أن اتخذها المهدي محمـد أحمد مقرًا له ، سنة : ١٢٨٨هـ - ١٨٧١م ، وبنى بها مسجدًا وخلـوة ، وبدأ يبث منها دعوته ، فتوافد المريدون على الجزيرة ، وفشلت الحكومة في الحملة التي أرسلتها إلى الجزيرة ، للقبض عليه ، سنة : ١٢٩٨هـ - ١٨٨١م ، وعرفت باسم (وقعة أبا) ، بعدها هجرها المهدي إلـى جبل قدير .
أحمد عطية الله ، القاموس الإسلامي ، جـ : ١ ، ص : ٥ .

منشوراته إلى كل مكان[١]. وقد أرسل إلى محمد رءوف باشا[٢] - حاكم السودان - وطلب منه مبايعته ، وأرسل محمد رءوف باشا أحد معاونيه ويدعى أبوالسعود ؛ وذلك للصلة الطيبة بين أبي السعود وأخي المهدي[٣]، فلم يستطع أن يثني المهدي عن دعوته ؛ ممّا اضطر حاكم السودان لإرسال حملة إلى جزيرة أبا مكونة من : مائتي جندي ، وبعض الضباط تحت إشراف أبي السعود[٤].

وقد واجه المهدي وأتباعه هذه القوة بالرماح والسيوف والحجارة ، وكانت تلك الواقعة في مساء ١٦ - ١٧ من شهر رمضان ، سنة : ١٢٩٨هـ - الموافق : ١١- ١٢ من شهر أغسطس ، سنة : ١٨٨١م ، وكانت أول هزيمة للقوات الحكومية المدججة بالسلاح ، وأول انتصار عسكري للمهدي ، وقد شعر

---

(١) د . زاهر رياض ، السودان المعاصر منذ الفتح المصري ، وحتى الاستقلال (١٨٢١ - ١٩٥٣م) ، ص : ١٠٤ ، ط : الانجلو المصرية ، بالقاهرة .

(٢) هو : قائد مصري ، تدرّج في المناصب العسكرية ، التحق ببعثة صموئيل بيكر ؛ لمطاردة تجار الرقيق بمديرية خط الاستواء . عيّن حكمدار للسودان ، سنة : ١٢٩١هـ-١٨٧٤م ، دخل هرر على رأس القوات المصرية ، سنة : ١٢٩٢هـ - ١٨٧٥م ، وضم إقليمها لمصر ، وعيّن حاكماً له . أعيد لمنصب حاكم السودان خلفاً لجوردون باشا ، ووافق تنصيبه نشوب الثورة المهدية ، التي هزمت تجريدتين ، أرسلهما للقضاء عليها . عزل وخلفه عبد القادر حلمي باشا . اختير رءوف باشا رئيساً للمحكمة العسكرية ، التي تولت محاكمة العرابيين ، عين ناظراً لديوان الأوقاف . توفي سنة : ١٣٠٥هـ - ١٨٨٨م.
أحمد عطية الله ، القاموس الإسلامي ، جـ : ٢ ، ص : ٦٠٩ .
محمد شفيق غربال ، الموسوعة العربية الميسرة ، جـ : ٢ ، ص : ١٦٦٠ .

(٣) د . زاهر رياض ، السودان المعاصر ، ص : ١٠٤ .

(٤) ضرار صالح ضرار ، تاريخ السودان الحديث ، ص : ١١٠ .

المهدي بفحولة الموقف في المستقبل القريب ، فلا بد من موقف يعضده ، ويقوي قبضته ، فأمر أتباعه بالهجرة إلى جبل " ساسا " بالقرب من جبل " قدير " في جبال النوبة بجنوب كردفان .(١)

وفي الطريق إلى معقله الجديد زاد تابعوه ، إذ كان ينشر دعوته وهو في طريقه إلى المهجر ، وبايعه الكثيرون على الجهاد في سبيل الله ، ووصل إلى جبل قدير بقواته وأتباعه .(٢)

سمع محمد سعيد - مدير مديرية كردفان - بوصول المهدي ، فأراد أن يقضي عليه قبل استفحال أمره ، ووصل قريبًا من جبل قدير بجنوده ، وقد أتعبهم السير فناموا ، وفي الليل أفزعتهم أصوات الطلقات النارية التي كان يطلقها أصحاب الملك آدم(٣) ، فخاف محمد سعيد من الهزيمة ، فآثر الرجوع إلى الأبيّض ، وعاد مسرعًا فكان لتراجعه أثر كبير ، إذ عدّه المهدي وأنصاره نصرًا ، وتقاطر عليه الأنصار من كل مكان .(٤) وانتشرت أخبار

---

(١) مكي شبيكة ، السودان والثورة المهدية ، جـ : ٢ ، ص : ٢٨ ، ط : الأولى ، مطبعة جامعة الخرطوم ، سنة : ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م . الناشر: دار جامعة الخرطوم .

(٢) محمد سعيد القدال ، المهدية والحبشة ، (دراسة في السياسة الداخلية والخارجية لدولة المهدية) ، ص : ٢٣ ، ط : الأولى ، دار الطباعة ، ودار التأليف والترجمة والنشر ، وجامعة الخرطوم ، سنة : ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م . الناشر : دار التأليف والترجمة والنشر ، جامعة الخرطوم.

(٣) هو : دوبالو ملك تقلا في كردفان ، وكان قد سبق للمهدي أن عقد معه معاهدة قبل ثورته ، حينما زار الأبيّض .
ضرار صالح ضرار ، تاريخ السودان الحديث ، ص : ١١٥ .

(٤) إسماعيل عبد القادر الكردفاني ، سعادة المستهدي بسيرة الإمام المهدي ، ص : ٢١ ، تحقيق : د . محمد إبراهيم أبو سليم ، ط : الأولى ، سنة : ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م ، بتصرف واختصار.

انتصارات المهدي ، وزاد تابعوه ، ووصول المهدي إلى كردفان ، أصبح بعيداً عن قبضة الخرطوم ، ولكنه صار قريباً إلى حامية " فاشودة "[(١)]، التي كان مديرها في ذلك الوقت راشد بك أيمن[(٢)].

واقعة راشد (١٦/١/١٢٩٩هـ - ٩/١٢/١٨٨١م) :

أراد راشد بك أيمن - مدير فاشودة - الذي كانت تتبعه جبال النوبة، التي لجأ إليها المهدي إثبات وجوده ، وذلك بالقضاء على المهدي، خصوصاً أنه علم بسوء حال الأنصار ، وما أصابهم من مرض وإعياء من جراء السفر، فقرر أن يباغتهم ، فخرج من فاشودة ومعه عشرون وأربعمائة من الجنود ، ويعاونه ألف رجل من القبائل ، وأخفى خبر تقدمه حتى اقترب من " قدير " ، وهناك رأته رابحة الكنانية[(٣)] ، فأبلغت المهدي بقدوم جيش راشد ، فاستعد له

---

(١) هي : بلدة تقع على النيل الأبيض جنوب الخرطوم ، وشمال غرب مدينة سلكال بمديرية بحر الغزال ، كانت في الأصل عاصمة ملك الشلك، استولت عليها القوات المصرية ، سنة : ١٢٨٨هـ - ١٨٧١م ، اشتهر أمرها في سنة : ١٣١٦هـ - ١٨٩٨م بالحادث المعروف بحادث فاشودة الذي سبّب أزمة دبلوماسية خطيرة بين فرنسا وانجلترا . وفي سنة : ١٣٢٢هـ - ١٩٠٤م غيّرت الإدارة الإنجليزية بالسودان اسم " فاشودة" وسمتها " كدوك ".
التيجاني عامر ، جنوب السودان ، ص : ٥٤ - ٥٥ .
أحمد عطية الله ، دائرة المعارف الحديثة ، ص : ٤٥٢ .
د . حسين سعيد ، الموسوعة الثقافية ، ص : ٧٠٢، ٨١٩ .

(٢) علي حسن عبدالله ، الحكم والإدارة في السودان ، ٣٠ .

(٣) هي : رابحة الكنانية ، امرأة من كردفان ، تأثرت بالمهدي، ولذا جرت طوال الليل والنهار، حتى تنبئ المهدي بقدوم جيش راشد بك، فأخذ المهدي الحيطة والحذر لجيش راشد بك ، الذي هزمه المهدي .
عصمت حسن زلفو ، كردفان ، ص : ٥٠ .

وهزمه ، وقتل راشد في تلك الحملة ، واستولت قوات المهدي على عدد كبير من البنادق والذخيرة ، وشعرت الحكومة بضعفها ، وبعث الحكمدار يطلب المدد والقوات من مصر ، فأرسل إليه المدد حتى كان تحت إمرته بالسودان أربعون ألف جندي ، وأكثر من مائة ألف بندقية ، وعدد من المدافع ، بينما قوات المهدي في ذلك الوقت حوالي ثمانية آلاف مقاتل معهم أقل من أربعمائة بندقية ، لا يعرف المهديون استخدامها.(١)

واقعة الشلالي (١٣ / ٧ / ١٢٩٩هـ - ٣٠ / ٥ / ١٨٨٢م) :

ورد فعل لهزيمة حملة راشد ، وصل للمهدي بأن الحكومة تعد العدة لقتاله ، وفي ذلك الوقت انضم إلى المهدي رجل صار من أشهر قادة المهدية العسكريين ، هو : حمدان أبو عنجة.(٢) وقد أعدّ جيفلر باشا - وكيل حاكم السودان - العدة بإسناد قوة من ستمائة مقاتل بقيادة يوسف باشا الشلالي(٣) ، فخرج الجيش من الخرطوم في ٢٥ من شهر ربيع الثاني ، سنة : ١٢٩٩هـ - الموافق ١٥ من شهر مارس ، سنة : ١٨٨٢م ، وقصد جبل قدير ، وفي

---

(١) سلاطين باشا ، السيف والنار في السودان ، ص : ٥٢ - ٥٣ . تعريب : جريدة البلاغ ، ط : مكتبة الحرية ، بأم درمان ، سنة : ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م .

(٢) السابق ، ص : ٥٣ .

(٣) هو : أحد الموظفين المصريين ، الذين عرفوا السودان معرفة تامة ، لخدمته الطويلة بها ، وكان يشتهر بالعنف والقسوة ، واضطراب النفسية .
ضرار صالح ضرار ، تاريخ السودان الحديث ، ص : ١١٨ .

الطريق وصل رسل المهدي إلى الشلالي ، فقبض عليهم ، وأمر بتمزيقهم إربًا إربًا ، وصبر الرجلان على تلك الميتة الشنيعة ، وهم يكبران الله ـ تعالى ـ بكل شجاعة ، إلى أن فاضت روحاهما ، وكان لهذه القسوة أثرها العكسي في نفوس الجند ، فقد رأوا صدق عزيمة الرسولين ، وقوة عقيدتهما ، بينما شعروا بضعف أهدافهم ، ولمّا وصل الشلالي إلى جبل " قدير " ، واتخذ موقعه ، أمر جنوده بإقامة " زريبة " كبيرة ، ليبيتوا فيها ليلتهم ، ولم ينتهوا منها إلا بعد منتصف الليل ، فناموا مطمئنين بعد أن أخذ التعب مأخذه منهم (١).

وكانت طلائع المهدي ترقب الموقف ، وعادت مسرعة لتخبره بما رأت ، فاستعد للهجوم ، وقبل انبثاق الفجر جمع المهدي قواته ، وقسمهم أربعة أقسام ، كل قسم يواجه جانبًا من الزريبة ، وحوطت الزريبة من الجهات الأربع ، وانتظروا حتى طلوع الفجر ، فهجموا هجمة واحدة ، وانتهت الموقعة بالقضاء على الحملة في ١٢ من شهر رجب ، سنة : ١٢٩٩هـ ـ الموافق : ٣٠ من شهر مايو ، سنة : ١٨٨١ م . وخرج المهدي من تلك المعركة متوجًا بأكليل الغار ، ممّا زاد من أنصاره ، وأشعل الحماس فيهم (٢).

وبانتهاء حملة الشلالي تزايد أتباع المهدي وأشياعه ، وصدّق به

---

(١) قرشي محمد حسن ، من مجالس الإمام المهدي ، ص : ١٣ ، سلسلة تراث المهدية ، الكتاب الخامس ، بتصرف .

(٢) نعوم شقير ، تاريخ السودان ، ص : ٢٤٢ - ٢٤٨ .

من تردّد في أمره قبل الحملة ، وبذلك أصبحت منطقة كردفان - في مجملها - تدين لحكم المهدي ، كما أن أنباء الانتصارات قد بلغت القاصي والداني ، فاتجه الناس إلى كردفان ، يقصدون مبايعة المهدي ، وأخذت الثورة تنشب في بعض أنحاء السودان ؛ لتأييد المهدي ضد الحكومة .(١)

تصدير الثورة لأرجاء السودان :

كان المهدي معروفًا عن كثب ، عرف عنه أهل جزيرة " أبا " النسك والتقوى والورع والاستقامة والشجاعة ، وكان أهل الجزيرة توّاقين للحرية ، ودرء المظالم ، إضافة إلى تعلقهم بكل توجه ديني ، فكانت الثورة ، وكان يدعمها علماء الدين ، فهم ليسوا لصوصًا أو قطاع طرق - كما ذكر نعوم شقير(٢) ،

---

(١) ضرار صالح ضرار ، تاريخ السودان الحديث ، ص : ١١٩ .

(٢) نعوم شقير ، تاريخ السودان ، ص : ٢٤٤ .
ونعوم شقير ، هو : نعوم شقير بن بشارة بن نقولا بن ظاهر شقير ، من أسرة شقير الأرثوذكسيين . ولد سنة : ١٢٨٠هـ - ١٨٦٤م ، في الشويفات بلبنان ، ونشأ بها . عيّن في حملة إنقاذ جوردون في السودان ، ثم نقل إلى قلم مخابرات الجيش بالسودان ، وشهد كثيرًا من الوقائع الحربية التي حدثت آنذاك ، ثم عيّن مديرًا لقسم التاريخ في وكالة حكومة السودان ، كان من المشتغلين في العلم والأدب والتاريخ ، وكان يرأس جمعية القديس جاورجيوس التنصيرية ، والمسماة بالخيرية . له : مؤلفات تاريخية ، منها : " تاريخ السودان القديم والحديث " ، و " تاريخ سيناء القديم والحديث " ، و " تاريخ اليمن " ، و " مرآة الأيام في مصر والسودان " . توفي سنة : ١٣٤٠هـ - ١٩٢٢م .
زكي محمد مجاهد ، الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية ، ص : ٢٥٨ .
سركيس ، معجم المطبوعات ، ص : ١٤٥ .
الزركلي ، الأعلام ، جـ : ٨ ، ص : ٣٩ .

وأنور الجندي[١] ، وأحمد محمد جمال[٢] - ، كما أنهم ليسوا من تجار الرقيق[٣] .

وقد عمل المهدي على إذكاء وإشعال الثورة في كل مكان في السودان ، وكان شعاره : الجهاد في سبيل الله ، فثارت قبائل الحمر ، والبديرية ،

---

(١) أنور الجندي ، الإسلامية نظام مجتمع ومنهج حياة ، ص : ١٢١ ، ط : دار الاعتصام ، سنة : ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، الناشر : دار النصر للطباعة الإسلامية ، بالقاهرة .
وأنور الجندي ، هو : كاتب إسلامي ، مصري معاصر ، ما زال على قيد الحياة ، متحمس لبيان مزايا الإسلام والدفاع عنه ، والرد على خصومه . تخصص في دراسة الأدب العربي منذ فجر النهضة الحديثة .
له : مؤلفات عديدة .
محمود مهدي الاستانبولي ، طه حسين في ميزان العلماء والأدباء ، ص : ٧١ - ٧٢ . ط : الأولى ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ودمشق ، سنة : ١٤٠٢هـ - ١٩٨٣م .

(٢) أحمد جمال ، مفتريات على الإسلام ، ص : ١٦٤ .
وأحمد محمد جمال ، هو : الكاتب الإسلامي ، المعروف بآثاره المتصلة ، وعضو مجلس الشورى بمكة المكرمة . ولد بمكة ، سنة : ١٣٤٣هـ - ١٩٢٤م ، بدأ دراسته في المعهد العلمي السعودي بمكة ، والتمس المعرفة من أربابها ، فتلقى التفسير عن السيد علوي مالكي ، واقتبس من أفكار الإمام الشهيد حسن البنا - رحمه الله - ، عكف على دراسة الثقافة الإسلامية .
له : كثير من المقالات والأبحاث والمؤلفات . ومن مؤلفاته : " على مائدة القرآن " ، و " مفتريات على الإسلام " ، و " محاضرات في الثقافة الإسلامية " ، و " نحو سياسة عربية صريحة " ، وكتاب عن المرأة بعنوان " مكانك تحمدي " ، وله ديوان شعر باسم " الطلائع " .
محمد المجذوب ، علماء ومفكرون عرفتهم ، ص : ١١ - ٢٣ ، ط : دار النفائس ، بيروت ، سنة : ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .

(٣) ضرار صالح ضرار ، تاريخ السودان الحديث ، ص : ١٢٠ .

والحوازمة ، والجوامعة ، وغيرهما ، وهاجموا المدن والقرى التي بها قوات حكومية ، ثم حاصروا مدينة " بارة "[1] ، وهي ثانية مدن كردفان من حيث الأهمية[2]. ثم عبّأ المهدي جيشه قاصداً الأبيّض في شهر شعبان ، سنة : ١٢٩٩هـ - الموافق : يوليو ، سنة : ١٨٨٢م للقضاء على القوات التركية المصرية ، وأرسل المهدي رسولين للمدير محمد سعيد باشا ، الذي أعدمهما شنقاً ، ولم تكن الأمور داخل الأبيّض تسير بحالة طبعية ؛ إذ كان للمهدي بعض المؤيدين ، وعلى رأسهم : مديرها السابق " إلياس باشا " وقد انضم للمهدي في نفس اليوم الذي شنق فيه رسولا المهدي ، وكان المهدي معززاً بجيش كبير يقدّر بمائة ألف جندي يحملون السلاح الأبيض ، ولأول مرة يأمرهم المهدي باستعمال الأسلحة النارية التي استولى عليها في معاركه السابقة ، فاستخدمها ضد المصريين وولاة الأتراك ، فقلبت الموازين لصالحه[3].

وبإرادة من الله ومشيئته يشتبك الجيش المصري مع الإنجليز ، وتهزم القوات العرابية في هذه الأثناء.

وكانت الأبيّض حصناً منيعاً فيه حامية كبيرة ، وفي ٢٤ من شهر شوال ،

---

(١) هي : بلدة جيدة التربة ، غزيرة المطر ، على بعد أربعين ميلاً إلى الشمال من الأبيّض . سقطت بيد المهدي قبل الأبيّض بقليل ، وعادت الحكومة إليها عند عودتها إلى الأبيّض .
محمد مهدي ، رحلة مصر والسودان ، ص : ٣٥٣ ، ط : مطبعة الهلال ، بمصر ، القاهرة .
نعوم شقير ، تاريخ السودان ، ص : ١٢٦ .

(٢) علي حسن عبدالله ، الحكم والإدارة في السودان ، ص : ٣٠ .

(٣) السابق ، الصفحة نفسها .

سنة : ١٣٠٠هـ - الموافق : ٨ من شهر سبتمبر ، سنة : ١٨٨٢م ، قام جيش المهدي بهجوم على الأبيّض ، لم يكن موفقًا بسبب حصانة المدينة ، واستبسال الحامية ، فارتد عن الهجوم ، ثم ضرب حصاراً عامًا عليها ، حتى استسلمت .(١)

وبسقوط مدينة الأبيّض - عاصمة كردفان - صار الإقليم كله تحت حكم المهدي ، وانعزلت دارفور عن الخرطوم ، فارتفعت بذلك معنويات جيش المهدي ، وأكثر السودانيين ، وكان للغنائم التي غنموها من الأبيّض أثرها الواضح على سير حركة المهدي فيما بعد ؛ إذ تم جمع بعض الأسلحة النارية من المدينة ، وتم استخدامها فيما بعد في بعض الغزوات .(٢)

واستسلمت بارة في ٧ من شهر ربيع الأول ، سنة : ١٣٠٠هـ - الموافق : ١٥ يناير ، سنة : ١٨٨٣م ، على يدي عبد الرحمٰن النجومي - قائد جيش المهدي - واستسلم قائد حامية الأبيض ، في ١١ من شهر ربيع الأول ، سنة : ١٣٠٠هـ - الموافق : ١٩ يناير ، سنة : ١٨٨٣م ، وتمت معاملة المستسلمين بالحسنى .(٣)

صدى الهزائم في لندن والقاهرة :

بدأت بريطانيا تظهر اهتمامها بالموقف ؛ إذ أنها احتلت مصر في شهر شوال ، سنة : ١٢٩٩هـ - الموافق : سبتمبر ، سنة : ١٨٨٢ م ، وسرحت الجيش المصري ، وتحققت لها السيطرة التامة على مصر ،

---

(١) ضرار صالح ضرار ، تاريخ السودان الحديث ، ص : ١٢٤ .
(٢) السابق ، ص : ١٢٦ .
(٣) سلاطين باشا ، السيف والنار في السودان ، ص : ٦٧ .

وقد أرسلت بريطانيا بعض الإداريين ، وبخاصة من كان يعمل في السودان في عهد حكم جوردون لجمع حقائق الثورة المهدية ، ومدى مقدرة الحكمدار على إخمادها ، لكن الخديو توفيق[1] لم يكن مطمئناً لنية هؤلاء الأجانب ، فقد كان يخشى أن يكون ذلك بداية للتدخل البريطاني في السودان[2] ؛ خصوصاً أن بريطانيا كانت غير مستريحة لتوسع محمد علي ، وإسماعيل باشا ؛ ذلك التوسع الذي ضم أوغندا وشرق أفريقيا والساحل الصومالي وإريتريا[3] .

هكذا نرى موقف انجلترا والقاهرة . . أمّا في الخرطوم : فإن الحملات العسكرية والإدارية والإعلامية والسياسية - حين كان المهدي في كردفان - كلها لم تفد شيئاً ، وكان من أثر إخفاقها أن أصبحت أعمال

---

(١) هو : محمد توفيق الابن الأكبر للخديو إسماعيل . ولد بالقاهرة ، سنة : ١٢٦٩هـ - ١٨٥٢م ، وتعلم بها ، تولى نظارة الداخلية والأشغال ورئاسة المجلس المخصوص ، ثم مجلس النظار . خلف أباه إسماعيل باشا بعد عزله سنة : ١٢٩٦هـ - ١٨٧٩م . اشتهر عهده بجملة أحداث جسيمة ، أهمها : قيام الثورة العرابية التي انتهت بنفي عرابي وزملائه ، وفرض الاحتلال البريطاني على مصر ، الذي كان من نتائجه : إعادة تكوين الجيش ، وإلغاء المراقبة الثنائية ، وإنشاء جمعية الشورى والجمعية العمومية ، والمحاكم الأهلية ، كما نشبت في عهده الثورة المهدية ، والإخلاء الوقتي للسودان . توفي الخديو توفيق في : ٧ من شهر جمادى الآخرة ، سنة : ١٣٠٩هـ - الموافق : ٧ من شهر يناير ، سنة : ١٨٩٢م .
محمد مهدي ، رحلة مصر والسودان ، ص : ٢١٠ .
زكي مجاهد ، الأعلام الشرقية ، جـ : ١ ، ص : ٢٩ .
أحمد عطية الله ، القاموس الإسلامي ، جـ : ١ ، ص : ٥١٢ .
عبد الوهاب الكيالي ، الموسوعة السياسية ، ص : ١٦٨ .
الزركلي ، الأعلام ، جـ : ٦ ، ص : ٦٥ .

(٢) ضرار صالح ضرار ، تاريخ السودان الحديث ، ص : ١٢٨ .

(٣) عيسى محمد جليل ، جيبوتي ، دراسة في الجغرافيا السياسية ، ص : المقدمة .

المهدي في نظر السواد من الشعب كرامات خارقة لناموس الطبيعة ؛ فعظمت هيبته ؛ بينما تضاءلت هيبة الحكام ، وبسقوط الأبيّض ظهرت خطورة المهدي ، وأصبحت الحكومة تتحدث عن احتمال الهجوم على الخرطوم ، ما لم تقم الحكومة المصرية باتخاذ إجراء حاسم ؛ وذلك بإرسال جيش قوي ينهي الثورة المهدية .(١)

شعر السودانيون بأن كفة المهدي هي الراجحة ، فلا أقل من مناصرته ، ورأى الخديو توفيق أنه لا بد من الاحتفاظ بكل أجزاء السودان ؛ وذلك بالقضاء على المهدي .(٢)

واقعة شيكان (حملة هكس باشا) ٥/١/١٣٠١هـ - ٥/١١/١٨٨٣م :

زحف الكولونيل هكسي البريطاني بجيش يتكون من فلول جنود مصريين ، كانوا في سجون القاهرة رهن المحاكمة ، وقد نقلوا بصورة سيئة إلى ميناء السويس ، ثم ألقي بهم في البواخر المتجهة إلى السودان ، وبعضهم يرسف في الأغلال ، وعلى رأسهم قائد غريب عنهم أجنبي كافر ، يجهل طباعهم وأخلاقهم ، وفوق ذلك يخالفهم في الدين والعقيدة ، ومهمته القضاء على ثورة تمتد جذورها في الأرض .(٣)

---

(١) ضرار صالح ضرار ، تاريخ السودان الحديث ، ص : ١٢٨ .
(٢) السابق ، ص : ١٢٩ .
(٣) مكي شبيكة ، في قرن (١٨١٩ - ١٩١٩م) ، ص : ١٧٣ ، ط : دار الثقافة ، بيروت ، سنة : ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م .

وتمت هزيمة هكسي ، ولقي حتفه عند شيكان - وهي منطقة تبعد ثلاثين ميلاً من الأبيّض - ، وكان ذلك في شهر محرم ، سنة : ١٣٠١هـ - الموافق : نوفمبر ، سنة : ١٨٨٣م .(١)

وكانت هذه المعركة معركة ضارية ، إذ أخذ جيش المهدي يطلق النار على قوات هكسي طيلة الليل والنهار ، حتى عمتهم الفوضى ، وعندئذ أمر المهدي بالهجوم عليهم ، فقضوا عليهم قضاءً مبرماً ، إذ لم ينج من المعركة إلا من وقع أسيراً في قبضة المهديين .(٢)

وترتب على هذا الانتصار انهيار الإدارة المصرية في السودان ، وبدأ ذلك بسحب الحاميات الخارجية ، كما رفع هذا الانتصار مكانة المهدي ، لا في داخل السودان فحسب ، بل أيضاً خارجه ، وتركّز نفوذ المهدي في الأقاليم الغربية أكثر من ذي قبل ، وقد أرسل بعد الواقعة مباشرة قوة بقيادة محمد خالد زقل للاستيلاء على دارفور ، التي كان يحكمها من قبل الحكومة سلاطين باشا(٣) ، كذلك أرسل قوة بقيادة كرم الله كركساوي إلى بحر الغزال ، وتم الاستيلاء عليها ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل وصلت الأنباء إلى مديرية خط الاستواء .(٤)

---

(١) السابق ، الصفحة نفسها .

(٢) د . زاهر رياض ، السودان المعاصر منذ الفتح المصري وحتى الاستقلال ، ص : ١١٨ .

(٣) آلان مورهيد ، النيل الأبيض ، ص : ٣٢٨ .

(٤) Theobald A.B., The Mahdia : History of the Anglo - Egyptian Sudan : (1881 - 1899 A.D), Page: 63, Printed in : London , at : 1901 A.D.

الموقف في مديرية بحر الغزال :

كان لانتصارات المهدي في كردفان أثر جليل ؛ إذ شجعت قبائل جنوب السودان ؛ وبخاصة الدنكا ، والنوير على الانضمام للمهدي ، فذهب زعيم الدنكا وآخرون للمهدي في الأبيّض وبايعوه ، ثم عادوا لطرد " ليبتون بك "[(١)] والحاميات العثمانية المنتشرة في بحر الغزال في أواخر سنة : ١٢٩٨ هـ - ١٨٨١م ، وادعى ليبتون الإسلام ، وأطلق على نفسه عبدالله ليبتون ، حتى يطمئن لولاء حامياته[(٢)] ، ثم ما لبث أن اقتنع بعدم قدرته على المقاومة ضد المهديين ، فسلّم المديرية إلى كرم الله كركساوي ؛ وبذلك تم ضم بحر الغزال إلى المهدية في ٣ من شهر رجب ، سنة : ١٣٠١هـ - الموافق : ٢٨ من شهر أبريل ، سنة : ١٨٨٤م ، تحت قيادة كرم الله كركساوي.[(٣)]

---

(١) هو : من البحارة الإنجليز ، عيّنه جوردون مديراً على بحر الغزال ، وقوندانا للعساكر ، وبقي ليبتون في بحر الغزال إلى أن قام المهدي للاستيلاء على بحر الغزال . فاستسلم ليبتون لقوات المهدي ، وادعى الإسلام ، وتسمى عبدالله ، وسلم مخازن الأسلحة والذخائر لكرم الله قائد المهدي ، ثم أرسل كرم الله ليبتون إلى المهدي ، فأعلن ليبتون مبايعته للمهدي ، سنة : ١٣٠١هـ - ١٨٨٤م ، فجعله قوندانا على مدفع ، ولكنه اكتشف مكاتبة ليبتون لجوردون ، فسجنه ، ولم يخرجه من السجن إلا بعد فتح الخرطوم ، وبقي ليبتون في أم درمان ، إلى أن توفي سنة : ١٣٠٥هـ - ١٨٨٨م .
نعوم شقير ، تاريخ السودان ، ص : ٦١٨ ، ٧٣٩ - ٧٤٣ .

(٢) Richard Hilli: A.Biographical Dictionqary of the Anglo - Egyptian Sudan . page : 196- 197, Printed in: London , at : 1951 A.D.

(٣) السابق ، ص : ١٩٧ .

موقف مديرية خط الاستواء :

كانت مديرية خط الاستواء تحت إدارة الدكتور أمين (الألماني الأصل ، اليهودي الديانة) الذي تظاهر بالإسلام ، وقد تولى إدارتها سنة : ١٢٩٥هـ - ١٨٧٨م ، ولمّا تم استيلاء المهدية على بحر الغزال ، واستسلام ليمتون أصبحت مديرية خط الاستواء على مرمى حجر ، فطلب المهدي من الدكتور أمين التسليم ، إلا أنه رفض.(١)

وفي تلك الأثناء أصدر الخديو أمرًا بإخلاء السودان ، ولم يرق هذا القرار لأكثر ضباط الحاميات وجنودها ، الذين كانوا من السود ، ولذلك فقد تمردوا على أمين ، ورفضوا الإذعان بالإخلاء ، وألقوا القبض عليه ، وبينما هم في تمردهم وثورتهم ، كان زحف المهديين على مديرية خط الاستواء في ثلاث بواخر ، وبعض المراكب النيلية بقيادة عمر صالح في شهر محرم ، سنة : ١٣٠٦هـ - الموافق : أكتوبر ، سنة : ١٨٨٨ م ، وحاولت الحاميات صد الأنصار ، ولكنهم هزموا في واقعتين متتاليتين ، فخاف رجال الحامية على مصيرهم ، وأطاعوا الدكتور أمين ، الذي عمل على انسحابهم نهائيًا من خط الاستواء قبل شهر ربيع الثاني ، سنة : ١٣٠٧هـ - الموافق : ديسمبر ، سنة : ١٨٨٩م ، وأصبحت مديرية خط الاستواء في أيدي الأنصار بعد ذلك التاريخ.(٢)

---

(١) ضرار صالح ضرار ، تاريخ السودان الحديث ، ص : ١٣٣ .

(٢) Richard Hilli : A.Biographical Dictionary of the Anglo - Egyptian Sudan , page : 198.

سادساً : التأييد الإسلامي للحركة المهدية :

كان لانتصارات المهدي أصداء في العالم الإسلامي ، الذي كان يتوق إلى من يأخذ بيده من جور الحكام ، وقدم إليه وفود من مسلمي الهند ، ومراكش ، وتونس ، والحجاز ، يهنئونه على انتصاراته ، ويبايعونه ، وأصبحت أخباره تتابع بكل شغف .(١)

أمّا الحكومة العثمانية في مصر : فقد أصبحت عاجزة عن اتخاذ أي قرار ضد المهدي في السودان ، وبخاصة أن انجلترا نصحت مصر بإخلاء السودان ، ورأت بريطانيا أن تطور الأحوال في السودان ذريعة مناسبة للاستمرار في احتلال مصر ، بحجة الدفاع عن الحدود المصرية الجنوبية ، خصوصاً أن الثورة المهدية امتدت إلى حدود مصر .(٢)

أصبح الطريق إلى الخرطوم ممهداً للمهدي أكثر من ذي قبل ، لكن الحكومة البريطانية عيّنت جوردون حاكماً عاماً على السودان ، ليتم به إنقاذ ما يمكن إنقاذه .(٣)

وحينما خرج المهدي للاستيلاء على الخرطوم تبعته مسيرة شعبية هائلة ، دامت عدة شهور ، وأبرزت الروح الجديدة التي غمرت تلك الألوف من الرجال والنساء والأطفال ، الذين سارعوا للانضمام لصفوف

---

(١) عبد الوهاب أحمد عبد الرحمٰن ، توشكي ، ص : ٢٠ .
(٢) السابق ، الصفحة نفسها .
(٣) إبراهيم الباحوث ، الحركة المهدية في السودان ، ص : ٤٤ .

المهدي ، ومبايعته على الجهاد.[١]

وقد سار المهدي زاحفاً من الأبيّض إلى الخرطوم ، وحاصرت القوات المهدية الخرطوم قبل وصول المهدي إليها ، ودعم جيوش المهدي سقوط أم درمان ، الذي تلاه سقوط العاصمة الخرطوم ، وقتل جوردون بها . وقد تمت السيطرة على الخرطوم يوم ١٠ من شهر ربيع الثاني ، سنة : ١٣٠٢هـ - الموافق : ٢٦ من شهر يناير ، سنة : ١٨٨٥م.[٢]

وكان المهدي في سياسته الخارجية يزمع فتح مصر أولاً ، ثم يسير إلى سوريا وتركيا والحجاز ؛ وذلك لإنقاذ المسلمين من الإدارة السيئة التي وقعوا فيها ، وتخليصهم من براثن ولاة الأتراك المتسلطين ؛ فهو يريد شنّ حركة دينية روحية تحررية ، تعيد للإسلام وحدته وعزته ، وكان في منشوراته يذكر أنه سيفتح كل تلك البلاد المذكورة بإذن الله.[٣] انظر: الخريطة رقم(١٦) .

وكان أبناء صعيد مصر ينتظرون قدوم المهدي إليهم ؛ للانضمام إلى جنده ، والتعاون معه ، لطرد الإنجليز الكفرة ، لكن عاجلته المنية.[٤]

---

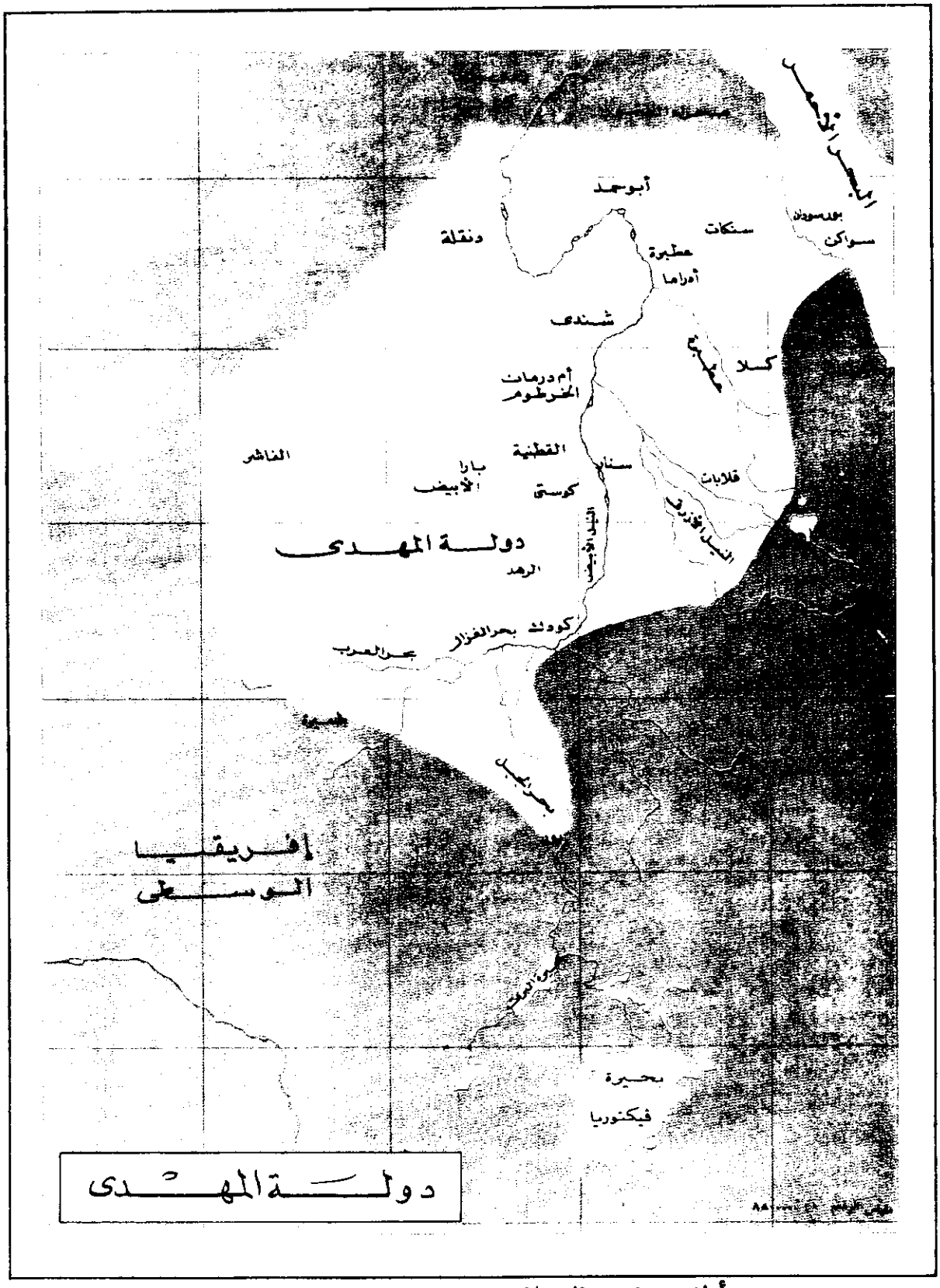
(١) عصمت حسن زلفو ، كرري ، ص : ٦٣ .

(٢) Schweitzer G., Emin Pasha his life , Vol: 1, page : 180 , printed in : London , at :1898 A.D.

(٣) عبدالوهاب أحمد عبدالرحمٰن ، توشكي ، دراسة تاريخية لحملة النجومي على مصر ، ص : ٢٧- ٢٨ .

(٤) علي حسن عبدالله ، الحكم والإدارة في السودان ، ص : ٣١ .

خريطـــــة رقم (١٦)



د . حسين مؤنس ، أطلس تاريخ الاسلام ، ص : ٣٣٢ .

سابعاً : التعايشي وسيرة الحركة المهدية :

بسقوط الخرطوم أهم وآخر معقل من معاقل الحكومة ، أصبحت بلاد السودان جميعها تدين للمهدي ، حتى توفي في العام نفسه في يوم ١٤ من شهر رمضان ، سنة : ١٣٠٢هـ - الموافق : ٢٦ من شهر يونيو ، سنة : ١٨٨٥ م.(١)

وتولى الأمر خليفته عبدالله التعايشي(٢) ، وكان رجلاً قوي الشخصية ، بارع الذكاء ، ذا طموح لا حدود له ، وبفضل الله ، ثم بذكائه استطاع أن يحتل المكانة التي يطمع فيها ، ويطمح إليها ، وقد قدّر له محمد أحمد المهدي صبره وجلده ، فقرّبه منه ، حتى قال في أحد منشوراته : " إن الخليفة عبدالله هو مني ، وأنا منه ، وقد أشار إليه

---

(١) نعوم شقير ، تاريخ السودان ، ص : ٤٣٥ .

(٢) هو : عبدالله بن محمد التقي التعايشي ، زعيم سوداني ، يعرف بخليفة المهدي ، من قبيلة التعايشة الجهنية . ولد بإقليم دارفور ، سنة : ١٢٦٦هـ - ١٨٥٠م ، وعندما قام المهدي بدعوته اتصل به وأخذ العهد عليه ، وأصبح من أقرب أنصاره . وعندما أخذ المهدي في تنظيم حكومته جعل التعايشي قائداً عاماً للدراويش ، وبعد وفاة المهدي سنة : ١٣٠٢هـ - ١٨٨٥م بايعه الدراويش ، وسمّوه الخليفة ، أو خليفة المهدي ، فعمل على توطيد حكومته ، وجهّز جيشاً لملاقاة القوات المصرية والإنجليزية التي تأهبت لاستعادة السودان ، ولكنه هزم عند " توشكي " ، سنة : ١٣٠٦هـ - ١٨٨٩م ، والعطبرة ، سنة : ١٣١٦هـ - ١٨٩٨م ، وكانت المعركة الفاصلة في أم درمان ، سنة : ١٣١٦هـ - ١٨٩٨م ؛ إذ هزم وهرب نحو الجنوب ، ولكنه قتل في موقعة " أم دبيكارات " سنة : ١٣١٧هـ - ١٨٩٩م .
زكي مجاهد ، الأعلام الشرقية ، جـ : ٢ ، ص : ٣٥ ، رقم الترجمة : ٢٧٩ .
أحمد عطية الله ، القاموس الإسلامي ، جـ : ١ ، ص : ٤٧٤ .
محمد شفيق غربال ، الموسوعة العربية الميسرة ، جـ : ١ ، ص : ٥٣٠ .
الزركلي ، الأعلام ، جـ : ٤ ، ص : ١٣٢ .

سيد الوجود - صلى الله عليه وسلم - ، فتأدبوا معه ، كأدبكم معي ".[١]

وقد استفاد المهدي من عبدالله التعايشي ؛ إذ وجد فيه شيئًا ينقصه ؛ لأن المهدي لم يكن يفهم في الإدارة ، كما أنه كان يتحلى باللين وعفة اللسان ؛ لذا كان عبدالله إداريًا ، نافذ البصيرة ، سريع التفكير ، حازمًا في أموره كلها ، فأسند إليه المهدي القيام بتدبير أمور الطائفة ، وبوجود عبدالله مع المهدي اكتملت عناصر نجاح الدعوة ، فالمهدي يمثل القوة الدينية ، والتعايشي يمثل القوة الإدارية ، فكان التعايشي الساعد اليمنى للمهدي ، ومستشاره الأول ، وكان المهدي لا يخرج عن رأيه ، فعمل عبدالله مع المهدي على إرساء دعائم المهدية ، وكان سنده الذي لا ينفك عنه ، وقد سماه المهدي خليفته الصديق .[٢]

وبازدياد الأعمال ، وتوسع الإدارة ، ترك المهدي الشئون العامة للدولة لخليفته الأول ، فإدارة بيت المال والأسرى والجيوش كلها بيد الخليفة ، أما المهدي : فقد تفرغ لكتابة المنشورات ، ومع أن الخليفة عبدالله لم يكن على مستوى من العلم والمعرفة ، إلا أنه كان إداريًا حازمًا ، استطاع القيام بكل ما أوكل إليه .[٣]

---

(١) منشورات المهدية ، ص : ٦٦ .
قرشي محمد حسن ، دلائل المهدية ، الكتاب الرابع ، ص : ٢ ، سلسلة تراث المهدية .

(٢) قرشي محمد حسن ، دلائل المهدية ، الكتاب الرابع ، ص : ٥٣ ، بتصرف .

(٣) السابق ، الصفحة نفسها .
إبراهيم الباحوث ، الحركة المهدية في السودان ، ص : ٣٥ .

وما أن توفي المهدي حتى تولى عبد الله التعايشي - خليفته - مقاليد السلطة ، فقبض على زمامها ، وأتم ما بدأه المهدي من إنشاء الدولة المهدية .

فبالداخل : نظم القضاء ، وبيت المال والجيوش ، إلى غير ذلك مما تحتاجه دولة فتية ، كالمهدية ، ثم اتجه إلى خارج السودان ، فبدأ بمصر ، وأرسل منشوراً لأهالي مصر ينذرهم فيه قبل أن يسير إليهم بجنده ، وأرسل خطاباً لتوفيق - خديو مصر - يطالبه بالتسليم للمهدية ، وأرسل للملكة " فيكتوريا " (١) ملكة انجلترا ، وللسلطان عبد الحميد .(٢)

وحاول غزو مصر ، ولكن محاولته باءت بالفشل ، ونجح في غزو

---

(١) هي : ملكة انجلترا ، من سنة : ١٢٩٠هـ - ١٨٧٣م ، حتى سنة : ١٣١٩هـ - ١٩٠١م ، الابنة الوحيدة لدوق كنت ، ولدت سنة : ١٢٣٤هـ - ١٨١٩م ، وخلفت عمها وليم الرابع على العرش في سنة : ١٢٥٣هـ - ١٨٣٧م ، يعد حكمها من أطول عهود الملوك حكماً ، إذ امتد أربعة وستين سنة ، جرت خلاله أحداث مهمة في التاريخ الإنجليزي ، أهمها : حرب القرم ، وحرب البوير ، وثورة الهند ، والاحتلال البريطاني لمصر ، في سنة : ١٢٩٩هـ - ١٨٨٢م . أطلق عليها رئيس وزرائها دزرائيلي لقب " إمبراطورة الهند " سنة : ١٢٩٣هـ - ١٨٧٦م . أطلق اسمها على عدة أمكنة ، منها : ولاية فيكتوريا باستراليا ، وبحيرة وشلالات فيكتوريا بأفريقيا ، يدل الاصطلاح " العصر الفكتوري " على أثر شخصيتها القوية في معظم مناحي الحياة الإنجليزية . توفيت سنة : ١٣١٩هـ - ١٩٠١م .
أحمد عطية الله ، دائرة المعارف الحديثة ، ص : ٤٧٢ .
د . حسين سعيد ، الموسوعة الثقافية ، ص : ٧٢٠ .
محمد شفيق غربال ، الموسوعة العربية الميسرة ، جـ : ٢ ، ص : ٣٠٥ .

(٢) نعوم شقير ، تاريخ السودان الحديث وجغرافيته ، جـ : ٣ ، ص : ٦٣١ - ٦٣٢ .

الحبشة في أولى معاركه ، ولكن لم يستمر النجاح ؛ بسبب المجاعة التي اجتاحت البلاد ، وهكذا أحاطت بالخليفة الأخطار من كل جهة ؛ فبريطانيا ومصر من الشمال ، والحبشة من الجنوب ، والجنوب الشرقي ، ومؤامرة من الداخل ؛ إذ اشتدت المنازعات في عهده ، وانقسم السودانيون إلى سكان النيل ، وسكان الغرب[١] . . والجيوش الأوربية تتاوشه من كل الجهات ؛ فهذا الغزو الإيطالي للسودان الشرقي ، وتلك فرنسا تنضم للحضار وتحتل إقليم فاشودة ، وتقطعه لفترة ؛ أملاً في أن تصل أملاكها في شرق أفريقيا (جيبوتي) بوسط أفريقيا وغربها .[٢] وقد خسر السودان فيها الكثير من القوى البشرية في وقت كانت الأطماع فيه تحاصره من كل مكان ، والجيوش الأوربية تهاجمه في عقر داره .[٣]

وقد واجه الخليفة مشكلات لم يواجه المهدي مثلها ، فقد واجه ثورات تأججت لتفتيت البلاد ، لكن التعايشي واجهها برباطة جأش وحزم وعزم وحسم .[٤]

وبرغم بسالته وشجاعته إلا أنه لم يستطع ملاقاة جميع تلك المشاكل من : داخلية ، وأخطار خارجية ، وجيوش غازية ، ومجاعة تهدد البلاد ، وانشقاق الرفاق ؛ الأمر الذي لم تجد معه الشجاعة ، ولا رباطة الجأش

---

(١) علي حسن عبد الله ، الحكم والإدارة في السودان ، ص : ٣٢ .
(٢) عيسى محمد جليل ، جيبوتي ، دراسة في الجغرافيا السياسية ، ص : ١٥٥ - ١٥٦ .
(٣) سلاطين باشا ، السيف والنار في السودان ، ص : ١٧٦ - ١٧٧ .
(٤) السابق ، ص : ١٧٨ .

والخبرة الإدارية والقتالية ، فأخذت المدن السودانية تسقط واحدة تلو الأخرى ، إلى أن كانت معركة كرري ، التي وقعت في : ١٦ من شهر ربيع الثاني ، سنة : ١٣١٦هـ - الموافق : ٢ من شهر سبتمبر ، سنة : ١٨٩٨م بين جيش التعايشي وكتشنر باشا (١) ، التي هزم فيها التعايشي ، وقتل أكثر أعوانه ، وتم استيلاء الإنجليز على أم درمان - مقر الخليفة - إلى غرب السودان ، وفرّ معه بعض رجاله ، وانضم إليه من بقي من أمراء جيشه (٢).

وقد كوّن التعايشي من فلول قواته تلك جيشاً اتجه به إلى أم درمان ، لملاقاة أعدائه الذين أخرجوه منها ، ولكنهم كانوا له بالمرصاد ، إذ كانوا

---

(١) هو : راشيو هربرت كتشنر ، قائد عسكري ، وسياسي بريطاني ، خدم في بداية حياته مع الجيش الإنجليزي بفلسطين وقبرص . التحق بالجيش المصري سنة : ١٣٠٠هـ - ١٨٨٣م ، بعد شروع الإنجليز بتنظيمه في أثناء احتلالهم لمصر ، عيّن حاكماً للسودان الشرقي ، ونجح في رد ثورة المهديين ، سنة : ١٣٠٦هـ - ١٨٨٩م . عيّن بعد ذلك سردارا للجيش المصري ، سنة : ١٣٠٩هـ - ١٨٩٢م ، وقاده لاسترجاع السودان ، وانتصر في معركة أم درمان الفاصلة ، فعيّن حاكماً عاماً للسودان ، ثم قائداً عاماً للجيش البريطاني ، الذي كان يخوض حرب البوير في جنوب أفريقيا ، ثم قائداً عاماً لهذه القوات في الهند ، من سنة : ١٣٢٢هـ - ١٩٠٤م ، حتى سنة : ١٣٢٧هـ - ١٩٠٩م ، رقي إلى رتبة فيلد مارشال ، ثم عيّن قنصلاً عاماً بمصر ، من سنة : ١٣٢٩هـ - ١٩١١م ، حتى سنة : ١٣٣٢هـ - ١٩١٤م ، وأصبح الحاكم الحقيقي للبلاد . عيّن وزيراً للحربية البريطانية ، سنة : ١٣٣٢ هـ - ١٩١٤م . توفي غريقاً سنة : ١٣٣٤هـ - ١٩١٦م . وهو في رحلة بحرية إلى روسيا .
عبد الوهاب الكيالي ، الموسوعة السياسية ، ص : ٤٣٧ .
أحمد عطية الله ، دائرة المعارف الحديثة ، ص : ٥٣٣ .
محمد شفيق غربال ، الموسوعة العربية الميسرة ، جـ : ٢ ، ص : ١٤٤٣ .

(٢) مكي شبيكة ، السودان عبر القرون ، ص : ٤٤٩ .

يقتفون أثره ، فالتقوا بجنده عند قرية " جديد " ، أو " أم دويكرات " كما تسمى ، فانتصر الأعداء على المهديين ، وما أن أيقن التعايشي أنه أشرف على النهاية حتى عزم على ألا يقع أسيراً ، فيكون هزءاً وسخرية في يد أعدائه ؛ ومن ثم افترش فروته ، وجلس عليها ، وحوله كبار المخلصين له ، الذين ظلوا على ولائهم ينتظرون قضاء الله وقدره ، بعد أن جاهدوا بكل ما لديهم ، وما وضعت الحرب أوزارها حتى كان الخليفة التعايشي ، وكبار أصحابه في عداد الموتى ؛ وبذلك انطوت صفحة من تاريخ السودان ، احتلت حوادث المهدية فيها المكان الأول . . وقد بدأت تلك الصفحة في ليلة ١٧ من شهر رمضان ، سنة : ١٢٩٨هـ - الموافق : ١٢ من شهر أغسطس ، سنة : ١٨٨١م ، وختمت في ضحى ٢١ من شهر رجب ، سنة : ١٣١٧هـ - الموافق : ٢٤ من شهر نوفمبر ، سنة : ١٨٩٩م ، وهبطت حرارة الثلاثم ، وبرزت عوامل الاختلاف بعد وحدة السودان الكبير .(١)

وبهذه النهاية التي بلغها الخليفة التعايشي انتهت الدولة المهدية .(٢)

ثامناً : الظروف التي أحاطت بالدولة المهدية :

لم تكن الدولة المهدية التي نشأت على يدي المهدي ، وتركها فتية لخليفته التعايشي ، لتستكمل فتاءها ، وتبلغ غايتها ، ثم تتضافر عليها أسباب شتى تقوّض أركانها ، وتهدم بنيانها ، لم تكن هذه الدولة بمعزل

---

(١) السابق ، ص : ٤٥٤ .
(٢) ضرار صالح ضرار ، تاريخ السودان الحديث ، ص : ٢٢٠ .

عن الأطماع الخارجية ، كما لم تكن خلوًا من الظروف الداخلية ، التي أعانت عليها ، وعجّلت بنهايتها ، وفيما يأتي عرض سريع لهذه الظروف التي أحاطت بالدولة المهدية :

أولاً : الظروف الداخلية :

١- تضافرت الظروف الطبيعية مع غيرها في إيجاد المشكلات للدولة ورئيسها عبدالله التعايشي ، فظهرت بوادر المجاعة المشهورة بين سنتي : ١٣٠٥هـ - ١٨٨٨م / ١٣٠٧هـ - ١٨٩٠م في السودان ، وكانت وطأتها شديدة ، حتى أصابت الكثيرين وقتلتهم ، وأفنت بيوتًا بأكملها ، واضطرت حكومة الخليفة أن تجمع الحبوب من أرض الجزيرة ، فوجدت معارضة شديدة من أهلها ، وأرسل الخليفة سرية لجمع الزكاة والعشور من جنوب السودان ، فامتنعت قبائل الشلك عن تقديم أكثر من ألفي اردب من الذرة ، وأظهر ملكها الخروج على الدولة ، كما كانت المجاعة تفعل فعلها في حصر النفوس ، وكان على الخليفة أن يواجه مؤامرات داخلية ، وعدواناً خارجيًا مع حلول سنة : ١٣٠٩هـ - ١٨٩١م .(١)

٢- وقعت ثورة الأشراف الثانية في ٢١ من شهر ربيع الثاني ، سنة : ١٣٠٩هـ - الموافق : ٢٣ من شهر نوفمبر ، سنة : ١٨٩١م ؛ نتيجة لإلقاء الخليفة شريف - وهو أحد خلفاء المهدي - في السجن ،

---

(١) عبدالوهاب أحمد عبد الرحمٰن ، توشكي ، ص : ٩٦ .

الأمر الذي أثار بعض القبائل ، مثـــل : الدناقلة ، والجعليـــين ؛ ممّا جعلهم يبتعدون عن تعضيد الخليفة عبدالله التعايشي.[١]

٣- تصدّعت الوحدة القومية السودانية ؛ بسبب مبالغات التعايشي فـــي عقاب من نازعوه السلطان ، وأصبح أعداء الدولة في الداخل كثيرين ، كالأشراف ، والجعليين ، والدناقلة ، والكبابيش ، وبعض سكان العـــرب والجزيرة.[٢]

* كل هؤلاء ناصبوا التعايشي العداء ، إضافة إلى مهاجمة المجاعـــة التي ذكرناها سالفًا .

ثانياً : الظـروف الخارجية :

* لمـــّا تولى التعايشي مقاليد الحركة المهدية ، تطلع إلى الحبشـــة ، فأرسل إلى ملكها يوحنا ، يدعوه للإسلام ، وتسليم اللاجئين المارقـين ، وانتهى الأمر إلى حرب انتصر فيها المهديون في معركة القلاّبـــات في ١٠ من شهر رجب ، سنة : ١٣٠٦هـ - الموافق : ١٢ من شهـــر مارس ، سنة : ١٨٨٩ م ، إلا أنهم انسحبوا ، ولم يدعوا انتصاراتهم ؛ بسبب المجاعة التي لحقت بالبلاد ، ولولا ذلك - بعد إرادة الله - لاجتاحت القوات المهدية الحبشة كلها ، وبانتصار المهديـــين على الأحباش بلغت الدولة المهدية أقصى إمكاناتها.[٣]

---

(١) نعوم شقير ، تاريخ السودان ، ص : ٨٣٠ .
(٢) السابق ، ص : ٥٦٨ .
(٣) السابق ، ص : ٥٦٨ - ٥٦٩ .

* لم يلتقط التعايشي أنفاسه ، حتى أعلن الجهاد ضد ولاة الأتراك في مصر ، وأرسل عبدالرحمن النجومي على رأس القوات إلى مصر ، إلا أن تفوق القوات البريطانية والمصرية ، إضافة إلى الجوع والعطش، وقلة السلاح ، كانت وراء هزيمة نكراء لهذا الجيش في ١٦ من شهر ذي الحجة ، سنة : ١٣٠٦هـ - الموافق : ١٣ من شهر أغسطس ، سنة : ١٨٨٩ م ، واستشهد النجومي ، وأغلب أنصاره ، وطغلته ، وأسر الأطفال والنساء ، ووزعوا ليصبحوا رقيقًا في وقت جاءت فيه بريطانيا زاعمة منع الرق .(١)

* وكانت الأطماع الأوربية الصليبية الحاقدة على اختلاف منطلقاتها قد تبلورت في هذه الفترة ، وأخذت تضرب بمعاولها بنيان هذه الدولة ، حتى تهدم ، وأهم الأطماع الأوربية الصليبية الوثنية التنصيرية في السودان تمثلت فيما يأتي :

١- الأطماع البلجيكية في السودان :

أرسلت حملة بلجيكية بقيادة " ملز " ، وقد تم تعيين " فضل المولى " وهو ضابط سوداني كان يعمل في الإدارة المصرية السابقة مديرًا لخط الاستواء من قبل البلجيك في شهر ربيع الأول ، سنة : ١٣١٠هـ - الموافق : أكتوبر ، سنة : ١٨٩٢م ، فأرسل الخليفة التعايشي حملة يقودها " عربي دفع الله " ، استطاعت قتل فضل المولى ، فانسحبت الحامية البلجيكية ،

---

(١) السابق ، ص : ٥٦٩ .

وفي سنة : ١٣١١هـ - ١٨٩٤م : توغلت الحامية البلجيكية مرة أخرى نحو دارفور ، وبحر الغزال[1] ، وتم توطيد حكمهم في منطقة عرفت باسم منطقة اللادو ، وهي إحدى مناطق قبائل الزاندي في مديرية بحر الغزال ، وقد ضمتها بلجيكا على الكونغو البلجيكي بعد احتلالها في : ٢٧ من شهر صفر ، سنة : ١٣١٦هـ - الموافق : ١٦ من شهر يوليو ، سنة : ١٨٩٨م ، ولكن أعيدت المنطقة للسودان بعد وفاة ملك بلجيكا "ليوبولد"[2] ، بناء على معاهدة بين الانجليز وبلجيكا في : ٨ من شهر جمادى الآخرة ، سنة : ١٣٢٨هـ - الموافق : ١٦ من شهر يونيو ، سنة : ١٩١٠م[3] .

٢- الأطماع الإيطالية في السودان الشرقي :

تمكنت إيطاليا من احتلال كسلا ، واتفقوا مع الإنجليز على ذلك الاحتلال مؤقتًا ، واضطرت القوات السودانية للانسحاب من كسلا في : ١٤ من شهر محرم ، سنة : ١٣١٢هـ - الموافق : ١٧ من شهر يوليو ، سنة : ١٨٩٤م ، وهبّ المهديون لاسترجاع كسلا وتحريرها ، وتمت غزوة

---

(١) السابق ، ص : ٨٥٦ .

(٢) هو : ملك بلجيكا في الفترة من سنة : ١٢٨١هـ - ١٨٦٥م وحتى سنة : ١٣٢٧هـ - ١٩٠٩م ، كان حكمه عصر توسع اقتصادي واحتلالي كبير . أقر مؤتمر برلين ، الذي عقد سنة : ١٣٠٢هـ - ١٨٨٥م ، بسيادته على الكونغو ، وكان ليوبولد قد بدأ سياسة إقامة المزارع في الكونغو بوساطة العمل الإجباري لسلطان البلاد . وقد اشتهر بجشعه الكبير ، وبحياته الخاصة المنحلة .
محمد شفيق غربال ، الموسوعة العربية الميسرة ، جـ : ٢ ، ص : ١٦٠٢ .

(٣) التيجاني عامر ، جنوب السودان ، بحر الغزال ، ص : ١١١ .

أحمد فضل لكسلا ، في شهر شعبان ، سنة : ١٣١٣هـ - الموافق : أبريل ، سنة : ١٨٩٦م ، وقامت معركة بين المهديين والإيطاليين[١] ، وكان الإيطاليون ينوون الجلاء عنها ، لعدم مقدرتهم على الاحتفاظ بها ، ولكنهم بقوا فيها باتفاق مع كتشنر ، لتسلم له عندما تزحف عليها قواته ، وتنفيذاً للاتفاق تحركت قوة مصرية من سواكن ، وفي ٧ من شهر شعبان ، سنة : ١٣١٦هـ - الموافق : ٢٠ من شهر ديسمبر ، سنة : ١٨٩٨م ، وبوصول القوات المصرية أقيم حفل عسكري رفع فيه العلمان المصري والإيطالي ، ثم خفض الأخير ، وترك الأول يرفرف فوق ساريته ، وتم بصفة رسمية انسحاب الإيطاليين واحتلال الجيوش الخديوية للمدينة ، وقد انضوى جند العرب العاملون في صف الإيطاليين للخدمة تحت الراية الخديوية .[٢]

٣- الأطماع الفرنسية في السودان :

ظهرت الأطماع الفرنسية في السودان مبكرة ، فقد عرضت فرنسا على المهدي سنة : ١٣٠١هـ - ١٨٨٤م أن تساعده في التصديق لجوردون ، ثم قامت حملة فرنسية ، وتوغلوا في الأراضي السودانية ، حتى وصلوا إلى منطقة فاشودة ، فاحتلوها ورفعوا عليها العلم الفرنسي ، سنة : ١٣١٦هـ - ١٨٩٨م .[٣] وعقدوا معاهدة مع ملك الشلك عبد الفاضل ، وبذلك سبق الفرنسيون الإنجليز في السيطرة على أعالي النيل ، ولكن اضطروا فيما بعد

---

(١) نعوم شقير ، تاريخ السودان ، ص : ٨٥٧ .

(٢) السابق ، الصفحة نفسها .

(٣) Professor Bashir M.O., The Southern Sudan , Background to Conflict, Horst and Co., page: 89.

إلى الانسحاب من جنوب السودان[١] ، ولم يتم لهم تنفيذ خطتهم بربط جيبوتي في شرق أفريقيا بمستعمرات فرنسا في غربها ؛ وذلك عبر بلاد السودان .[٢]

٤- الغزو الاحتلالي البريطاني للسودان :

كان التنافس بين فرنسا وانجلترا من أقوى الدوافع لاحتلال بريطانيا للسودان ؛ إذ كانت ترغب في سد نفوذها من الاسكندرية ، وحتى مدينة " الكاب[٣] " في جنوب أفريقيا[٤] ، مفكرة في أن تقيم من رأس الرجاء الصالح ؛ إذ مدينة الكاب في أقصى الجنوب حائطاً من الجمعيات التنصيرية ، يمتد شمالاً إلى القاهرة .[٥]

---

(١) السابق ، الصفحة نفسها .

(٢) عيسى محمد جليل ، جيبوتي ، دراسة في الجغرافيا السياسية ، ص : ١٠٣ .

(٣) الكاب أو رأس الرجاء الصالح : ولاية باتحاد جنوب أفريقيا ، على المحيطين : الهندي والأطلنطي ، عاصمتها : " كيب تاون " ، وهي : ميناء مهم تشرف على خليج تيبل ، أسسها الهولنديون ، سنة : ١٠٦٢هـ - ١٦٥٢م ، واستولى عليها البريطانيون ، سنة : ١٢٢٩هـ - ١٨٠٦م ، وسمّيت مستعمرة الكاب ، ووصل المستوطنون البريطانيون إليها سنة : ١٢٣٥هـ - ١٨٢٠م ، وبقيام اتحاد جنوب أفريقيا سنة : ١٣٢٩هـ - ١٩١١م أصبحت المستعمرة إحدى ولايات الاتحاد .
أحمد عطية الله ، القاموس الإسلامي ، جـ : ٢ ، ص : ٤٦٧ .
محمد شفيق غربال ، الموسوعة العربية الميسرة ، جـ : ٢ ، ص : ١٤١٣ .

(٤) المركز الإسلامي الأفريقي ، السياسة التعليمية ، ص : ١٧ .

(٥) أ.د . محمد عمر بشير ، تاريخ الحركة الوطنية في السودان (١٩٠٠-١٩٦٩م) ، ص : ٥٨ ، ط : الدار السودانية ، بالخرطوم ، سنة : ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

وتم تجهيز حملة قوية قوامها ثمانمائة وخمس وعشرين ألف مقاتل ، أكثر من ثلثهم بريطانيون ، والباقي مصريون ، وسودانيون ، وقد تم تسليحهم بأحدث الأسلحة ، حتى الأسلحة التي كان ممنوعاً استخدامها حسب الاتفاقيات الدولية الأوربية حينذاك ، وقد كان قائد الجيش الجرار: الجنرال كتشنر سردار الجيش المصري(١).

وكانت الخطة الحربية تقسم الجيوش الغازية على مراحل :

المرحلة الأولى : الاستيلاء على دنقلا .

المرحلة الثانية : الاستيلاء على كل أجزاء السودان .

واستعد كتشنر بقواته الغازية بجميع الاستعدادات الحربية والهندسية ، وغيرها ، وسخّر الصناعات لتكون في خدمة فتح السودان وقام بإنشاء خط حديدي من : حلفا(٢) يسير جنوباً كلما احتل جنوده بعض الأراضي السودانية ، حتى يؤمن الإمدادات العسكرية في أثناء تقدمه ، وكان المهديون كثيراً ما يهاجمون السكة الحديد ، والآبار التي

---

(١) السابق ، الصفحة نفسها .

(٢) هي : مدينة بالسودان ، كانت حاضرة مديرية حلفا ، تقع على الحدود بين مصر والسودان ، تبدأ عندها السكة الحديدية ، التي تمتد إلى جنوب الخرطوم ،وكانت تربطها البواخر النيلية بالشلال في الشمال ، بالقرب من أسوان ، تأثرت بمشروع السد العالي ، مما نتج عنه غمرها بالماء ، وهاجر سكانها إلى منطقة " خشم القربة " شرق السودان .
د . حسين سعيد ، الموسوعة الثقافية ، ص : ٤٠٦ .
محمد شفيق غربال ، الموسوعة العربية الميسرة ، جـ : ١ ، ص : ٧٢٣ .

ترتوي منها الفرق العسكرية التابعة للجيش البريطاني[١]. الذي سيطر على السودان كله.[٢]

تاسعاً : المهدية والوضع في جنوب السودان :

كثيراً ما وصفت الثورة المهدية بأنها ثورة ضد الحكم العثماني الذي يمثله ولاة مستبدون من جانب الشمال المسلم ، وكذا ضد الحكم الأجنبي ، ويراد من هذا الوصف : الإيحاء بأن جنوب السودان لم تكن له علاقة من قريب أو بعيد بالثورة المهدية ، كأنما يستهدف من وراء ذلك عزل الجنوب عن الشمال ، وذلك الوصف ليس بالوصف الصحيح ؛إذ إنه يجافي الحقيقة ، ويتنكر للواقع ، لأن كثيراً من القبائل الجنوبية مثلها مثل كثير من القبائل الشمالية قد حاربت النظام الأجنبي.[٣]

وعندما اندلعت الثورة في الشمال هبت بعض القبائل بالمديرية الاستوائية ثائرة ضد الحكومة ، ولقيت حركة المهدي ترحيباً من جانب القبائل التي اكتسبت الطابع العربي إلى حد ما ، وذلك مثل قبائل الشلك ، والدينكا ، والشلوك ، والنياتول ، والتوقويد .. وكلها قبائل نيلية

---

(١) أ.د . محمد عمر بشير ، الحركة الوطنية في السودان ، ص : ٥٩ .

(٢) مكي شبيكة ، السودان عبر القرون ، ص : ٤٣٥ .

(٣) Professor Bashir M.O., The Southern Sudan , Background to Conflict, Horst and Co., page: 50- 51.

(٤) Sanderson G.N., England, Europe and the Upper Nile, page:8, printed in: Edinburgh, at:1965 A.D.

الأصـــل [١].

ففي مديرية بحر الغزال شعر كثير من القبائل - على الرغم من أصلها الزنجي - أنها أقرب إلى القبائل العربية ، التي تقطن شمال بحر الغزال ، ممّن ربطتها بها روابط الصداقة منذ أمد بعيد ، ومن هنا : استجابت بحماس شديد لدعوة المهدي للانضمام للثورة [٢]. فانضمت قبائل الدنكا ، والفور ، والشلك ، التي لم تكن تربطها بالعرب رابطة دم إلى الثورة على الحكومة المستبدة ، التي لا تلقى تأييداً شعبياً [٣]. فهذه القبائل شاركت في الثورة رفضاً لإدارة ظالمة غير مرغوب فيها [٤]. وما أن حل عام ١٢٩٧هـ - ١٨٨٠م حتى كان الجنوب كله قد اتحد ضد حكام ولاة العثمانيين في مصر . وبهذا المعنى : يمكن أن تعد ثورة المهدي ثورة وطنية أكثر منّا هي ثورة طائفية [٥].

وقد استطاعت ثورة المهدي إخضاع بحر الغزال ، سنة : ١٣٠١هـ - ١٨٨٤م ، غير أن الجيوش المهدية استدعيت للعمل في الشمال ، ثم بدأ الغزو المهدي الثاني لجنوب السودان ، سنة : ١٣٠٥هـ - ١٨٨٨م ، ونصب

---

(١) السابق ، الصفحة نفسها .

(٢) Collins R.O.,The Southern Sudan :(1883-1878 A.D.), page:23 , Yale University , at:1962 A.D.

(٣) السابق ، الصفحة نفسها

(٤) Professor Bashir M.O., The Southern Sudan , Background to Conflict, Horst and Co., page:52.

(٥) Sanderson G.N., England , Europe and The Upper Nile, page : 9.

عمر صالح نفسه حاكماً للرجاف[١]، وقصدت الحركة المهدية أن تكون بديلاً للسلطة الشرعية المتداعية ، المتمثلة في الخلافة الإسلامية العثمانية ، ولكن لم تلتفت إلى الجنوب السوداني ؛ بل إن الانتصارات العسكرية للثورة المهدية جعلتها توجه العناصر العسكرية الإسلامية الموجودة في الجنوب للاتجاه للشمال ، للمشاركة في الجهاد ضد ولاة الأتراك والمصريين والإنجليز، كما أدت إلى تفكك جماعات التجار بسبب ظروف الفراغ السياسي ، الذي حدث بالجنوب ، وظهور البلجيك ، واحتلالهم لأجزاء من بحر الغزال والاستوائية[٢]، وواجهت محاولة غزو المديرية الاستوائية مقاومة من جانب فلول الجيش المصري ، ومن جانب البلجيكيين المتمركزين في الكونغو المجاور، ومن القبائل المحلية ، واضطرها أنصار المهدي إلى الانسحاب من الرجاف آخر الأمر في سنة : ١٣١٥هـ - ١٨٩٧م ، وبسط البلجيكيون سلطانهم على المنطقة التي عرفت فيما بعد باسم : إقليم اللادو[٣].

وقد تشتت شمل العسكر الشماليين والجنوبيين ؛ إذ اتبع بعضهم

---

(١) هي : مدينة في المديرية الاستوائية لإقليم جنوب السودان ، وعقد بها مؤتمر " الرجاف اللغوي "، سنة : ١٣٤٦هـ - ١٩٢٨م ، وهو : أخطر مؤتمر في تاريخ جنوب السودان ؛ إذ خرج بقرار : تطوير اللغات المحلية ، واستعمالها في المراحل الأولى من التعليم .
الجبهة القومية الإسلامية ، مسألة الجنوب ، مجلة (السياسة الدولية)، العدد : ٩١ ، ص : ١٥٣ .

(٢) المركز الإسلامي الأفريقي ، السياسة التعليمية ، ص : ١٣ .

(٣) Professor Bashir M.O. , The Southern Sudan, Background to Conflict, Horst and Co., page:36.

أمين باشا - حاكم الاستوائية - إلى بحر الغزال ، وشرق أفريقيا ، وبعضهم انضم للمهدية ، وبعضهم سار مع فضل المولى بك في الجنوب الغربي للاستوائية ؛ إذ استخدم بوساطة سلك بلجيكا ليوبولد لاحتلال الاستوائية ، وأخذت اللغة البلجيكية تزدهر في إقليم اللادو، وبخاصة على حساب اللغة العربية ،إلى أن جاء الإنجليز بعد قضائهم على المهدية ، فأبعدوا البلجيكيين ، سنة: ١٣٣٠هـ - ١٩١٢م ، ودخل الجنوب مرحلة جديدة عرفت بمرحلة الحكم الثنائي.(١)

ولم تحكم الدولة المهدية سيطرة قبضتها على الجنوب ؛ ومن ثم لم تقم فيه إدارة فاعلة ، وعندما قام عبدالله التعايشي - خليفة المهدي - بمحاولته لغزو الجنوب ، كان يهدف للتخلص من الإدارة المصرية ، وزيادة عدد الجهادية من رجاله.(٢) ولم يكن يهدف إلى جمع العبيد ، أو نشر الإسلام؛ بل لقد أوقف التجارة الفردية في العبيد.(٣)

دمّرت المهدية في الجنوب كل أثر للإدارة والسلطة ؛ ممّا أدى إلى وقف التقدم الإسلامي ، الذي تحقق في أثناء الحكم العثماني المصري ، وخلال فترة النشاط التنصيري ، وضعف نفوذ المهدية بعد سنة : ١٣٠٢هـ - ١٨٨٥م ، سقط الجنوب في غار الفوضى والمنازعات القبلية ، وعاد الأمر كما كان قبل الإدارة العثمانية الإسلامية.(٤)

---

(١) المركز الإسلامي الأفريقي ، السياسة التعليمية ، ص : ١٤ .

(٢) Collins R.,O., The Southern Sudan:(1883-1878 A.D.), page : 52.

(٣) السابق ، الصفحة نفسها .

(٤) Professor Bashir M.O., The Southern Sudan, Background to Conflict, Horst and Co., page: 52.

وقد كانت هزيمة المهديين في الرجاف ، ثم في معركة أم درمان ، سنة : ١٣١٦هـ - ١٨٩٨م إعلانًا لانتقال مصير الجنوب من أيدي الأفارقة إلى أيدي الأوربيين الكفرة ، وكانت الأبواب التي فتحت ، سنة : ١٢٩٩هـ - ١٨٨٢م ؛ نتيجة للاحتلال البريطاني لمصر ، ثم أغلقت نتيجة لثورة المهدي ، ثم فتحت من جديد ، ومهد الطريق مرة أخرى أمام تغلغل التجارة الأوربية والنصرانية ، وجنوب السودان . ودخل السودان الجنوبي حلبة السياسات الدولية ، والتزاحم بين الدول الأوربية على أراضي أفريقيا ؛ نتيجة لإعادة فتحه على يد الجيوش الإنجليزية المصرية ، وانتقال الحكومة فيه للإدارة المصرية الإنجليزية ، أي : الإدارة الثنائية .[1]

هذه هي أوضاع السودان في ظل الثورة المهدية ، وتلك هي صورة جنوبه .

وبعد هذا الذي عرضنا له في مبحث (السودان في عهد الثورة المهدية) نخلص إلى النتائج الآتية :

الأولى : إن الحركة المهدية كانت أشبه برد الفعل على انتشار الفساد ، وتحكم الأجانب في إدارة البلاد ، وإرهاق كاهل الشعب بالضرائب ، وفتحت الأبواب للمغامرين والمنصرين ؛ كي يعيثوا في طول السودان وعرضه . ومن ثم جاءت الحركة المهدية حركة إصلاحية اجتماعية ، فقمعت فتن المفسدين ، ووقفت في وجه المنكرات ، من

---

(١) السابق ، ص : ٤٠ .

خمر وزنا ، وتصدّت للنشاط التنصيري ، والنفوذ الأجنبي طيلة فترة حكمها ، وعملت في سبيل الإصلاح على بعث الإسلام من جديد .

الثانية : إن الحركة المهدية بصفتها حركة إسلامية ساعدت على نشر الإسلام في السودان وأفريقيا ، وإرساء دعائمه ، والتصدي لأعدائه والمارقين عليه ؛ بل امتد صوت المهدية لينذر بالإسلام ، ويبشر به ، حتى إن قادتها بعثوا رسائل لخديو مصر ، وللملكة فيكتوريا بهذا المعنى ولغيرهما .

الثالثة : إن كان ما أسلفناه في النتيجتين الأوليين من حسنات المهدية ، فإن ذلك لا ينفي المؤاخذة ، والتفنيد للأفكار العقدية ، التي اعتنقتها المهدية ؛ فهي أفكار تتسم في مجملها بالشطط ، حتى إنها تخالف أهل السنة والجماعة ، وتنحرف بعقيدة التوحيد انحرافاً بيّناً .

الرابعة : إن الحركة المهدية لم تكن بمعزل عن الحركات الإسلامية والسياسية التي كان يمور بها قلب العالم الإسلامي في مشارق الأرض ومغاربها .

الخامسة : إن المهدية أيقظت روح الجهاد في سبيل الله - سبحانه وتعالى - طلباً لإحدى الحسنيين ، فحققت بهذه الروح انتصاراتها ، وبسطت نفوذها على السودان كله ، وروح الجهاد إذا استيقظت في النفس لا تبالي على أي جنب كان في الله مصرعها . . وتلك هي الروح

التي تحتاجها أمتنا المسلمة اليوم ، وقد تداعى عليها أعداؤها تداعي الأكلة على قصعتها .

السادسة : إن الكيان السياسي والجغرافي للسودان لم يتحدد بالصورة المعروفة الآن ، إلا بعد الدولة المهدية .

السابعة : من حيث جنوب السودان : نجد أن الحركة المهدية كان لها في جنوب السودان آثار إيجابية وسلبية على السواء . فالقبائل الجنوبية النيلية الأصل ، مثل : الشلك ، والدينو ، والشلوك ، وغيرها ، رحّبت بالحركة المهدية ، وشاركت في الثورة ، رفضاً للإدارة الجائرة الظالمة ، ممّا جعل جنوب السودان كله ملتحمًا بالشمال في مواجهة فساد وظلم الإدارة ، وهذا هو الجانب الإيجابي .

الثامنة : تمثّل الجانب السلبي في : أثر المهدية في جنوب السودان في أنها وإن لفتت الأنظار للإسلام ، إلا أنها شغلت عن نشره في الجنوب بتوجهها للقتال في الشمال ، كما أنها دمّرت كل أثر للإدارة والسلطة ، فتوقف المد النسبي للإسلام ، الذي حققه في ظل الحكم العثماني المصري في أثناء نشاط الحملات التنصيرية الحاقدة .

التاسعة : بهزيمة المهدية وانتهاء دولتها ، عمّت الفوضى والمنازعات القبلية جنوب السودان ، فعاد لما كان عليه قبل سيطرة المهديين .

العاشرة : انتقل جنوب السودان بانتهاء الدولة المهدية من أيدي الأفارقة إلى أيدي الأوربيين الصليبيين المتعصبين ، ومن ثم فتحت

أبوابه للتغلغل النصراني ، وحرص المحتلون على محاربة كل أثـــر للإسلام والمسلمين عَلِقِ بالجنوب .

الحادية عشرة : ظهرت الأطماع الأوربية الصليبية المتعصبة الحاقـــدة في صورة متكالبة على السودان بعامة ، وعلى جنوبه بخاصة . . وكشف البلجيك ، والإيطاليون ، والفرنسيون ، والإنجليز أقنعتهم ، وحرصوا على تمزيق السودان المسلم ، وبسط نفوذهم عليه . . ولـــذا كان لكل فريق من هؤلاء صدام مع المهديين ، حتى سقطت دولتهـــم تحت المعاول الكثيرة ، والأزمات الطاحنة .

الثانية عشرة : فيما نراه أن التكالب الأوربي الحاقد إنمـا كشف عن وجهـــه ، وساوم بعضهم بعضاً بدافع غير دافع الهيمنة والاحتـــلال فقط ؛ وإنمـــا بدافع التصدي للروح الإسلامي حتى لا تستيقظ في الشعـوب المسلمة كلها ، فيخسر الغرب أحلامه ومستعمراته ؛ بل يخـــاف على نفسه في أوربا ؛ إذ يفقد الأمان ، ويصاب بالقلق والانزعـــاج إذا اشتعلت هذه الروح في قلوب المسلمين ؛ ولذا كانت بريطانيـــا تفكر بإنشاء سور عظيم من الجمعيات التنصيرية يخترق قلب أفريقيا ممتداً من رأس الرجاء الصالح في الجنوب إلى القاهرة في شمـــال القـــارة .

الثالثة عشرة : وغير خاف أن الحقد والتعصب للنصرانية الصليبية هي الروح المسيطرة على الغرب الكافر منذ الحملات الصليبية ، وإلى يـــوم الناس هـذا .

المبحث الرابع

سياسة المناطق المغلقة

أيام الاحتلال البريطاني

المبحث الرابع

سياسة المناطق المغلقة أيام الاحتلال البريطاني

مدخل : عندما تمكن البريطانيون من السيطرة على السودان ، كانوا على يقين من أن بقاءهم لن يمتد طويلاً ؛ لذلك سعوا من أجل الاحتفاظ بجزء من هذا البلد الكبير ، بكل طريق ممكنة .

كما مارست الإرساليات التنصيرية التي قدمت إلى السودان كل السبل التي تضمن لها وجود حاجز بين الإسلام في الشمال ، والنصرانية في الجنوب ، وأن يكون لها منفذ إلى وسط وشرق أفريقيا ؛ لهذا سعت إلى الضغط على المحتل البريطاني ، لمساندتها من أجل تحقيق هذا الطلب .

ومن أجل هذه الأطماع عمل المحتل البريطاني على أن يفصل بين الشمال والجنوب ، بكل سبيل ممكن ، ومن هذه الأساليب : سياسة المناطق المغلقة .

والمراد من سياسة المناطق المغلقة : إخلاء جنوب السودان من أي وجود إسلامي ، وإحياء القوميات المحلية ، وإذكاء نار الكره والحقد على كل مسلم ؛ وبخاصة من أبناء الشمال السوداني ؛ ليمهد هذا لانفصاله مستقبلاً عن الشمال .

الوضع قبل سيطرة بريطانيا ، سنة : ١٣١٧هـ - ١٨٩٩م :

المعلومات المتوافرة عن جنوب السودان قبل سنة : ١٢٣٥هـ - ١٨٢٠م، كانت محدودة للغاية ، برغم ما عرف عن وجود آثار لقرى صغيرة على امتداد النيل الأبيض منذ العصر الحجري ، وقد كانت هذه المعلومات تتصل بلا شك باهتمام الباحثين باكتشاف منابع النيل ، وعلى الرغم من ذلك لم يقم أي منهم بزيارة منطقة الجنوب ، التي ظلت مغلقة ومنغلقة ، وقد عرف المزيد من المعلومات عن المنطقة في عهد حكم أسرة ((فانج)) في سنار في القرن الخامس عشر ؛ إذ كانت تتصارع القبائل ، ويسيطر القوي منها على الضعيف ، وقد أوقف هذه الممارسات الفتح العثماني للسودان (١) ، سنة : ١٢٣٥هـ - ١٨٢٠م ، الذي فتح هذه المناطق أمام التجار والمستكشفين ؛ وذلك في ظل خضوع السودان بأكمله ، ولأول مرة لسلطة حكومة واحدة ؛ ولعل أولى النتائج التي ترتبت على الحكم الجديد : اكتشاف منابع النيل ؛ إذ توالت البعثات الكشفية للجنوب من قبل المصريين والإنجليز بصفة مخصوصة ، ولم تحل سنة : ١٢٩٤هـ - ١٨٧٧م ، حتى كان مجرى النيل من بحيرة فيكتوريا (٢) وحتى الخرطوم

---

(١) مكي شبيكة ، السودان عبر القرون ، ص : ٧٧ - ٨٠ .

(٢) هي : أكبر بحيرات أفريقيا ، وأكبر بحيرات العالم العذبة ، بعد بحيرة (سوبير يور) الأمريكية ، تحف بها أوغندا ، وتنزانيا ، وكينيا ، تعد المنبع الأول لنهر النيل ، الذي يخرج من شاطئها الشمالي ، باسم : نيل فيكتوريا . كشف البحيرة " جون سبيك " الإنجليزي ، سنة : ١٢٧٤هـ - ١٨٥٨م ، وأطلق عليها اسم الملكة " فيكتوريا " . يصب في ساحلها الغربي نهر " كاجيرا " .

قد أصبح معروفاً بأكمله.[١]

ونتيجة لهذه الكشوف : كانت منطقة الجنوب للتجار ، وكانت التجارة تشمل بصفة أساس : العبيد ، والعاج ، وكانت تجارة العبيد معروفة في السودان منذ قرون ، لكنها ازدهرت مع بداية الفتح العثماني المصري ؛ إذ تحولت إلى تجارة رابحة ، يمارسها التجار الأوربيون في الخرطوم بمساعدة أعوان من العرب المسلمين . . ومن هنا : يأتي زيف الادعاء بمسئولية الشماليين وحدهم عن هذه التجارة ، وقد سعت كل من تركيا ومصر إلغاء تجارة العبيد بوساطة إصدار عدة تشريعات تأرجحت فاعليتها بين النجاح والفشل.[٢]

كما ترتب على الحكم التركي المصري : انفتاح السودان بأسره أمام النصرانية والإسلام ؛ إذ اعتنقت بعض القبائل الجنوبية دون الأخرى الإسلام ، واتخذت من المبادئ الإسلامية ، واللغة العربية ثقافة لها ، أما النصرانية : فقد انتشرت - أيضاً - في ذلك الوقت بوساطة المنصرين.[٣]

ولقد اعتمد الحكم العثماني المصري في إدارته للسودان ؛ وبخاصة

= أحمد عطية الله ، دائرة المعارف الحديثة ، ص : ٤٧٢ .
د . حسين سعيد ، الموسوعة الثقافية ، ص : ٧٢١ .
محمد شفيق غربال ، الموسوعة العربية الميسرة ، جـ : ٢ ، ص : ١٣٠٦ .

(١) Professor Bashir M.O., The Southern Sudan,Background to Conflict, Horst and Co., page:133.

(٢) مكي شبيكة ، تاريخ سودان وادي النيل ، ص : ٣٨٦ - ٣٨٨ .

(٣) د . حسن مكي ، التبشير المسيحي في العاصمة المثلثة ، ص : ٣ .

المنطقة الجنوبية على مدراء أوربيين نصارى ، وقد بذل جوردون باشا الإنجليزي - عندما كان مديراً للمديرية الاستوائية - جهداً عظيماً في استجلاب المزيد من المنصرين ، وفتح لهم الباب على مصراعيه ،إلا أن هذه الجهود أحبطت بقيام الثورة المهدية ، سنة : ١٣٠٢هـ - ١٨٨٥م /١٣١٦هـ - ١٨٩٨م .(١)

وقد عمل الحكم الثنائي المصري الإنجليزي في أثناء الحكم العثماني على تعميق الفرقة بين الشمال والجنوب ، إذ أصبح الجنوب مزقاً تعوزه الوحدة والأمن والاستقرار ، وقد يرجع ذلك لرفض القبائل الجنوبية الخضوع للإدارة المشتركة ، ويؤكد ذلك : ما لاقته الثورة المهدية من تأييد بعض القبائل الجنوبية، ليس بصفتها حركة طائفية ، بل بصفتها حركة تقاوم الحكم المشترك .(٢)

وقد سعت الحركة المهدية منذ البداية لسد نفوذها في الجنوب، ولكنها واجهت مقاومة خارجية : مما جعلها لا تتمكن من بسط نفوذها كاملاً عليه ، وكان الأثر الذي خلفته هناك ، هو : تدمير الإدارة والسلطة ، بل إن الجنوب قد سقط في غياهب الصراعات القبلية

---

(١) Obba omos , Sudan problem : (1955 - 1972 A.D), page: 22, printed in : London.

(٢) د . جعفر محمد علي بخيت ، الإدارة البريطانية والحركة الوطنية في السودان (١٩١٩ - ١٩٣٩م) ، ص: ٣٢ - ٣٣، ترجمة: هنري رياض ، ط : الأولى ، دار الثقافة ، بيروت ، سنة: ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م . الناشر : مكتبة خليفة عطية ، بالخرطوم .

مرة أخرى ، وقد كانت هزيمة المهديين ، سنة : ١٣١٦هـ - ١٨٩٨م إعلاناً بانتقال مصير جنوب السودان من أيدي الأفريقيين لأيدي الأوربيين ؛ إذ دخل السودان بعامة ، وجنوبه بخاصة حلبة السياسة الدولية بغزو القوات المصرية والإنجليزية له ، في سنة : ١٣١٧هـ - ١٨٩٨م.(١)

السياسة البريطانية إزاء جنوب السودان :

في سنة : ١٣١٦هـ - ١٨٩٨م : وقعت اتفاقية الحكم الثنائي بين بريطانيا ومصر ، وكان للإقليم الجنوبي أهمية كبيرة للطرفين : المصري والإنجليزي ؛ ففيما يخص مصر : كان الإقليم يمثل لها وسيلة اتصال ، بالإضافة إلى حاجة مصر لموارد المياه ؛ ولهذا كانت الإدارة في الجنوب تهتم بقيام نظام مستقر . . أمّا الإنجليز : فقد اتبع البريطانيون سياسة الترغيب أحياناً ، والترهيب أحياناً أخرى ؛ لإخضاع المنطقة ، وكانت مسألة الرقيق - على الرغم من قلة انتشاره وقتئذ - من أهم المسائل التي قدمت سبباً لإعادة فتح السودان.(٢)

وقد عملت السياسة البريطانية في جنوب السودان على محاربة الإسلام وانتشاره ، وقد أطلقت للكنائس حرية العمل في الجنوب ، كما قسم الجنوب إلى مناطق يمارس فيها كل مذهب نصراني نشاطه ، وأعطيت

---

(١) Professor Bashir M.O., The Southern Sudan ,Background to Conflict, Horst and Co., page: 53.

(٢) السابق ، ص : ٥٤ - ٥٦ .

الكنائس حق بناء مدارس تنصيرية ، وبدأت نشاطها المكثف منذ بداية، سنة : ١٣١٩هـ - ١٩٠١م ، وفي سنة : ١٣٢٦هـ - ١٩٠٨م : أصبحت اللغة الإنجليزية هي اللغة الرسمية في جنوب السودان ، وأصبحت العطلة الأسبوعية يوم الأحد ، بدلاً من يوم الجمعة ، وقد أوكلت مهمة التعليم للإرساليات التنصيرية ؛ ومن ثم فقد كان على التلاميذ أن يتنصّروا قبل أن يبدأوا التعليم ، ولم يكن أمام التلاميذ خيار على التنصير.(١) هذا إذا أرادوا التعليم ؛ وبذلك فإن الإرساليات التنصيرية كان لها دور مهم في الحياة في جنوب السودان ؛ وبخاصة في أثناء فترة تطبيق قانون المناطق المغلقة.(٢) انظر : الخريطة رقم (١٧) .

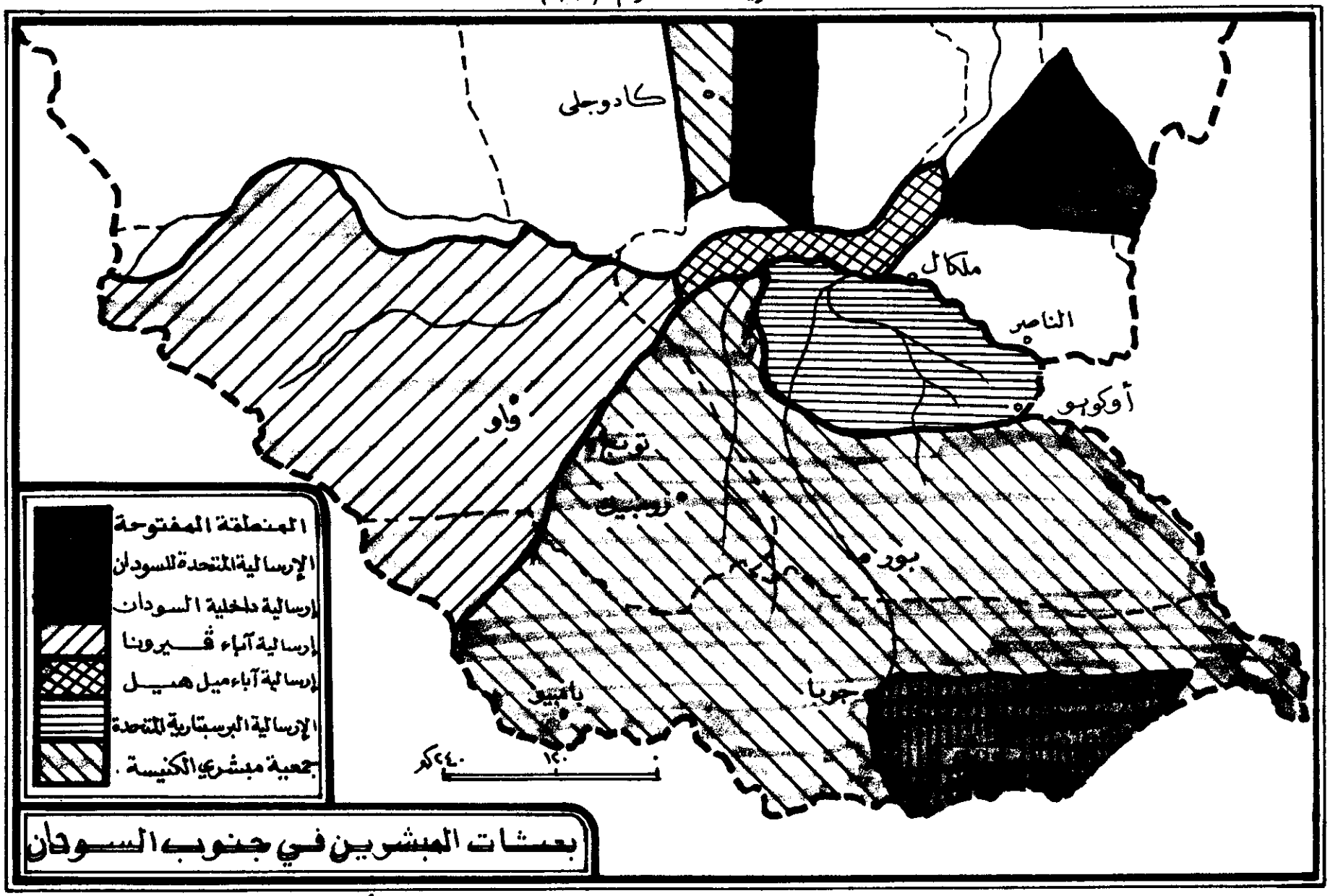
ولقد عملت السياسة البريطانية على فصل الإدارة بين الشمال والجنوب ، وظهر ذلك في تقرير ، سنة : ١٣٣٩هـ - ١٩٢١م ، وأصبح لكل سلطة محلية إدارة مخصوصة ، أي : سياسة مخصوصة لكل من الشمال والجنوب ، ولكن تحت رعاية وإشراف الحكومة ، وأدى تطبيق هذه السياسة في الجنوب إلى تشجيع إنشاء محاكم الرؤساء ، وتدعيم السلطات التقليدية ، وأصبح الرؤساء حاجزاً بين الناس والإدارة ، بدلاً من أن يكونوا أداة فاعلة بين الإدارة والشعب ؛(٣) بل كانوا يبذلون الجهد للحيلولة دون

1- Eprile C.,War and Peace in the Sudan , page: 84 , printed in:London , at: 1950 A.D.

2- Professor Bashir M.O., The Southern Sudan ,Background to Conflict, Horst and Co., page:56.

3- Range S., Report about the effects of Zandy project, page : 250, printed in : Joba Ministry of education.

خريطـــــة رقم (١٧)



المصدر: د . محمد عبدالغني سعودي،وآخرون ، مشكلة جنوب السودان ، مركز بحوث الشرق الأوسط ، جامعة عين شمس ، سنة: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

نشوء اتصال مباشر بين الأهالي والإدارة ، ومن الطبعي كونهم أداة تحول دون التطور والتغيير .(١)

وقد تم نقل الإدارة إلى أيدي الجنوبيين ، سنة : ١٣٣٥هـ - ١٩١٧م ، عندما أنشئت قوة عسكرية محلية باسم (قوات الاستوائية) ؛ لتحل محل الحامية الشمالية الموجودة في الجنوب ؛ إذ صدرت للأخيرة أوامر بمغادرة الجنوب ، والتمركز في شمال البلاد ؛ إذ كانت تلك الحامية الشمالية وتجار الشمال ، والطرف الثالث - وهم الموظفون - يمثلون حلقة وصل قوية بين الشمال والجنوب .(٢)

إذن فبريطانيا النصرانية قد مهدت بمساعدة الإداريين الإنجليز الذين عملوا بالسودان على عزل جنوب السودان ، وإنشاء قوة من الوثنيين والنصارى من سكان الجنوب بقيادة ضباط إنجليزي، وسميت بالفرقة الاستوائية ، وبمجرد تشكيلها في سنة : ١٣٣٥هـ - ١٩١٧م ، تم إجلاء جميع القوات السودانية والمصرية التابعة للحكومة المصرية ، من الجنوب السوداني ؛ لتنفرد بريطانيا بحكمه باسم مصر ، حتى يمكن أن تكشف مخططاتها الماكرة ؛ لتفصل الجنوب عن الشمال.(٣) وتستطيع أن تجني من ذلك فوائد عدة ، منها :

---

(١) Professor Bashir M.O., The Southern Sudan, Background to Conflict, Horst and Co., page:136-137.

(٢) خطاب (أدمين) لونجب منجلا ، بتاريخ ١٩ من شهر ذي الحجة، سنة: ١٣٢٨هـ - الموافق: ٢١ ديسمبر، سنة: ١٩١٠، ص: ٦.

(٣) د. عبد العزيز كامل ، دراسة في الجغرافيا البشرية ،ص: ١١١.

أ - إغلاق جنوب السودان بعزلة كاملة تمنع تعامله مع باقي أجزاء القطر الشمالي ، بحيث يمكن الاعتماد عليه ، بوصفه شقًا معرقلاً لأي تحرك إسلامي وطني محتمل في الشمال .

ب - تحويل ولاء جنوب السودان إلى بريطانيا ، وإبعاده عن الشمال ، ويأتي هذا عن طريق نشر الثقافة البريطانية النصرانية .

جـ - وضع بذور التعصب الديني المعادي للإسلام والمسلمين ، الذي هو دين الأغلبية في الشمال.[1]

ولتنفيذ هذا المخطط الخبيث وجّه حاكم السودان في سنة : ١٣٤٧هـ - ١٩٢٩م إدارته لتنفيذ سياسة جديدة في الجنوب ، مقوماتها هي :

١- الالتجاء إلى العرف والتقاليد في جنوب السودان ، على أنها مصادر للتحكيم ، والقضاء ، وإهمال الشريعة الإسلامية .

٢- العمل على تثبيت الحياة القبلية بكل علاقاتها المختلفة .

٣- تشجيع اللهجات المحلية ؛ خوفًا من الإسلام الذي يجمعهم على لغة واحدة ، توحد قلوبهم .

٤- العمل على نشر اللغة الإنجليزية ، وجعلها لغة التخاطب بين قبائل الجنوب .

1- Bashir , The Sudan, Gross Roads of Africa, Roadley Head , page: 84, printed in : London ,at:1965 A.D.

٥- محاربة اللغة العربية ، والأسماء العربية ، والزي العربي .

٦- محاربة العادات والتقاليد التي انتقلت من الشمال للجنوب ؛ وبخاصة الأفراح بالأعياد الإسلامية ، وأن تكون العطلة الأسبوعية يوم الأحد بدلاً من الجمعة .

٧- تشجيع ما سار عليه السكان من عري ، ومحاربة ما يدعو إليه الإسلام من ستر الجسم .

٨- نقل ضباط الإدارة والحكومة المحلية الشماليين من الجنوب إلى الشمال .

٩- إقصاء التجار الشماليين من الجنوب ، وفتح المجال أمام اليونانيين ، وأبناء أقطار الشام النصارى للعمل في الجنوب ، بدافع الرغبة في إيجاد صراعات داخلية بين العرب المسلمين ، وعلى هذا الأساس تم على الفور ترحيل كل قرى المسلمين من المديريات الجنوبية إلى مديرية النيل الأزرق ، وكسلا ، ودارفور .(١)

وقد بدأ تنفيذ هذا المخطط عملياً في سنة : ١٣٤٩هـ - ١٩٣٠م .(٢)

وصدر إنذار بريطاني حدد بموجبه اليوم الحادي والثلاثون من ديسمبر، سنة : ١٩٣٠م - الموافق : الحادي عشر من شهر شعبان ، سنة : ١٣٤٩هـ،

---

(١) السابق ، ص : ٨٤ - ٨٥ .

(٢) Professor Bashir M.O., The Southern Sudan , Background to Conflict , Horst and Co., page:108.

على أنه آخر موعد لاكتمال هجرة الشاليين من الجنوب ، وتلت هذا تعليمات مشددة بعدم السماح للشماليين بدخول الجنوب ، إلا بإذن خاص من السلطات البريطانية.(١)

كما تم تدعيم هذه السياسة الانفصالية بحملة إرهابية شنتها السلطات البريطانية على أبناء جنوب السودان ، اتخذت صورة عدم الاعتراف بالأسماء العربية بينهم ، وإجبارهم على الارتداد عن الإسلام؛ وذلك بفصل المسلمين من أي عمل كانوا يقومون به في أي مرفق حكومي.(٢)

إجراءات في الوضع الاقتصادي :

تم الاتفاق بين الإرساليات التنصيرية والمحتل البريطاني على تخفيض مرتبات العاملين في الجنوب تحت ستار محدودية مطالبهم؛ لهذا خفضت الأجور إلى أدنى حد ممكن ، وفي ظل هذا المستوى المتدني للأجور وجدت الكنيسة فرصة لتقديم العون المادي للمواطنين؛ لتغطية انخفاض الأجور ، وهذا أدى إلى دعم نفوذ الكنيسة ، وسيطرتها على العاملين في الجنوب.(٣)

---

(١) علي حسن عبدالله ، الحكم والإدارة في السودان ، ص : ١٧٩ .

(٢) عبد الغفار محمد أحمد ، السودان والوحدة في التنوع ، تحليل الواقع ، واستشراف المستقبل ، ص : ٢٧ ، ط : المكتبة العربية ، ببرلين الغربية ، سنة : ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

(٣) د . عبد العزيز كامل ، الجغرافيا البشرية للسودان ، ص : ١١٣ .

وفي ظل هذا الضغط صدرت أول قوانين إغلاق جنوب السودان ؛ ففي سنة : ١٣٤٠هـ - ١٩٢٢م : صدرت قوانين الجوازات والإقامة ، وصارت بموجبه المديريات الجنوبية الثلاث مناطق مقفولة ، لا يسمح بالدخول فيها إلا بإذن من السلطات [١] . ثم أصدر قانون الرخص التجارية ، سنة : ١٣٤٣هـ - ١٩٢٥م ، وكلها تحول دون حرية العمل التجاري للتجار المسلمين ، وقد قالت الحكومة معللة هذا القرار : إنها تريد ضمان مصالح أهالي السودان المتخلفين من استغلال سكان الأقاليم المتقدمة [٢] .

وبإصدار تلك القوانين وغيرها من القوانين الإدارية الأخرى ، تم عزل الجنوب عن باقي أقاليم السودان [٣] .

إجراءات في العملية التعليمية :

ومن الإجراءات التي واكبت عملية إغلاق الجنوب ، إجراءات استهدفت ضرب الوجود الإسلامي في الجنوب عن طريق التعليم ؛ إذ قام المحتل بإسناده إلى أكبر أعداء الإسلام الظاهرين [٤] .

انظر : الخريطة رقم (١٨) .

---

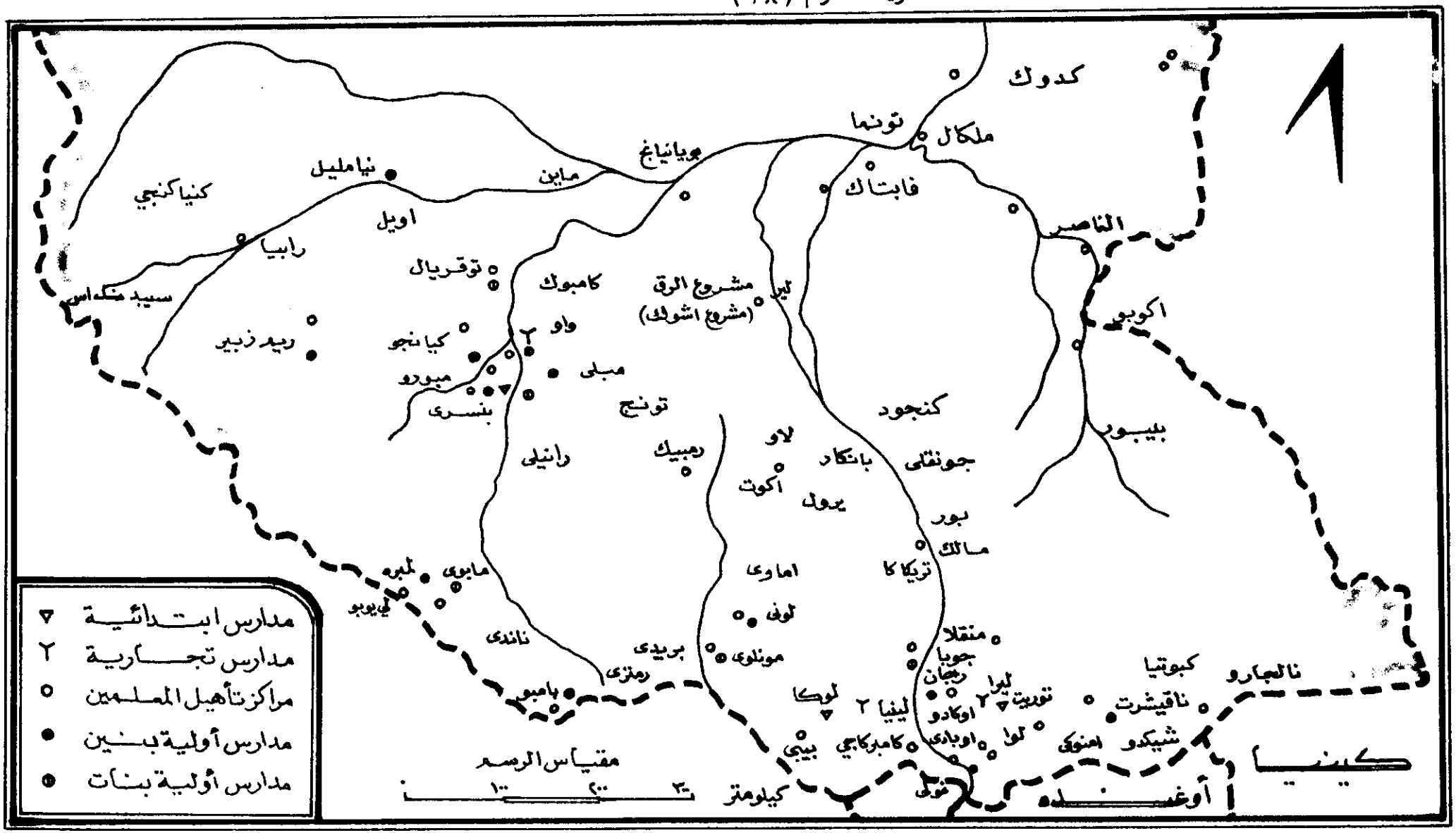
(١) عبد الرحيم محمد ، تطور الإدارة البريطانية في السودان (١٨٩٩ - ١٩١٩م) ، ص : ٤ ، ط : الخرطوم ، سنة : ١٣٠٦هـ - ١٩٤٨م .

(٢) د . إبراهيم عكاشة ، التبشير النصراني في جنوب السودان ، ص : ١٢٠ .

(٣) عبد الرحيم محمد ، تطور الإدارة البريطانية في السودان ، ص : ٥ .

(٤) د . مدثر عبد الرحيم ، تطور السياسة البريطانية في السودان ، ص : ٧ ، ط : مكتبة الدراسات السودانية ، بالخرطوم ، سنة : ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م .

خريطة رقم (١٨)



د . فيصل محمد موسى ، الكنيسة ودورها في السياسة التعليمية في جنوب السودان تحت الادارة البريطانية ، مجلة (دراسات أفريقية)، ص : ٩٧ ، المركز الاسلامي الأفريقي ، العدد : الأول ، رجب ١٤٠٥هـ - أبريل ١٩٨٥م.

النشاط الاقتصادي في المديريات الجنوبية في دائرة المناطق المغلقة :

بصدور قانون المناطق المغلقة ، سنة : ١٣٤٠هـ - ١٩٢٢م أصبحت مديريات دارفور ، والاستوائية ، وأعالي النيل[١] ، وأجزاء من شمال كردفان ، والجزيرة ، وكسلا ، مناطق مغلقة إلى الحد الذي حرم أي شخص ما لم يكن من أهالي السودان من الدخول ، أو البقاء في تلك المنطقة ، إذا لم يكن بحوزته تأشيرة بذلك من مكتب السكرتير الإداري ، أو من مدير مديرية المنطقة المغلقة ، وإن أي مواطن سوداني يمكن منعه من الدخول ، أو البقاء في تلك المنطقة بوساطة السكرتير الإداري ، أو بوساطة مدير المديرية.[٢]

وبصدور قانون الرخص التجارية ، سنة : ١٣٤٣هـ - ١٩٢٥م : تم إحكام القبضة على جنوب السودان ؛ إذ نص هذا القانون على أنه لا يسمح لغير السوداني بمزاولة الأعمال التجارية ، دون الحصول على رخصة تسمح له بممارسة التجارة في الجنوب ، ولا يسمح في الجنوب لأي سوداني أن يتاجر في أي سلعة غير السلع المحلية ، على ألا يشمل ذلك الإتجار في سن الفيل ، في أي مكان خارج مركز المدينة ، إلا إذا حصل على ترخيص بذلك.[٣]

---

(١) هي : مديرية بجنوب شرق السودان ، عاصمتها " ملكال " ، وأغلب سكانها قبائل نيلية قوية ، معظمها وثني .
محمد شفيق غربال ، الموسوعة العربية الميسرة ، جـ : ١ ، ص : ١٧٢ .

(٢) Professor Bashir M.O., The Southern Sudan , Background to Conflict, Horst and Co., page: 98 - 99.

(٣) مجلدات قوانين السودان ، ص : ١٣٧ - ١٣٨ ، ط : سنة : ١٣٦٠هـ - ١٩٤١م .

وكان المقصود بمثل تلك القوانين استبعاد المصريين ،وأبناء الشمال المسلم ، وغيرهم من المسلمين من الجنوب ؛ خشية قيامهم بأعمال ضد السياسة الإدارية المتبعة (١) ، ولقد ذكر السكرتير الإداري السير هارولد ماكمايكل في خطاب لمديري المديريات الجنوبية ، سنة : ١٣٤٩هـ - ١٩٣٠م ما يأتي : كانت الحكومة تفضل دائماً تشجيع التجار النصارى بقدر الإمكان ، مثل : اليونانيين ، والسوريين ، على (الجلابة) أي : العرب المسلمين من أبناء الشمال ؛ ولذلك يجب التقليل من الرخص التي تمنح لأبناء الشمال تدريجياً ، وليس دفعة واحدة ، ويجب ألا يسمح بدخول الجنوب ، إلا لأفضل أنواع (الجلابة) ، الذين ليست لهم غير المصالح التجارية ، التي تؤدى بطريقة مشروعة (٢).

إن حصر نطاق عدد التجار (الجلابة) في المدن والطرق المعروفة أمر ضروري (٣). وكان لتلك القوانين واللوائح والأحكام : آثار سيئة على مجرى التطور الاقتصادي للجنوب ، فضلاً عن إعاقة انتشار الدين الإسلامي (٤).

وفي ظل هذه السياسة عمل الاحتلال على الزيادة في تخلف

---

(١) Professor Bashir M.O., The Southern Sudan, Background to Conflict, Horst and Co., page: 99-100.

(٢) السابق ، ص : ١٠٠.

(٣) السابق ، ص : ١٠١.

(٤) السابق ، الصفحة نفسها.

المناطق المغلقة ، وقد ساعدت الروح السلبية والانهزامية التي تميزت بها البيئات المتخلفة على الثبات في مراحل التخلف ، وقد يرجع ذلك التخلف - أيضاً - لأسباب طبعية ، كالمناخ[1] ، الذي يساعد على الكسل والتراخي ، إضافة إلى أن العادات والتقاليد الوثنية السائدة في تلك المناطق ، لا تشجع على الإنتاج ، بخلاف الدين الإسلامي ، الذي يشجع على العمل والإنتاج ، ويحث عليه ، ويدعو له ، ويرغب فيه ، والأمثلة كثيرة في القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة .[2]

النشاط التجاري :

أمّا التجارة : فكان حالها كباقي أحوال الأنشطة الاقتصادية الأخرى ، إذ كان الاحتلال الصليبي الحاقد يضرب بيد من حديد على كل مقومات التنمية .[3]

وبدءً من سنة : ١٣٤٣هـ - ١٩٢٥م : تم منع أي شخص من غير أبناء الجنوب من ممارسة التجارة بدون تصريح ، وقد كان للقوانين واللوائح والأحكام التي عملت على إغلاق الباب أمام التجار الشماليين آثار سيئة في مجرى الرقي الاقتصادي للجنوب ، ذلك لأن محاربة التجار ، وعدم التوسع في تسويق البضائع ، خشية استغلال تجار الشمال لأبناء الجنوب ، لم يشجع التبادل النقدي للسلع ، كما أنه لم يساعد

---

(١) السابق ، ص : ١٢٣ .
(٢) السابق ، الصفحة نفسها .
(٣) السابق ، ص : ١١٤ .

طى ازدهار التجارة بوجه عام.[١]

وقد عمدت الحكومة البريطانية إلى ترحيل تجار الشمال من مناطق الجنوب ؛ وذلك بوضع العراقيل أمامهم ، وطبقت ذلك في الفترة من سنة : ١٣٤٩هـ - ١٩٣٠م ، وحتى سنة : ١٣٦٤هـ - ١٩٤٥م . وقد عقد مؤتمر " سونجالا " ، سنة : ١٣٤٩هـ - ١٩٣٠م ؛ لدراسة عدة مقترحات في هذا الصدد . وطى هذا الأساس حرم الكثير من تصاريح العمل ، ورحل الكثير للشمال ، غير أنه لم يكن من السهل إحلال تجار جنوبيين بدلاً منهم ؛ وذلك أخر وجود اقتصاد نقدي.[٢]

مراحل المخطط الاحتلالي لإغلاق المنطقة أمام المد العربي والإسلامي :

ظهرت بوادر هذا التوجه في الخامس والعشرين من شهر شعبان ، سنة : ١٣٤٨هـ - الموافق : الخامس والعشرين من شهر يناير ، سنة : ١٩٣٠م ؛ إذ أصدر ماكمايكل منشوراً موجهاً إلى المديريات الجنوبية ينص طى أن سياسة الحكومة في جنوب السودان ، هي : إنشاء سلسلة من الوحدات القبلية ، أو الجنسية القائمة ، طى أن يكون قوام النظام فيها مرتكزاً طى العادات والتقاليد المحلية ، والمعتقدات بقدر ما تسمح ظروف العدالة والحكم الصالح.[٣]

---

(١) السابق ، ص : ١١٦ .
(٢) السابق ، ص : ١٢٥ .
(٣) Mac Micheal, The Comming of the Arabs to the Sudan in the Anglo-Egyption, Sudan from Within,page:46.

وقد أعلن ماكمايكل - الذي بث العداء بين الجنوبيين والشماليين، وحارب الإسلام واللغة العربية - في تقريره السنوي، سنة : ١٣٤٧هـ - ١٩٢٩م : أن الإرساليات النصرانية هي حصننا الحصين ضد الإسلام في جنوب السودان.(١)

وقد ارتبطت مسألة التخلص من الوجود الإسلامي والعربي في المديريات الجنوبية بمسألة إغلاق المنطقة الجنوبية أمام هذا الوجود، كما ارتبطت بالمخطط العام للكنيسة القاضي بتجديد نشاطها في البلاد العربية المسلمة، الذي توقف منذ الحروب الصليبية؛ وذلك عن طريق محاصرة الإسلام ولغته العربية بشبكة من الإرساليات التنصيرية، والتصدي للتقدم الإسلامي داخل أفريقيا.(٢) تمهيداً لإخلاء الطريق لنشر الإنجيل، وإيجاد منطقة عازلة بين النفوذ الإسلامي فيما وراء شمال السودان المسلم، والنفوذ النصراني الذي أخذ ينمو في البلاد فيما وراء جنوبه الوثني، على أمل أن يكون تحرك المد النصراني عن طريق الكنيسة الوطنية الأفريقية، لوادي النيل من الجنوب إلى الشمال، الذي أصيبت فيه النصرانية بخيبة أمل كبرى.(٣)

---

(١) السابق، الصفحة نفسها.

(٢) Collins R., Hairtoage R.,Manugement in South Sudan, African Historical Journal, Second Bolk, NO :1, printed in:London, at:1381 H-1961 A.D.

(٣) Collins R.O., The Southern Sudan:(1883 - 1878 A.D.), page : 32.

وقد قام التخلص من الوجود الإسلامي في الجنوب على مراحل وخطوات ، هي :

أولاً : التخلص من التجار المسلمين ، وذلك بمنعهم من التجارة ، وإيجاد البديل الذي يحل محلهم من النصارى .

ثانياً : التخلص من الجنود المسلمين ، وذلك بتكوين جيش جنوبي قوامه الوثنيون من أبناء جنوب السودان .

ثالثاً : طرد الموظفين الشماليين ، وذلك بالسعي على ملء الفراغات التي يوجدون فيها من أبناء الجنوب .

رابعاً : التخلص من اللغة العربية ، وذلك بوضع اللغة الإنجليزية مكانها ، وإحياء اللغات المحلية .(١)

كانت هذه هي الإجراءات الكبرى ، ويمكن أن نضيف إليها الإجراءات الآتية :

١- منع استخدام الملابس العربية .

---

(١) د . إبراهيم عكاشة ، التبشير النصراني في جنوب السودان ، ص: ١١٤ ، ١٢٣- ١٢٤ ، بتصرف واختصار .
طي حسن عبدالله ، الحكم والإدارة في السودان ، ص : ١٨٨ .
د . عبدالمجيد عابدين ، تاريخ الثقافة العربية في السودان منذ نشأتها إلى العصر الحديث ، الدين - الاجتماع - الأدب ، ص: ١٢- ١٣ ، ط : الثانية ، المطبعة التجارية ، بيروت ، سنة : ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م . الناشر : دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع.

٢- منع التسمي بالأسماء العربية والإسلامية .[١]

٣- منع استخدام العربية الركيكة ؛ إمعاناً في التخلص من هذه اللغة، لغة القرآن الكريم .

٤- منع الجنوبيين الذين سبق لهم الإسلام من أداء الشعائر الدينية.

٥- إخماد الروح الديني بالقوة ، كما حدث في تهجير " كفياكنجي "[٢] التي أسلم أهلها .

٦- تهجير القبائل المتداخلة مع القبائل العربية إلى داخل المنطقة المغلقة ، حتى لا يكون هناك مجال للتأثير والتأثر .

٧- إنشاء منطقة حرام بين دارفور وبحر الغزال ، وجعلها منطقة خالية من السكان ، وإنشاء حزام من الكنائس بين المنطقتين .

٨- استخدام الإنجليزية واللهجات المحلية في التعليم والإدارة ، وتوظيف من يتعلم الإنجليزية ، دون غيره ، سعياً لنشر الإنجليزية والنصرانية في المنطقة ، وإعاقة انتشار الإسلام .[٣]

وبعد هذا الذي عرضنا له في مبحث (سياسة المناطق المغلقة أيام الاحتلال البريطاني) نخلص إلى النتائج الآتية :

---

(١) د . حسن مكي محمد أحمد ، السياسة التعليمية والثقافة العربية في جنوب السودان ، ص : ١١ ، ط : المركز الإسلامي الأفريقي .

(٢) هي : قرية تقع على الحد الفاصل بين مديريتي بحر الغزال ودارفور ، وعندما أسلم أهلها ، تم حرقها عن آخرها .
د . حسن مكي ، السياسة التعليمية ، ص : ١٩ .

(٣) د . حسن مكي ، السياسة التعليمية والثقافة العربية في جنوب السودان ، ص : ١٩ - ٢٠ .

الأولى : إن التفرقة بين جنوب السودان وشماله ، لم تعرف إلا في ظل الاحتلال البريطاني الصليبي الوثني الحاقد ، الذي حرص على غرس بذور الكراهية والبغضاء في نفوس أبناء الجنوب ضد إخوانهم في الشمال ، بإقناع الجنوبيين بأن الشماليين قاموا باسترقاقهم ، وبيعهم في الأسواق .

الثانية : إن دوائر التنصير والإرساليات الخاصة بذلك هي : دوائر تعمل في خدمة الدول الاحتلالية الكبرى ، وتوحد بينهم أهداف مشتركة ، وغايات واحدة ، أهمها : كبت أي صوت إسلامي ، وعرقلة انتشار الإسلام ، الذي يقض مضاجعهم انتشاره .

الثالثة: ممّا سبق : يتأكد لدينا أن جهود المنصرين في جنوب السودان ، هي : امتداد لمخطط صليبي وثني ماكر ، أجمع على تنفيذه : المحتل البريطاني ، والإرساليات التنصيرية .

الرابعة : إن بريطانيا والإرساليات التنصيرية رأتا العدو الأوحد ، الذي يمكنه أن يحول دون غايتهم ، هو : الوجود الإسلامي في الجنوب ، وهو وجود له أثره الفاعل ، المتنامي مع الأيام ؛ لذا قرروا محاصرة هذا الوجود ، والتخلص النهائي منه .

الخامسة : وفي سبيل التخلص من الوجود الإسلامي في الجنوب اتبع الحكم البريطاني سياسة المناطق المغلقة في الجنوب ؛ فأصدر قرارات ولوائح تحقق ذلك ، وتحول دون اتصال الشماليين بإخوانهم أبناء الجنوب .

السادسة : ومع القرارات واللوائح أوجد الحكم البريطاني حزاماً أمنياً ، أو منطقة محرمة بين الشمال والجنوب ، لا يتأتى فيها التداخل بين القبائل الجنوبية والشمالية ، ودعم هذا الحزام الأمني بحزام من الكنائس تمثل خط الدفاع في مواجهة المد الإسلامي .

السابعة: وحرص الحكم البريطاني بمساندة المنصرين الكفرة على التخلص من كل ما له علاقة بالإسلام واللغة العربية داخل جنوب السودان ؛ فتخلص من الموظفين والجنود والتجار الشماليين ، وتخلص من اللغة العربية . . لغة الإسلام والقرآن الكريم .

الثامنة : وفي ضوء سياسة المناطق المغلقة التي فرضت على الجنوب عزلة تامة ، أخذ المحتلون والمنصرون يشكلون صياغة العقل الجنوبي ، الصياغة التي تحقق أهدافهم ؛ لغرس مبادئهم ومفاهيمهم؛ فجعلوا التعليم مرتبطاً بالتنصير ، فلا يلتحق به إلا من تنصر ، وجعلوا الإنجليزية اللغة الرسمية ، فهي : لغة التعليم والتخاطب ، مع تشجيع اللهجات المحلية ، وتحريم استخدام اللغة العربية ، والأسماء والأزياء العربية الإسلامية . واكتفت إرساليات التنصير التي تشرف على العملية التعليمية بأن تخرج معلمين أوليين يعلمون النصرانية في المقام الأول .

التاسعة: كان طبعياً إذن أن يصبح جنوب السودان في ظل هذه السياسة منغلقاً فكرياً وحضارياً وسياسياً وإنسانياً ، وأن ينعكس هذا الانغلاق على تشكيل العقل وصياغته ، فسدت الحناجر عن النطق ،وقيدت

الأرجل عن السير في نشر الدعوة الإسلامية .

العاشرة : أدت صياغة الإنسان في جنوب السودان - بهذه الصورة المؤلمة التي رسمها المحتلون والمنصرون الكفرة - إلى ما يعايشه جنوب السودان اليوم من حرب أهلية ضروس بين الشمال والجنوب ، وتخلف اقتصادي وحضاري وفكري ، حتى أصبح أهل الجنوب يئنون جوعاً ، ويتوجعون ألماً وحرماناً .

الحادية عشرة : وفي ظل سياسة الانغلاق والاختناق التي مارسها المحتل في جنوب السودان ، تفشى بين أبناء الجنوب الجوع والمرض والعري والكسل ، على الرغم من غنى المنطقة بثروات هائلة ، زراعية وحيوانية ومعدنية ، وبخاصة البترول ، أو الذهب الأسود ، الذي تم اكتشافه قريباً .

الثانية عشرة : وعلى رأس نتائج السياسة المغلقة : تدمير عرى الدولة الواحدة ، وتمزيق أوصالها ، وشغلها بالصراع الداخلي عن النهوض الذي كان يمكنها تحقيقه في ظل الاستقرار .

الثالثة عشرة : إن الساسة في الشمال لم يتصدوا للمخطط الاحتلالي الغاشم الحاقد بطريقة مدروسة وفاطنة منذ بواكير وجود الإرساليات التي تسربت إلى جنوب السودان ، وانسلت إليه ، كانسلال الأفاعي . فقد كان بوسعهم أن يكشفوا النقاب عن أحقاد وألاعيب الإرساليات التنصيرية الحاقدة العابثة ، ويوضحوا الرؤية للبسطاء من أهل الجنوب ، الذين سقطوا في حبالة التضليل والزيف ، لكنهم انشغلوا

في الشمال بأحزابهم ، وكسب المؤيدين لها ، وأهملوا ما يحدث في الجنوب من قتل للإسلام ، وتدمير لأهله .

الرابعة عشرة : إن نظرة إلى تاريخ البلاد وطبيعتها الجغرافية تؤكد ضرورة الوحدة السياسية بين شمال السودان وجنوبه ، وتجاوز الخلافات ، ففي ذلك صلاح الجنوب والشمال . . فالوحدة مع الشمال هي أفضل طريق أمام الجنوب للاتصال الخارجي ، والشمال هو السوق الرئيس لمحاصيل الجنوب ، التي يستوردها الشمال الآن من الخارج .

الخامسة عشرة : إن الطريق الصحيحة السليمة للخروج من أزمة الانغلاق هي : أن تكون القضية إسلامية سودانية ، والحل إسلامياً سودانياً داخل الوحدة القومية السودانية ، دون التدخل من القوى الخارجية الكافرة ، المتربصة بالإسلام والمسلمين ؛ لبناء مستقبل السودان المسلم من خلال الاهتمام بالتعليم والتنمية الاقتصادية والاجتماعية في ضوء خطة شاملة تنظر للسودان كله بعين واحدة ، لا شمال ولا جنوب ؛ وإنما سودان مسلم واحد .

* * *

المبحث الخامس

الوَضع الحَالي لسُكان الجنوب

وفيه مَطلبان، هُما:

المطلب الأول: الهَويّة، والثقافة

المطلب الثاني: التّنمية، والسّياسة

المبحث الخامس

الوضع الحالي لسكان الجنوب

مدخل :

واجه السودان عدداً من القضايا الكبرى ، التي غيرت مجرى تاريخه ، وأثرت في رقيه سلباً ، ومثلت أمامه تحدياً كبيراً يجب أن يجتاز علوه . ومن أبرز هذه القضايا وأكثرها تأثيراً قضية (جنوب السودان) ، التي استمرت الحرب من أجلها أكثر من اثنين وعشرين سنة ، حتى أنهكت قواه الاقتصادية والعسكرية ، وأطاحت بكل معطياته التنموية .

وقضية جنوب السودان ظهرت بسبب عدد من المؤثرات ، كان من أبرز هذه المؤثرات : انعدام الثقة بين الشمال والجنوب ، وهذه نبتة غرسها ، ومد في جذورها المحتل البريطاني ، الذي أراد بها أن يصل إلى أهداف دينية وسياسية واقتصادية ، إذا امتدت إلى المدى الطويل .

وإذا عرضنا لمواقف الحكومات السودانية من هذه الأزمة ، وكيفية التعامل معها ، فإننا سنجد أنها تحرص على العمل من أجل تهدئة الأوضاع في تلك المنطقة ، على أمل التوصل إلى حل لها .

واذا أمعنا النظر في جذور هذه القضية ، فسنرى أن من أبرز جذورها الانتماء العرقي ، وما يتبعه من تفرقة وعدم مساواة ، إضافة إلى ما تركته المتغيرات الحضارية التي أقيمت على ذلك الأساس ، مما أدى إلى انقسام السودان إلى شمال غني وجنوب فقير ، وصارت هذه التفرقة قاعدة

لصراع دموي رهيب ، بين الشمال والجنوب .

وإنه لمما يزيد المشكلة تعقيداً وتأبيداً خضوعها إلى جانب تلك العوامل الداخلية لمؤثرات خارجية ، تسعى من أجل أن تحدث صداماً كبيراً بين الشمال المسلم ، والجنوب الوثني ، وتمثل هذا في الدعم الكبير للمتمردين الذين أريد بهم تحقيق مصالح مستقبلية لتلك القوى الخارجية .

والآن هل يمكننا أن نقول : إن أساس مشكلة الجنوب هو الصراع من أجل تحقيق هوية قومية للجنوب ؟ .

المطلب الأول

الهَويّـة ، والثـقافة

المطلـــب الأول

الهويـــة والثقافـــة

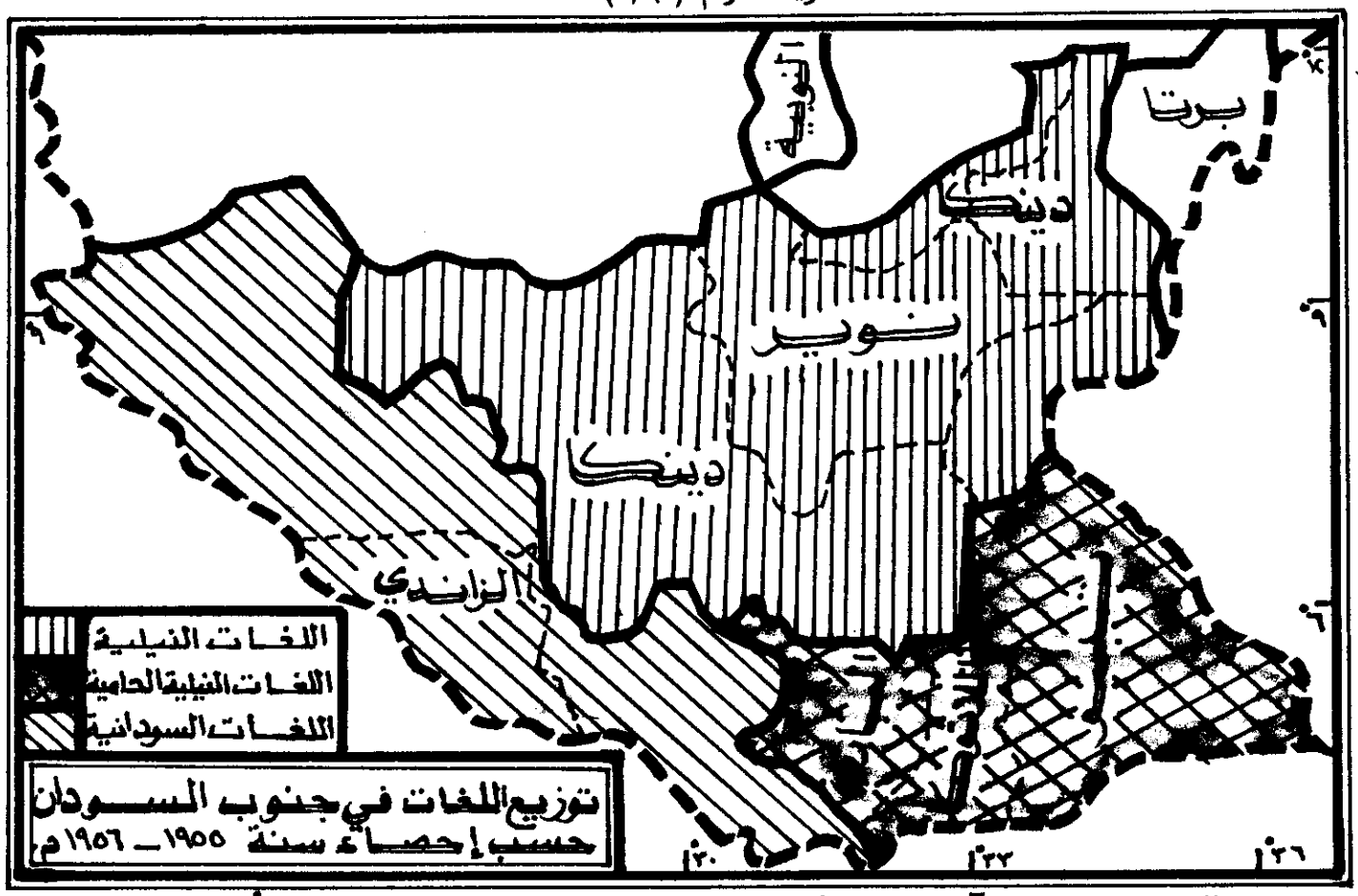
لقد بيّن إحصاء السكان الذي جرى في السودان ، سنـــة : ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م : أن سكان السودان ينقسمون من الناحيـة القوميـــة إلى : ٣٩٪ من العرب ، يتركزون في شمال السودان ووسطه ، و ٢٠٪ من أصحاب العروق الأفريقية ، الذين ينتمون لأكثر من مجموعة سلاليـــة ، ويتركزون في الجنوب ، و ٩٪ من الفور يسكنون أقصى الغرب ، و ٦٪ مـــن البجا يتركزون في الإقليم الشرقي ، و ٢١٪ من النوبيين يعيشون في أقصـــى الشمال ، بالإضافة إلى ٥٪ من القبائل النيلية الحامية في أقصى الجنوب ، وأظهر الإحصاء نفسه أن : ٥١٪ من السودانيين يتحدثون العربية ، و ١٨٪ منهم يتحدثون لغات نيلية ، و ١٢٪ يتحدثون لغات سودانية.(1)

انظر : الخريطة رقم (١٩).

ومن هذا الإحصاء يتضح لنـــا : مدى الانقسامات الكثيرة الـتي شملت أبناء السودان كله . وقد سعت القوى الحاكمة في السودان - بعـــد الاستقلال - إلى التغلب على هذه الانقسامات ، ودمج الشعـب كلـــه في وحدة اجتماعية وثقافية واحدة .

1- Holt P.A., A modern history of Sudan, page: 5- 11, printed in : London , at: 1961 A.D.

خريطة رقم (١٩)



محمد عبد الغني سعودى ، وآخرون ، مشكلة جنوب السودان ، مركز بحوث الشرق الأوسط ، جامعة عين شمس ، سنة : ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

فكل من حزب الأمة ، والجبهة الإسلامية ، ينظران إلى مسألة الهوية والثقافة في السودان بنظرة متقاربة ، وجوهر هذه النظرة وملخصها ، هو : إعطاء ضمانات للثقافات الأفريقية، لعلاج ظاهرة انفجار العنف في الجنوب ، بسبب هذه الانقسامات ، غير أن الحل - من وجهة نظرهم - لمشكلة التكامل القومي في السودان لن يتحقق إلا عبر توحيد ثقافة كل من السودانيين على أرضية عربية مسلمة ، وربما يكون من الصعب إنكار أن الشعب الموحد ثقافياً أكثر اقتراباً من تحقيق التكامل القومي من شعب يعاني الانقسام الثقافي.(١)

ولمّا كانت القوى الحاكمة في الشمال قد أظهرت انحيازاً للإسلام والعربية ، فلقد كان منتظراً أن يلقى هذا الانحياز معارضة من الجنوب. لهذا ذهب حزب التجمع السياسي لجنوب السودان ، مذهباً مختلفاً في طرح قضية هوية السودان ، فالازدواجية الأفريقية العربية يمكن أن تطلق على السودان الشمالي ، وليس السودان الجنوبي ، الذي يضم عناصر زنجية ، تتميز بثقافة أفريقية بحتة ، وعليه : فإن التجمع السياسي لجنوب السودان يطرح بشكل أكثر قوة من التنظيمات الجنوبية الأخرى موقفه من قضية الثقافة والهوية ، وبخاصة في الجنوب ،فهو يسعى جاداً لترقية الثقافة والذاتية الأفريقية محلياً ودولياً ، ويعمل ويولي اهتماماً

---

(١) د . جمال عبدالجواد ، الثقافة والهوية ونظام الحكم ، الصراع حول مستقبل السودان ، مجلة (السياسة الدولية) ، العدد : ٩١ ، ص : ١١٣ - ١١٤ .

خاصاً بتنمية اللغات الأفريقية ، على أنها وسيلة للإعلام والعمل الرسمي ، ونشر الثقافة الأفريقية عن طريق وسائل الإعلام العامة ، ويعلن التجمع السياسي لجنوب السودان : أنه يرفض ويندد بأي مساع من أي مجموعة أو منظمة سياسية ، تهدف إلى تقريب واستقطاب العناصر غير المسلمة من شعب هذا البلد .(١)

اقترح جون قرنق " جارنج " (٢) ـ قائد حركة تحرير شعب السودان ـ مفهوماً مختلفاً لهوية السودان ، فعلى الرغم من انطلاق الحركة باعترافها بواقع التمايز الثقافي في السودان ، فإنها على عكس الحركات والقوى السياسية الأخرى في الجنوب ، وترفض أن يكون هذا الواقع نهائياً يجب تأييده ، فالهوية يجب أن تتحور حول مفهوم المواطنة ، فأنا سوداني قبل أن أكون مسلماً ، أو نصرانياً ، أو وثنياً ، ولا ينبغي أن يكون هناك

---

(١) التجمع السياسي لجنوب السودان ، الأهداف السياسية ، وبرامج العمل ، ص : ٨ ـ ٩ ، ط : الخرطوم ، سنة : ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م .

(٢) هو : عقيد سابق بالجيش السوداني ، نصراني الديانة ، ربّاه الغرب الصليبي النصراني على ما يريد ، وفرس في نفسه الحقد والتعصب ضد الإسلام والمسلمين . هرب من الخدمة العسكرية في الجيش السوداني ، في شهر رمضان ، سنة : ١٤٠٣هـ ـ الموافق : شهر يونيو ، سنة : ١٩٨٣م ، وكون ما يسمى بـ (جيش تحرير السودان) في أدغال الجنوب ، وما زال يتزعم التمرد ضد الحكومة السودانية في الشمال .
هموم سودانية في شتاء ساخن ، جريدة (الأهرام) القاهرية ، العدد الصادر في : ١٤ من شهر جمادى الأولى ، سنة : ١٤٠٨هـ ـ الموافق : ٣ من شهر يناير ، سنة : ١٩٨٨م ، ص : ٥ .

ميزة لمواطن على آخر ، لمجرد كونه مسلماً ، أو نصرانياً ، أسود أو أسمر .. إننا نريد سودانياً جديداً يعكس هذا المزيج من الحضارات والثقافات ، التي تفاعلت طويلاً على أرضه ، سودانياً تمتزج فيه الثقافة العربية ، والثقافة الأفريقية في تفاعلها الصحيح مع الثقافة العالمية .(١)

ويرى قرنق : أن السودان يتكون من عدد من القوميات التي يشار إليها - أحياناً - وبشكل خاطئ ، بوصفها قبائل ، وبغض النظر عن المصطلح المستخدم ، فإن مهمتنا الملحة ، هي : صهر هذه القبائل أو القوميات في أمة واحدة ؛ فمطالبة بعضهم بأن يكون السودان كله عربياً ، تستوي مع أن يطالب بعضهم الآخر بتحويل أهل السودان جميعاً ليصبحوا من اللاتوكا ، أو الدناقلة ، فالوطنية السودانية التي يطالب بها قرنق لا تحتاج أن تنتسب إلى العروبة ، أو الأفريقانية ؛ وإنما تصبح بحد ذاتها قومية متميزة ، تقدم إسهاماً وأنموذجاً للحضارة الإنسانية .(٢)

كما يرى قرنق - فيما يتعلق بالعربية - : أن اللغة العربية يجب أن تكون اللغة القومية للسودان الموحد الجديد ، ولكن هذا لا يعني أن السودان سيصبح عربي القومية . ويشير قرنق في هذا الصدد : إلى أن

---

(١) مقابلة مع جون قرنق لمجلة (المصور) القاهرية ، بتاريخ ٣ من شهر ذي الحجة ، سنة : ١٤٠٦هـ - الموافق : ٨ من شهر أغسطس ، سنة : ١٩٨٦م ، ص : ٢١- ٢٢ .

(٢) John , Garang Speaks, K.P.l. Limited, page :128-129, printed in: London, at:1987 A.D.

الأمريكيين ، برغم أنهم يتحدثون الإنجليزية ، فإنهم ليسوا بجزء من القومية الإنجليزية ، وكذلك فإن دول أمريكا اللاتينية الناطقة بالأسبانية أو البرتغالية لكل منها قوميتها الخاصة ، ولا تنتمي قوميًا إلى القومية الأسبانية ، أو البرتغالية ، وإنما لكل منها قوميتها الخاصة ، التي تعتز بها . ويولي قرنق أهمية مخصوصة لقضية الهوية ، التي يعد أن حسمها يجب أن يسبق أي تقدم تجاه باقي المشكلات ، ومن الواضح أن طرح حركة جيش الشعب السوداني لقضايا الهوية والثقافة يختلف عن طرح بقية الأحزاب الجنوبية الأخرى لها.(١)

فالأحزاب الجنوبية تتعامل مع وضع التعدد الثقافي في السودان ، على أنه وضع مقدس يجب عدم المساس به ، وأن الحفاظ عليه وتكريسه هو الحل الأمثل .(٢)

ولا يفوتنا أن نعي أن النصارى في جنوب السودان ، برغم أنهم أقلية ، إلا أنهم يمثلون العمود الفقري ، وأغلبية النخبة المتعلمة في الجنوب التي تقود الأحزاب السياسية الجنوبية ، أي : أن الثقل السياسي والإداري والثقافي في يد هذه الأقلية القوية .(٣)

---

(١) منصور خالد ، جون قرنق يتحدث ، مجلة (السياسة الدولية) ، العدد : ٩١ ، ص : ١٤٣ .

(٢) السابق ، ص : ١٤٤ .

(٣) د . عشاري أحمد محمود ، جدلية الوحدة والتشتت في قضايا اللغة والوحدة الوطنية في السودان ، مجلة (المجلة العربية للدراسات اللغوية) ، العدد : الرابع ، ص : ١١٩ ، الصادر في ١٩ من شهر ذي القعدة ، سنة : ١٤٠٥هـ - الموافق : ٥ أغسطس ، سنة : ١٩٨٥م ، الخرطوم .

وعلى الرغم من سعة الأفق البادية على تصور حركة تحرير الشعب السوداني ، والرامي إلى : تأسيس هوية وطنية جديدة ، ومتميزة ، وجامعة للشعب السوداني ، فإن ذلك مشروع استراتيجي طويل الأمد ، بينما المطلوب معالجة مشكلات راهنة تستنزف موارد السودان يوماً تلو الآخر. وفي الوقت نفسه فإن قبول هذا المشروع وتضمينه في الوثائق الأساس لنظام سياسي سوداني جديد ، لن يكون سوى تعبير عن خطة أخرى ، قد يؤدي إلى الانقلاب على هذا المشروع ، وهو أمر محتمل ، ما دمنا نتحدث عن المدى الطويل .(١)

ومما سبق يتضح لنا : أنه لا يمكن للفريقين الشمالي والجنوبي أن يتخيلا سودانا موحداً ، دون صراعات طويلة الأمد .(٢)

ومما أوردناه : يجب معالجة مسألة الهوية السودانية ؛ إذ إن هناك خطأ عرقياً عند خط عرض ١٠° شمالاً ، فشمال هذا الخط عرفت هويته ، وتحددت ؛ فهي عربية إسلامية .. أما جنوبه : فمصاب بتعدد العروق والأصول والثقافة والدين ؛ إذ إن الجنوب به ٦٥٪ من السكان وثنيون ، و ١٨٪ مسلمون ، و ١٧٪ نصارى ، والفئة الأخيرة هم عصب الحياة السياسية والثقافية .(٣)

---

(١) د . جمال عبدالجواد ، الثقافة والهوية ونظام الحكم ، مجلة (السياسة الدولية) ، العدد : ٩١ ، ص : ١١٥ .

(٢) مجلس الكنائس العالمي ، الكتاب السنوي للتبشير ، سنة : ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ، ص : ١٨ .

(٣) السابق ، ص : ١٩ .

وبعد هذا العرض لمطلب (الهوية والثقافة) نخلص إلى النتائج الآتيـــة :

الأولى : إن مشكلة جنوب السودان ، هي : أعقد مشكلة واجهها السودان ، وكان لهـا آثار سياسية ، واقتصادية ، واجتماعية ، بالغة الخطـــورة .

الثانية : إن هذه المشكلة هي الثمرة الفجّة ، الـتي ألقى بذورهـــــــا واستنبتهـا المحتل الحاقد في أرض السودان المسلم ؛ ليلقي بهـذا البلـد في أتـون التبعية ، والحـرب الضروس ، الـتي مـا إن يخمـــد لهيبهـا ، حـتى يعـــود ضراماً يتلظى ، يحرق كل أمل في الاستقرار والأمن والأمان .

الثالثة : إن الصراع الدائر بين الشمال والجنوب تذكي ناره عوامل خارجيـــة ، وأخـرى داخليـة :

أ ـ فالعوامل الخارجية تتمثل في :

١ـ دور القوى العالمية المعادية للإسلام والعرب ، ونعـــني بها القوى الاحتلالية الحاقدة الكافرة .

٢ـ دور الكنيســة .

٣ـ دور الصهيونية العالمية ؛ وبخاصة إسرائيل .

ب ـ أمـــا العوامل الداخلية فتتمثل في :

١ـ التباين الثقافي بين الشمال والجنوب .

٢ـ الاختلاف حول تحديد مفهوم هوية السودان .

٣ـ النمو غير المتوازن في ظل القبلية ، والطائفية ، والإقليمية .

٤- الحياة الحزبية المفتتنة في ظل الصراع القبلي ، والاختلاف على المستوى الثقافي ، والاقتصادي .

٥- التخلف والجهل في الجنوب ، وإذكاء الضغينة بين أهل الجنوب على أهل الشمال .

الرابعة: لقد شهد السودان تنوعاً كبيراً في الأجناس البشرية التي عاشت فيه ، وقد اتخذ هذا التنوع ؛ لكي يكون سلماً يرقى عليه المستغلون لتفتيت كل سبل الوحدة بين أجزائه ، ولتصير هذه مشكلة كبرى تواجه السودان ، وتستهدف ضرب وحدته .

الخامسة: لقد طرحت ظلول كثيرة لهذه المشكلة ، وهي في حقيقتها ليست كذلك ؛ فمنها : ما ينادي بإعطاء كل جنس حق تقرير مصيره ، وهذا يهدف إلى تمزيق بلد مسلم ينتظر منه أن يقوم بدور كبير .

السادسة : إن حل هذه المشكلة يكون بالدعوة إلى الوحدة تحت نظام الإسلام ، الذي يكفل الحرية لكل فرد ، دون استخدام أية قوة في فرض أي مبدأ ، كما يمكن أن تكون اللغة العربية لغة الدولة والتعليم ، وتبقى لكل جنس لغته المحلية .

* * *

المطلب الثاني

التّنمية ، والسّياسة

المطلب الثاني

التنمية والسياسة

مدخل :

لقد عانى جنوب السودان كثيراً ، ولقد كان من أبرز ما عانى : التخلف الذي ضرب عليه ، والجهل الذي حل فيه ، ويمكن أن يرد هذا إلى الخطى الوئيدة لعوامل التنمية في الجنوب بعكس ما كان في الشمال ؛ مما حدى بالمغرضين لاستغلال هذا في إثارة أبناء الجنوب على الشماليين .

وإلى جانب نكبته في تنميته ، فقد نكب فيمن أخذ زمام الحديث عن مشكلاته ومطالبه ؛ إذ نكب في السياسات التي تولت رئاسته ؛ فقد شهدت أعمالها على أنها لا تريد للوضع قراراً ساكناً ؛ بل تنظر بعين الولاء إلى قوى خارجية .

أولاً : التنمية :

إن الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي ، والتطور الثقافي في ظل منهاج الإسلام القويم ، هو : الحل الوحيد ، وهو : حل يؤمن به الجميع في الشمال والجنوب ؛ لذا يجب الاتفاق على تنفيذ المشروعات ذات العائد السريع ، مع الاستمرار في المشروعات ذات الأجل البعيد ، والحرص باستمرار على تبصير الشعب بعظمة الإسلام ، وسمو مبادئه ، وتنظيمه لكافة شئون الحياة ، وأن الالتجاء إليه ، والتمسك به يصلح ويضيء

وينظم مستقبل الجنوب ، وأن هذا المستقبل مرتبط بالشمال [١].

ومن المؤكد : أن التخلف في الجنوب ، هو : نتيجة للسياسات المقصودة - أحيانًا - ، وللتجاهل والإهمال حينًا آخر ، بالإضافة إلى سوء الإدارة والفساد ، مما ولّد إحساساً بالمرارة ، والسخط العام ، ومعلوم أن الخلل في توازن النهضة في أي بلد يؤدي بالضرورة إلى نوع من التبرم والتململ ، وعدم الاستقرار ، أو يمهد - على الأقل - أرضية لنوعية نفسية مواتية لعدم الاستقرار ، فلا بد من أن تتضافر جهود كل الأمة السلمة بعامة ، والأمة السودانية بخاصة ، لإعادة التوازن الاجتماعي لهذا الجسم الواحد ، الذي هو السودان ، من خلال توجيه اهتمام زائد ، وأولوية مخصوصة للتنمية والخدمات في جنوب السودان [٢].

ومن المعلوم : أن موارد الجنوب التنموية المختلفة كافية لأن تحدث طفرة هائلة إذا تم استغلالها بصورة مثلى ، فهناك الكثير من المشاريع النافعة التي تمت دراستها في أوقات سابقة ، بعضها بدأ ، وبعضها الآخر توقّف ، ومشاريع أخرى كثيرة تنتظر دراسات الجدوى الاقتصادية والاجتماعية ، وعلى هذا : يلزم أن توفر الموارد المالية للبدء الفوري في أوسع مجموعة ممكنة من المشاريع الصغيرة السريعة العائدة مع الانتقال المبرمج والمخطط نحو المشاريع الكبرى للمستقبل [٣].

---

(١) د . محمد عبد الغني سعودي ، وآخرين ، مشكلة جنوب السودان ، ص : ٢٤٠ ، بتصرف .

(٢) الجبهة الإسلامية القومية ، مسألة جنوب السودان ، ص : ١٥٥ .

(٣) السابق ، ص : ١٥٧ .

ولا يشترط أن تكون برامج التنمية في الجنوب مرتبطة بتخطيط التنمية العام لكل السودان ؛ بل يحسن أن تكون برامج الجنوب مخصوصة ، حتى تسد الفجوة التنموية بين شطري البلاد ، وفي مجال الخدمات - صحية ، وتعليمية - وغيرهما على السلطات المعنية الاجتهاد الشديد في توفير موارد مالية وفنية ؛ لإعادة ترميم مرافق الخدمات القائمة ، ومدها بأسباب مع مصالح شمال السودان .(١)

ثانياً : السياسة :

في سنة : ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م : انعقد مؤتمر جوبا ، وأقرّ وحدة السودان ؛ وذلك في الفترة من : ٢٣ - ٢٤ من شهر رجب ، سنة : ١٣٦٦هـ - الموافق : ١٢ - ١٣ من شهر يونيو ، سنة : ١٩٤٧م ، وقد قرّر الجنوبيون فيه : أن يدخل الجنوب في إطار وحدة البلاد ، وأن يرسل ممثليه إلى الخرطوم ؛ وذلك مقابل احترام الثقافات الجنوبية - من : لغات ، وتقاليد ، ومعتقدات ، وعادات موروثة - ، والالتزام بالمساواة العرقية ، ودفع التنمية الاقتصادية ، والتعليمية العاجلة للجنوب ، وقد وافق ممثلو الشمال على هذه المطالب .(٢)

ولم يعرف الجنوبيون التنظيمات والجمعيات والأحزاب ، إلا في

---

(١) Professor Bashir M.O., The Southern Sudan, Background to Conflict, Horst and Co., page: 134.

(٢) بونال مالوال ، حول جذور النزاع الراهن في جنوب السودان ، مجلة (السياسة الدولية) ، العدد : ٩١ ، ص : ٨٠ .

منتصف الأربعينات ، كما لم ينظموا أحزاباً سياسية جنوبية ، إلا في أوائل الخمسينات ، وقد بدأت الأحزاب السياسية الجنوبية تبحث جذورها القومية على مستوى أفريقي أوسع ، ليوازنوا أوضاعهم مع اتجاهات الشمال العربية ، حتى إن بعض الأحزاب الجنوبية نصت في دساتيرها ، سنة : ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م ، على ضرورة تذويب الفوارق القبلية في الجنوب، وإقامة وحدة وطنية جنوبية بمعزل عن الشمال ؛ للتحرر من الحكم العربي عن طريق العمل المسلح ، الذي يؤدي إلى الاستقلال عن الشمال.(١)

وتتفاوت الأحزاب الجنوبية في دعواها بين الوحدة والاتحاد والانفصال ؛ ومن أجل إقامة اتحاد فيدرالي(٢): اتصل الجنوبيون بالبجا ، والفور ، والنوبا ، والفونج ، وقد أعطيت بعض الوعود لهذه التكتلات الإقليمية العرقية ؛ من أجل الكسب السياسي من قبل القائمين بالعمل السياسي " إسماعيل الأزهري(٣) " ، و" عبد الله خليل " ؛ وذلك في

---

(١) April Saisal, Sudan, David Sharl, page:19-20.

(٢) هو : نظام سياسي ، من شأنه قيام اتحاد مركزي بين دولتين ، أو مجموعة من الدول ، أو الدويلات ، بحيث لا تكون الشخصية الدولية إلا للحكومة المركزية . ويكون على رأس هذا الاتحاد الفيدرالي رئيس واحد للدولة يمثلها في المحيط الدولي .
أحمد عطية الله ، القاموس السياسي ، ص : ١١١٧ .

(٣) هو : سياسي سوداني ، درس في معهد جوردون بالخرطوم ، وفي جامعة بيروت الأمريكية ، انتخب رئيساً لمؤتمر الخريجين ، أسس أول حزب سياسي في السودان ، وهو : (حزب الأشقاء) ، الذي ينادي بالاتحاد مع مصر ، وانتخب رئيساً له . اشترك في اتفاقية الأحزاب السودانية في شهر ربيع الثاني ، سنة : ١٣٧٢هـ - الموافق : شهر يناير ، سنة : ١٩٥٣م ، وشكل أول وزارة سودانية بعد الاستقلال ، =

سنة : ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م .[1]

وتمثل الأحزاب الجنوبية السياسية قطاعاً مهماً في الحركة السياسية السودانية ،[2] بحيث لا يمكن تجاهلها في معالجة أي قضية من قضايا المجتمع السوداني ، وليس الخلاف الدائر في السودان حول تطبيق الشريعة الإسلامية ، وعدم التوصل إلى حسم للجدل حول هذا الأمر ، إلا بسبب الموقف الذي تتبناه الأحزاب الجنوبية ، مؤيدة من قبل اليسار ، والأحزاب الأخرى ، التي تعبر عن إقليم بعينه ، أو عرق معين ، كالحزب القومي السوداني الذي ينتمي إليه أبناء منطقة جبال النوبة غرب السودان ، كما أنه لا يمكن إغفال دور الأحزاب الجنوبية ، بصرف النظر عن الخلافات الدائرة فيما بينهم في حل الصراع القائم في الجنوب

= سنة : ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م ، انتخب رئيساً لمجلس السيادة . تنحى عن منصبه إثر الانقلاب الذي قاده جعفر نميري ، سنة : ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م . توفي بمستشفي الخرطوم في : ١٣ من شهر جمادى الآخرة ، سنة : ١٣٨٩هـ - الموافق : ٢٦ من شهر أغسطس، سنة : ١٩٦٩م .
أحمد عطية الله ، القاموس الإسلامي ، ص : ٨٧ .
د . عبدالوهاب الكيالي ، الموسوعة السياسية ، جـ : ١ ، ص : ١٩٠ .

(١) Professor Bashir M.O., The Southern Sudan, Background to Conflict, Horst and Co., page: 170-172.

(٢) ومما يلحظ : أن ثورة الإنقاذ الأخيرة ، التي بيدها مقاليد أمر السودان الآن ، بزعامة "عمر البشير" قد ألغت جميع الأحزاب السياسية منذ قيامها . وما زلنا لا نستطيع إبداء الرأي حول صحة هذا التوجه من عدمها ، ولعل الأيام القادمة تكشف لنا عن وجه الصواب المنشود . فالأيام حبلى .

والأحزاب في الجنوب هي الصوت المسموع في الشمال.[1]

وإذا كان هناك خلاف فيما بين القبائل ، أو بين الأحزاب نفسها ، فهم في النهاية يتفقون على أنهم أحزاب سودانية ذات أصل أفريقي ، يفخرون بعرقهم الزنجي ، ويباهون به الآخرين ، ويتحكم في تعاملهم مع القضايا المهمة ، سواء قضايا المجتمع أم الدين أم الثورة أم نظام الحكم ، وفي محاولة لتأكيد الذات الأفريقية ، والثقافة الزنجية في مواجهة الثقافة العربية ، التي يخشون أن تهدد أصولهم الزنجية ، وتفرض عليهم الذوبان الكامل في الثقافة العربية ، فهم يسعون الآن لإيجاد كتلة سياسية تسمي نفسها (الأحزاب السودانية الأفريقية)[2] .. وفي شهر صفر ،سنة: ١٤٠٨هـ - الموافق : أكتوبر ، سنة : ١٩٨٧م أصدرت هذه الأحزاب بياناً أسمته (الميثاق المشترك) ضم الأحزاب الجنوبية الآتية :

١- حزب الشعب التقدمي . P . P . P .

٢- التجمع السياسي في جنوب السودان . S . S . P . A .

٣- الاتحاد الوطني للسودان الأفريقي . S . A . N . U .

٤- المؤتمر الأفريقي السوداني . S . A . C .

٥- مؤتمر الشعب الأفريقي السوداني . A . A . P . C . O .

٦- حزب الشعب الفيدرالي السوداني[3] . S . P . E . P .

---

(١) د . صلاح عبداللطيف ، نشأة وتطور الأحزاب الجنوبية في السودان ، ص : ٨٣ ،ط : الأولى ، القاهرة ، سنة : ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.

(٢) السابق ، ص : ٨٤ .

(٣) السابق ، الصفحة نفسها .

وقد انضم لهذه الكتلة الأفريقية من غير الأحزاب الجنوبية (الحزب القومي السوداني S.N.P)[١].

ثم تأتي أحزاب مبعثرة أخرى ، مثل : حزب السلام ، برئاسة رمضان شول ، وهو : حزب يؤمن بالارتباط بالإسلام والدول العربية ، وهو : من الشلك . وحزب تحرير السودان ، ويرأسه إبراهيم الطويل ، وليس له أعضاء أو مكتب ، ويكتفي بإصدار البيانات التي تحمل توقيع رئيسه ، وهو عمل سياسي فردي . وحزب العمل القومي برئاسة " كون اكونت " ، وهذه الأحزاب الصغيرة ليست لها فاعلية إلا إصدار البيانات بين وقت وآخر ، وليس لها ممثلون في الجمعية التأسيسية أو الحكومة[٢].

ومن الرؤية الواضحة لحال الحياة الحزبية : نجد أن الأحزاب في الجنوب السوداني بدأت على يد الطبقة المثقفة ، وكان رؤساء الأحزاب قبل الاستقلال وبعده من المتعلمين . . أمّا التأثير القبلي : فقد جاء على أساس الوزن السكاني للقبائل ؛ إذ تعد قبيلة الدنكا أكبر القبائل عدداً ، ويليهم النوير ، فالشلك ، فالزاندي ، وباريا في الاستوائية[٣].

ويمكن أن يوجد في حزب واحد : أعضاء من قبائل مختلفة ، ويبقى الوزن السكاني غالباً على هذه الأحزاب ؛ إذ ينتشر أهل الدنكا

---

(١) السابق ، ص : ٨٤ .
(٢) السابق ، ص : ٨٥ - ٨٦ .
(٣) د . عبدالمجيد عابدين ، وآخرين ، قبائل من السودان الأوسط والسودان الغربي ، ص : ١٥ ، ط : الأولى ، الخرطوم .

في أحزاب متعددة ؛ لكثرتهم ، مثلهم في ذلك مثل أهل النوير[١] .

هـذه الصورة التي عرضناهـا للحياة الحزبية المفتتة تعطـي انطباعاً صادقاً عن مدى التردي الذي أصاب الحياة السياسية العامة في السودان شماله وجنوبه ، ولا يخفى أن الأمر الرئيس في الأزمة الحالية ، هو : الضعف السياسي ، والحرمان الاقتصادي ، وهاتان قضيتان متلازمتان ، أو هما وجهان لعملة واحدة .[٢]

وبعد هذا الذي توصلنا إليه في مطلب (التنمية والسياسة) نخلص إلى النتائج الآتية :

الأولى : إن مأزق الاقتصاد السوداني - الذي له أثر في إذكاء الصراع - هو : كيفية تحقيق تنمية متساوية في بلد تحظى فيه النخبة المتحضرة في المدن بتفضيل عن أهل الأحياء الريفية ، ولن الاقتصاد القومي والوطني كله في حاجة إلى إعادة بناء لوضع حد للمزايا المعلقة ، والتخلص من عدم المساواة والتفرقة العنصرية .

الثانية : إن فصل جنوب السودان عن شماله - والذي كان حلماً من أحلام بريطانيا الصليبية الحاقدة - سيقذف بالمنطقة كلها في لهيب النزاع والحرب الذي يحرق الأخضر واليابس .

---

(١) Professor Bashir M.O., The Southern Sudan, Background to Conflict, Horst and Co., page :152.

(٢) السابق ، ص : ٢٥١ ، بتصرف واختصار .

الثالثة : إن على القوى السياسية في شمال السودان وجنوبه أن تلتقي بعيداً عن حمامات الدم ، وتفادياً للبوار الذي يراد لها . . وليكن اللقاء حول النقاط التي تجمع بينهما ، وهي جد كثيرة ، وليعذر بعضهم بعضاً فيما فيه اختلاف ، حرصاً على مصلحة السودان كله .

الرابعة : ونرى أن روح الإسلام وجوهره ، وسعة أفق مبادئه ومفاهيمه ، وقيمه الكبرى ، وبعد النظرة التي يحظى بها ، تهيئ له الأسباب التي تجعله كفيلاً إن استمر وظل اللقاء بين الساسة بإخلاص أن يعيد الأمن والأمان ، والعزة والقوة ، فتنطفئ النار المتأججة في الجنوب .

الخامسة : وحين يأتي الإسلام بروحه وقيمه - بإذن الله ومشيئته - فسينعم الجنوب - برغم وثنيته ونصرانيته - بالأمان والاستقرار والسلام في ظل العدل الذي يأمر به الإسلام .

* * *

المبحث السّادس

التوزيع الجغرافي لسُكان الجنوب

المبحث السادس

التوزيع الجغرافي لسكان جنوب السودان

يعد السودان أكبر الدول الأفريقية مساحة ؛ إذ تبلغ مساحته : ٨١٣ ر ٥١٥ ر ٢ كم٢ .[١] وتبلغ مساحة جنوب السودان بمديرياته الثلاث: ٧٠٠ ر ٠٠٠ كم[٢] ، أي : حوالي ربع مساحة السكان .[٢]

أما سكان السودان : فعددهم - حسب إحصاء ، سنة : ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م - : ٢١ ر ٥٩٢ ر ٥٨٢ نسمة .[٣] يقطن الجنوب منهم - حسب الإحصاء نفسه - : ٣٧١ ر ٢٩٦ ر ١ نسمة .[٤] موزعين على أكثر من خمسين ومائتي قبيلة ، إضافة إلى أكثر من ثلاث وخمسين مجموعة لغوية ، أكبرها : لغة الدنكا والعربية .[٥]

جنوب السودان .. الموقع والحدود :

يقع جنوب السودان جنوب خط ١٠° شمال خط الاستواء ، ويتألف

---

(١) التقرير الاستراتيجي العربي ، سنة : ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، ص : ١١٤ ، ط : مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ، بالأهرام ، القاهرة ، سنة : ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

(٢) علي حسن عبد الله ، الحكم والإدارة في السودان ، ص : ١٩٤ .

(٣) الجبهة القومية الإسلامية ، مسألة جنوب السودان ، ص : ٩١ .

(٤) د . عبد العزيز كامل ، دراسات في الجغرافيا البشرية للسودان ، ص : ٩٩ .

(٥) د . منصور خالد ، العوامل الخارجية في الصراع العربي السوداني ، مجلة (السياسة الدولية) ، العدد : ٩٤ ، ص : ١٨١ ، الصادر في شهر صفر ، سنة : ١٤٠٩هـ - الموافق : أكتوبر ، سنة : ١٩٨٨م .

- حالياً - من ثلاث مديريات ، هي :

١- مديرية أعالي النيل . ٢- ومديرية بحر الغزال .

٣- والمديرية الاستوائية .

انظر : الخريطة رقم (٢٠) .

ولا يعرف للإقليم حدود جامدة ، إذ تمتد القبائل التي تقطن في الشمال نحو الشمال من خط ١٠° شمالاً . . أمّا القبائل التي تقطن في المديريات الجنوبية ، فتمتد قبائلها إلى داخل الحدود المجاورة ، كأوغندا ، وزائير وأفريقيا الوسطى .(١)

الحدود . . والجيران :

١- أثيوبيا :

ولقد كانت الحدود السودانية الأثيوبية موضع توتر دائم منذ فترة طويلة ، لأنها كانت فترة جذب وشد بين أثيوبيا والسودان .(٢)

٢- أوغندا :

لم تتعين حدود بين أوغندا والسودان ، إلا في سنة : ١٣٤٤هـ - ١٩٢٦م ، وقد سويت الحدود مع أوغندا ، دون إثارة أي نزاع .(٣)

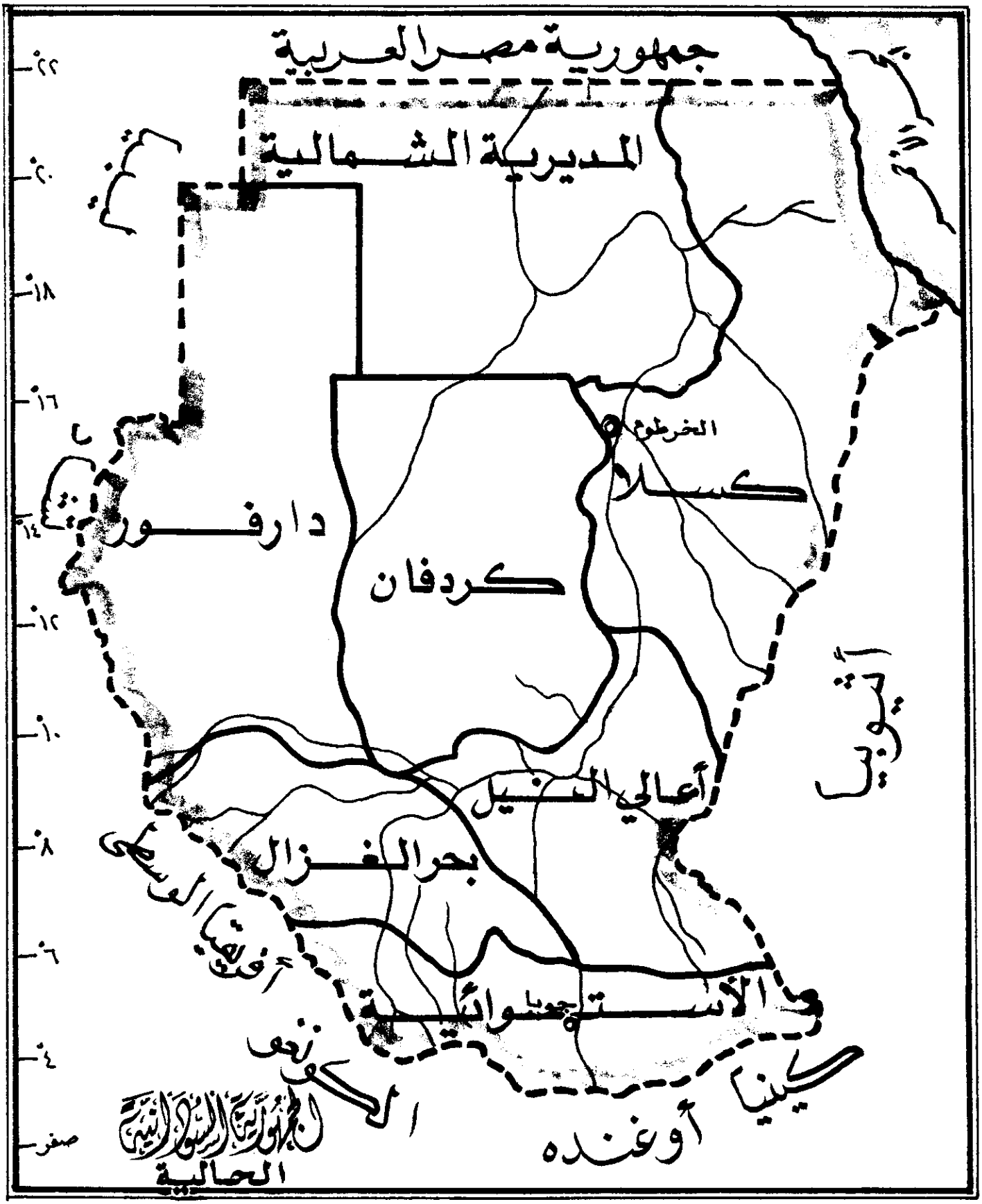
---

(١) Professor Bashir M.O.,The Southern Sudan , Background to Conflict, Horst and Co., page:133-134.

(٢) د . محمد عبدالغني سعودي ، وآخرين ، مشكلة جنوب السودان ، ص : ١٥ - ١٨ ، بتصرف واختصار.

(٣) د . عبدالعزيز كامل ، الجغرافيا البشرية للسودان ، ص : ١٠٧ .

خريطـــــة رقم (٢٠)



المصدر: محمد محمود الصياد، وآخرون ، السودان ، ص : ١٦٣ ، الأنجلو المصرية ، سنة : ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م .

وقد كانت أوغندا كأثيوبيا ملجأ للسودانيين الجنوبيين ؛ نتيجة لانسياح الحدود ، وتداخل القبائل .[١]

٣- زائير :

ارتبطت هذه الحدود تاريخياً بفترة تزايد التنافس الدولي في أعالي النيل في العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر .[٢] فقد زعمت بلجيكا - إذ كانت محتلة للكونغو - : أن لها الحق في احتلال إقليم بحر الغزال ، ومنطقتي : اللادو ، والرجاف ، وتم الاتفاق بين بريطانيا وبلجيكا على خط الحدود ، في سنة : ١٣١١هـ - ١٨٩٤م ، ثم عدّل في سنة : ١٣٢٤هـ - ١٩٠٦م ، وأعيدت بمقتضاه منطقتا : اللادو ، وبحر الغزال إلى السودان .[٣]

وخط الحدود : يعد معبراً بشرياً ، تستطيع القبائل أن تتقدم منه وتتراجع دون أن يصدها أي عائق .[٤]

أفريليا الوسطى وتشاد :

وكانت تسمى (بأفريقيا الاستوائية الفرنسية) قبل تفتيت الاحتلال المتعصب لأواصرها ، وقد تم الاتفاق بين فرنسا وانجلترا في شهر جمادى الآخرة ،

---

(١) علي حسن عبدالله ، الحكم والإدارة في السودان ، ص : ٩١ .
(٢) د . عبدالعزيز كامل ، الجغرافيا البشرية للسودان ، ص : ١٠٦ .
(٣) Professor Bashir M.O., The Southern Sudan, Background to Conflict, Horst and Co., page : 52.
(٤) السابق ، الصفحة نفسها .

سنة : ١٣٣٧هـ - الموافق : مارس ، سنة : ١٩١٩ م على هذه الحدود . والواقع البشري لا يختلف عما رأيناه في مشكلة الحدود بين جنوب السودان ، والدول الأخرى ؛ فالقبائل الرعوية في هاتين الدولتين لا تستطيع عملياً أن تتقيد بخط حدود معين ، وهناك تيار هجرة دائم من الغرب إلى السودان (١).

المقومات الطبيعية البشرية لجنوب السودان :

تمتد سهول السودان في الجنوب ، حتى حافة هضبة البحيرات ، وفي الجنوب الغربي ، إلى مرتفعات تقسيم المياه بين بحر الغزال والكونغو ، كما تمتد الحدود على المرتفعات التي تقسم المياه بين بحر العرب ، والمياه المنصرفة نحو بحيرة تشاد (٢) . وتنتشر في منخفض حوض السودان الجنوبي روافد النيل ومجاريه الرئيسة ، كحوض بحر الغزال ؛ إذ تجري روافد الغزال العديدة والجبل ، والسوباط ، وتتجمع هذه كلها ، لتجري في النيل الأبيض نحو الشمال (٣).

أما عن البناء الجيولوجي : فتربة معظم المنطقة تربة صلصالية

---

(١) د . محمد عبدالغني سعودي وآخرين ، مشكلة جنوب السودان ، ص : ١٣ - ١٤ .

(٢) K.M. Power , Summarizing in Sudan Regional Geography , page : 91.

(٣) د . فيليب رفلة ، الجغرافيا السياسية الأفريقية ، مع دراسة شاملة للدول الأفريقية ، سياسياً ، واقتصادياً ، وطبيعياً ، ص : ٣١٦ - ٣١٧ .

سوداء قلوية .[١] انظر : الخريطة رقم (٢١) .

أمّا حوض بحر الغزال : فهو حوض متسع ، تحيط به سلاسل من المرتفعات ، فمن الجنوب : كتلة " إيماتونج " ، ومن الشرق : كتلة " بوما " ، والحافة الجنوبية لهضبة الحبشة ، ومن الغرب : تقسم المياه بين النيل والكونغو ، ويسمى بـ " الكتلة الحديدية " ، وتشغله المحافظة الاستوائية في الجنوب ، وعاصمتها " جوبا " ، وهي : ذات تربة حمراء[٢] ، وتسقط عليها الأمطار الغزيرة في فصلي : الربيع والخريف ، وتغطيها غابات الأروقة ، وهي جيدة الصرف ، لارتفاعها ، وصالحة لزراعة المحاصيل الشجرية ، والذرة الرفيعة .[٣] انظر : الخريطة رقم (٢٢) .

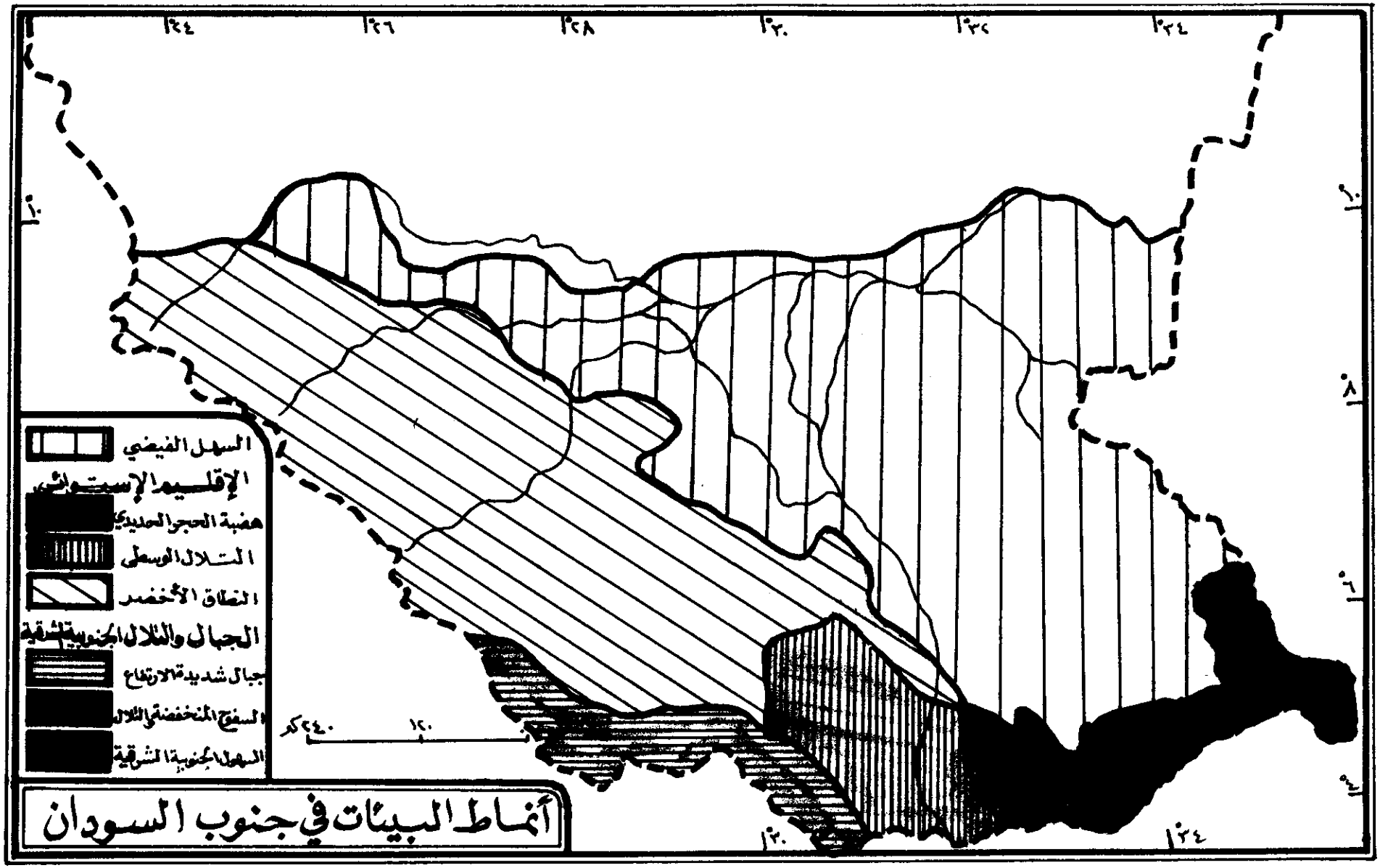
أمّا مديرية بحر الغزال : فتقع في الغرب ، وعاصمتها " واو " ، وتشمل هذه المديرية جزءاً من الأراضي التي تغمرها مياه الأنهار ، وجزءاً من الهضبة الحديدية ، التي تفصل بين النيل والكونغو ، وهذه المديرية غزيرة الأمطار ، تسقط عليها الأمطار ثمانية أشهر في العام .[٤]

أمّا مديرية أعالي النيل : فتشغل حوض بحر الجبل ، وبحر الزراف ، وأعالي النيل الأبيض ، وعاصمتها " ملكال " ، وكان ينفذ في تلك المنطقة مشروع " قناة جونقلي " ، إلا أن هذا المشروع توقف بعد أن استكمل

---

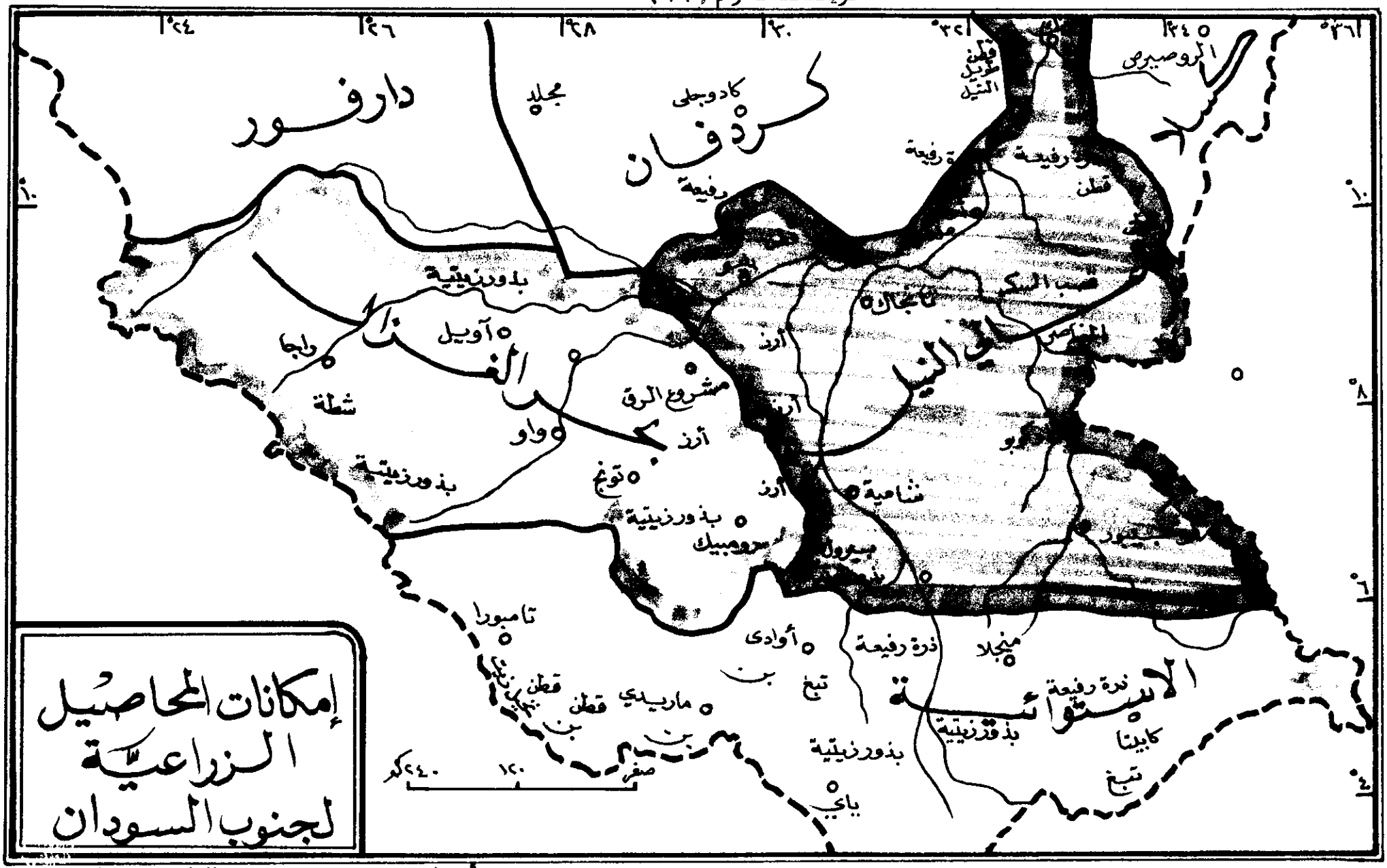
(١) السابق ، الصفحات نفسها .
(٢) د . عبدالعزيز كامل ، الجغرافيا البشرية للسودان ، ص : ٥٧ .
(٣) السابق ، الصفحة نفسها .
(٤) السابق ، ص : ٦٠ .

خريطـــــة رقم (٢١)



المصدر : محمد عبد الغني سعودي ، وآخرون ، مشكلة جنوب السودان ، مركز بحوث الشرق الأوسط ، جامعة عين شمس ، سنـــة : ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

خريطـــــة رقم (٢٢)



إمكانات المحاصيل الزراعية لجنوب السودان

المصدر: محمد عبد الغني سعودي، وآخرون، مشكلة جنوب السودان، مركز دراسات الشرق الأوسط، جامعة عين شمس، القاهـــرة، سنة: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

حوالي ثلثيه ، نتيجة للحرب الضروس القائمة في جنوب السودان (١).

وتلك المديريات الثلاث : تكون جنوب السودان ، الذي تسود به نسبة الوثنيين ، التي يبلغ تعدادها ٦٥٪ من نسبة السكان (٢).

المنـــاخ :

يتبع المناخ في جنوب السودان المناخ السوداني ، أو المداري الرطب ، وفي أقصى الجنوب : مناخ شبه استوائي ، والفرق المهم في العنصر المناخي ، هو : الفرق في المطر ، وليس الفرق في درجات الحرارة (٣).

المدينة	متوسط المطر
ملكال	٨٢٦ م / سنة
واو	١١٠٣ م/ سنة
منقلا	٩٢١ م / سنة

(٤)

جدول يبين درجات الحرارة في بعض مدن السودان

البلد	متوسط نهاية عظمى	متوسط نهاية دنيا	أعلى درجات الحرارة	أدنى درجات الحرارة	المتوسط السنوي
ملكال	٣٥° م	٢٠ر٩° م	٤١ر٦° م	١١ر٣° م	٢٦ر٦° م
منقلا	٣٤ر٤° م	٢٠ر٧° م	٤٣ر٥° م	١١° م	٢٦ر٢° م

(٥)

---

(١) د . محمد السيد غلاب ، وآخرين ، البلدان الإسلامية والأقليات المسلمة في العالم المعاصر ، ص : ٤٠٦ - ٤٠٨ .
(٢) د . عبد العزيز كامل ، الجغرافيا البشرية للسودان ، ص : ٥٧ .
(٣) السابق ، ص : ٦١ .
(٤) د . فيليب رظة ، الجغرافيا السياسية لأفريقيا ، ص : ٢٢١ .
(٥) المرجع السابق ، ص : ٢٢٠ - ٢٢١ .

المجموعات الحضارية في جنوب السودان وتصنيفهم لغوياً :

يلجأ العلماء المختصون إلى تصنيف سكان الجنوب لغويـــاً إلى مجموعات حضارية ؛ فيتم ضم كل مجموعة تتكلم بلسان واحد ، أو بألسنة متقاربة ، بصرف النظر عن اختلافهم في النواحي الحضارية الأخرى .(١)

يقـــول " بريتشارد "(٢) : إنه من الصعب جداً - في الوقت الحاضر - أن نضع تقسيماً مقبولاً ، أو صحيحاً لحضارات جنوب السودان الوثني .(٣)

ويقسّم جنوب السودان من الناحية اللغوية إلى : ثلاثة أقســـام رئيسة ، هي :

١- المجموعة النيلية . " Nilotes "

٢- المجموعة النيلية الحامية . " Nilo Hamites "

٣- المجموعة السودانية .(٤) " Sudanic "

انظر : الخريطة رقم (٢٣)

---

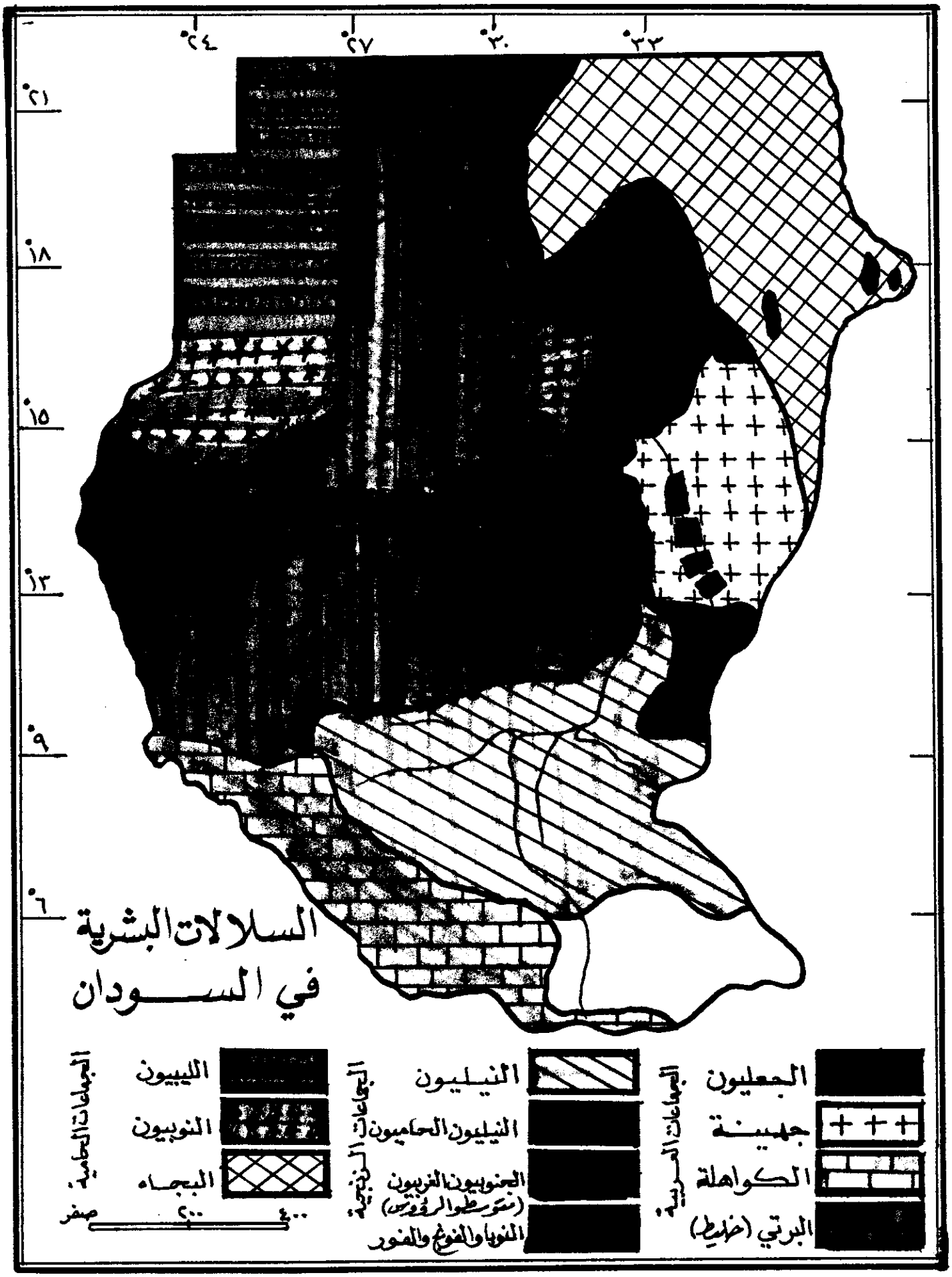
(١) Britishard E.Sudan Inthrobiclogy , page:85,printed in:Oxford, London, at:1396 H.-1976 A.D.

(٢) هو : مكتشف وعالم انثربولوجي ، وضابط فرنسي في أفريقيا ، ولد سنة : ١٢٧٨هـ - ١٨٦٣م ، أقام سنة : ١٣١٥هـ - ١٨٩٨م ، عسكرية فرنسية في " فاشودة " على النيل الأبيض ، قاوم هجمات أتباع المهدي . توفي سنة : ١٣٥٣هـ - ١٩٣٤م .
محمد شفيق غربال ، الموسوعة العربية الميسرة ، جـ : ٢ ، ص : ١٥ - ١٦ .

(٣) Britishard E., Sudan Inthrobiology, page:86.

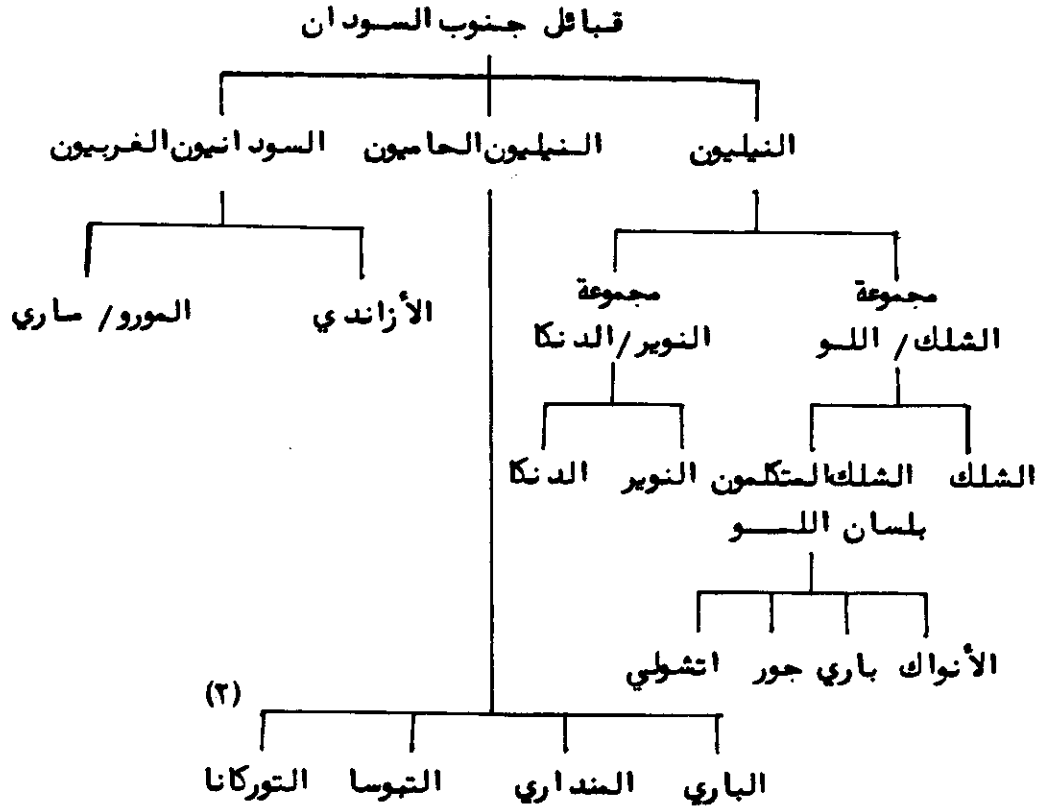
(٤) السابق ، الصفحة نفسها .

خريطـــــة رقم (٢٣)



المصدر: د. محمد الصياد، وآخرون، السودان، الأنجلو المصرية، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.

ولا تعد المجموعة النيلية ، والنيلية الحامية زنوجًا خلصًا ؛ بل هم زنوج دخلتهم دماء حامية ، وتتميز المجموعتان : بالرأس الطويل . والمجموعة الثالثة تتميز : بالرأس العريض ، والقامة المتوسطة ، الأقرب إلى القصر ، وتمثل هذه المجموعة جماعات من السكان القدماء ، يمتدون في هيئة قوس في جنوب غرب السودان ، حتى النوبا ، محيطًا بالمجموعتين السابقتين . ويعد هذا الخط هو : خط تقسيم المياه بين النيل والكونغو ، فاصلاً لهما عن المجموعة الزنجية في حوض الكونغو .(١)



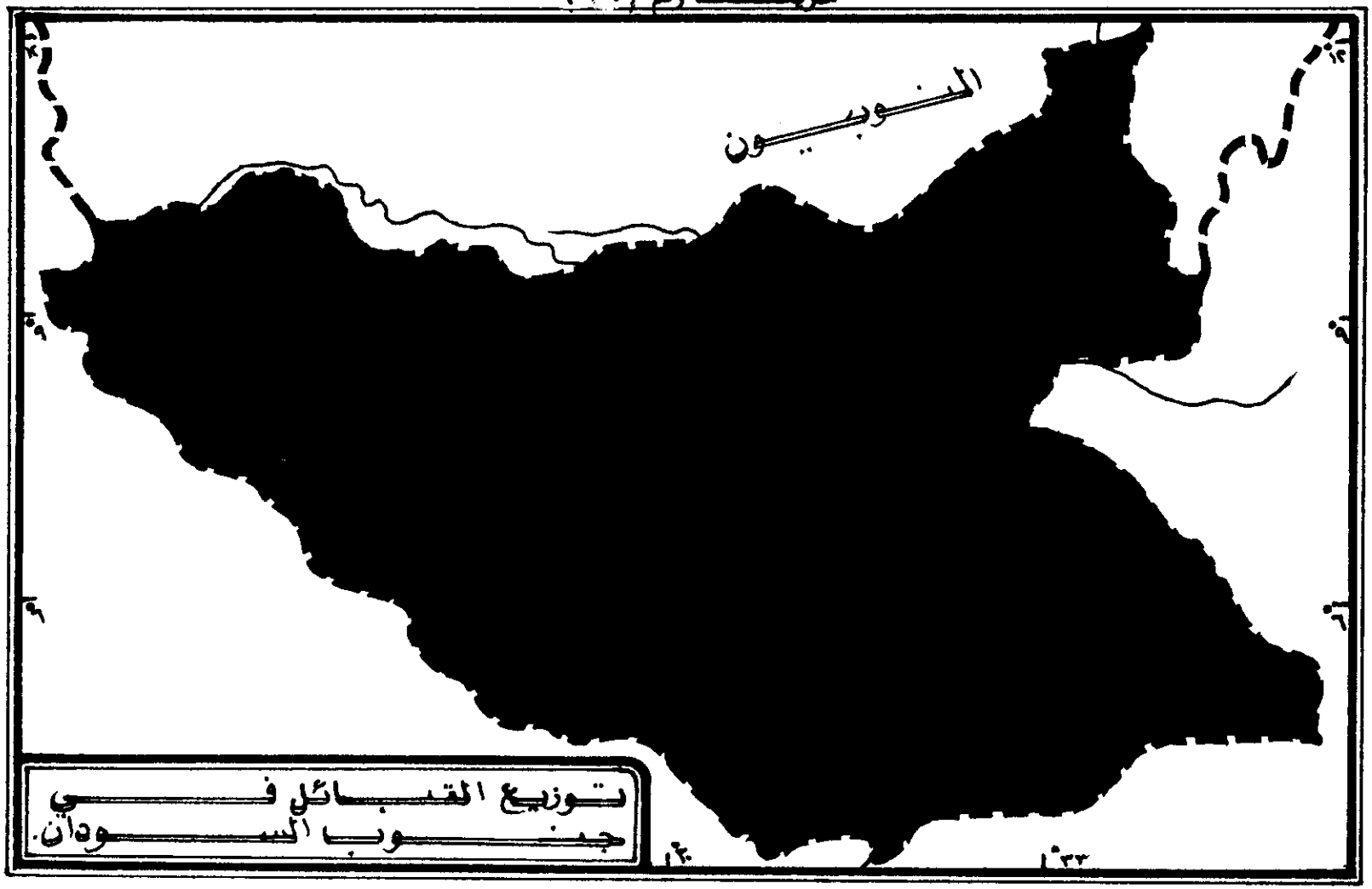
انظر : الخريطة رقم (٢٤)

---

(١) السابق ، الصفحة نفسها .

(٢) د . محمد محمود الصياد ، و د . محمد عبد الغني سعودي ، السودان دراسة في الوضع الطبيعي والكيان البشري ، والبناء الاقتصادي ، ص: ١٦٦ .

خريطـــــة رقم (٢٤)



المصدر: أ.د. محمد عمر بشير، جنوب السودان، دراسة لأسباب النزاع، ص: ٣٤، ترجمة: أسعد حليم، الهيئة المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، سنة: ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

النيليـــون :

ويقصد بهم : الدنكا ، والنوير ، والشلك ، والأنواك ، والبـــورون ، والبالندا ، والجور ، واللو ، والأتشولي ، واللانجـو . . وهذه القبائل بأكملها داخل حدود السودان ، ما عدا اللانجو ، والأتشولي ، الذين يعيشـــون على حدود السودان مع أوغندا ، ويبدو التناسق والتقارب إلى حد كبـــير بين أفراد هذه القبائل من الناحية الجسدية ، ويتميز النيليون بالقامة الطويلة الناتجة عن طول السيقان ، والشعر الزنجي المجعد ، ويتراوح لون البشـــرة بين السمرة الداكنة ، والسواد ، والأنف الأفطس ، ويعتز النيليون بالماشية ، ويظهر هذا الاعتزاز في عاداتهم وتقاليدهم ؛ ولعل هذا من أسباب عـــدم تقدمهم غرباً نحو هضبة الحجر الحديدي ؛ خوفاً من ذبابة التسي تسي.[1]

والنيليين هم : أكبر المجموعات السكانية في جنوب السودان ، ويعيـــش معظمهم في مديريتي : بحر الغزال ، وأعالي النيل ، وهم أكثر من : مليونـــي نسمة.[2] وقبائل الدنكا ، هي : أكبر القبائل النيلية ، وأكثرها عدداً في جنوب السودان ، ويتركزون في مديرية بحر الغزال ، وينتشرون في منطقـــة متسعـــة من مدينة " الرنك "[3] شمالاً ، وتمتد في اتجاه الجنوب إلى مـــا يبعـــد مـــن

---

(١) علي حسن عبد الله ، الحكم والإدارة في السودان ، ص : ٥٧ .
وذبابة تسي تسي : اسم لأنواع من ذباب (جلوسينا) ، توجد في غـــرب أفريقيا ووسطها . تنقل أنواعاً من الأمراض ، منها : مرض النوم للإنســـان ، وأمراض أخرى للحيوانات .
محمد شفيق غربال ، الموسوعة العربية الميسرة ، جـ : ١ ، ص : ٨٤٣ .

(٢) د . محمد عبد الغني سعودي ، مشكلة جنوب السودان ، ص : ٢٩-٣٦ .

(٣) هي : مدينة تقع في الجزء الشمالي من مديرية أعالي النيل ، على النيـــل =

تسعين ومائة كيلو متر عن حدود أوغندا ، مع امتداد عرضي ، يشمل معظم مديرية بحر الغزال ، وحتى الجزء الجنوبي من كردفان ، وهناك مساحة معينة كبيرة يحتلها " النوير " ، وهذه المساحة تفصل بين دنكا النيل الأبيض ، ودنكا بحر الغزال .(١)

انظر : الخريطة رقم (٢٥) .

ويفسر الاتساع الكبير لهذه القبيلة بالوقت الطويل ، الذي انتشرت فيه ، إضافة إلى تعدد اللهجات لديهم .(٢)

ويطلق " الدنكا " على قبائلهم أسماء حيوانات ، وهي - في الغالب - لبعض الظاهر التي تسترعي انتباههم ، فمثلاً : " العلياب " ، هو : اسم حشرة صغيرة مائية سوداء . و" الآجار " : يدل على الثور ذي القرون الكبيرة ، و" بور " ، ومعناه : الغارقة ، لأن أراضي دنكابور تغمرها مياه الفيضانات في فصل المطر ، وأما السك ، فهو : اسم السهم المقدس للقبيلة .(٣)

وتأتي قبائل النوير من الناحية العددية ثانية القبائل عدداً ، إذ يقاربون المليون نسمة .(٤) ومعظمهم في أعالي النيل ، ويقطنون إقليم

= الأبيض ، وتعد في شمال إقليم السودان .
سعيد صباغ ، الأطلس العربي ، ص : ٤٤ - ٤٥ .

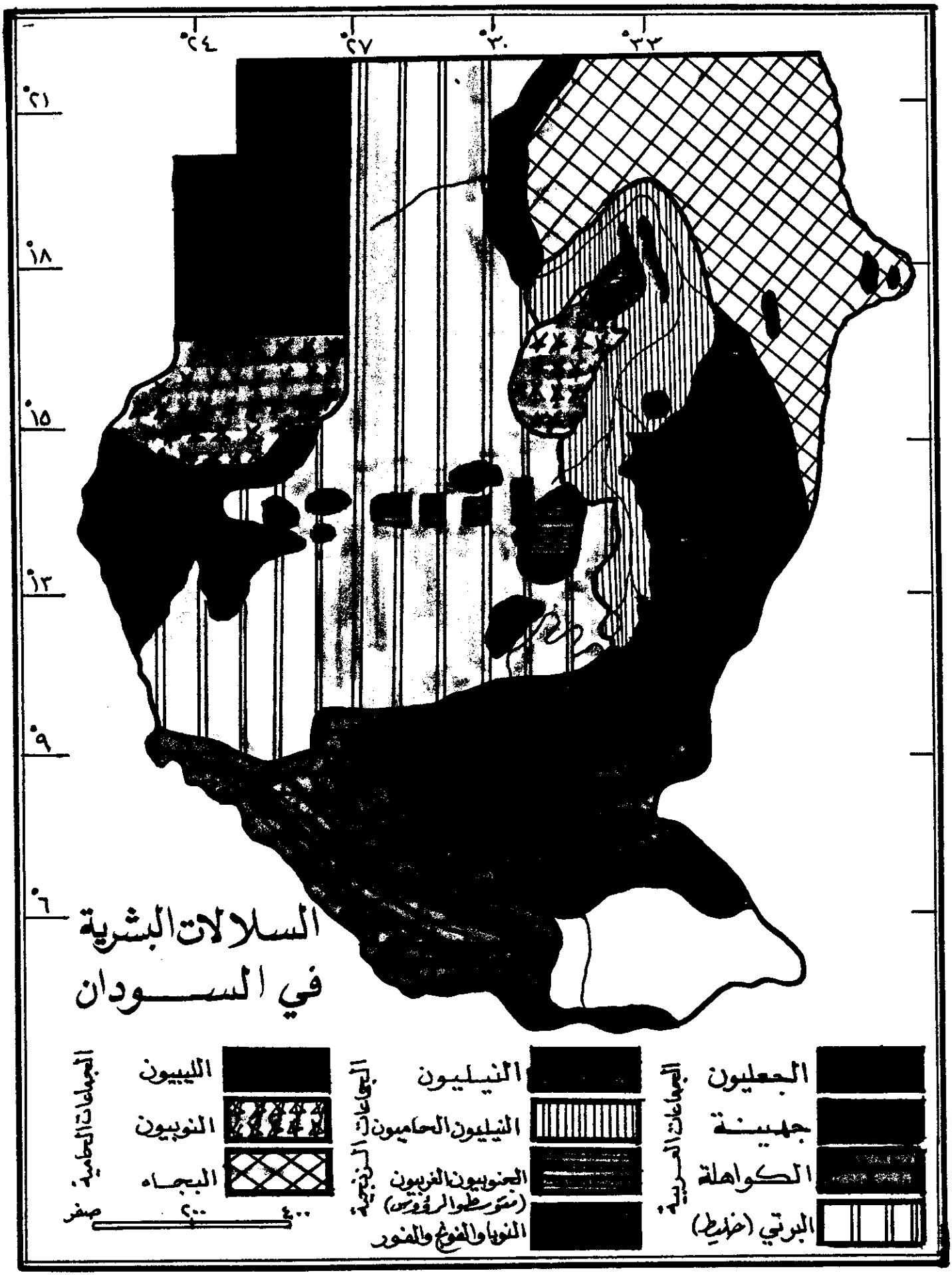
(١) علي حسن عبدالله ، الحكم والإدارة في السودان ، ص : ٥٧ - ٦٠ .

(٢) السابق ، ص : ٦٠ .

(٣) Seligman F., Fagan Tribes of Nilotic Sudan, page : 206, printed in:London, at: 1349 H- 1931 A.D.

(٤) علي حسن عبدالله ، الحكم والإدارة في السودان ، ص : ١٠٣ .

خريطـــــة رقم (٢٥)



المصدر: د. محمد الصياد، وآخرون، السودان، الأنجلو المصرية، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.

المستنقعات والسدود ، على جانبي بحر الجبل الأدنى ، وتمتد قبائلهم حتى السوباط ، وقد أثرت طبيعة بلادهم عليهم ؛ فكانوا مبتعدين ومنعزلين ؛ فأراضيهم تغرقها المستنقعات في موسم المطر ، وتصبح أشبه بالصحراء في فصل الجفاف ؛ لذلك عاشوا في شبه عزلة عن الغريب ، ولم تكن علاقتهم بالإدارة ، أو الحكومة علاقة ودية أول الأمر ، ثم فتحوا باب الحرب بينهم وبين قوات الحكومة ، واستمرت فترة من الزمن .(١)

الشلك :

هم القبيلة الوحيدة ذات النظام السياسي المركزي ، تحت قيادة ملك يسمى " الرث " ، وكان هذا الملك في الماضي يحكم عليه بالإعدام ، إذا أصبح مسناً ، وفقد حيويته ؛ لأنهم يعتقدون : أن حيوية القبيلة وقوتها من حيويته ، وقوته . ويشبههم " الأنواك " في نظامهم السياسي إلى حد كبير ، وعددهم يقترب من نصف المليون ، ويعيش جزء منهم في شريط على الضفة الغربية للنيل الأبيض ، من " كاكا "(٢) في الشمال ، إلى نحو خمسين وسبعمائة متر من بحيرة " نو "(٣) في الجنوب ، كما أنهم

---

(١) د . عبد العزيز كامل ، الجغرافيا البشرية للسودان ، ص : ١٠٣ .

(٢) هي : مدينة تقع على النيل الأبيض في أقصى شمال جنوب السودان ، وكانت ثاني مركز للتنصير في جنوب السودان .
Professor Bashir M.O.,The Southern Sudan, Backgr-ound to Conflict, Horst and Co., page : 37.

(٣) هي : بحيرة واسعة ، يصب فيها بحر الجبل ، وبحر الزراف . عمل عليها مشروع قناة جونقلي الكبير .
سعيد صباغ ، الأطلس العربي ، ص : ٤٢ .

يحتلون الضفة الشرقية من "كدوك" إلى "التوفيقية" ، كما تمتد قراهم مسافة أربعة كيلومترات على الضفة الشمالية لنهر السوباط ، وهم : طوال القامة ، طوال الرؤوس .[1][2]

الدينكا الحاميون :

هذه القبائل من رعاة الماشية ، وتوجد بهذه القبائل نسبة أعلى من الدماء الحامية ، ويعيشون في السودان وخارجه ، وتصل أبعد شعبة فيهم حتى وسط تنزانيا ، كما يوجدون في أوغندا ، وكينيا ، وأثيوبيا ، وتختلف صفاتهم ، ويتراوح لون البشرة بين الأسمر الفاتح ، والأسمر الداكن ، وهم : طوال القامة والرؤوس ، ويتشابهون في اللغة التي يتكلمون بها ، وتنتمي المجموعة التي تقطن السودان إلى المجموعة الشمالية منها . وتشمل هذه المجموعة : الباري ، والمندراري ، والينانجارا ، والفاجيلو ، وكاكوا ، والكوكو ، واللوكويو ، ولولا با ، ولوتوكو ، واللانجو ، وغيرهم .[3]

---

(١) هي : إحدى مدن مديرية أعالي النيل ، وكانت تسمى في أوائل العهد الثنائي بـ" فاشودة" ، وقد كانت سبباً في إشعال الحرب بين انجلترا وفرنسا ، وسميت هذه الحرب بـ" حادثة فاشودة". التيجاني عامر ، جنوب السودان ، (بحر الغزال بين العصابات والحكومات من : ١٨٥٠ - ١٩٢٠م) ، ص : ٥ - ٦ ، ط : دار الجيل للإعلام ، بالقاهرة ، سنة : ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .
سعيد صباغ ، الأطلس العربي ، ص : ٤٤ .

(٢) علي حسن عبدالله ، الحكم والإدارة في السودان ، ص : ٥٩ - ٦٠ .

(٣) د . محمد عبدالغني سعودي ، مشكلة جنوب السودان ، ص : ٣٢ - ٣٣ .

وتصل المجموعة النيلية الحامية إلى ما يقرب من مليون نسمة ، وتأتي بالترتيب الآتي : الباري ، وهي : أكثر من ربع مليون نسمة ، ثم اللاتوكا ، ثم الديدنجا .(١)

أمّا من حيث التوزيع على المديريات ؛ فيعيش معظمهم في المديرية الاستوائية ، ويعظمهم في مديرية أعالي النيل نصف عدد الديدنجا ، وأقل عدد لهم في بحر الغزال(٢) ؛ وذلك حسب إحصاء سنة : ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، وتمثل قبائل الدنكا حوالي : ثلث عدد سكان الجنوب .(٣)

القبائل العربية وجنوب السودان :

ولقد اختلطت القبائل العربية بالقبائل النيلية ، والاستوائية بدرجات متفاوتة ، فامتزجت الدماء ، وتبودلت السحنات ، واختلطت الأنساب ، فأصبحنا نرى : بطناً عربياً مندمجاً في إحدى القبائل الكبيرة . وقد انتشرت قبائل الرزيقات العربية في الغرب ، والجنوب الغربي في بحر العرب ، وبحر الغزال ، وانتشرت في أرجاء السودان ؛ فنجد بطوناً عربية تنخرط في الغور ، كما نجد امتزاجاً سلالياً واضحاً بين الرزيقات والدنكا ، والمسيرية والدنكا ، وهكذا .(٤)

---

(١) السابق ، الصفحات نفسها .
(٢) السابق ، الصفحات نفسها .
(٣) الجبهة القومية الإسلامية ، مسألة جنوب السودان ، مجلة (السياسة الدولية) ، العدد : (٩١ ، ص : ١٥٢ .
(٤) طي حسن عبدالله ، الحكم والإدارة في السودان ، ص : ٦٠ - ٦٤ .

ولم يجر هذا الانتشار بتوجيه من سلطة مركزية ؛ بل جرى نتيجة عوامل اجتماعية ، وتاريخية معينة ، واستمر مندفعاً قروناً بعد قرون .[١]

وسائل الاتصال :

إن كبر مساحة جنوب السودان ، والظروف الطبيعية التي تكاد تعمه ، كالأمطار التي تستمر لمدة أكثر من : ثمانية أشهر ، والطرق غير الصالحة ، إلا لمدة لا تزيد عن : ثلاثة أشهر ، هي : فترة توقف الأمطار ، هذا علاوة على السهول الفيضية التي تغمرها المياه في موسم الفيضان ، وتتسبب في إيجاد مناطق للمستنقعات ، ومساحة الغابات الشاسعة ، كذلك الحرب المستمرة التي أتت على الأخضر واليابس، جعلت الطرق غير آمنة ، والمواصلات غير مستقرة .[٢] وساعدت على ضعف وسائل النقل ، والمواصلات في هذه المساحة الشاسعة ؛ فلم تكن هناك رابطة قوية بين المركز أو النواة ، وبين الأطراف ، فكانت هذه الأطراف عرضة للاختطاف من الدول المجاورة ، وضعف اتصال السكان بعضهم ببعض؛ مما أوجد فجوة أو فجوات تتبعها فجوة .[٣]

وتختلف طرق المواصلات في جنوب السودان باختلاف الجهات؛

---

(١) الصادق المهدي ، يسألونك عن المهدية ، ص : ١٢٤ .
(٢) د . محمد عبد الغني سعودي ، مشكلة جنوب السودان ، ص : ٢٢ .
(٣) السابق ، الصفحة نفسها .

ففي مديرية أعالي النيل - إذا استثنينا الأنهار الصالحة للملاحة - فإنه من المتعذر استعمال العربات لمدة تقترب من تسعة أشهر في السنة. ونهر السوباط يصلح للملاحة في الفترة ما بين " يونيه " إلى " أكتوبر "، وليست مديرية بحر الغزال بأحسن حالاً من أعالي النيل ؛ فإذا استثنينا طريق العربات الصالحة للاستعمال طوال السنة بين " واو " ، و " جوبا "، فإن النهرين الوحيدين الصالحين للملاحة ، هما : نهر الجور[1] ، بعد أن يمر بمدينة " واو " ؛ وذلك من : " أغسطس " إلى " أكتوبر " ، وبحر الغزال من مشروع الري إلى " نو " من : " أغسطس " إلى " أبريل ". ولا توجد طرق للسيارات صالحة طوال العام إلا في المديرية الاستوائية ؛ إذ ترتبط مراكزها بعضها ببعض . وتنظم الخطوط الجوية السودانية سفريات جوية مرتين أسبوعياً لـ " جوبا " ، و " ملكال " ، و " واو " ، وباستثناء الخط الحديدي الذي يصل من غرب السودان إلى " واو " ؛ فإن السفريات العادية بين شمال السودان وجنوبه تقوم بها البواخر النيلية من : " كوستي " إلى " جوبا " مرة أسبوعياً . وأما الطرق البرية : فلا تستعمل إلا لمدة ثلاثة أشهر في السنة عن طريق " مديرية دارفور " في الغرب ، أو جنوباً إلى ملكال وجوبا ، وقلما تستعمل هذه الطرق البرية .[2]

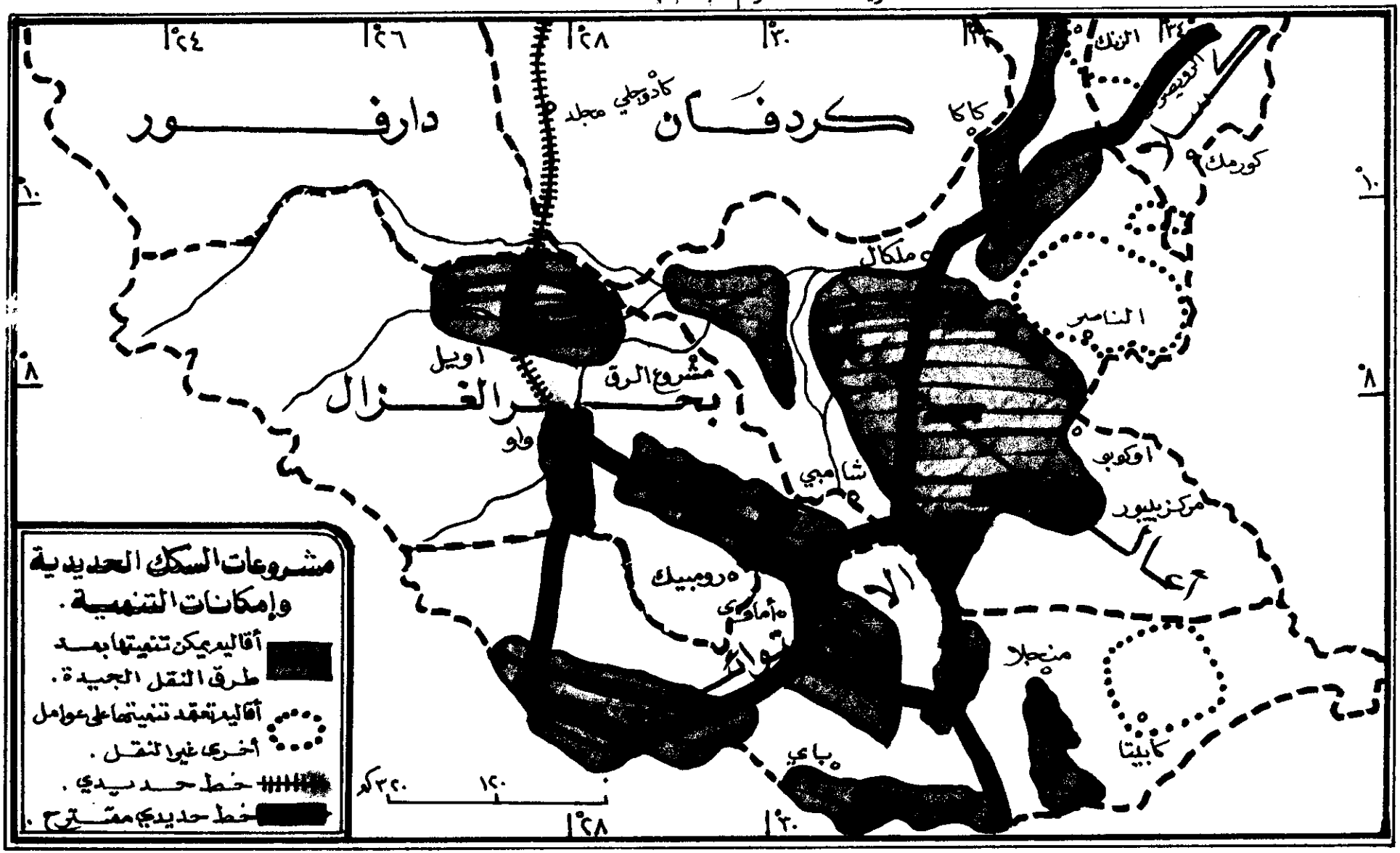
انظر : الخريطة رقم (٢٦) .

---

(١) هو : إحدى روافد بحر الغزال ، وهو : أحد الأنهار الصالحة للملاحة بعد مدينة " واو " الواقعة عليه .
سعيد صباغ ، الأطلس العربي ، ص : ١٣ .

(٢) محمود شاكر ، السودان ، ص : ٥٧ .

خريطـــــة رقم (٢٦)



المصدر: محمد عبد الغني سعودي، وآخرون، مشكلة جنوب السودان، مركز بحوث الشرق الأوسط، جامعة عين شمس، سنة: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

ومما يزيد من سوء المواصلات كثرة الفيضانات في الجنوب ، والتي تكون مستنقعات يصعب تجاوزها ، مثل : بحر الجبل ، الذي يجري في فصل الصيف في وسط مستنقع ضخم ، وتضيع المياه في خضم هذه المستنقعات .[١]

النشاط الاقتصادي للسكان :

يقوم النشاط الاقتصادي في جنوب السودان على رعي الأبقار، والزراعة ، وصيد الأسماك ، وتتفاوت الأهمية من نشاط إلى نشاط، حسب اختلاف الظروف الطبعية لهذه المنطقة الواسعة الشاسعة ، وذلك وفقاً لصلاحيتها للرعي ، أو للزراعة ، أو للرعي والزراعة معاً ، أو للمنطقة التي بها ثروة مائية .[٢]

وبما أن طرق النشاط الاقتصادي ، ونوعية المحصول الواحد ، والثروة الحيوانية ، وطرق معاملتها واحدة بين تلك القبائل الجنوبية، فيمكن بذلك دراسة طرق معيشتهم كلها ، فليس ثمة فائدة ترجى من الثروة الحيوانية ، وذلك لعدم الميل إلى ذبحها .[٣] ولا تذبح الماشية إلا في حالة شيخوختها ، وأهل المنطقة ليسوا مهرة في استغلال منتجات الألبان ، وليس هناك رعاية بيطرية بطرق علمية . ويهتم النيليون

---

(١) السابق ، ص : ٤٦ .

(٢) السابق ، ص : ٥٤ - ٥٥ .

(٣) K.M. Power, Summarizing in Sudan Regional Geography , page: 79.

اهتماماً كبيراً في تنشئة قطعانهم ، ويتضح هذا جلياً عند قبيلة النوير ، والشلك ، والدنكا إلى حد كبير.[١] انظر : الخريطة رقم (٢٧) .

أما الزراعة : فهي في معظم الأماكن قائمة على الزراعة المتنقلة ، والبدائية ، علاوة على أنهم ليسوا بميالين للأعمال الشاقة ، التي تتطلبها الزراعة ، من : حرث ، وزرع الأرض ، ويرجع ذلك للظروف الطبعية ، كما أن منطقة الجنوب مليئة بالحشرات ، والأوبئة ، والأمراض التي تصيب الإنسان ،وا لحيوان والزرع ، والفيضانات التي تكتسح المزارع بكثرة .[٢]

ويعد الدخن المحصول الرئيس الذي يزرع في تلك المناطق ، وهو أنواع شتى ، إذ يختلف باختلاف مواسم زراعته ، وما يتطلب من سقي وعناية .[٣]

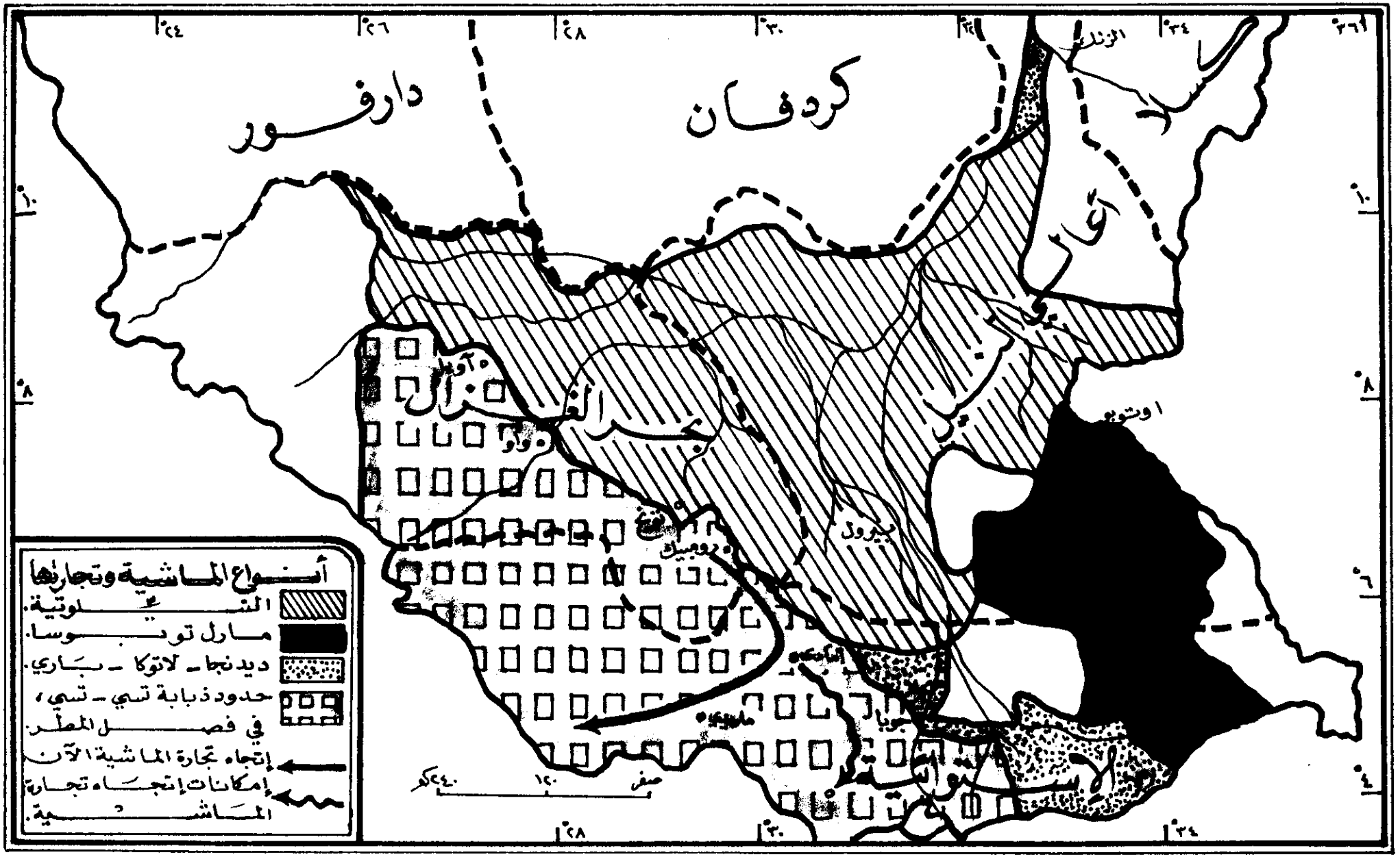
السياسة الإدارية والتوزيع السكاني :

قامت الحكومة بعمل بعض المشاريع ، أدت إلى إعادة التوزيع السكاني ، إذ تأثرت هذه المنطقة بالسياسة الإدارية ، وذلك لأن ضرورة الحصول على مشروعات تسهل رقابتها وإدارتها ، شجعت على الإقامة بجوار الطرق العامة ، ولربما ساعد على ذلك - أيضاً - ازدهار التجارة المطردة ، ولم تشجع الإقامة بالقرب من الأنهار .[٤] فمما يلحظ : ميل السكان

---

(١) السابق ، الصفحة نفسها .
(٢) السابق ، ص : ٨٠ .
(٣) السابق ، الصفحة نفسها .
(٤) السابق ، ص : ٩٢ .

خريطـــــة رقم (٢٧)



المصدر: محمد عبدالغني سعودي، وآخرون، مشكلة جنوب السودان، مركز بحوث الشرق الأوسط، جامعة عين شمس، القاهـــــرة، سنة: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

للإقامة بامتداد الطرق في كل من : سركز ياي ، وسريدي ، وهذا يعني - في بعض الأحيان - : أن يترك السكان التربة الصالحة للزراعة للإقامة بمنطقة أدنى خصوبة.(١)

ولمّا تقلّص خطر مرض النوم ، أضحت الأوامر التي تتطلب من السكان الإقامة بالقرب من الطريق العامة ، لا تطبق كما ينبغي . وقد يبدو أثر الحكومة في توزيع السكان في أقصى الجنوب الغربي بمنطقة الأزاندي أكثر ظهوراً ؛ إذ أغرى الأزاندي - باديء الأمر - على نقل أوطانه من المنطقة التي ينتشر فيها مرض النوم ، إلى الإقامة بالقرب من الطرق ؛ لكي يكونوا بالقرب من السلطة الإدارية ، والخدمات الصحية ، ثم أغروا - فيما بعد - للإقامة وفق نظم معينة ؛ بغرض الوصول إلى دورات نظامية مستقرة لزراعة المحاصيل ؛ وذلك فضلاً عن جعل الاتصال ميسوراً بين القطعة والأخرى ؛ سواء عن الطريق العامة ، أم طرقات العجلات ؛ ولتسهيل الرقابة على المحاصيل ونقلها.(٢)

وليست الظروف الطبعية ملائمة تماماً للزراعة ؛ لأن تنظيف التربة من النباتات البرية عمل شاق ، فضلاً عن ضآلة الإنتاج ، وسرعة فقد الأرض لخصوبتها ، وضرورة تركها بوراً فترة طويلة قبل زراعتها من جديد ، إلى جانب أن الآلات المستخدمة في الزراعة آلات بدائية.(٣)

---

(١) السابق ، ص : ٩٤ .
(٢) السابق ، الصفحة نفسها .
(٣) السابق ، ص : ٩٥ .

لهـــذا نرى : أن كثيراً من مناطق الجنوب ذات إنتاجية ضعيفـة للمحاصيل ، إلى الحد الذي لا يكاد يمسك الرمق طوال العام[1].

وجنـــوب السودان ، برغم غنى موارده الزراعية والحيوانية، وغاباته الاستوائية ، ومصادر الثروة المائية ، واكتشاف البترول ، وإنتاجه حديثـاً ، إضافة إلى ثروات معدنية أخرى من : ذهب ، وحديد ، ونحاس ، وموارد أخرى ، إلا أنه لم يستفد من موارده ، وظل يرزح تحت وطأة الفقـــر، وعوامل التخلف ، ومّـــا زاد سوء الأحوال : القتـال الدائر بين الحكومة وجبهات جنوبية تعضد وتساعد من الخارج[2].

هـــذه هي أحوال جنوب السودان ، وهذا هو التوزيع الجغرافي لسكانه .

وبعد هذا الذي وصلنـــا إليه في مبحث (التوزيـــع الجغرافـي لسكان الجنـوب) نخلص إلى النتائج الآتيـة :

الأولى : لم يكن يعرف لإقليم جنوب السودان حدود جامدة ، إذ تمتد القبائل التي تقطن الشمال نحو الشمال . . أمّـــا القبائل التي تقطـــن المديريات الجنوبية : فتمتد إلى داخل الدول المجاورة ، كأوغندا ، وزائير ، وأفريقيا الوسطى .

---

(١) السابق ، ص : ٩٦ .
(٢) الجبهة القومية الإسلامية ، مسألة جنوب السودان ، ص : ١٥٢ .

الثانية : إن حدود السودان الجنوبية لم تأخذ شكلها الحالي ، إلا في أواخر سنة : ١٣٣١هـ - ١٩١٣م ، حينما ضم الجزء الجنوبي الذي يسمى بإقليم " اللادو " إلى السودان .

الثالثة : طبيعة الحدود المصطنعة ، أدت إلى تمزيق أواصر القبائل ووشائجها وعراها .

الرابعة : كان اتساع الحدود ، وكثرة الدول المجاورة ، ووجود تداخل ، أو تشابك بين القبائل على هذه الحدود عاملاً مساعداً للمتمردين الذين كثيراً ما لجأوا إلى تلك الدول ، واستخدمت حكومات تلك الدول مشكلة المتمردين لتفجير الوضع داخل السودان ، ما لم تتوافق سياسة السودان الخارجية مع رغبات هذه الدول .

الخامسة : المناخ في جنوب السودان : مداري رطب ، وفي أقصى الجنوب مناخ شبه استوائي ، والفرق المهم في عنصري المناخ هو : الفرق في نسبة الأمطار ، فقد تصل نسبة الأمطار إلى : مائتين وألف مم في السنة ، وتمتد الشهور المطيرة إلى تسعة أشهر ، مما ينعكس على نشاط الحياة والأحياء .

السادسة : أدت العوامل الطبيعية الناجمة عن التضاريس والمناخ : إلى صعوبة إنشاء طرق للمواصلات ، تربط أجزاء الجنوب بشماله ، ولن بقيت الرحلات النيلية تمثل رابطاً حيوياً ، إلا أنه لا يفي

بالغرض الذي تؤديه شبكة المواصلات حين تتوافر .

السابعة: هناك أكثر من خمسين ومائتي قبيلة تقطن جنوب السودان ، ينقسمون إلى مجموعات أكبرهم : النيليون ، وهم أكثر من مليوني نسمة ، ويعيشون في مديريتي : بحر الغزال ، وأعالي النيل ، يليهم النيليون الحاميون ، وبينهم وبين القبائل العربية الأصول تمازج ومصاهرة واندماج .

الثامنة : كما يوجد في جنوب السودان أكثر من ثلاث وخمسين مجموعة لغوية ، أكبرها لغة الدنكا ، واللغة العربية الدارجة .

التاسعة: يقوم النشاط الاقتصادي في جنوب السودان على : رعي الأبقار، والزراعة ، وصيد الأسماك ، وتتفاوت الأهمية من نشاط إلى آخر حسب اختلاف الظروف الطبعية لهذه المنطقة الواسعة .

العاشرة : كان السكان يميلون إلى السكنى في امتداد الطرق ، وهذا يعني : أن يترك السكان التربة الصالحة للزراعة ، للإقامة بمناطق أقل خصوبة ؛ ومن ثم عملت الحكومة بعض المشاريع لإعادة توزيعهم .

الحادية عشرة : إن الحرب المستعرة في جنوب السودان كانت وراء توقف المشروعات الهادفة ، وقد أدت هذه الحرب إلى ازدياد تخلف جنوب السودان .

الثانية عشرة : بالإضافة إلى الحرب المستعرة ، التي تقف وراء تخلف الجنوب ، هناك عوامل أخرى : كالنفوذ الأجنبي المتمثل في الإرساليات التنصيرية ، والصراع الدولي على المنطقة الحيوية ذات الموارد الاقتصادية الهائلة ، وأخيراً أطماع الجيران ؛ وبخاصة أثيوبيا .

الثالثة عشرة : الصهيونية العالمية الماكرة وقفت تذكي حرب الجنوب، وتعمل على استمرارها وإيقادها ؛ لإخراج السودان من حساب القوى العربية المسلمة .

* * *

وبعـد :

فمن خـلال الفصل السابق (خلفية تاريخية عن السودان) ، عشنـا رحلة علمية طيبة مع دخول الإسلام السودان ، ورأينـا كيف انتشـر الإسلام في شمال السودان وجنوبه ؛ ثم تناولنا بشيء من البيان وضـع السودان في عهد الخلافة الإسلامية العثمانية ، ورأينـا أنه بدأ عطيـاً عندما تطلع محمد علي - حاكم مصر - إلى أعالي النيل ، وبدأت البعثـات الكشفية ، ورأينا كيف حـاول الأوربيون النصارى أن يجدوا لأنفسهم طريقـاً إلى منابع النيل . . وكيف استعان بهم أبناء محمد علي في حكم الأقاليم الجنوبية في السودان ؛ ثم رأينـا الثورة المهدية وهي تخرج من عبـاءة التصوّف باسم الإسلام ، وتسيطر على الشمال السوداني ، وتحكم قبضتهـا عليه ، وتطالب الحكام والولاة الأتراك في مصر بالدخول تحت لوائهـا ، وكذلك تدعو السنوسية إليها . . ووجدنا كيف أن الشعب السودانـي المسلم بعاطفته الدينية آزر الثورة المهدية ، وأمدّها بأسباب القـوة ، فصارت قوة لها شأنها ، حتى تم إسقاطها عقب سقوط مصر في قبضة الاحتلال الإنجليزي . . وعند الحديث عن سياسة المناطق المغلقـة ، تعرفنا على الجهود التي بذلها المنصّرون ؛ ليوقفوا المد الإسلامي ، من خلال سن قانون المناطق المغلقة ، حتى يحولوا بين مسلمي الشمـال ، وأبناء الجنوب ، ورأينـا دور المحتل الصليبي الحاقد ، وهو يبـذل جهده ، مضاعفاً ؛ حريصاً على أن يحقق للمد الكنسي التنصيري كل غاياته باسم : سياسة المناطق المغلقة ، التي طبقت في وجه التجار المسلمين (الجلابة) . . ثم عرجنـا على بيان الوضع الحالي لسكان الجنوب ،

والتوزيع الجغرافي . . كل ذلك الفصل جعلناه بمثابة التمهيد للحديث عن عوامل انتشار الإسلام ومعوقاته في جنوب السودان . . وهذا الفصل لا ينفصل بحال من الأحوال عن لب الموضوع ؛ فهو منه، وبه يشكل لبنة في بنائه .

فماذا بعد عن عوامل انتشار الإسلام ومعوقاته في جنوب السودان ؟ هذا . . ما نكشف عنه النقاب - بإذن الله ومشيئته - في الصفحات الآتية ، فنقول - وبالله التوفيق - :

الفصل الثاني

عوامل انتشار الإسلام
في جنوب السودان

وفيه مبحثان، هما:

المبحث الأول: العوامل الأساس

المبحث الثاني: العوامل المساعدة

المبحث الأول

العوامل الأساس

وفيه ثلاثة مطالب، هي:

المطلب الأول: وسائل الدعوة الرسمية.

المطلب الثاني: وسائل الدعوة غير الرسمية.

المطلب الثالث: موقف وسائل الدعوة الرسمية، وغير الرسمية من النشاطات التنصيرية

المطلب الأول

وسائل الدّعوة الرسميّة

ويشمل :

أولاً : منظمة الدّعوة الإسلاميّة

ثانيًا : المركز الإسلامي الأفريقي

ثالثًا : جامعة "جوبا" أساتذة وطلابًا

أولاً

منظمة الدعوة الإسلامية

المبحث الأول

العوامل الأساس

المطلب الأول : وسائل الدعوة الرسمية :

أولاً : منظمة الدعوة الإسلامية :

مدخل : لقد وفق الله - سبحانه وتعالى - إلى قيام منظمة متخصصة في الدعوة إلى الله - عز وجل - ومسهمة في نشر راية الإسلام ؛ لتكون عاملاً مهماً من عوامل انتشار الإسلام في القارة الأفريقية بعامة ، وفي الجنوب السوداني بخاصة .

ومما يزيد في أهمية هذه المنظمة ، ويسهم في إنجاح مسعاها الأسلوب الفريد الذي التزمت به في سبيل الدعوة إلى الله - جل وعلا - ، فهي لم تقتصر على إرسال الدعاة وإعدادهم ، وإعداد النشرات ، وإقامة بيوت للدعوة ؛ بل جعلت إلى جانب المسجد مصنعاً ، وإلى جانب المدرسة معهداً فنياً ؛ لتعلم الرجل الأفريقي الإسلام ، وإلى جانبه العمل بشرف وجد ، وتعلم المرأة أمور دينها ، إلى جانب حرفة تساعد في تحسين دخل أسرتها ، وتعلم التلميذ الصغير مبادئ الإسلام وآدابه ، إلى جانب حرفة مهنية ، تكفيه شر الفقر والحاجة مستقبلاً . وهذا زاد في إقبال الأفواج الأفريقية على المنظمة ، وتدافع الناس إلى تعلم الدين الإسلامي زرافات ووحداناً . وسدّت بهذا السبل أمام شعارات

المنصّرين ، وهتافات أعداء الدين ، فلم تترك لهم أي منفذ ينفذون منه لهدم بناء الإيمان في قلب الإنسان الأفريقي المسلم .

وفيما يأتي من صفحات تعريف بهذه المنظمة ، ومع طوله ، إلا أنه ما زال مقتضبًا موجزًا ، لم يف هذا المنحل الإسلامي جزءًا من حقه في البروز والإعلام .

إنشاؤها :

أنشئت منظمة الدعوة الإسلامية ، سنة : ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م ، وجعل ميدان عملها القارة الأفريقية ، واختيرت الخرطوم - عاصمة السودان - مقرًا لها .(١)

وتعمل المنظمة مع عدد من الإدارات المركزية التابعة لها ، إلى جانب مؤسسات متخصصة .(٢)

وقد وضع سياسة المنظمة العليا مجلس أمناء مكون من أعضاء من : المملكة العربية السعودية ، الإمارات العربية المتحدة ، دولة قطر ، دولة الكويت ، الجماهيرية العربية الليبية ، مصر ، السودان ، ودول أخرى في غرب أفريقيا وشرقيها ، مثل : نيجيريا ، وموريتانيا .(٣)

---

(١) نشرة منظمة الدعوة الإسلامية ، ص : ٤ ، ط : الرابعة ، الصادرة في شهر شعبان ، سنة : ١٤٠٦هـ - الموافق : أبريل ، سنة : ١٩٨٦م .
(٢) السابق ، ص : ٥ .
(٣) السابق ، الصفحة نفسها .

أهداف المنظمة :

قامت منظمة الدعوة الإسلامية على عدد من الأهداف ، هي أساسها الذي منه تنطلق ، ومنهاجها الذي منه تنبثق . ويمكننا الإشارة إلى بعض أهداف هذه المنظمة فيما يأتي :

١- نشر الإسلام بين الأمم الكافرة ، وإرشاد الجماعات المسلمة ، من أجل تنمية الشخصية المسلمة ، القادرة على فهم العقيدة ، والتعبير عن معانيها العميقة .

٢- نشر روح التعاون والتفاهم بين الجماعات المسلمة ، وأصحاب الديانات الأخرى ، حتى يكون هناك احتكاك ، ويظهر التأثير للدين الإسلامي المتين في عقائد أولئك الهشة العنكبوتية .

٣- إرشاد الجماعات المسلمة ، وتطويرها فكرياً وثقافياً ، وفقاً لتعاليم القرآن الكريم ، والسنة المطهرة .

٤- الإسهام في التنمية الاجتماعية والاقتصادية ، والرعاية الصحية للجماعات المسلمة .[1]

---

(١) منظمة الدعوة الإسلامية ، دليل المنظمة ، ص : ٥ ، ط : الثانية ، الصادر في شهر جمادى الأولى ، سنة : ١٤٠٧هـ - الموافق : يناير ، سنة : ١٩٨٧م .

إدارة المنظمة :

للمنظمة مجلس أمناء يتألف من خمسين عضواً من العاملين في الحقل الإسلامي ، من : السودان ، والسعودية ، والكويت ، ومصر ، وليبيا ، والإمارات العربية المتحدة ، والبحرين ، وقطر ، وشرق وغرب ووسط أفريقيا . وهم يمثلون الهيئة العليا في المنظمة ، التي تقوم بوضع الخطط والبرامج ، والسياسات العامة للمنظمة ... الخ.(١)

وتضم عضوية المجلس - بالإضافة إلى الأعضاء الأصليين - عدداً من الهيئات والمنظمات الإسلامية ، بصفة عضو مؤسس أو مراقب ، مثل : رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة ، والرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، وجامعة الأزهر ، والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر ، وجمعية الدعوة الإسلامية بليبيا ، والهيئة المشتركة لبناء المراكز الإسلامية الثقافية بالإمارات العربية المتحدة ، وغيرها.(٢)

الأمانة العامة :

يتفرع عن مجلس الأمناء أمانة عامة ، ذات اختصاصات تنسيقية ورقابية ، يرأسها الأمين العام للمنظمة ، ويعمل المدير التنفيذي مقرراً لها .

---

(١) السابق ، ص : ٧ .
(٢) السابق ، الصفحة نفسها .

مهمات الأمانة العامة :

١- تحديد الأهداف المرحلية والجزئية للمنظمة .

٢- إقرار السياسات والخطط التفصيلية .

٣- الموافقة على إبرام العقود باسم المنظمة .

٤- الموافقة على اللوائح المنظمة لعمل المنظمة .

٥- الموافقة على إنشاء الإدارات والمكاتب .

٦- الموافقة على الموازنات الفرعية للمكتب التنفيذي ، والمؤسسات المنبثقة من المنظمة .

٧- إعداد التقرير السنوي للمنظمة .

٨- التوصية بتعيين الأمين العام ، والمدير التنفيذي .

٩- تعيين مديري المؤسسات ، ومجالس إداراتها .

إضافة إلى مهمات أخر ، كالموافقة على المشاركة في المؤتمرات والاتفاقيات ، وجمع الأموال اللازمة ، وتحديد كيفية التصرف فيها .(١)

المكاتب الخارجية والبعثات الإقليمية التابعة لمنظمة الدعوة الإسلامية :

يتبع المنظمة عدد من المكاتب الخارجية ، والبعثات الإقليمية ،

---

(١) منظمة الدعوة الإسلامية ، النظام الأساسي لمنظمة الدعوة الإسلامية ، ص : ٨ - ١٠ ، ط : الرابعة ، شهر صفر ، سنة : ١٤٠٧هـ - الموافق : أكتوبر ، سنة : ١٩٨٧م .

تقـــوم بالعمل الميداني ، وتتولى تنفيذ برامج إدارات المنظمة المركزيـــة ، وكـــذلك المؤسســات التابعـــة لهـــا ، إذا طلبت ذلك من المكتب أو البعثـة.[1]

وفيمـــا يأتي بيان وتعريف بها :

أ - **المكاتب الخارجية :**

ميدان عملها منطقة جغرافية محددة ، تحددها الإدارة المركزيـــة عند الموافقة على قيام ذلك المكتب . والمكتب ينسق بين البعثات في منطقته ، ويوطد الصلات مع السلطات والجمعيات والهيئات والأفراد في منطقتـــه ، ويطور العلاقات الحميدة معهم جميعاً .

وللمنظمة حتى الآن ثلاثة مكاتب :

١- مكتب شرق أفريقيا ، ومقره " زنجبار " .

٢- مكتب الخليج ، ومقره " الشارقة " بالإمارات .

٣- مكتب المملكة العربية السعودية ، ومقره " جده ".[2]

ب - **البعثات الإقليمية :**

وهي : وحدة كاملة التكوين ، تقوم بنشر الدعوة الإسلامية في منطقة جغرافية معينة . يتكون الجهاز من عدة أقسام فنية ، تتولى تنفيذ برامـــج

---

(١) منظمة الدعوة الإسلامية ، دليل المنظمة ، ص : ٩ - ١٠ .

(٢) السابق ، ص : ١٠ .

الإدارات المركزية ، والمؤسسات التابعة للمنظمة .[١]

وهي : المسئول الأول والأخير عن العمل الميداني في تلك المنطقة الجغرافية ، والبعثة مزودة بأجهزة اتصال متقدمة ، لتيسير الاتصال بالرئاسة .[٢]

والبعثات القائمة ، هي :

١- البعثة الإقليمية لجمهورية أوغندة .

٢- البعثة الإقليمية لجمهورية تنزانيا .

٣- البعثة الإقليمية لجمهورية الصومال .

٤- البعثة الإقليمية لمعتمدية الخرطوم .

٥- البعثة الإقليمية لجبال النوبة في السودان ، ومقرها " كادوقلي " .

٦- البعثة الإقليمية في جنوب الفونج بالسودان .

٧- البعثة الإقليمية للاستوائية ، ومقرها " جوبا " .

٨- البعثة الإقليمية لأعالي النيل بالسودان ، ومقرها " الرنك " .

٩- البعثة الإقليمية لبحر الغزال بالسودان ، ومقرها " واو " مؤقتاً .[٣]

الإدارات التابعة للمنظمة :

يتبع المنظمة عدد من الإدارات ، من أهمها :

١- إدارة التعليم .

---

(١) السابق ، ص : ١١ .
(٢) السابق ، الصفحة نفسها .
(٣) السابق ، ص : ١٢ .

٢- إدارة الدعوة .

٣- إدارة الإعلام والنشر .

٤- إدارة الشئون الإدارية .

٥- إدارة الشئون الصحية ، والرعاية الاجتماعية .

٦- إدارة الشئون المالية .

٧- إدارة المشروعات ، وتنمية الموارد .

وفيما يأتي تعريفات موجزة لأجهزة هذه الإدارات :

أولاً : إدارة التعليم :

تعد إدارة التعليم جهازاً مهماً من أجهزة المنظمة ، التي تعمل بجد ونشاط ، وتلامس طبقات مهمة من المجتمع الأفريقي ، قسمت الإدارة إلى ثلاثة أقسام :

أ - قسم التعليم .

ب- قسم الشباب .

جـ- قسم الطلاب .

وفيما يأتي تعريف بهذه الأقسام الثلاثة :

أ - قسم التعليم :

يهتم هذا القسم بمختلف مجالات التعليم وأشكاله ، ابتداء بالتعليم النظامي بفروعه المختلفة ، من : الابتدائي ، والمتوسط ، والثانوي ، ورياض الأطفال ، ويهتم كذلك بالتعليم غير النظامي ، كتعليم الكبار ، وفصول

محو الأمية للرجال ، وللنساء . ومراجعة المناهج التربوية ، ووضع مناهج مخصوصة لتعليم اللغة العربية ، والتربية الإسلامية لغير الناطقين بالعربية ، وبرامج تدريب المعلمين[١] .

وقد استطاعت إدارة التعليم ، في فترة وجيزة من عمر المنظمة ، إنشاء عدد من المشروعات ، من أبرزها :

معهد البحوث الإسلامية :

وهو : معهد خصص لاستقبال الطلاب الأفارقة ، القادمين إلى السودان ، من جميع أنحاء أفريقيا ؛ طلباً للعلم . ويقوم المعهد بتزويدهم بما يلزم من التأهيل ؛ ولا سيما في اللغة العربية ، هذا إلى جانب دراسات في أسس الدين الإسلامي ، إلى جانب تبصير الدارس بالبلاد التي سوف يدرس فيها بطريقة نظامية .[٢]

ويعمل المعهد بنظام التعليم المفتوح ، أي : لا توجد فيه مراحل تعليمية محددة ، ولا منهج محدد ؛ وإنما هو محاولة لتأهيل الطالب لينتقل إلى مؤسسة تعليمية نظامية ؛ سواء أكانت في السودان ، أم في غيره .[٣]

---

(١) منظمة الدعوة الإسلامية ، دليل المنظمة ، ص : ١١ ، ط : الثانية ، الصادر في شهر جمادى الأولى ، سنة : ١٤٠٧هـ - الموافق : يناير ، سنة : ١٩٨٧م .

(٢) السابق ، ص : ١٢ .

(٣) السابق ، الصفحة نفسها .

والمعهد يتكون من فصول دراسية ، وسكن للطلبة ، والأساتذة ، ومسجد ومزرعة للخضروات والدواجن ، وورشة حرفية يتدرب فيها الراغبون من الطلبة . ومدة الدراسة فيه : عام واحد فقط .(١)

أ نشطتها الأخرى :

قامت الإدارة بإنشاء خمس مدارس ابتدائية ، في مختلف بعثات المنظمة ، كما قامت بإنشاء مراكز حرفية لتدريب الشباب ، ومدارس داخلية ، ومدارس لتحفيظ القرآن الكريم ، ومعاهد دينية متوسطة ، ومراكز لتعليم الكبار ، من الرجال والنساء ،إضافة إلى عدد من رياض الأطفال .(٢)

ب- قسم الشباب :

لقد رأت المنظمة إنشاء هذا القسم ؛ ليرعى الشباب الأفريقي المسلم من الأخطار التي تهدد عقيدته . وهذا القسم يهدف إلى إدخال الشباب المسلم في مجال نشر الدعوة الإسلامية ؛ وخصوصاً أن الشباب يمثل ٦٠٪ من مجموع المجتمعات المعنية .(٣)

ويصب القسم اهتمامه بالشباب من الرجال والنساء ، الذين لم يبلغوا سن الأربعين ، على اختلاف حرفهم ومهنهم ، ويقوم القسم بتأهيلهم

---

(١) السابق ، ص : ١٢ - ١٣ .
(٢) مجلة (البشير) ، ص : ٥ ، ط : إدارة الإعلام والبحوث لمنظمة الدعوة الإسلامية ، بالخرطوم .
(٣) منظمة الدعوة الإسلامية ، دليل المنظمة ، ص : ١٣ .

وتدريبهم ؛ ترقية لملكاتهم العقلية ، وتنمية لقدراتهم الجسدية ، وتوجيهها لخدمة مجتمعاتهم ؛ وذلك عن طريق : إنشاء الورش الحرفية والفنية ، وتأسيس الأندية الثقافية والاجتماعية ، وتشجيع الرياضة بكل أنواعها ، وإقامة معسكرات خدمة البيئة ، والقوافل الصحية . والجدير بالذكر أن القسم قد أقام معسكراً قومياً لأبناء جنوب السودان ، بالتعاون مع الندوة العالمية للشباب الإسلامي.(١)

كما يقوم القسم بتزويد البعثات بأعداد ضخمة من المصاحف ، والكتب ، والأجهزة التلفازية ، والأفلام الإسلامية ، ويسهم القسم في تعليم أعداد كبيرة من الشباب والطلاب تجويد القرآن الكريم.(٢)

ولم ينس القسم المرأة ؛ بل وفر لها مساحة كبيرة من الاهتمام ؛ لتأهيلها دينياً وثقافياً ، عن طريق توفير سبل التعليم لها ، وتدريبها على إجادة بعض الحرف الأسرية ، كالخياطة ، وبعض الصناعات اليدوية ، التي تسهم في مصادر دخل الأسرة السودانية . ومما يجدر بالذكر : أن القسم يضم عدداً كبيراً من الدراسات في جنوب السودان.(٣)

جـ - قسم الطلاب :

يقوم هذا القسم بتأهيل عناصر إسلامية مدربة على مختلف

---

(١) السابق ، الصفحة نفسها .
(٢) السابق ، الصفحة نفسها .
(٣) السابق ، ص : ١٣ - ١٤ .

التخصصات ، للذين لم يلتحقوا بدور العلم ، حتى تكون هذه العناصر مهيئة في المستقبل ، لقيادة مجتمعاتها إسلامياً . وتحقيقاً لهذا الهدف فقد اتصل قسما الشباب والطلاب بأغلب الجامعات في البلاد العربية والإسلامية والخيرية ؛ لتخصيص منح دراسية للطلبة الأفارقة ، أو لتغطية نفقاتهم . وقد أصبحت الإدارة - حالياً - تشرف على تعليم قرابة ألفي طالب ، من مختلف الأقطار الأفريقية ، في مختلف المراحل ، من دراسات عليا ، وتعليم جامعي ، وثانوي ، ومعاهد للغة العربية ، وتعليم فني ، ومدارس لتحفيظ القرآن الكريم ، وتعليم مسائي . . . الخ . ويتقاضى أغلب هؤلاء الطلبة إعانات شهرية ، ومساعدات عينية أخرى ، كالعلاج.[1]

ثانياً : إدارة الدعوة :

من الإدارات المهمة التابعة للمنظمة إدارة الدعوة ، وتهدف هذه الإدارة إلى نشر الإسلام ، والعمل على تبصير الدعاة بالوسائل الرشيدة ، وتطوير وسائل وأساليب الدعوة ، والتنسيق والتعاون مع الهيئات المماثلة ، وإقامة المؤتمرات لتبادل الخبرات ، وتطوير مناهج العمل وبرامجه ، والإشراف على نشاط الدعاة المبعوثين عن طريق المنظمة.[2]

ومن نشاطات الإدارة - أيضاً - القيام على نشر الصحف ، والكتب

---

(١) السابق ، ص : ١٤ - ١٥ .
(٢) السابق ، ص : ١٥ .

قبل توزيعها ؛ فهي تقوم بمراجعتها ، والتأكد من سلامتها ، إلى جانب إنشاء مكتبات للدعاة والجمهور ، في المراكز والبعثات الإقليمية .[١]

ومن أبرز أنشطة الإدارة : الاهتمام بحديثي العهد بالإسلام ، فتقيم لهم الدورات التدريبية ، والدروس العلمية . كما تشرف الإدارة على دار المهتدين ، التابعة لبعثات المنظمة في كل الأقاليم ، فتقوم بإيفاد الدعاة إليها ، ووضع الخطة العامة لنشاطها ، وتزويد المهتدين إلى الإسلام حديثاً بمبادئ العقيدة والفقه والسيرة ، في برامج محددة ، وفترات معينة ، إلى أن يتعرفوا على الملامح العامة للإسلام ، والسلوك الإسلامي الرشيد ، الذي ينبغي أن يتبعه المسلم .[٢]

إضافة إلى ما تقدم : فإن للإدارة ثلاث وحدات رئيسة ، هي :

أ - **وحدة المساجد :**

وهذه الوحدة تهتم بإنشاء المساجد ، والبحث عن تمويل بنائها ، بالتنسيق مع أهل الخير من المسلمين ، وتحديد موقعها ، والإشراف الفني على أنشطتها وبرامجها ، حتى تؤدي الأغراض المتعددة ، التي كانت عليها في عصر صدر الإسلام ؛ لتصبح منارات للإشعاع الإسلامي . ومنذ

---

(١) محمد عمر موسى ، النشاط التبشيري الكنسي في جنوب السودان ، ص : ٢٠٦ .

(٢) منظمة الدعوة الإسلامية ، دليل المنظمة ، ص : ١٧ .

إنشائها ، حتى جمادى الأولى ، سنة : ١٤٠٥هـ - الموافق : يناير ، سنة : ١٩٨٥م ، قامت الإدارة بإنشاء أكثر من ثلاثين مسجداً في عدد كبير من المناطق[١].

ب - **وحدة الحج :**

هدف هذه الوحدة هو : إيجاد فرص للحج أمام ضعاف المسلمين ، وحديثي العهد بالإسلام ؛ سواء أكان من مال المنظمة ، أم مما يجود به المحسنون . كما توفر الوحدة الدعاة ، الذين يقومون بمرافقة وفود الحج ، للإشراف على أداء المناسك الصحيحة ، وتبصير الحجاج بأمور دينهم[٢].

جـ - **وحدة المرأة :**

تولي هذه الوحدة عنايتها بالمرأة ؛ خصوصاً أن المرأة المسلمة بأفريقيا ظلت بعيدة عن الوعي والتوجيه ، فترة طويلة ، حتى غلب عليها الجهل ، وأصبحت أسيرة المعتقدات الخرافية ، التي يخالطها الجهل والشرك ، في حين أن عليها مهمة تربية النشء ، وإعداد الأجيال القادمة[٣].

---

(١) منظمة الدعوة الإسلامية ، دليل المنظمة ، ص : ١٧ .
(٢) محمد عمر موسى ، النشاط التبشيري الكنسي في جنوب السودان ، ص : ١٩٩ - ٢٠٠ .
(٣) منظمة الدعوة الإسلامية ، دليل المنظمة ، ص : ١٨ .

ثالثاً : إدارة الإعلام والنشر :

لقد رأت المنظمة أهمية الإعلام والنشر في مجال الدعوة الإسلامية، لهذا قامت بإنشاء إدارة متخصصة في هذا المجال ، تقوم بنشر الإسلام وفق تطورات الإعلام الحديث .(١)

وتهدف الإدارة إلى التعبير عن سياسة المنظمة ، وتعبئة المسلمين للعمل على القيام بواجب الدعوة إلى الله - سبحانه وتعالى - ، وتوعية الرأي العام الإسلامي بالمخاطر التي تحيط بالدعوة الإسلامية في أفريقيا ، بالتصدي لتلك المخاطر ، والكشف عن مخططاتها ، كل ذلك باستخدام الكتب والرسائل والنشرات والدوريات ، والصور الفوتوغرافية ، والتسجيلات الإذاعية والتلفازية ، والسينما المتجولة ، وعقد المؤتمرات والندوات ، والجدير بالذكر: أنه يتبع الإدارة مركز الإنتاج الإذاعي والتلفازي ، وقسم للصحافة والنشر .(٢)

ومن أهم إنجازات الإدارة في هذا المجال : " مركز التركي للإنتاج الإذاعي والتلفازي " ، وقد تبرع بتمويل المرحلة الأولى منه ، معالي الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي(٣) - مدير جامعة الإمام محمد بن سعود

---

(١) السابق ، ص : ١٩ .
(٢) السابق ، الصفحة نفسها .
(٣) هو : عبدالله بن عبد المحسن التركي . ولد بمدينة " حرمة " ، سنة : ١٣٥٩هـ - ١٩٤١م . تخرج من كلية الشريعة بالرياض ، بتفوق سنة : ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م ، وحصل على الماجستير من المعهد العالي للقضاء بالرياض في (أسباب اختلاف الفقهاء) ، سنة : ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩ م ، =

الإسلامية في الرياض ، وقد بلغت تكلفته خمسون ومائتي ألف دولار .[١]

ويهدف هذا المركز إلى إنتاج وتوزيع المواد السمعية والبصرية المتعلقة بنشر الدعوة الإسلامية ، وتدريب الدعاة المسلمين على مختلف مهارات الإعلام وتقنياته ، وإنتاج المواد الإعلامية التي تخدم الدعوة الإسلامية ، وإعداد البرامج التعليمية ، ومواد الإرشاد الزراعي ، والتثقيف الصحي وغيرها .[٢]

ويتكون المركز من عدة وحدات متخصصة في مجالات الإعلام الآتية : البحوث والتقويم ، التخطيط ، التدريب ، الإنتاج والتوزيع ، التغطية .[٣]

ومن أبرز أقسام الإدارة : قسم الصحافة والنشر ، الذي يقوم بإصدار مجلة شهرية ، تصدر مؤقتاً كل ثلاثة أشهر باسم (البشير) ، تتناول قضايا الدعوة الإسلامية ، وهمومها ، ومشكلاتها في القارة الأفريقية . كما

= والدكتوراه من جامعة الأزهر في (أصول مذهب الإمام أحمد بن حنبل) سنة : ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م .
من أبرز مؤلفاته - غير ما ذكر - : " الأسرة في ضوء الإسلام " ، و " الإمام محمد بن سعود : دولة الدعوة والدعاة " ، و " مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي " ، و " حلية الفقهاء لأبي الحسين الأنصاري " ، و " المدخل إلى مذهب الإمام أحمد لابن بدران " ، و " المغني لابن قدامة (تحقيق بالاشتراك)" . وهو : مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ورئيس رابطة الجامعات الإسلامية ، وهو : عضو في عدد من اللجان والهيئات المحلية والإسلامية . وله نشاط محمود في العمل على نشر الإسلام .
المصدر : فضيلته وبعض مشايخي ، وبعض مؤلفاته .

(١) منظمة الدعوة الإسلامية ، دليل المنظمة ، ص : ١٩ .
(٢) السابق ، الصفحة نفسها .
(٣) السابق ، الصفحة نفسها .

يصدر القسم نشرة شهرية باسم (الرسالة) ، توزع على وسائل الإعلام المحلية والعالمية ؛ لشرح أنشطة المنظمة وأعمالها.[١]

ويقوم القسم - أيضاً - بإعداد عدد من الصور والتقارير ، حول مختلف القضايا والمشكلات في القارة الأفريقية ، وتزود بها الوفود التي تتحرك لشرح سياسات المنظمة وبرامجها في الخارج ، حتى استطاع القسم أن يبني عدداً من الجسور الطيبة بين المنظمة والمؤسسات الأخرى في العالم العربي والإسلامي . وامتدت شبكة توزيع القسم ، حتى شملت مختلف الأقطار الأوربية ، والأمريكية.[٢]

رابعاً : إدارة الشئون الإدارية :

من الإدارات التابعة للمنظمة : إدارة الشئون الإدارية ، التي تقوم بتنفيذ توجيهات مجلس الأمناء ، والأمانة العامة ، والمكتب التنفيذي ، في شكل لوائح وأوامر محددة ، كما تتولى كل ما يتعلق بالإجراءات والنظم الإدارية الخاصة بأعمال المنظمة.[٣]

ويتبع هذه الإدارة عدد من الأقسام المتخصصة ، وهي :

---

(١) السابق ، الصفحة نفسها .

(٢) مجلة (البشير) ، العدد : الخامس ، ص : ١٥ ، منظمة الدعوة الإسلامية ، الصادر في شهر ربيع الأول ، سنة : ١٤٠٥هـ - الموافق : ديسمبر ، سنة : ١٩٨٤م.

(٣) منظمة الدعوة الإسلامية ، دليل المنظمة ، ص : ٢٠.

١- قسم الإدارة العامة :

ويتولى المكاتبات الرسمية ، وإدارة العمل اليومي ، وصيانة الممتلكات، والأجهزة ، وتسهيل الأعمال .

٢- قسم شئون الأفراد :

ويتولى إدارة وتسيير كل ما يتعلق بالمستخدمين ، وتحديد المهام الوظيفية ، وضبط العمل .

٣- قسم العلاقات العامة :

ويتولى مهام الاتصال والتعريف ، وتنمية علاقات المنظمة لكل مؤسسة أو هيئة ، أو فرد له علاقة بأعمال المنظمة ، أو برامجها ، كما تتولى مهام استقبال ضيوف المنظمة .

٤- قسم التخليص والترحيل والتخزين :

ويتولى مهام متابعة إجراءات تخليص البضائع والمعدات والآليات التي تستوردها المنظمة ،أوالتي تصل إليها من الخارج عن طريق الهبات أو الشراء .[1]

خامساً : إدارة الشئون الصحية والرعاية الاجتماعية :

لقد رأت المنظمة ما تعاني منه الدول الأفريقية من النقص في الرعاية

---

(١) السابق ، الصفحة نفسها .

الصحية والاجتماعية ، إلى جانب انتشار كثير من الأوبئة والأمراض ، واستغلال أعداء الإسلام لهذا الجانب في تنصيرهم ، أو إخراجهم من إسلامهم بعامة ، لهذا عمدت المنظمة إلى إنشاء هذه الإدارة .[١]

وقد قامت هذه الإدارة بعدد كبير من الإنجازات التي تحمد لها ، فوفّرت لأبناء الإسلام الرعاية الصحية ، التي تقيهم شر الأمراض ، وأولها : مرض الخروج عن الدين ، ووفرت الرعاية الاجتماعية ، التي تسد جوع بطونهم ، وتقوى أجسامهم .[٢]

سادساً : إدارة الشئون المالية :

وتتولى هذه الإدارة وضع الموازنة المالية وملحقاتها ، ومذكراتها ، والعمل على إجازتها ، في جميع مراحلها ، وتقوم بالإشراف على تدفق السيولة المالية ، خلال العام ، لتغطية بنود الصرف المعتمدة في الموازنة . وتقوم بالإشراف المالي على موازنة المكاتب الخارجية ، والبعثات الإقليمية .[٣]

سابعاً : إدارة المشروعات والموارد :

قسمت هذه الإدارة إلى قسمين ، هما :

أ - قسم الأشغال الهندسية :

ويتولى الإشراف الفني والمتابعة لكل مرافق المنظمة ، ومنشآتها ،

---

(١) مجلة (البشير) ، العدد : الخامس ، ص : ٢٥ .
(٢) السابق ، ص : ٢٦ .
(٣) منظمة الدعوة الإسلامية ، دليل المنظمة ، ص : ٢٥ .

كمـــا يتولى الإشراف والتنفيذ لمشاريع المنظمة .

ب- قسم تنمية الموارد :

ويتولى هـذا القسم حصـر متطلبـات الإدارات والبعثـــات والمكاتـب والمؤسسـات المختلفـة ، وعمـل الدراسـات الفنيـــة اللازمـــة ، وعمـل دراسـات الجـدوى حسـب حاجة المنطقـة المعينـــة .(١)

ويقـــوم القسم -أيضاً- برعايـة المشـاريع الاستثماريـــة ، المنشـأة بأمـوال المنظمـة ، ويقـع على عاتق القسم - أيضـاً - توفـير المـال اللازم لتسيير أعمـال المنظمـة ، والـزكوات والقـروض ، والإعـانات من الحكومـات والمؤسسـات ، والحصـول على الأسهـم الوقفية ، وغير ذلك .(٢)

وقد نفذت هـذه الإدارة بقسميهـا عـدداً من المشروعـات ، خـلال خمـس سـنوات ، زادت تكلفتهـا على ثلاثين مليـون دولار .(٣) وإليك هـذا الجـدول الـذي يبـين قيمـة المشروعـات الـتي تم تنفيذهـا .

---

(١) السابق ، ص : ٢٣ .
(٢) السابق ، ص : ٢٤ .
(٣) السابق ، ص : ٢٥ .

م	المشـــــروع	القيمـــــة
١	مشروعات العاصمة ، وباقي أنحاء السودان والاستثمارات ، وقيمة الأراضي والمشروعات خارج السودان .	٢٧٥٤٢٩٣٢
٢	إقليم أعالي النيل بالسودان الجنوبي .	١٠٢٣٧٠٦
٣	إقليم الاستوائية في السودان الجنوبي .	٢٣٦٩٢٤٣
٤	إقليم بحر الغزال بالسودان الجنوبي .	٨١٥٥٠٦
	الإجمالـــــي	٣١٧٥١٣٨٧

(١)

* **المؤسسات التابعة للمنظمة :**

كما يتبع المنظمة عدد من المؤسسات ، التي تخدم الدعوة الإسلامية ، ومن أهمها :

١- الجمعية الخيرية الأفريقية لرعاية الأمومة والطفولة .

٢- المجلس الأفريقي للتعليم الخاص .

٣- مؤسسة دان فوديو الخيرية .

٤- معهد الدراسات والتدريب .

وفيما يأتي تعريف موجز لهذه المؤسسات :

---

(١) منظمة الدعوة الإسلامية ، دليل المنظمة ، ص : ٢٥ .

أولاً : الجمعية الخيرية الأفريقية لرعاية الأمومة والطفولة :

لقد رأت المنظمة أن الحاجة تستدعي قيام مؤسسة إسلامية متخصصة في مجالات رعاية الأمومة والطفولة ، فأجاز مجلس الأمناء اجتماعه في سنة : ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م النظام الأساس لها ؛ لتصبح مؤسسة متخصصة .(١)

أهداف الجمعية :

١- تحقيق التكافل الاجتماعي بين المسلمين بإحياء سنة كفالة اليتيم، ورعاية الأم عند حملها ، ووضعها ، وإرضاعها ، كما جاء في القرآن الكريم ، والسنة المطهرة ، وإشاعة هذا المنهج ؛ ليكون أسلوب رعاية اجتماعية بين المسلمين .

٢- سد حاجة الأيتام في المجتمعات الأفريقية ، وتحسين أحوالهم الاجتماعية، والصحية ، والنفسية ، والتعليمية ، وحمايتهم من المؤثرات الهدامة .

٣- حماية الأمومة والطفولة من التشرد والضياع ، وحماية المجتمع من آثار انحراف الأمهات والأطفال ، والعمل على حفظ عقيدتهم الدينية .

---

(١) السابق ، ص : ٢٩ .

٤- إيجاد أسلوب إسلامي عملي لرعاية الأطفال ، وفقراء الأمهات في أثناء الحمل والرضاعة .

٥- استثمار العون الإسلامي الخيري ؛ للإسهام في تخفيف ويلات اليتم عند الأطفال ، ووطأة الفقر عند الحوامل والمرضعات ، وتقليل مخاطر الوفيات ؛ بسبب الوضع .

٦- إنشاء مؤسسات خيرية إسلامية أفريقية بديلة ، أو موازية لشئون الأطفال والأمهات .

٧- تقوية الصلات والروابط ، بين الجمعية ومثيلاتها ؛ للوقوف على أحدث النظم ، التي تأخذ بها الأم في هذا المجال .

٨- تدعيم حركة رعاية الأمومة والطفولة ، وتشجيع إسهام الشعوب الأفريقية ، في دعم ومعاونة المؤسسات الحكومية ، والهيئات الأهلية ، العاملة في هذا المجال ؛ لتحقيق أغراضها .

٩- العمل على رفع وعي المواطنين بصفة عامة ، والعاملين في مجالات الرعاية الاجتماعية بصفة خاصة ؛ لتفهم قضايا ومشكلات الأطفال ، والأحداث المحرومين من الرعاية الأسرية ، والأمهات الحوامل والمرضعات .

١٠- تشجيع وإجراء الدراسات والبحوث الخاصة بالأطفال ، والأحداث المحرومين ، والأمهات الحوامل ، والمرضعات المتضررات .[1]

---

(١) السابق ، ص : ٣٠ .

وقد بدأ نشاط الجمعية في أول عام : ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م ، وقامت بتنفيذ عدد من المشروعات ، أبرزها : ملجأ الدار الخضراء للأيتام بأوغندا ، ومشروع قرية جنان للأطفال بأبي رحم في السودان ، وهو مشروع رائد تقوم الجمعية بتنفيذه ، بتمويل من لجنة طبق الخير ، التي تضم الجمعية النسائية الاجتماعية الثقافية في الكويت ، ومجلة أسرتي الكويتية ، وتبلغ تكلفة المشروع الكلية قرابة عشرة ملايين دولار أمريكي ، وتتسع القرية لاستقبال ألف طفل عند تشغيل طاقتها الكلية ، وتقع المباني في مساحة تقدر بمائة فدان ، ملحق بها ثلاثمائة فدان ؛ لتكون مزرعة تابعة لها . وتضم القرية مستوصفاً صحياً ، ومسجداً ، ومركزاً لنشاط العاملين ، وقاعات الطعام ، وسكناً لأطفال الروضة ، وسكناً للبنات ، وطالبات التدريب النسوي ، ومركزاً ومدرسة ابتدائية للبنات ، والأخرى للأولاد ، وسكناً ملحقاً بهما ، وسكناً للمدرسة الفنية ، بالإضافة إلى وحدة الإرشاد الزراعي ، والإنتاج الحيواني ، وعدد من الاستثمارات ، كالمخبز الآلي ، ومزرعة الألبان والدواجن ، ومزرعة للخضر والفاكهة .(١)

وقد تم الاتفاق على مشروع (**كافل اليتيم**) التابع لبيت الزكاة الكويتي على كفالة ألفي طفل يتيم ، خصص منها ألف طفل للسودان ، والألف الآخر لأوغندا والصومال وتنزانيا ؛ إذ يقوم البيت بالتمويل ، وتقوم الجمعية بتوفير كافة الشروط لكفالة اليتيم ، من جميع النواحي الصحية ،

---

(١) السابق ، الصفحة نفسها .

والتعليمية والتربوية ، وتهيئة السكن المناسب ، وأعمال المتابعة.[١]

ثانياً : المجلس الأفريقي للتعليم الخاص :

كان حقل التعليم الخاص واحداً من الحقول التي ظلت فترة طويلة أسيرة للمناهج الغربية ، وبعيدة عن تصورات الأمة المسلمة ، ورؤيتها للحياة ، ولا زال هذا الجانب يلقى إقبالاً من الآباء ، في مختلف البلدان الأفريقية ، إذ اتجه الآباء إلى تعليم أبنائهم في المدارس الخاصة ، التي تعد في غالبيتها مدارس أجنبية ، أو تنصيرية نتيجة لتدني التعليم التابع للدولة في معظم الأقطار المذكورة.[٢]

ولمّا كان من أهداف منظمة الدعوة الإسلامية : توجيه الجماعات المسلمة في أفريقيا ، وتطويرها فكرياً وثقافياً ، والإسهام في التنمية الاجتماعية ، والاقتصادية ، والرعاية الصحية لتلك الجماعات المسلمة . ولمّا كان من وسائلها لتحقيق ذلك : إنشاء المؤسسات التعليمية والصحية والجمعيات والأندية ، وغيرها من المنظمات الاجتماعية والثقافية ، لتحقيق أغراض المنظمة في أفريقيا.[٣]

ولمّا كان حقل التعليم في أفريقيا بعامة ، يفتقد مؤسسات

---

(١) السابق ، ص : ٣١ .
(٢) السابق ، الصفحة نفسها .
(٣) السابق ، ص : ٢ .

تعليمية ، تسترشد وتهتدي بالإسلام منهاجًا ونظامًا للحياة ، مع الأخذ بكل ما جد في حقل التعليم من نظريات علمية وتربوية ، تنشئ جيلاً ملتزمًا بالإسلام ، قادراً على نشره ورفع رايته .(١)

ولكل ما سبق : رأت منظمة الدعوة الإسلامية أن تعمل على إنشاء مؤسسات تعليمية في البلاد الأفريقية ، تكون تابعة لها ، وموظفة لتحقيق الأهداف التي مرّ ذكرها ؛ لهذا تقرّر إنشاء المجلس الأفريقي للتعليم الخاص ؛ ليكون المنفذ لخطط وبرامج المنظمة في هذا المجال في القارة الأفريقية .

ويدير المجلس مؤسساته التعليمية على نظام المدارس الخاصة ، على أن يوجه اهتماماً مخصوصًا لمناهج التربية الهادفة ، التي تربي جيلاً مسلماً من الشباب الملتزم بالإسلام نهجًا ومسلكًا . كما يعمل المجلس على إعداد المناهج الدراسية لمؤسساتهالتعليمية ، بصورة تمكن طلابها من الحصول على الشهادات القومية المختلفة ، للدولة التي ينتمي إليها الطالب .(٢)

وتتميز مدارس المجلس باتباع برنامج لتحفيظ القرآن الكريم ، حتى يتخرج الطالب من المدرسة الثانوية ، وقد أكمل حفظ القرآن الكريم وتجويده .(٣)

---

(١) السابق ، ص : ٣ .
(٢) السابق ، ص : ٣١ .
(٣) السابق ، الصفحة نفسها .

هـــذا وتوفـر المدرسة التابعة للمجلس عدة خدمات للطالـب، منهـــا : وجبـة الإفطار ، وتوفير المواصلات ، والرعاية الصحية ، وتهـــتم المدرسة بتوفير الألعاب الرياضية للأطفال ، وتعليمهم الأناشيد الإسلامية.(١)

ويسعى المجلس إلى فتح مدارس متوسطة وثانوية أخرى.(٢)

ثالثاً : مؤسسة دان فوديو الخيرية للتجارة والمقاولات :

رأت المنظمة أن يكون لها مصدر دخل ثابت ، بدلاً من الاعتمـــاد على الصدقات والهبات ، لهذا أنشأت المنظمة مؤسسة دان فوديو الخيرية للتجارة والمقاولات في شوال ، سنة : ١٤٠١هـ - الموافق : أغسطس ، سنـــة : ١٩٨١م.(٣)

وقد نص نظامها الرئيس على أن تباشر جميع أنـــواع الأعمـــال التجارية والصناعية والزراعية ، وأعمال المقاولات ، والتشييد والخدمـــات.(٤)

والمؤسسة تتكون من عدة إدارات ، هي :

١- إدارة المقاولات :

وقد وضعت هذه الإدارة لتشرف على مقاولات البنـاء والتشييد ،

---

(١) السابق ، الصفحة نفسها.
(٢) السابق ، ص : ٣٢.
(٣) السابق ، الصفحة نفسها.
(٤) السابق ، ص : ٣٤.

فهي تضم فريقاً كاملاً من المهندسين ، في مختلف جوانب العمارة والإنشاءات ، وقد أنجزت هذه الإدارة مقاولات زادت على ثلاثين مليون دولار أمريكي .

٢- الإدارة التجارية :

وتشرف هذه الإدارة على المعاملات التجارية في الاستيراد والتصدير ، والتجارة المحلية والخارجية .

٣- إدارة المشروعات :

وتشرف هذه الإدارة على إدارة المطبوعات التجارية لطباعة الصحف والكتب ، والمجلات ، باللغتين العربية والإنجليزية . كما تقوم بإقامة مصنع لصناعة الأثاث والمعدات المدرسية ، هذا إلى جانب ورشات كبرى للأعمال الحديدية . ويتبع الإدارة قسم للنقل البري ، يتكون من عدد كبير من الشاحنات التي تعمل بصفة رئيسة بين : بورسودان ، والخرطوم.(١)

رابعاً : معهد الدراسات والتدريب :

لقد رأت المنظمة أن من ضروريات عملها إيجاد العدد الكافي من الدعاة المدربين ، هذا إلى جانب توفير المعلومات والمراجع والدراسات الميدانية ، لهذا أنشأت المنظمة معهداً للدراسات والتدريب .(٢)

---

(١) السابق ، ص : ٣٥ - ٣٦ .
(٢) السابق ، ص : ٢٣ .

والمعهد يقوم بإعداد برامج قصيرة المدى ، وأخرى طويلة المدى ، لتدريب العاملين بكل أنواع تخصصاتهم ، تدريباً عملياً ونظرياً ، كما يشمل التدريب على مهارات مهمة يحتاج إليها الدعاة ، الذين يعملون في أماكن نائية ، كقيادة السيارات وصيانتها ، وتركيب وإصلاح التركيبات الكهربائية ، والإسعافات الأولية .(١)

كما يضم المعهد سكناً لطلاب الدراسات العليا ، الذين يحضرون لنيل الدبلوم ، أو الماجستير ، أو الدكتوراه ، بشرط أن يكون ذلك التحضير في موضوع يتعلق بنشر الإسلام ، وعلى الطالب أن يسجل نفسه في إحدى الجامعات المعترف بها في أي بلد يشاء ، والمنظمة تهيء له المراجع والسكن ، وتكاليف الدراسات الميدانية .(٢)

نشاط المنظمة في جنوب السودان :

ما مضى من صفحات ، هو : بيان للنشاط العام ، التي تبذله المنظمة في سبيل نشر الإسلام في معظم البلدان الأفريقية ، بما فيها جنوب السودان . وفيما يأتي إلقاء مزيد من الضوء على نشاط المنظمة في جنوب السودان فقط .

فلقد أولت المنظمة جنوب السودان اهتماماً كبيراً ، لعظم المخاطر

---

(١) السابق ، ص : ٢٤ .
(٢) السابق ، الصفحة نفسها .

التي تحدق بأبنائه ، والكثافة التنصيرية الموجودة به .

أمّـــا الأسلوب الذي اتبعته المنظمة في سبيل نشر الإسلام في جنوب السودان ، فهو الأسلوب العام الذي اتبعته المنظمة فيما سواه من مناطق أفريقيـــة .

البعثات الإقليمية للمنظمة في جنوب السودان :

لقد مارست المنظمة أنشطتها في جنوب السودان عن طريـــق البعثات الإقليمية ، مستعينة بها في سبيل تنفيذ خطتها الرامية إلى نشر الإسلام في هذا الإقليم المهم . وقد وضعت المنظمة ثلاث بعثات موزعـــة في الجنـــوب ، وهي :

١- البعثة الإقليمية الاستوائية ، ومقرها (جوبا) .

٢- البعثة الإقليمية لأعالي النيل ، ومقرها (الرنك) .

٣- البعثة الإقليمية لبحر الغزال ، ومقرها (أويل) .

وقد بذلت تلك البعثات مجهودات ضخمة ، ونشاطات بارزة ، تمثلت في الأمور الآتيـة :

أولاً : في مجال الرعاية التعليمية :

في نطاق خطة المنظمة من أجل نشر راية الإسلام في جنـــوب السودان ، رأت المنظمة : أن الاهتمام بالرعاية التعليمية في الجنـــوب شيء مهم ، وخاصة أن المنطقة تشهد معاقل تنصيرية حاقدة متعصبـــة

كثيرة ، تفتح لها مدارس غرضها الأول والأخير : تنصير المسلمين ، وإبعادهم عن دينهم . وردّاً على هذه الهجمة الشرسة : قامت المنظمة عن طريق بعثاتها الثلاث بفتح عدد من المدارس ، تستقبل أبناء الجنوب ، وتعلمهم القراءة والكتابة ومبادئ الإسلام وتعليمه وشرائعه ، وتدريس القرآن الكريم وتحفيظه . كما يقوم المكتب ببعث عدد من الشباب الجنوبي إلى الشمال ؛ حيث مقر المنظمة ؛ ليستكمل هناك بقايا تعليمه[١] .

وقد وضعت تلك البعثات مراكز لتعليم اللغة العربية ، وفصولاً لتدريس القرآن الكريم ، وفصولاً لتعليم الكبار . وإلى جانب تلك المدارس تقوم الورش الفنية والحرفية ؛ لتعليم أبناء الجنوب حرفة يقتات منها ، وتكفيه شر الفقر[٢] .

ومما يجدر بالذكر : أن المنظمة قد أقامت لأبناء جنوب السودان معسكراً شبابياً ، بالتعاون مع الندوة العالمية للشباب الإسلامي[٣] .

وفي مقابل هذا الاهتمام بالرجل الجنوبي ، هناك اهتمام آخر بالمرأة الجنوبية ، ففتحت لها فصول دراسية ، تعلمها القراءة والكتابة ، ومبادئ الإسلام ، إلى جانب هذا تعلّم كيفية التدبير المنزلي ، والعمل الأسري ، كما تعلم حرفة تناسب المرأة المسلمة ؛ لتكون مصدر دخل لأسرتها[٤] .

---

(١) منظمة الدعوة الإسلامية ، دليل المنظمة ، ص : ١٣ .
(٢) السابق ، الصفحة نفسها .
(٣) السابق ، ص : ١٤ .
(٤) السابق ، ص : ١٥ .

ثانياً : في مجال الدعوة :

إن الهدف الرئيس للمنظمة ، هو : الدعوة إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ ، ونشر الإسلام ، ومن أجل هذا أقامت مرافقها ، ونشرت رجالها ، ووزعت مطبوعاتها .

وبما أن أكثر سكان الجنوب ليسوا بمسلمين ، كثفت المنظمة من نشاطها الدعوي في هذه المنطقة . وقد أرسلت عدداً كبيراً من رجال الدعوة في تلك المناطق ، فينتشرون بين الأدغال ، ويستقبلون الوفود ، التي ترغب في الانضمام إلى الأمة المسلمة .(١)

وقد أقامت مكاتب البعثات في الجنوب السوداني داراً للمهتدين حديثاً ، تستقبل الذين دخلوا في الإسلام حديثاً ، وتقوم برعايتهم ، وكفالة معيشتهم مدة معينة ، إلى أن يقوى تمسكهم بالدين الإسلامي . وتقوم المنظمة بتزويد تلك الدار بعدد كبير من الدعاة والمعلمين ، وتضع لأولئك برنامجاً زمنياً ، يدرسون فيه مبادئ الإسلام ، والقرآن الكريم ، والفقه والسيرة وغيرها ، وتبعث بعضهم بعد أن يتم هذه المرحلة إلى الشمال ، حيث يكمل باقي التعليم ، ويعود إلى قومه داعية إلى الله سبحانه وتعالى .(٢)

كما قامت تلك المكاتب بإقامة عدد من المساجد في منطقة

---

(١) محمد عمر موسى ، النشاط التبشيري الكنسي في جنوب السودان ، ص : ٢٠٣ ، بتصرف .

(٢) السابق ، الصفحة نفسها ، بتصرف .

الجنوب ، وزودتها بالمصاحف ، والمطبوعات الإسلامية ، وأقامت فيها عـــدداً من الدروس العلميـة .[١]

ثالثاً : في مجال الرعاية الصحية والاجتماعية :

تعاني منطقة جنوب السودان - كباقي أواسط أفريقيا - من كـــــثرة انتشار الأمراض والأوبئة ، وقد حاولت المنظمة أن تسهم بما تستطيـــــع في سد الفراغ في هذا المجال ، وبخاصة أن النشاط التنصيري يستغل هـذه الناحية في إنجاح مقاصده .

ومن إنجازات المنظمة في هذا المجال :

١- مستشفى الصباح للأطفال في (جوبا) في جنوب السودان :

وقد كان هذا المستشفى بادرة طيبة تبرعت بها دولة الكويت الطيبة ، وتقوم المنظمة بإدارته بالتعاون مع رابطة العالم الإسلامي .

ويضم المستشفى جميع أقسام طب الأطفال ، كمـا يضم قسمـــاً للأشعة ، والعيادة الخارجية ، ومعملاً للفحص والتحاليل الطبية ، وقسمـــاً لتحصين الأطفال . والجدير بالذكر أن المستشفى يعالج في الشهر الواحـد أكثر من عشـرة آلاف طفل .[٢]

---

(١) مجلة (البشير) ، العدد : الخامس ، ص : ٢٩ .
(٢) منظمة الدعوة الإسلامية ، دليل المنظمة ، ص : ٢٥ .

٢- مستشفى (لوا) في جنوب السودان :

وهو مستشفى أنشئ بتبرع كريم من بنك التنمية الإسلامي ، لخدمة المواطنين بالمنطقة ، واللاجئين من المناطق المجاورة . وقد بلغت تكلفة هذا المستشفى ستمائة ألف دولار .(١)

أمّا في مجال الرعاية الاجتماعية : فتقوم المنظمة بمساعدة فقراء جنوب السودان ، فتمدهم بالغذاء والكساء . كما تضم مكاتب المنظمة في الجنوب دوراً للرعاية الاجتماعية ، تقوم بتأهيل الشباب ، ليكونوا أعضاء نافعين في المجتمع .(٢)

رابعاً : في مجال المشروعات التنموية :

نفذت المنظمة في جنوب السودان عدداً من المشروعات ، بلغت تكلفتها : ٤٢٠٨٤٥٥ ، (خمسة وخمسين وأربعمائة وثمانية آلاف ومائتي ألف وأربعة ملايين دولار) .(٣) موزعة كالآتي :

م	الإقليم	القيمة
١	إقليم أعالي النيل بجنوب السودان	١٠٢٣٧٠٦
٢	إقليم الاستوائية بجنوب السودان	٢٣٦٩٢٤٣
٣	إقليم بحر الغزال بجنوب السودان	٨١٥٥٠٦
	الإجمالي	٤٢٠٨٤٥٥

(٤)

(١) السابق ، الصفحة نفسها .
(٢) السابق ، ص : ٢٣ .
(٣) السابق ، ص : ٢٥ .
(٤) السابق ، الصفحة نفسها .

وبعد أن أنهيت الحديث عن (منظمة الدعوة الإسلامية) وعن أنشطتها في جنوب السودان ، توصلت إلى عدد من النتائج ، من أبرزها :

الأولى : تجلت أهمية هذه المنظمة في المجهودات الكبرى ، التي بذلتها المنظمة في سبيل خدمة الدين الإسلامي ، ونشره في الأدغال والغابات .

الثانية : ممّا أسهم إسهاماً كبيراً في إنجاح نشاط المنظمة : الأسلوب الحسن الذي اتبعته المنظمة في الدعوة إلى الإسلام .

الثالثة : دلت مؤشرات نشاط المنظمة على إقبال كبير من رجال أفريقيا ونسائها على الدخول في الإسلام ، وزيادة النهل من معين الإسلام .

الرابعة : ممّا يحد من نشاط المنظمة ، ويعيق تطورها : قلة الموارد المالية ، وعدم ثباتها ، شأنها في هذا شأن أي عمل إسلامي ، تبذل فيه المجهودات الضخمة ، لكن النقص المالي ، هو من أكبر ما يعيق حركته .

الخامسة : أثبتت المنظمة أنها قادرة على العمل الفاعل المثمر في سبيل الإسلام ، لكنها ما زالت بحاجة إلى الخبرات الإسلامية المخلصة ، لتسهم في رقي أعمالها ، وتأثير أساليبها ، ولا يكون هذا إلا بمد يد العون من قبل الدعاة المسلمين في كل مكان ، ومن مشورة علماء الإسلام تنطلق كل منطلق .

السادسة : أثبتت المنظمة كذلك فاعلية نشاط الإعلام الإسلامي ، وكانت أكبر دليل على وجوب وجود مثل هذا المرفق المهم في الوقت الحاضر .

السابعة: إن في أسلوب التعليم الذي علت به المنظمة عودة إلى الأصول الإسلامية ، وذلك بتركيزها على القرآن الكريم قراءةً وحفظاً وتفسيراً . كما في تعليمها أسلوب الدعوة الإسلامية وفق المنهاج السليم تذكير بحال السلف الصالح رضوان الله عليهم .

الثامنة : وفي تعامل المنظمة مع المسلمين حديثاً : نرى أسلوباً فريداً ، ألا وهو الاحتضان والعزل ، فعندما تجد إجابة من أفراد كانوا كافرين ، فإنها تتعاهدهم بتعليم مبادئ الإسلام ، وتتكفل بإعاشتهم ، وتعزلهم عن بيئتهم الكافرة ، حتى إذا استقام العود ، وثبت الإيمان في قلوبهم ، أرسلتهم إلى بيئاتهم ، ليكون التأثير أعظم ، والقبول أكثر.

التاسعة: لم تغفل المنظمة أمر المرأة الأفريقية ، بل وضعت لها عدداً من الخطط ، تبدأ بأسلوب جذبها إلى الدخول في الإسلام ، ثم في تعليمها مبادئ الإسلام ، إلى جانب تعليمها أسلوب الحياة الاجتماعية الإسلامية ، مع تعليمها حرفة وفق النظم الإسلامية ، تكفل لأسرتها مصدر دخل ، يغنيها عن طلب الحاجة .

العاشرة: تعايش المنظمة في أثناء عملها كثرة الإرساليات التنصيرية ، التي اتخذت سبلاً كثيرة لتنصير أبناء المسلمين ، أو الوثنيين من الأفريقيين،

وقد بحثت المنظمة عن أسلوب تسد السبل به أمام المنصرين ؛ إذ رأت أن الفقر والمرض هما السبيلان الكبيران أمام المنصرين المتعصبين الحاقدين ، ففتحت المستشفيات ؛ لحماية المسلم من المرض ، وأحاطته بالمعونات المالية ، وعلمته كثيراً من الحرف المهنية ؛ لتسد عليه باب الفقر ، الذي ينفذ منه كثير من المنصّرين إليهم ، وهي بهذا العمل توقف المد التنصيري ، الذي استغل هذه الناحية استغلالاً كبيراً .

الحادية عشرة : كم أتمنى لو أن المنظمة وضعت خطة مدروسة لدعوة هؤلاء المنصّرين إلى الإسلام ، تكشف فيها الحجج العقلية على بطلان معتقداتهم ، وسخف دياناتهم ، وتبين بأحسن الصور مبادئ الإسلام الذي ربما وصل إليهم محرفاً مشوهاً ، فإذا استطاعت أن تكسب كثيراً منهم ، فإنها بهذا تسد باباً كبيراً لهجمات شرسة ، وتفتح لها أبواباً لأجل الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى .

الثانية عشرة : بذلت المنظمة جهوداً بارزة في جنوب السودان ، لكنه يقف أمام إنجاح هذه الجهود عدد من المعوقات - سيأتي بيانها إن شاء الله - ، التي يجب ألا تكون محبطة لأي عمل دؤوب في سبيل نشر الإسلام ، فعليها محاولة التغلب عليها .

ثانيًا

المركز الإسلامي الأفريقي

ثانياً : المركز الإسلامي الأفريقي :

مدخل : من عوامل انتشار الإسلام في جنوب السودان ، وفي القارة الأفريقية : المركز الإسلامي الأفريقي بالخرطوم . وهذا المركز له إسهامات كبرى في مجال نشر الإسلام ، تمثلت فيما قدّم ويقدّم من خدمات، منها : تعليم أبناء القارة الأفريقية وفق مناهج إسلامية ، وتخريج الدعاة المخلصين منهم ، وبثهم في القارة ، حاملين لواء الإسلام .

ولكن تبرز أهمية هذا المركز في تعرضه لمرفق مهم اشتكت كثير من المنظمات الإسلامية من نقصانه ، ألا وهو جانب البحث والنشر والدراسات والترجمة ، ولا يخفى على أحد ما لهذا من أثر كبير في نشر الإسلام .

تعريف بالمركز الإسلامي الأفريقي وبأنشطته المختلفة :

إنشاؤه :

أنشئ المركز الإسلامي الأفريقي في عام ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م، واختيرت الخرطوم لتكون مقراً رئيساً له ، وقد أسهمت في إنشائه سبع دول إسلامية ، هي : المملكة العربية السعودية ، الكويت ، الإمارات العربية المتحدة ، قطر ، مصر ، المغرب ، السودان .[1]

---

(١) المركز الإسلامي الأفريقي (دراسات أفريقية) ، مجلة بحوث نصف سنوية ، العدد : الثالث ، ص : ١ ، شهر رجب ، سنة : ١٤٠٧هـ - الموافق : أبريل ، ١٩٨٧م.

أهدافه :

أقيم هذا المركز لتحقيق عدد من الأهداف ، وهذه الأهداف ، هي :

١- نشر الدعوة الإسلامية والثقافة العربية في أفريقيا .

٢- نشر الدعوة الإسلامية في المناطق الوثنية في السودان .

٣- تعميق الدعوة الإسلامية والثقافة العربية بين المسلمين في أفريقيا وغيرها .

٤- خدمة المجتمعات الأفريقية .[1]

وسائله من أجل تحقيق أهدافه :

رأينا - فيما مضى - أهداف المركز ، وهي بحق أهداف قيمة ، صعبة التنفيذ ، عسيرة المنال ، إلا بالعمل من أجل تحقيقها بصدق وجد ، وقد جعل المركز له وسائل ينفذ بها ومن خلالها أهدافه سابقة الذكر . وفيما يأتي عرض لتلك الوسائل :

أ - التعليم :

قسّم التعليم في المركز إلى خمسة أقسام ، ثلاثة منها على مستوى ثانوي ، ونوعان على مستوى فوق الثانوي ، ويستقبل المركز الطلاب من أكثر

---

(١) السابق ، ص : ٣٦ .

من ثلاثين قطراً أفريقيا يتعلمون في فروع المعرفة المختلفة ، فمنهم من التحق بعد تخرجه بالجامعات الإسلامية ، ومنهم من التحق بالكليات الفنية ، كالزراعة والطب والتجارة ، ومنهم من تخرّج بتأهيل في التربية والتعليم ، وقد بدأ هذا الغرس الطيب يؤتي ثمرته هنا وهناك ، إذ شرع خريجو المركز يسدون ثغرات مهمة في بلادهم .

ب - الدعوة :

يسعى المركز إلى توثيق العلاقات بينه وبين الجمعيات الإسلامية العاملة في أفريقيا ، ويقيم المؤتمرات والحلقات الدراسية ، ويرسل الوفود من أجل هذا الهدف ، كما يقدّم المساعدات الفنية الميسورة لبعض المؤسسات التعليمية والدينية ، ويعقد دورات لتدريب المعلّمين والأئمة والمرشدين ، وذلك لترقية الأداء في هذه المرافق المهمة .

جـ - البحوث والنشر :

ومن أجل ملء الفراغ الذي ظل دائماً في مجال الاتصال الثقافي بين أجزاء العالم الإسلامي ، أقام المركز هذا المرفق المهم ، الذي تعد منشوراته وبحوثه خطوات في سبيل التعريف بهذا الجزء من العالم ، وهذا العدد الهائل من أبناء المسلمين .(١)

وقد جعل المركز من أعماله : إجراء البحوث والدراسات العلمية

---

(١) السابق ، ص : ١١ .

الهادفة إلى توصيل الحقائق المجردة عن قضايا المسلمين في أفريقيـــــا ، وتأسيس قنطرة ثقافية بين المجتمعات التي ظلت لا تتصل إلا بوساطـــــة غير مباشرة ، عن طريق أوربا والدارسين غير المسلمين[١] .

د ـ الاتجاه الإعلامي :

قـــام المركز بتكوين شعبة للبحوث والنشر ، ليمكن تغطية الجوانب الإعلامية للمركز ، فيصدر بحوث باسم " دراسات أفريقية " ، وهي : مجلـــة نصف سنوية ، إضافة إلى نشرات وبحوث عن السياسات التعليمية والثقافيـــة ، وعن الدعوة الإسلامية ونشاطات البعثات التنصيرية[٢] .

وفيمـــا يأتي تعريف بهذه المجلة :

مجلـــة " دراسات أفريقية " :

مجلة تصدرها شعبة البحوث والنشر بالمركز الإسلامي الأفريقـــي ، وهي مجلة متخصصة بالدراسات الأفريقية في مختلف العلوم الإنسانية ، غـــير أنها تولي عناية بواقع الإسلام والمسلمين في الأقطار الأفريقية غير العربيـــة ، وهي تعمل على تشجيع البحوث في القضايا المتصلة بالحقول الآتية :

١- التعليم الإسلامي في أفريقيا .

٢- اللغة العربية في أفريقيا .

---

(١) السابق ، ص : ١٢ .
(٢) السابق ، ص : ١٣ .

٣- انتشار الإسلام في أفريقيا " الناحية التاريخية والاجتماعية ".

٤- الدعوة الإسلامية ونشاطات البعثات التنصيرية في أفريقيا .

٥- الخلفية التاريخية للجماعات الأفريقية المسلمة ، وأثرها في ممارسات المسلمين في أفريقيا .

٦- العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية بين أفريقيا ، وبقية العالم الإسلامي .

٧- التعريف بالمؤسسات العلمية التي تعمل في حقل الدراسات الأفريقية.(١)

تصدر المجلة مرتين كل عام باللغة العربية ، وتنشر فيها بعض الأوراق المكتوبة باللغة الإنجليزية والفرنسية ، وتنشر فيها البحوث المجازة من قبل محكّمين مختصين ، ويمنح أصحاب البحوث المجازة حوافز إكرامية تقديراً لجهود كاتبها.(٢)

إدارة المركز الإسلامي الأفريقي :

تتكون إدارة المركز من :

أ - مجلس الأمناء :

وهي السلطة العليا التي تشرف على المركز ، وتتكون من ممثلين

---

(١) عبدالرحمٰن أحمد عثمان ، نبذة عن مجلة (دراسات أفريقية)، ص : ٤ ، ط : المركز الإسلامي الأفريقي ، بالخرطوم ، سنة : ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

(٢) السابق ، الصفحة نفسها .

للدول المسهمة في تأسيس المركز ، على النحو الآتي :

- ممثلان للمملكة العربية السعودية .
- ممثلان للجماهيرية العربية الليبية .
- ممثلان لجمهورية مصر العربية .
- ممثلان لجمهورية السودان الديمقراطية .

ويجتمع هذا المجلس مرتين كل عام على الأقل ، ويرأس وزير الأوقاف السوداني اجتماعاته السنوية ، كما ينوب الوزير عن المجلس في الإشراف المباشر على إدارة المركز ورعايته .(١)

ب - المجلس :

يستعين رئيس مجلس الأمناء في أداء واجباته ، من إشراف ورعاية للمركز بإدارة عليا للمركز ، تعرف بالمجلس الإداري ، وعلى وزير الأوقاف اختيار هؤلاء الأعضاء .(٢)

ويقوم المجلس بالواجبات والأعمال الآتية :

١- تخطيط ورسم سياسة المركز العامة .

٢- تطبيق خطة المركز وسياسته العامة ، ومراقبة سير العمل بها .

٣- إجازة ميزانية المركز السنوية ، وأي دخل آخر ، والإشراف على كيفية الصرف .

---

(١) المركز الإسلامي الأفريقي ، تأسيسه ووثائقه ، ص : ٣٨ ، الخرطوم ، سنة : ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .

(٢) السابق ، الصفحة نفسها .

٤- سن القوانين واللوائح الخاصة بإدارة المركز وأعماله العلمية .

٥- إجازة مقررات الدراسة ، والجوانب المتعلقة بالأبحاث والطبع والنشر.

٦- منح شهادات المركز للخريجين .

٧- إجازة مقترحات وتوصيات الأقسام المختلفة الخاصة بنشاطاته العلمية ، وعلاقاته العامة .

٨- النظر والبت في أية أمور أخرى تتعلق بشئون المركز .

٩- يجتمع المجلس ثلاث مرات في السنة على الأقل .(١)

جـ : اللجنة العلمية :

للمجلس لجنة علمية تتكون من :

١- مدير المركز .

٢- ممثلين لهيئة التدريس بالمركز .

٣- وكيل وزارة الأوقاف بالسودان ، أو من ينوب عنه .

ومن مهام هذه اللجنة :

١- تساعد المدير في تنفيذ أغراض المركز.

٢- تساعد المدير والمجلس في أعمال المركز العلمية ، والخاصة بالبحث والتأليف والنشر .

٣- النظر في الأمور المتعلقة بأقسام المركز الخاصة بالتدريس والبحث والتأليف والنشر .

---

(١) السابق ، ص : ٣٩.

٤- تجتمع اللجنة مرة كل شهر في أثناء السنة الدراسية ، أو بدعوة من مدير المركز في حالة الاجتماعات الإضافية الطارئة.[١]

د - المدير :

للمركز مدير عام مسئول عن إدارته ، ومن أعماله ومهامه :

١- الإشراف الإداري والعلمي المباشر على المركز .

٢- الاستعانة في إنجاز أعماله برأي المختصين في أقسام المركز المختلفة ، وبخاصة في جوانب التدريس والتأليف والنشر .

٣- الإشراف على تمويل النشاطات المختلفة داخل المركز ، وصرف الموازنة العامة في الأوجه المخصصة لها .

٤- رئاسة اجتماعات اللجنة العلمية .

٥- يكون مسئولاً في أدائه لأعماله لوزارة الأوقاف والشئون الدينية في السودان .[٢]

نشاطات المركز في جنوب السودان :

عرفنا - فيما مضى - أن المركز يركّز في أنشطته الدعوية على البحوث والدراسات التي تتعلق بالإسلام والمسلمين في القارة الأفريقية ، ليستفيد منها الدعاة إلى الله في هذه المنطقة الكبرى من العالم ، وتكون لهم مخططاً يسيرون وفق خططه .

---

(١) السابق ، ص : ٤٠ .
(٢) السابق ، الصفحة نفسها .

وقد رأى المركز ما لجنوب السودان من أهمية في إيجاد الدراسات حوله ؛ لتعرضه لكثير من الظروف والضغوط التي تريد طمس ديانة الإسلام من قلوب أبنائه .

وقد أجرى المركز على منطقة الجنوب عدداً من الدراسات والأبحاث فيما يتعلق بدخول الإسلام جنوب السودان ، وفيما يتعلق باللغة في جنوب السودان .

ومّما لا شك فيه : أن لهاتين الدراستين ، وكل ما يقوم به المركز من دراسات أثرًا في انتشار الإسلام في الجنوب ؛ فبمعرفة الداء يكتشف الدواء ، ثم يكشف الداء .

وفيما يأتي تناول لإحدى دراسات المركز ، وبيان لأثرها في نشر الإسلام في جنوب السودان :

* **دراسة وافية للسياسة التعليمية والثقافة العربية في جنوب السودان :**

وقد تعرّضت هذه الدراسة في فصلها الأول لدخل مختصر يعالج بداية اتصال الجنوب بالعالم الخارجي ؛ ومن ثم بداية وصول اللغة العربية والدين الإسلامي فيما قبل سنة : ١٢٦٦هـ - ١٨٥٠م ، كما يغطي فترة ١٢٦٦هـ - ١٨٥٠م / ١٣٠٢هـ - ١٨٨٥م. والتي شهدت تحولاً ملحوظاً في تقبل اللغة العربية والإسلام في الجنوب ما بين : ١٣٠٢هـ - ١٨٨٥م / ١٣١٥هـ - ١٨٩٨م . كما تعرّض الفصل لموقع وسكان الجنوب ،

وأهم القبائل التي تسكنه.[١]

وقد توصل هذا البحث في مجال اللغة إلى : أن اللغة العربية الركيكة هي : السائدة بين مختلف القبائل الجنوبية ، وهي اللغة العامة لأكثر من ٩٠٪ من شعب القبائل الجنوبية، إلى جانب هذا : تسود مجتمعات القبائل اللهجات المحلية . . أمّا الإنجليزية ، فهي : لغة الطبقة الحاكمة ، والإدارة الرسمية.[٢] انظر: الخريطة رقم (٢٨) .

وقد سبق لنا معالجة هذا الموضوع في الفصل السابق .

وبعد نهاية الحديث عن (المركز الإسلامي الأفريقي) أعرض بعض النتائج التي توصلت إليها :

الأولى: إن في اتجاه المركز إلى إحياء الدراسات والأبحاث المتعلقة بنشر الإسلام في القارة الأفريقية إعانة كبرى للهيئات والمنظمات المهتمة بالدعوة الإسلامية ؛ فبها تمهد السبل ، وتعرف الأدواء ، وترسم الخطط على المدى البعيد والقريب . كما أن فيها سدّاً لفراغ كبير ، طالما عانى منه الدعاة المسلمون ، الذين يريدون خارطة عليها يسيرون ، وبها يعرفون مواقعهم .

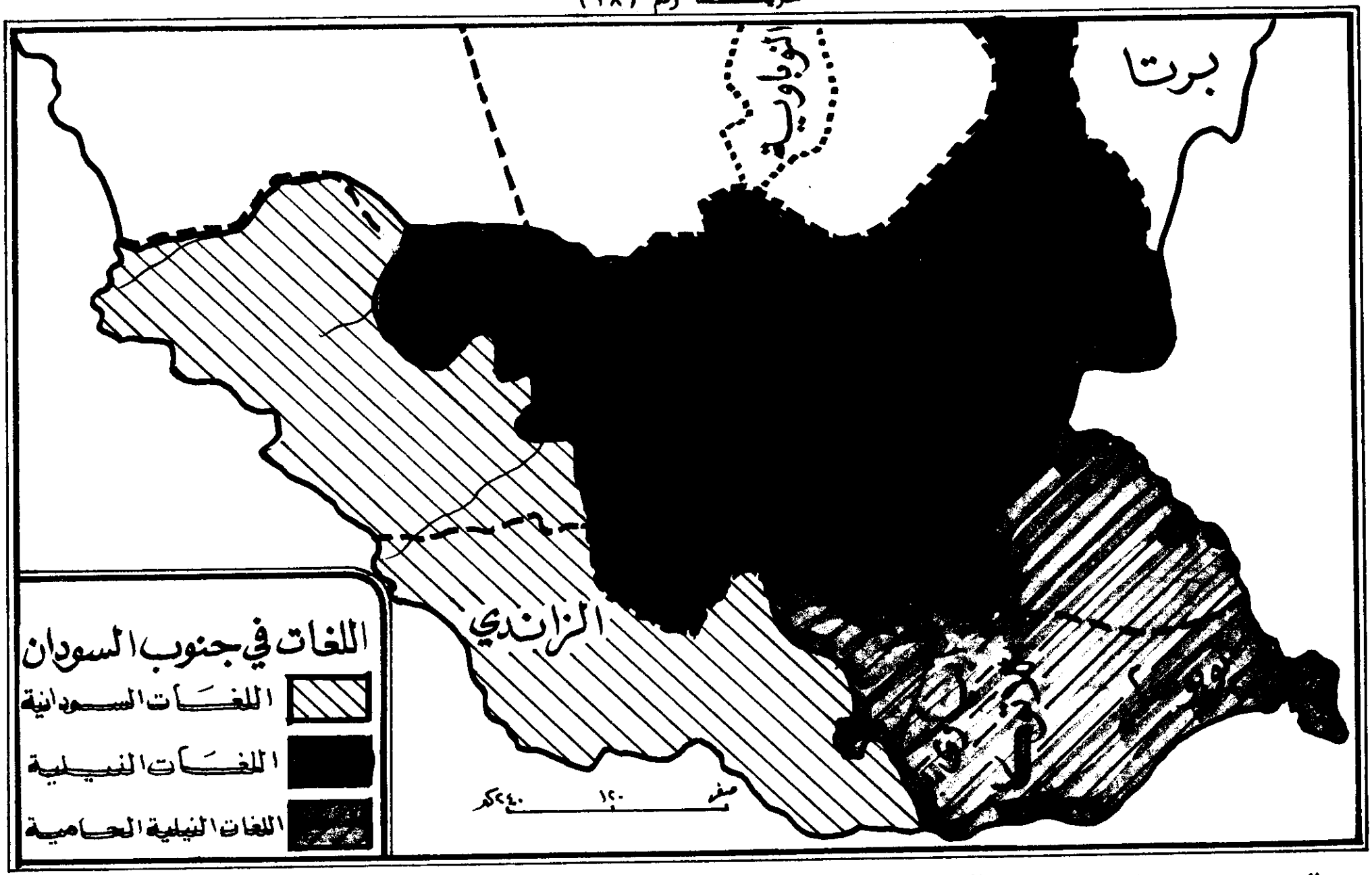
الثانية: إن في التزام المركز بنشر الثقافة العربية والإسلامية في أفريقيا وفي العالم أجمع إسهاماً ليس بالهين في نشر الإعلام، سواء أكان

---

(١) المركز الإسلامي الأفريقي ، السياسة التعليمية والثقافة العربية في جنوب السودان ، ص : ٥ ، الخرطوم ، سنة : ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(٢) السابق ، ص : ٨ .

خريطـــة رقم (٢٨)



المصدر: محمد عبد الغني سعودي، وآخرون، مشكلة جنوب السودان، مركز بحوث الشرق الأوسط، جامعة عين شمس، سنة: ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

بالكتب ، أم بالنشرات ، أم بالصحف والمجلات .

الثالثة : وفي اهتمام المركز بالتعليم وفق المناهج الإسلامية إسهام كبير في أسلمة التعليم ، الذي يجعل أساسه القرآن الكريم ، والسنة المطهرة ، والدعوة إلى الله ، كما أن فيه تذكيراً لمناهج التعليم في سائر البلاد الإسلامية إلى أن تعود إلى مناهج الإسلام الصرفة ، وتركز على هذه الأسس المهمة .

الرابعة : إن في فتح المراكز مرافقه للشباب الأفريقي ضمّاً للشباب المسلم تحت مظلة الإسلام ؛ ليكون الأمل في نشر دعوة الإسلام ، وتحطيم أصنام الوثنية الحديثة ، وإزالة الحجب الساترة ، والسجف المعتمة عن شمس الحق ؛ لتسطع وتشرق .

الخامسة : وما يزداد هذا المركز في نشاطه إلا ويزداد المنصّرون في غيظهم من هذا الصرح الإسلامي الشامخ ، الذي يربي فرساناً سيقوّضون خيمة طالما اختبأوا تحت ظلال مكرها وخديعتها .

السادسة : وفي أنشطة المركز تدارك سريع لبقايا أنفس يهددها خطر التنصير ، والإخراج عن الدين .

السابعة : ممّا يتضح من قراءتي : أن للمركز علاقات وثيقة بالمنظمات الإسلامية داخل أفريقيا ، وفي هذه العلاقات دعم كبير لنشر الإسلام بما يقدمه المركز من دراسات وأبحاث ، ويا حبذا لو اتسعت رقعة هذه العلاقات ، فشطت المنظمات الإسلامية خارج

أفريقيا ، لتكون المنفعة أكبر ، وتبادل الرأي ووجهات النظر أوفر .

الثامنة : إن في اتجاه المركز إلى التركيز على الإعلام والترجمة والتأليف والنشر سبيلاً مهماً من سبل نشر الإسلام بالكلمة المقروءة بلغات عدة .

التاسعة : رأينا في الدراسة السابقة لهذا المركز مرافقه وإمكاناته ، وأقول : يا حبذا لو توسع المركز في خدماته ، وفي نشر بعثات له في كل الأقاليم الأفريقية ، وفي جنوب السودان بخاصة .

* * *

ثالثاً

جامعة "جوبا"

أساتذة وطلاباً

ثالثاً : جامعة جوبا أساتذةً وطلاباً :

مدخل : تعد جامعة (جوبا) عاملاً مهماً من عوامل نشر الإسلام في جنوب السودان ، وهذا يتمثل فيما بذله أساتذتها وطلابها من جهود في هذا المجال .

وتكمن أهمية هذه الجامعة في معانقتها للوقف في الجنوب ، وكونها في قلب المكان ، ووسط الميدان ؛ مما يتيح لها قوة التأثير وفاعلية العمل .

وفيما يأتي تعريف بهذه الجامعة ، وما بذله أساتذتها وطلابها من جهود في نشر الإسلام في الجنوب السوداني .

تعريف بالجامعة :

أنشئت هذه الجامعة في مدينة (جوبا) عاصمة المديرية الاستوائية في عام ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م . وقد بلغ عدد طلبتها بعد إنشائها : أربعمائة طالب من جميع أنحاء السودان .[1]

وقد أنشئت هذه الجامعة في جنوب السودان ، حيث انعدام التعليم الجامعي ؛ إسهاماً من الحكومة في نشر التعليم الجامعي ، وتدعيم اللغة العربية في الجنوب . وقد اختيرت (جوبا) لتكون مقراً لهذه الجامعة ؛

---

(١) محمد عمر موسى ، النشاط التبشيري الكنسي في جنوب السودان ، ص : ١٣٩ .

نظرًا لأهمية هذه المدينة ، وكونها عاصمة للإقليم الجنوبي كله ، إلا أنها فقدت أهميتها السياسية ؛ نتيجة لتقسيم الجنوب ، عام ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ م ؛ رغم أنها تمثل ميناءً جويًا ونهريًا ، وملتقى للطرق البرية في جنوب السودان .(١)

* **نشاط الجامعة في نشر الإسلام في جنوب السودان :**

للجامعة إسهام لا بأس به في نشر الإسلام ، وتنطلق أهمية هذه المساعي والأعمال المبذولة في هذا المجال من كون الجامعة في قلب الجنوب، ووسط الميدان تمارس أعمالها مباشرة ، فتؤثر في المجتمع من حولها ، وما يحيط بها .

وقد بنيت الجامعة لتسهم في نشر التعليم في الجنوب السوداني ، ولكن ظل قسم اللغة العربية بها يعاني كثيرًا من نقص المدرسين ؛ علمًا بأن الافتراض أن تكون اللغة العربية مادة إجبارية في كل الكليات ، ولكن لكثير من الاعتبارات ، وقلة الإمكانات ، توقف العمل من أجل نشر اللغة العربية ، فمنذ إنشائها خرّجت جامعة جوبا طالبًا واحدًا من أبناء الإقليم متخصصًا في اللغة العربية ، وفي الجامعة كلها - الآن - أحد عشر طالبًا من أبناء الإقليم يدرسون اللغة العربية مادة رئيسة من اثنين وثلاثين دارسًا .(٢)

---

(١) السابق ، الصفحة نفسها .
(٢) السابق ، الصفحة نفسها .

وقد طالبت الهيئات الإسلامية بإقامة كلية اللغة العربية وآدابها ، يكون من أهدافها تدريب وإعداد الطاقات العالية من أبناء الجنوب خاصة ، لتغطية العجز في معلمي اللغة العربية ، وتدريب المعلمين في كل المراحل في دورات تدريبية قصيرة وطويلة ، لرفع كفاءات الطلبة في اللغة العربية ، واكتساب مهارة التخاطب والتعبير السليم ، وتدريب موظفي الدولة بالإقليم على مزاولة أعمالهم باللغة العربية لغة القرآن الكريم[1] .

ولا ريب في أن هذا يسهم إسهاماً كبيراً في نشر اللغة العربية ، وإعادة لغة الدين الإسلامي إلى مكانها الأصيل ، ومن ثم نشر الثقافة الإسلامية ، وتعاليم الهداية الربانية بين أهالي الجنوب .

وقد تكاتفت منظمة الدعوة الإسلامية مع مكتب دولة الكويت بجوبا ، وقوافل المركز الإسلامي الأفريقي ، ونشاط طلاب جامعة جوبا المسلمين ، فبدأ بذلك التعليم يأخذ مكانه الطبعي في الإقليم الجنوبي ، أسوة بما حدث من تقدم وسائل وأهداف التعليم في الشمال السوداني ، كما رأينا في أثناء الحديث عن منظمة الدعوة ، والمركز الإسلامي الأفريقي .

غير أن جامعة (جوبا) بحكم الظروف المحيطة بها الآن ، والمتمثلة في الحرب الدائرة في الجنوب ، وسيطرة المتمردين ، وتأثير الإرساليات المدعومة من القوى الخارجية ، ثم وثوب فريق من العلمانيين إلى مصاف

---

(١) السابق ، ص : ١٤٠ .

هيئة التدريس . كل ذلك قلّل من فاعلية الجامعة في مجال نشر الإسلام[1].

وقبل هذا : تناثر أساتذة وطلبة الجامعة المسلمون في أرجاء الجنوب ، داعين إلى الله ، ومسهمين في خدمة نشر الإسلام ، مكوّنين لهم خليّة إسلامية تستقبل الوفود التي تريد الإسلام ، وتعلمها مبادئ هذا الدين الحنيف ، وترسلها إلى حيث تستكمل بقايا تعليمها ، كما تصدر شباباً صالحاً ، داعياً إلى الله ، واعياً للمخاطر التي تحدق به وبقومه .

وبعد هذا الحديث عن جامعة (جوبا) وأثرها في نشر الإسلام في جنوب السودان ، أعرض بعض النتائج التي توصلت إليها ، وهي :

الأولى : لقد كانت جامعة جوبا خليّة للدعوة إلى الإسلام ، ونشره في مناطق الجنوب السوداني بتكاتف بين الطلبة والأساتذة .

الثانية : قوّى من أهمية هذه الجامعة في نشر الإسلام : أن كان الأساتذة أحد رجال الدعوة فيها ، وهم يتميزون بالعلم والخبرة ، والتأثير في أبنائهم الطلبة .

الثالثة : حرص أساتذة الجامعة على نهضة اللغة العربية في منطقة الجنوب ، تمثل هذا الحرص فيما بذلوه من جهود في سبيل رفع مستوى

---

(١) لقاء مع الشيخ أمين عبد العال في يوم الأحد ١٥ من شهر رمضان ، سنة : ١٤٠٧هـ - الموافق : ١٣ مايو ، سنة : ١٩٨٧م ، بمقر الندوة العالمية للشباب الإسلامي في الرياض ، الساعة السابعة مساء .

تدريسها ، غير خاف عليهم ما لانتشار اللغة العربية من أثـــر في نشر الإسلام .

الرابعة: حرصت الجامعة على أن تمدّ يدها إلى البعثات الموجـــودة بالجنوب السوداني ، وأن تكوّن جسر تعاون بينهما ، ممّا يؤدي إلى إنجاح الجهود ، وسعة رقعة الانتشار.

الخامسة: رأينـــا أن الجامعة افتقرت إلى كثير من : المدرسين المؤهلين ، المدربين ، فيا حبّذا لو مدّت جامعات العالم الإسلامي يد العون لهـا ، لتتجح جهودها ، وتبقى منارة هادية إلى الدين الإسلامـي .

* * *

المطلب الثاني

الوسائـــل غـــير الرسميـــة

أولاً : هيئة إحياء النشاط الإسلامي .

ثانياً : الجمعيات الإسلامية .

مثل : أ - الإخوان المسلمين .

ب - رعاية حديثي العهد بالإسلام .

المطلب الثاني

وَسَائل الدّعوة غير الرسميّة

وَيشتمل :

أولاً.. : هَيْئة إحياء النشاط الإسلامي

ثانيًا : الجمعيّات الإسلاميّة

ا ـ الإخوان المسلمون

ب ـ جمعيّة رعاية حديثي العهد بالإسلام

أولاً

هَيْئة إحيَاء النشاط الإسْلامِيّ

المطلب الثاني

الوسائل غير الرسمية

أولاً : هيئة إحياء النشاط الإسلامي :

مدخل : من عوامل انتشار الإسلام في جنوب السودان هيئة إحياء النشاط الإسلامي ، ويتمثل هذا في الجهد البارز الذي قامت به في مجالات مهمة ، من أجل خدمة انتشار الإسلام .

فلقد رأت الهيئة ازدياد المدارس التنصيرية ، وكثرة الداخلين فيها من أبناء المسلمين أو من الوثنيين ، ورأت أنه بهذا العمل يزداد المتساقطون من أبناء الإسلام في براثن النصرانية ، ويمتد المد التنصيري ليشمل رقعة كبرى في جنوب السودان ، كل هذا يتم عن طريق هذه المدارس.

كما رأت الهيئة عدداً كبيراً من الهيئات النصرانية التي تمد الكنائس بالمال الوفير ، والأكسية ، والأطعمة ، متخفية تحت أسماء الرعاية الاجتماعية ، والإغاثة الإنسانية ، وعملها منصب من أجل تنصير المسلمين وإخراجهم من دينهم، من هذه الهيئات : مشروع جامعة فورد ، المعهد الصيفي للدراسات اللغوية ، هيئة أكروس ، الكنيسة النرويجية في جنوب السودان ، فريق البحر الأحمر للخدمات الصحية . . . الخ .(١)

---

(١) كمال حمزة ، التبشير المسيحي وبعض أساليبه وآثاره ، ص : ٨ - ١٠ ، ط : المكتبة العصرية ، بدبي .

وقد رأت أن مدارس الكنائس تضم أكثر من عشرة آلاف طالب في السودان ، لا يتجاوز عدد النصارى بها أكثر من ٢٠٪ .(١)

لهذه الأسباب أنشئت هيئة إحياء النشاط الإسلامي ، سنة : ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م .(٢)

أغراض الهيئة :

أقيمت هذه الهيئة لتقوم ببعض الأهداف ، التي من أهمها :

١- ربط المسلم بالمسجد ، بإحياء ما اندرس من مسئوليات المسجد المهمة ، التي منها :

أ - ترغيب المسلمين في أداء الصلوات جماعة ، وما يحققه هذا التجمع من الترابط الاجتماعي بين أبناء الأمة المسلمة .

ب - جعل المسجد مدرسة تعلم العلوم كلها ، من تدريس للقرآن الكريم ، والحديث الشريف ، والفقه ، والتوحيد ، والإنشاء ، والتعمير ، والاقتصاد ، والرياضة .

جـ - بعث روح التضامن والإخاء بين المسلمين ، وتدعيم الصلة بين المساجد المتعددة في المدينة أو القرية الواحدة .

---

(١) حسن مكي ، التبشير المسيحي في العاصمة المثلثة ، ص : ١٢ ، ط : الخرطوم ، سنة : ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

(٢) محمد عمر موسى ، النشاط التبشيري الكنسي في جنوب السودان ، ص : ١٩٨ ، ط : معهد البحوث والدراسات الأفريقية الآسيوية ، الخرطوم ، سنة : ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

د - تقوية الثقة بين المسلم وأخيه المسلم ، وتطهير القلوب من الشك ، وسوء الظن ، ليعم الود والإخاء جميع أفراد المجتمع المسلم .

هـ - جعل المسجد محلاً لرعاية الأطفال منذ نعومة أظفارهم وحمايتهم في شبابهم من كل أسباب الفساد الاجتماعي .

و - جعل المسجد محلاً لرعاية المجتمع المسلم من الأوهام والخرافات التي تحدق به .

ز - صرف أموال الزكاة بعد جمعها في الأوجه الثمانية المنصوص عليها في القرآن الكريم .

٢- جعل المسجد منبراً لنشر الوعي والوعظ الإسلامي عن طريق الخطب ، وبالوسائل الإعلامية المختلفة من صحف وإذاعة وتلفاز وغيرها .

٣- القيام بكل عمل يهدف إلى إحياء وتنشيط المبادئ الإسلامية ، لتطبيقها في واقع حياة المجتمع المسلم .

٤- العمل بالتضامن والتنسيق مع الأجهزة الرسمية ، والتعاون مع الهيئات الأخرى في سبيل دعم جهودها لخدمة الدعوة الإسلامية

٥- العناية بشرح وتحقيق ونشر المخطوطات والمؤلفات الإسلامية ،

وتشجيع البحث والتحصيل العلمي في كافة فروع الدراسات الإسلامية .[1]

تكوين الهيئة :

حرصت الهيئة على أن تكون العضوية بها مفتوحة لكل سوداني مسلم يتقدم بطلب للجنة التنفيذية بالهيئة ، على أن يحصل على تزكية عضوين من أعضاء الهيئة المثبتة أسماؤهم في سجل الهيئة .

وللهيئة جمعية عمومية تضم جميع الأعضاء المسجلين في سجل الهيئة ، ولهذه الجمعية اجتماع سنوي ، للنظر في الأمور الآتية :

١- التقرير السنوي الذي يتقدم به رئيس الهيئة ، ومناقشته ، ورسم السياسة العامة للأعوام المقبلة .

٢- الحساب الختامي للعام المنصرم ، ومناقشته وإقراره .

٣- عرض موازنة العام المقبل ، وإقرارها .

٤- انتخاب مجلس الهيئة كل سنتين .

٥- أي مقترحات أو أعمال أخرى يتقدم بها الأعضاء .

والجدير بالذكر : أن للهيئة مجلسًا إداريًا يتكون من واحد وعشرين عضوًا ، يوكل إلى الجمعية العربية أمر انتخابهم من بين أعضاء الهيئة مرة كل سنتين .

---

(١) هيئة إحياء النشاط الإسلامي ، الدستور واللوائح الداخلية ، ص : ٧ - ٨ ، ط : الخرطوم ، ٢٤ ذي القعدة ، سنة : ١٣٩٤هـ - الموافق : ٨ ديسمبر ، سنة : ١٩٧٤م .

ويتفرع من هذا المجلس لجنة تنفيذية مكونة من : الرئيس ، والأمين العام ، ومساعد الأمين للمال ، ومراقب للأعمال ، وعضوية آخرين .

وللهيئة أن تكون لها فروعاً بالمناطق والمدن ، والقرى المختلفة.[1]

مصادر دخل الهيئة :

للهيئة عدد من المصادر التي تمدها بالمال ، الذي يعينها على إقامة جهودها ، ومن هذه المصادر :

١- المعونات التي تقدمها الدولة ، والهيئات والجمعيات المحلية ، وكذلك الدول الإسلامية ، وهيئاتها الخيرية .

٢- إيرادات الأملاك والعقارات التي تملكها الهيئة .

٣- الربح الذي تحصل عليه الهيئة من أي عمل تجاري تقوم به .

٤- ما يتبرع به المحسنون من هبات ومنح ، وأوقاف ووصايا ، وغيرها ، سواء أكانت منتظمة أم غير منتظمة .

٥- ما يدفعه الموسرون من زكوات أموالهم وتجاراتهم وأنعامهم.

٦- إيرادات الأسواق الخيرية التي تقيمها الهيئة .

٧- ما يمكن جمعه وبيعه من جلود الأضاحي.[2]

---

(١) السابق ، الصفحة نفسها .

(٢) السابق ، ص : ٩٧ .

إضافـــة إلى ما سبق لجأت الهيئة إلى رابطة العالم الإسلامي ؛ من أجل الدعم المالي ، وقد وافقت الرابطة على الإسهـــام ببعـــض الأموال ، والإسهام في تغطية نفقات الهيئة ، كرواتب مشائخ الكتاتيب ، وغيرهـــا . .

وقد قامت الهيئة بعمل بعض المشاريع ، منها على سبيل المثال : بعض المشاريع الزراعية ؛ فقد قامت الهيئة بإنشاء عدد من المشاريع الزراعية الصغيرة ؛ من أجل إعاشة المسلمين الفقراء ، وإمداد الكتاتيـــب ببعض الأطعمة .(١)

كمـــا قامت الهيئة بتنفيذ مشروع يوجد دخلاً ثابتاً توضـــع بموجبه موازنة ثابتة للهيئة ،فقد تم شراء أرض باسم الهيئة ؛ لإقامـــة عمارة سكنية عليها .(٢)

اللجان التابعة للهيئة :

يتبع الهيئة عدد من اللجان التي تسهم في دعم عملها الدعوي ، هذه اللجان هي :

١- لجنة الدعوة والإرشاد ، ويتبعها مكتب الصحافة والإعلام ، وتقوم هـذه اللجنة بإصدار لجنة دورية .

---

(١) السابق ، ص : ٤ .
(٢) السابق ، ص : ٥ .

٢- لجنة رعاية حديثي العهد بالإسلام ، وقد انفصلت هذه اللجنة عن الهيئة ، وأصبحت جمعية قائمة بذاتها .

٣- لجنة المال والاستثمار .

٤- اللجان الفرعية ، وتشمل :

أ - الكتاتيب .

ب- المساجد .

جـ- المرشدين الدينيين .[1]

نشاط الهيئة العام في نشر الإسلام :

لقد بذلت الهيئة جهداً بارزاً في ميدان نشر الاسلام ؛ فقدعملت الهيئة على إنشاء عدد من الكتاتيب التي تعلّم القرآن الكريم ؛ فقد أنشأت الهيئة على الحدود مع أثيوبيا سبعاً وثلاثين خلوة ، كما أنشأت عدداً آخر منها في مناطق مختلفة من السودان ، وقد التزمت الهيئة بنفقات مشائخ القرآن بها .[2]

وبفضل الله أصبح لهذه الهيئة أكثر من مائتي فرع في جميع أنحاء السودان تمارس من خلالها نشاطها من أجل نشر الإسلام .[3]

---

(١) هيئة إحياء النشاط الإسلامي ، التقريرالدوري ، ص : ٣ ، شهر ربيع الثاني ، سنة : ١٤٠٤هـ - الموافق : يناير ، سنة : ١٩٨٤م .

(٢) هيئة إحياء النشاط الإسلامي ، النشرة الإخبارية ،العدد : ٢ ، ص: ٤ ، ط : أم درمان ، شهر ربيع الثاني ، سنة : ١٤٠٤هـ - الموافق : يناير ، سنة : ١٩٨٤م.

(٣) السابق ، ص : ٥ .

كما تقوم الهيئة بتوزيع المصاحف التي يأتي بعضها تباعاً من رابطة العالم الإسلامي على الكتاتيب والمعاهد والمساجد .(١)

نشاط الهيئة في جنوب السودان :

لقد رأت الهيئة أن جنوب السودان هو إحدى المناطق التي يشتد فيها الصراع بين النصرانية والوثنية والإسلام ، كما رأت أن الكنيسة قد استطاعت تأمين وضعها في منطقة الاستوائية ؛ إذ استطاعت أن تجعل الحياة فيما تأخذ بالنمط الأوربي . كما سادت اللغة الإنجليزية على المدارس ، وتخاطب الدواوين الحكومية . كما رأت تغلغل النشاط الكنسي في مختلف مجالات الحياة في مقابل ضعف التأثير الإسلامي .(٢)

وقد رأت الهيئة أن الوضع يختلف في مناطق الجنوب ، فهو يزداد سوءاً في جنوب الجنوب (الاستوائية) ، وهو أخف من شمال الجنوب (أعالي النيل ، وبحر الغزال) . فقد أدى احتكاك هذه المديريات التي تقع شمال الجنوب بشمال السودان إلى تمكن الإسلام فيها ، كما في منطقة (راجا) في مديرية بحر الغزال ، ومنطقة (الرنك) في أعالي النيل . وقد أدى هذا التمكن لدين الإسلام في هاتين المديريتين إلى تحريك أوار النار في قلوب الحاقدين على الإسلام ، وبدأوا أنشطتهم لإقصاء الدين

---

(١) السابق ، ص : ٨ .
(٢) منشورات هيئة إحياء النشاط الإسلامي ، ص : ٨ ، ط : الخرطوم .

الإسلامي ، وقد تجلى تحركهم هذا في منطقة (أويل) .[١]

ونتيجة لهذا الضغط النصراني الحاقد على الإسلام وأهله في منطقة (أويل) رأت الهيئة أن تركز نشاطها في هذه المنطقة ؛ لما تواجهه هذه المنطقة من ضغط حاقد - كما أسلفت - ، ولأهمية هذه المنطقة فهي قلب بحر الغزال ، وأكثر مناطق الجنوب كثافة سكانية ؛ إذ يسكنها ما يقارب مليوناً ونصف مليون نسمة ،أي : أكثر من ثلث سكان الجنوب ، كما ترتبط بالشمال عن طريق خط سكة حديد يمتد من بابنوسة حتى واو ، ماراً بست وعشرين محطة في هذه المنطقة ، كما يتداخل سكان هذه المنطقة مع عرب جنوب كردفان في مناطق بحر العرب وغيرها . انظر : الخريطة رقم (٢٩) .

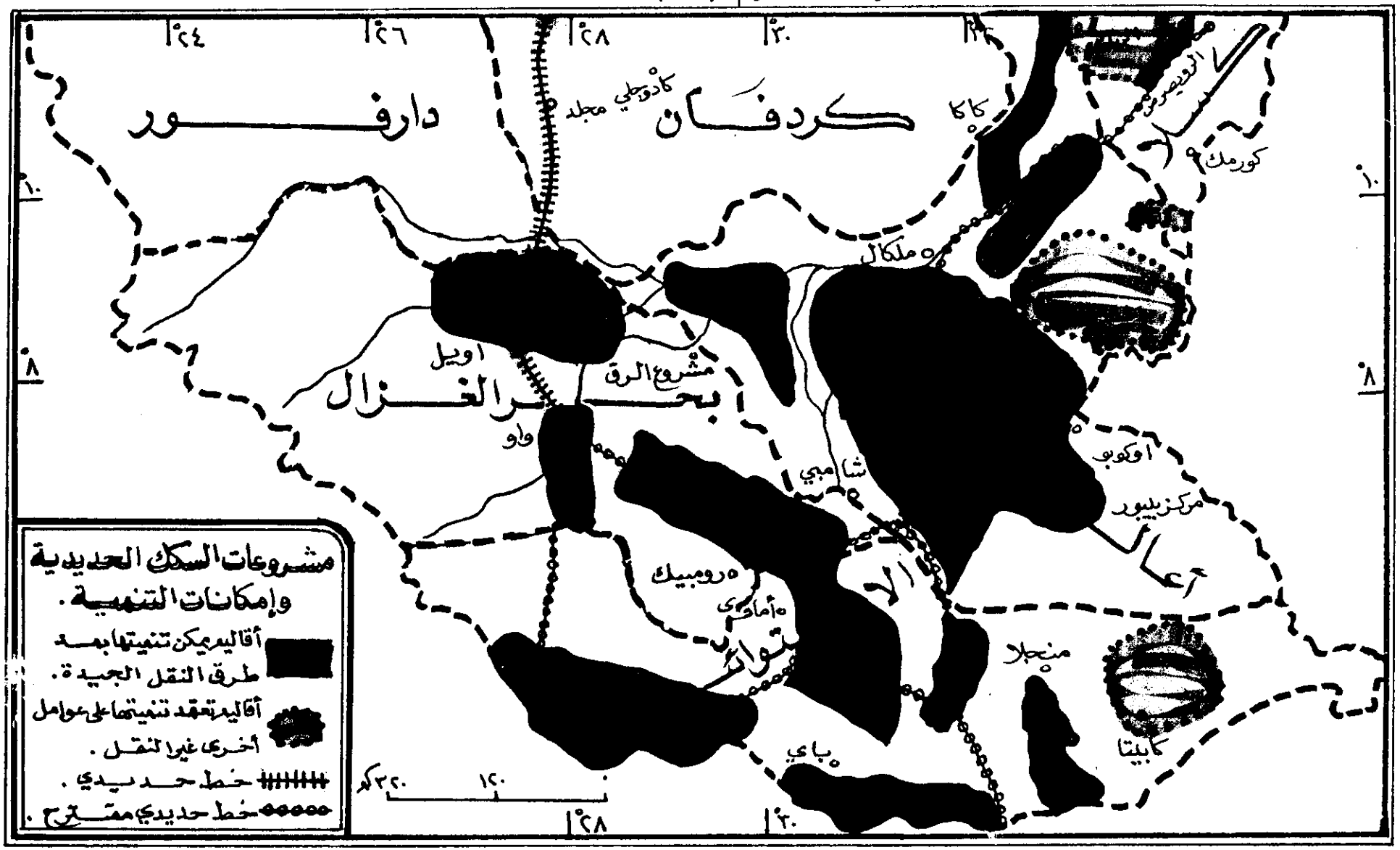
وقد بدأ الإسلام يأخذ وجوده المنظم في منطقة (أويل) بعد عودة علي الجاك[٢] ، الذي نذر نفسه من أجل الدعوة الإسلامية ، فلقد

---

(١) السابق ، ص : ٨ - ٩ .
وأويل : هي مدينة مهمة في مديرية بحر الغزال ، وتقع شمال (واو) عاصمة بحر الغزال ، وعلى الخط الحديدي الذي يصل من منطقة الشمال إلى مدينة (واو) ، ويسكنها قبائل الدنكا ، ويعمل أهلها بالزراعة ، وقد وقع بها اضطرابات نصرانية في أوائل الثمانينات ، مما اضطر الكثير من المسلمين إلى هجرتها إلى الشمال .
محمد عبد الغني سعودي ، مشكلة جنوب السودان ، ص : ٥٥ ، سنة : ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

(٢) هو : دنكاوي ، يناهز الخمسين من عمره ، أسلم في مدينة الأبيض ، وحفظ القرآن الكريم ، وتفرغ للعمل الإسلامي ، سنة : ١٣٨١هـ - ١٩٦١م . واستطاع تأسيس مجتمع إسلامي صغير في منطقة مكير ، بالتعاون مع هيئة إحياء النشاط الإسلامي في منتصف السبعينات ، وقد لقي عداءً قوياً من أعداء الإسلام ، وأصدروا عليه حكماً غيابياً بالإعدام ، =

خريطـــــة رقم (٢٩)



المصدر: محمد عبد الغني سعودي، وآخرون، مشكلة جنوب السودان، مركز بحوث الشرق الأوسط، جامعة عين شمس، سنة: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

استطاع أن ينسّق مع التجار والمحسنين ، وبعض سلاطين الدنكا المسلمين ، من أجل نشر الدين الإسلامي ، وقد نجح في بناء عدة مساجد ، كما فتح اثني عشر كتاباً لتدريس القرآن الكريم ، وأهم عمل له هو : تأسيس قرية مكير الإسلامية ، إذ جعلها مجتمعاً إسلامياً صغيراً يضم بضعة آلاف من المسلمين ، ويعيش هذا المجتمع المسلم على الزراعة ، وقد رأت الهيئة أن في استمرار بقاء هذا المجتمع المسلم نشراً للدين الإسلامي ، لهذا أمدّت هذا المجتمع بما يسانده من أجل العيش في رغد الإسلام ، ومن أجل الدعوة إلى الإسلام .

وقد تنبهت الكنيسة إلى هذا الإشعاع الإسلامي ، فازداد جمر الحقد في قلوبهم اتقاداً ، ولن ينطفئ هذا الجمر ما لم ينطفئ هذا الإشعاع الإسلامي ، فعملوا على إفشاله بأساليب متنوعة ؛ فقاموا بإقامة قرية بجوارها ، وأمدوها باثني عشر جراراً ، وبعدد من طواحين الغلال ، ولكن فشل هذا المكر ، وتعطلت الجرارات وفسدت الطواحين ، ممّا دعاهم إلى اللجوء إلى أسلوب التدمير عن طريق نشر الرعب والفزع والقتل والتخريب . فقاموا بحرق مساجد ملوال ، مكير ، ميبور ، إريات ، مدويل ، مريال بلي ، مدول ، وحرق عدد من الكتاتيب ، وحرق عدد من القرى المسلمة ، كما قاموا بقتل الكثير من المسلمين ، والتشهير بهم ، وتقطيع أوصالهم إرباً إرباً ، والتمثيل بجثثهم ، ومن هؤلاء على سبيل المثال :

= وقاموا بأسر زوجته وبعض أولاده .
هيئة إحياء النشاط الإسلامي ، تقرير عن وضع الجنوبيين المسلمين المهاجرين إلى الميرم ، ص : ٨ - ٩ .

١- عبد الله أبيك ، وهو: من دنكار مكير ، صلب على حراب أربع .

٢- زكريا توك مجاك ، وهو : شاب يبلغ من العمر ستًا وثلاثين سنة ، قيّد ونهب ما في منزله من مال ومتاع ، ثم أحرق المنزل أمام عينيه .

٣- خليفة يونج بول ، وهو : تاجر دنكاوي ، انتزع منه ماله وزوجاته الأربع ، وأمه وأبوه ، وقتل ابنه من غير جرم ، إلا أن يقولوا : ربنا الله (وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾)[1] . إضافة إلى آلاف من هذه النماذج ، وأشد ضراوة .[2]

هذا وقد ذكر جوداك رفيق ولدوم[3] أن هذه المؤامرات جندتها الكنيسة الكاثوليكية ، التي تجند القساوسة والراهبات والطلاب للتجسس ، ولخلق المشكلات ، وإشعال نار الفتن بين أبناء الوطن الواحد ، تقف وراءها رابطة العالم النصراني وفق مخطط عالمي ، يهدف إلى طمس العقيدة الإسلامية في جنوب السودان ، وفي كل مكان .[4]

---

(١) سورة البروج ، آية : ٨ .

(٢) هيئة إحياء النشاط الإسلامي ، نشرة تقرير عن وضع الجنوبيين المسلمين المهاجرين إلى الميرم ، ص : ٨ .

(٣) هو : جوداك ولدوم ، كان قسًا برتبة بطرس ، ومنّ الله عليه بنعمة الإسلام في (واو) ، ثم أصبح طالبًا في المركز الإسلامي ببابنوسة ، ثم أصبح داعيةً إسلاميًا في الجنوب .
هيئة إحياء النشاط الإسلامي ، نشرة تقرير عن وضع الجنوبيين المسلمين ، المهاجرين إلى الميرم ، ص : ١١ .

(٤) هيئة إحياء النشاط الإسلامي ، المركز الإسلامي ببابنوسة ، نشرة بتاريخ ١٩ شعبان ، سنة : ١٤٠٣هـ - الموافق : ٣١ مايو ، سنة : ١٩٨٣م .

وقد رأت الهيئة أنه من الواجب عليها رعاية أولئك الذين فرّوا بدينهم من لهيب الحقد الأعمى من الجنوب إلى منطقة الميرم بجنوب كردفان ؛ فقامت الهيئة بتقديم المصاحف إليهم ، كما عملت على إيجاد المأوى لهم ، وحفر بئر يسقون منه ، وقد قامت الهيئة بفتح مكتب لها بالميرم ؛ يستقبل المهاجرين ، ويقوم بالإشراف عليهم ، إلى جانب الإشراف على أعمال الهيئة في تلك المنطقة .[1]

---

(١) السابق .

كشف للكتاتيب التابعة لهيئة إحياء النشاط الإسلامي (١) في جنوب السودان

م	الكتاتيب	اسم الشيخ	اللجنة الفرعية
١	مكير	علي الجاك دنيق	مكير مركز أويل
٢	مكير (جنوباً)	علي توك ممبوك	بحر الغزال
٣	أريات	يوسف آدم أحمد	
٤	أويل	موسى أبكر	
٥	ودويل	إسماعيل عبد العزيز	
٦	بانيتوت	سليمان داود	
٧	باركول	علي إبراهيم عثمان	
٨	جاج	علي محمد الجاك	
٩	بيور	آدم محمد عبدالله	
١٠	مكير (جنوباً)	عبدالله محمد آدم	
١١	ودم	يوسف حسن بابكر	

(٢)

ملحوظة:

الكتاتيب الواقعة في منطقة مكير تعمل حالياً بمنطقة الميرم جنوب كردفان .

---

(١) هيئة إحياء النشاط الإسلامي ، التقرير الدوري العام ، ص : ٤ - ٥ ، سنة : ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

(٢) السابق ، الصفحات نفسها .

ياي

الرقم	الكُتّاب	اسم الشيخ	اللجنة الغرفية التي يتبع لها
١	تلومي	إبراهيم علي صوار	ياي
٢	توري	عثمان عبد الله	ياي
٣	فوكي	الزبير جمعة	ياي

(١)

يورو

الرقم	الكُتّاب	اسم الشيخ	اللجنة الغرفية التي يتبع لها
١	يورو	فضل الكبر اندل	يورو ملكال

(٢)

---

(١) هيئة إحياء النشاط الإسلامي ، التقرير الدوري، رقم (٦) .
(٢) السابق ، الرقم نفسه .

أويـــــــل

الرقم	الكُتّـــاب	اسم الشيـــخ	اللجنة الفرعيـــة التي يتبع لهـــا
١	ود ول		
٢	أروم		
٣	قوقمشـار		
٤	يناملـيـل		
٥	مريا لبـــاي		
٦	أويـــل		
٧	روضة أويل	حـرم محمد أحمـد	

(١)

ملحوظة :
كانت اللجنة الفرعية تتبع أويل ، لكنها حاليًا متوقفة بسبب أحداث الجنوب . .

---

(١) السابق ، ص : ٧ .

وبعد عرض أنشطة هذه الهيئة ، توصلت إلى عدد من النتائج ، من أهمهـــا :

الأولى : إن نجاح أي عمل إسلامي في مجال الدعوة ، لا يحتاج إلى صفـــة الرسمية ، أو الثوب الحكومي ؛ لكي يكون عملاً ناجحاً ؛ بل هو متوقـف على توفيق اللـه الذي يهبه للمخلصين من عباده ، الذين لا يريدون عرضاً من هذا الأدنى ، ولا زائغًا من هذا الفاني ، وهذه الهيئـة خير مثال على هـذا .

الثانية : لقد أثبتت الهيئة أنه بالإمكان أن يعود المسجد إلى سابق عهده وسالف عزه ، مؤدياً رسالة الإسلام ، فهـو يتسع لحلق العلـوم المختلفة ، ويجمع شتات قلوب مختلفة ، ما دام قد أسس علـى تقوى من اللـه .

الثالثة : إن في سعي الهيئة لإنجاح القرية المسلمة إشارة إلى عمل مهـم يجب أن يتنبه له القائمون على الدعوة الإسلامية ، فعليهـم أن يعزلوا حـديثي العهد بالإسلام عن بيئتهم الكافرة ؛ وبخاصـة إذا كانوا قلـة مستضعفة ؛ ليمسحوا ما علق بأذهانهم من خرافات معتقداتهم ، وليضمنوا عدم إغراء أقاربهم لهم بالعـودة إلـى ما كانوا عليه .

الرابعة : إن في استعداد الهيئة لاستقبال المهاجرين بدينهم من الجنـوب أثر كبيراً في انتشار الإسلام ، لا يقتصر على رعاية هؤلاء القادمين ؛

بل فيه تشجيع لأولئك الباقين على اعتناق الإسلام ؛ لأنه متى ما علم أنه سيجد الرعاية متى ما فرّ ، فإن في هذا حثًا له على الدخول في الإسلام ، وياحبذا لو طوّرت مراكز الرعاية هذه وزودت بكل ما يحتاج إليه المهاجرون .

الخامسة: أتمنى لو حرصت الهيئة على اختلاط القادمين من الجنوب بسكان الشمال المسلمين ؛ لأن في هذا ترسيخ لعقيدة الإسلام في قلوبهم، فالمسلم يسرّ إذا رأى من هو مسلم مثله ، كما يسرّ إذا سمع تجاوب المسلم وانتقاله من جحيم الكفر إلى جنة الإسلام ، وفي هذا العمل تذكير بما عمله الرسول - صلى الله عليه وسلم - عندما قدم المهاجرون من مكة إلى المدينة ، فآخى بينهم ؛ ليؤكد رابطة الإسلام بينهم ، التي تنفك أمامها كل الروابط .

السادسة : إن في حرص الهيئة على متابعة طلابها ؛ وبخاصة الشباب إسهامًا كبيرًا في إنجاح مساعيها ، فلا تقتصر على إعطائه المعلومات الإسلامية ؛ بل تحرص على أن ترى هذا سلوكًا عمليًا ، وفي هذا حماية لرعايا الهيئة من موجات الحقد المتلاطمة .

السابعة: رأينا كيف حرصت الهيئة على توفير بعض المعدات الزراعية؛ لأنها رأت أنه بهذا العمل تستطيع اجتذاب أناس إلى الدخول في دين الإسلام ، كما أن في هذا حماية لمن دخلوا في الإسلام من إغراءات المنصّرين .

الثامنة : لا تزال قلة المال ، وزيادة النفقات مشكلة مهمة تواجه أي عمل إسلامي لنشر الإسلام ، فلو توفّر لهذه الهيئة مال وفير يسد جميع نفقاتها ، لازدادت رقعة نشاطها ، واتسعت دائرة النور الإسلامي .

التاسعة : رأينا كيف تحاك المؤامرات الخفية للإطاحة بدين الإسلام مستغلة كل سبيل من إغراء وتدمير ، وتخريب وتقتيل ؛ حتى لا تقوم للإسلام قائمة ، ومع هذا المكر لا يتوقف النور الإسلامي عن الزحف ، ولا يسأم أولئك الرجال المخلصون (.. وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٣٠﴾) .[1]

العاشرة : وعلى الرغم ممّا يبذله المنصّرون من تعمية لأبصار أولئك الوثنيين ، إلا أن الإسلام يلقى لديهم قبولاً أكثر ممّا تلقاه النصرانية ، على الرغم من مغريات المنصّرين ، وأصواتهم التي تلاحق المسلمين ؛ ذلك بأن الدخول في الإسلام رجوع إلى أصل الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، وفي هذا تشجيع للدعاة المسلمين ، وحث لهم على نشر الإسلام .

* * *

---

(١) سورة الأنفال ، آية : ٣٠ .

ثانيًا

الجمعيّات الإسلاميّة

ا ـ الإخوان المسلمون

ب ـ جمعيّة رعاية حديثي العهد بالإسلام

١ ـ الإخوان المسلمون

ثانيًا : الجمعيات الإسلامية :

١- جمعية الإخوان المسلمين :

مدخل :

مع إطلالة العصر الحديث ، بدأ المسلم يتعرض لتحديات متتابعة ، استهدفت ثقافته ومعتقداته ، وطرائق حياته ، وقد جاءت استجابة المسلم لهذه التحديات قريبة إلى حد بعيد ؛ نظراً لعدم كونه مهيئاً لمثل هذه التيارات ، ابتداءً من تحدي الاحتلال ، إلى تسيير الحياة وفق النمط الغربي . إلا أنه قد تباينت الاستجابات أمام هذه التحديات ، فمن مناد إلى الأخذ بتلك التيارات الجارفة ، ومن مناد بالرجوع إلى منهاج الإسلام الحق ، وميدانه الواسع ، ونظمه السماوية .

ولم يكن السودان بمعزل عن هذه التيارات ؛ بل سرت إليه موجة من هذه التحديات ، وقد جاءت موافقة منها ، موافقة لأغلب مواقف العالم المسلم ، من مناد بالأخذ بها ، ومن مناد بنبذها ، والعودة إلى الدين الإسلامي الحنيف ، وقد تمثل هذا النداء بالعودة إلى الإسلام في حركة الإخوان المسلمين في السودان .(١)

وقد برزت هذه الحركة الإسلامية في السودان في نهاية

---

(١) د . حسن مكي محمد أحمد ، حركة الإخوان المسلمين في السودان ، ص : المقدمة ، ط : معهد الدراسات الأفريقية الآسيوية بالخرطوم ، سنة : ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

الأربعينيات ، استجابة لجهود بذلتها الحركة الطلابية السودانية ، وفقاً لاحتياجاتهم إلى هذا الدين الصافي ، ولإنقاذ مجتمعهم من حمأة تيارات هوجاء ، ولتكون امتداداً حيّاً ومتطوراً لحركة الإسلام في السودان ، وبديلاً فكرياً وسياسياً لأنواع من تيارات عاصفة ، ولدت تحت اسم : " حركة التحرر الإسلامي " ، وما لبثت حتى نمت وتطورت لتشمل أوسع من هذا ، وهو كل ما يدعو إلى الإسلام على المستويين المحلي والعالمي ، مستحقة بهذا لقب " الإخوان المسلمين ".(١)

ونضجت هذه الحركة ، وحملت كل مرحلة من عمرها آثاراً كثيرة ، ففي الفترة ما بين سنة : ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م / ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م ، غلب على الحركة عنصر الطلاب ، وقد جعلت همها تطهير الجامعة والمدارس العليا من الشيوعية والمبادئ الهدامة ، وترسيخ مبادئ الإسلام ، وطرح أسس الإنقاذ الحضاري والسياسي عن طريق مبادئ الإسلام.(٢)

وفي الفترة من سنة : ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م حتى سنة : ١٢٧٧هـ - ١٩٥٨م : توسعت الحركة بتخريج روادها وانفتاحهم على المجتمع ، واستيعاب الحركة للطلاب السودانيين المتخرجين من جامعات مصر.(٣)

وقد أخذت جماعة الإخوان المسلمين تبذل كل جهد لها

---

(١) السابق ، المقدمة .
(٢) السابق ، المقدمة .
(٣) السابق ، المقدمة .

لإحداث التحول الإسلامي ، وأخذت تعمل في مجال التوعية السياسية من منطلقات الإسلام على كافة المستويات . كما عملت لإنقاذ القادة والشعب لقضايا الدستور الإسلامي ، وبناء الجمهورية الإسلامية ، والمجتمع الإسلامي ، وقد سعت إلى صهر التنظيمات الإسلامية في جبهة جامعة ، ظهرت تحت اسم " الجبهة الإسلامية ".(١)

أمّا في الفترة من سنة : ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م حتى سنة : ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م : فقد أصاب الحركة انكماش ألجأها إلى العمل السري ، لاحتكار كبار ضباط الجيش للعمل السياسي ، إلى أن قيّض لها أن تقوم بعمل بارز في تقويض الدكتاتورية العسكرية ؛ ممّا هيّأ لها ظروف الانطلاق مرة أخرى إلى التحرك السياسي ، ابتداء من سنة : ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م ؛ لتصبح ذات تأثير سياسي وثقافي كبير.(٢)

دخول حركة الإخوان المسلمين من مصر في السودان :

دخلت حركة الإخوان المسلمين إلى السودان متأخرة ، على الرغم من التواصل الكبير بين مصر والسودان ، فقد دخلت هذه الحركة الدول العربية الأخرى ، في سوريا ، وفلسطين ، ولبنان ، في الثلاثينات ، ولم تدخل السودان إلا في منتصف الأربعينات ؛ ولعل هذا عائد إلى عزل الإنجليز

---

(١) السابق ، ص : ١ .
(٢) السابق ، ص : ٢ .

للسودان عن التأثير المصري.[١]

إلا أن نشـــوب الحرب العالمية الثانية (١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م / ١٣٦٤هـ - ١٩٤٥م) أدى إلى انفتاح مصر على السودان ، وقد تمثـــل هذا الانفتاح في قدوم صلاح عبد السيد ، وجمال الدين السنهوري[٢] ، ما بين عامي ١٣٦٣هـ - ١٩٤٤م/ ١٣٦٤هـ - ١٩٤٥م ؛ لنشر دعوة الإخوان المسلمين . وقـــال علي طالب الله[٣] : إن الفكرة في تلك الفترة المبكرة وجـــدت حماسةً وقبولاً شديدين ؛ ممّـا أدى إلى تكوين لجنة للإخوان المسلمين ، ولم تكن هذه اللجنة إلا مجرد محاولة من الأشقاء لاحتواء الحركة القادمة من مصر الشقيقة . وقد كان علي طالب الله سكرتيراً لهـــا ،

---

(١) المهندس الحسيني ، كبرى الحركات الإسلامية ، ص : ١٣٥ ، ط : دار بيروت للطباعة والنشر ، سنة : ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م .

(٢) هو : سوداني من دنقلة ، وهو من خريجي الكتاتيب ، ثم مدرسة بربر ، ثم معهد القرشي ، ذهب إلى مصر في الثلاثينات ، وأصبح عضوًا في جماعة الإخوان المسلمين ، وشارك في الانتخابات البرلمانية . وبعد محنة الإخوان ، سنة : ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م ترك الإخـــوان ، وأصبح برهانيًا ، ثم وكيلاً للطريقة البرهانية في القاهرة .
المهندس الحسيني ، كبرى الحركات الإسلامية ، ص : ١٣٩ .

(٣) هو : علي طالب الله ، نشأ نشأة دينية ، استشهد أخواله الأربعة في الحروب المهدية ، ممّا فطره على حب سير المجاهدين ، وتمنى أن يكون منهم ، وهو أول من تعرف على الإخوان المسلمين ، من رسائل الشهيد حسن البنا - رحمه الله - ، وعمل مديراً لمجلة الخريجين ، كان من المقربين للأزهري ، واختاره ضمن اللجنة الثلاثية لتهدئة تمرد الجنوبيين ، سنة : ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م ، اختير لعدة مناصب ، ثم أحيل إلى المعاش بعد قيام ثورة ٢٥ مايو ، سنة : ١٩٦٩م الموافق : ٩ من شهر ربيع الأول ، سنة : ١٣٨٩هـ .
المهندس الحسيني ، كبرى الحركات الإسلامية ، ص : ١٣٧ ، ١٤٠ - ١٤٣ .

وكذا إسماعيل الأزهري.[1]

ولكن ذكرى الحركة ما لبثت أن تجددت في منتصف الأربعينات على إثر خطب قام بها بيومي علي الأبيض، في نادي الخريجين، وفي مسجد أم درمان، وفي مساجد أخرى، فتكونت أول هيئة نشطة للإخوان المسلمين برئاسة: عوض عمر الإمام - إمام مسجد أم درمان الكبير -، وعبد الفتاح جلي، ومحمد عبد الرضا، وسار لهذه الجماعة اجتماع مساء كل جمعة.[2]

وينبغي علينا أن نشير إلى أن حركة الإخوان المسلمين في مصر قد توجهت إلى الجماهير، وانفتحت على الأرياف، كما انفتحت على عالم السياسة تدريجيًا؛ إذ تكونت الحركة، سنة: ١٣٤٦هـ - ١٩٢٨م، بقيادة الشهيد حسن البنا، ولم تؤد مهام سياسية حتى سنة: ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م. وفي المقابل كانت حركة الإخوان المسلمين في السودان حركة متعلمين، والمدرسة هي وحدة الإخوان المسلمين السودانيين، فما من متعلم سوداني يرغب في التمسك بتعاليم الإسلام إلا وينضم إلى حركة الإخوان المسلمين.[3]

---

(١) د. حسن مكي محمد أحمد، حركة الإخوان المسلمين في السودان، ص: ٤.
وإسماعيل الأزهري: هو عم السيد إسماعيل الأزهري، أول رئيس لوزراء السودان بعد الاستقلال.
د. حسن مكي، حركة الإخوان المسلمين في السودان، ص: ٦.

(٢) د. حسن مكي محمد أحمد، حركة الإخوان المسلمين في السودان، ص: ٤.

(٣) A.J. Areri, Islamic in the middle east, Vol:2, page: 153, printed in: Kambrdeg, London, at: 1396 H.- 1976 A.D.

فروع الإخوان المسلمين بالسودان :

شعر أعضاء هذه الجمعية بأن عليهم واجب نشر أهدافهم في كل مناطق السودان ، فقاموا في شهر ذي القعدة ، سنة : ١٣٦٥هـ - الموافق : أكتوبر ، سنة : ١٩٤٦م بإرسال عضوين بارزين ، هما : عبد الحكيم عابدين ، وجمال الدين السنهوري ؛ لإنشاء عدد من الفروع في مناطق السودان المختلفة . وقاما بجولاتهما ، فالتقيا بشعبة أم درمان ، والخرطوم ، وزارا الهيئات والأحزاب ، والشخصيات السودانية البارزة ، ولقيا تأييداً كبيراً ، ثم زارا الري المصري ، وجبل الأولياء ، وملكال ، وسنار ، ثم انتقلا إلى غرب السودان .(١)

وكان حصيلة جهدهما إنشاء عدد من الشعب الرئيسة في الجزيرة ، كما أمكنهما فتح خمس وعشرين شعبة في الأماكن المحيطة ببور سودان ، وعطبرة ، والدامر ، وشندي . وبهذا نرى الجهد البارز الذي بذلاه ، إلا أن هذا الجهد كان ينقصه الفكر التنظيمي السليم ؛ ممّا قلّل من قوة تلك الفروع .(٢)

تطور حركة الإخوان في الفترة من (١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م/١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م) :

واكبت حركة الإخوان في السودان في تلك الفترة أحرج الفترات التي مرت بتاريخ السودان الحديث ، وكان أساس الجدل السياسي وطبيعته

---

(١) المهندس الحسيني ، كبرى الحركات الإسلامية ، ص : ١٣٥ .
(٢) السابق ، ص : ١٣٥ - ١٣٦ .

الروابط القوية بمصر ، وروابط حركة الإخوان بالسودان ، مع الحركة الأم بمصر .(١)

وفي هذه الفترة تمكن علي طالب الله من فتح دار للإخوان في سنة : ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م . وكان الدستور الذي تعتمد عليه الجماعة هو: " رسالة التعاليم " للإمام الشهيد حسن البنا رحمه الله .(٢)

وفي هذه الفترة - أيضًا - بدأ يحدث تداخل مشترك بين الإخوان المسلمين ، وحركة التحرير الإسلامي ، التي اتخذت - فيما بعد - اسم وَصِيَغ الإخوان ، وحلّت محلها في الميدان .(٣)

وقد شهدت الساحة الإسلامية في السودان ظهور ثلاث جماعات إسلامية يجمعها أساس مشترك ، وهي :

١- حركة الإخوان الجماهيرية ، التي يقودها علي طالب الله ، والتي كانت تعد نفسها مجرد امتداد لجماعة الإخوان بمصر ، وفيما بعد أخذت في الضمور ، مفسحة المجال أمام تيار طلاب الجامعة ، ليحمل الراية من بعدها .

٢- تكتّل يدعو للأصالة والاستقلال التام ، مع الشروع الفوري

---

(١) Micheal Ritchard , Muslims Brothers group , page: 55-79, printed in:Oxford , London , at: 1389 H.- 1969 A.D.

(٢) د . حسن مكي محمد أحمد ، حركة الإخوان المسلمين في السودان ، ص : ٨ - ٩ .

(٣) السابق ، ص : ٩ .

في أداء مهام سياسية ، عن طريق التحول إلى حزب سياسي ، وهذا هو تيار " حركة التحرير الإسلامي "[1] الذي نشأ من داخل الكلية الجامعية .

٣- تكتّل يدعو لنقل التجربة المصرية ، والعمل ضمن الإطار والمقاييس العامة لحركة الإخوان المسلمين هناك ، مع الاحتفاظ باستقلالية تسمح بحرية معقولة للحركة ، مع التركيز على التربية الروحية .[2]

وقد حدثت نقطة كبيرة باستلام قيادة جديدة ، مثلها الرشيد الطاهر[3] ؛ إذ تحلّى تنظيم هذه الجماعة بالانسجام الفكري ، بين القيادة الجماهيرية ، والقواعد الطلابية . وقد وسع الرشيد الطاهر صلاته مع قيادات الإخوان في سوريا ، وشارك في مؤتمر سنة : ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م ، لقيادات العمل الإسلامي في دمشق ، وفي شهر جمادى الآخرة ، سنة : ١٣٧٥هـ - الموافق : شهر يونيو ، سنة : ١٩٥٦م : أصدر الإخوان جريدة شنت حملة إعلامية على حكومة الأزهري ؛ ممّا أدى إلى سقوطها ، في

---

(١) تعرضت حركة " التحرير الإسلامي " لانقسام ، ولكنه لم يؤثر على تماسك الحركة ، كما لم يؤثر عليها ابتعاد بعض رواد الحركة ، وفي الواقع التحم التيار الثالث لتيار الجامعة ، وأصبح التيار الثالث جزءًا رئيسًا من النواة التي كونت حركة الإخوان المسلمين .

(٢) د . حسن مكي ، حركة الإخوان المسلمين في السودان ، ص : ١٠-١١ .

(٣) هو : المراقب العام للإخوان المسلمين في السودان في تلك الفترة . جريدة (الإخوان المسلمين) ، ص : ٤ .

٢٦ ذي القعدة ، سنة : ١٣٧٥هـ - الموافق : ٤ يوليو ، سنة : ١٩٥٦م.[1]

مساندات الإخوان لحركات التحرّر :

قامت الجماعة بالإسهام في حركة تحرير تشاد ، وحركة تحرير إريتريا ، وتأييد الثورة الفلسطينية ، والجزائرية ، والتعاطف مع حركة محمد الخامس ذات الصبغة الدينية ، كما تطوع الإخوان في معركة القناة ، عام : ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م ، كما رحّبوا بفكرة إنشاء جامعة أفريقية.[2]

ظهور الجبهة الإسلامية :

ظلت القضية الرئيسة للإخوان هي : قضية الدستور ، التي أتاحت للإخوان منبرًا أطلوا منه على الشعب ، وهذا المنبر هو : الجبهة الإسلامية ، التي صارت المعبر الرئيس لحركة الإخوان.[3]

وقد أعدّت الجبهة دستورًا إسلاميًا نموذجيًا ، بالتعاون مع السيد ظفر الله الأنصاري ، سوف نتعرض له فيما بعد.[4]

---

(١) جريدة (الإخوان المسلمين) ، ص : ٥ - ٦ ، العدد الصادر بتاريخ ٤ من شهر جمادى الآخرة ، سنة : ١٣٧١هـ - الموافق : ٢٩ من شهر فبراير ، سنة : ١٩٥٢م.

(٢) د. حسن مكي ، حركة الإخوان المسلمين في السودان ، ص : ٤١.

(٣) السابق ، ص : ٤٣ - ٤٤.

(٤) السابق ، ص : ٤٦ .

وبينمـــا كانت الجبهة الإسلامية تواصل تعبئة الشعب السوداني ، من أجل إجهاز الدستور الإسلامي ، كان في المقابل تطور آخر ، تمثل في شكل حوار بين كبار ضباط الجيش وعبد الله خليل[1] ، وانتهى الحـــوار باستلام ضباط الجيش السلطة ، برئاسة الفريق إبراهيم عبّود ، في : ٦ من شهر جمادى الأولى ، سنة : ١٣٧٨هـ - الموافق : ١٧ من شهر نوفمبر ، سنة : ١٩٥٨م ، وهذا أدى إلى احتكار الجيش للعمل السياسي ، وطغـــى وسط الإخوان العمل الفردي ، وبخاصة بعد سجن المراقب العام للإخـــوان المسلمـــين .[2]

وبعد خـــروج الرشيد الطاهر من السجن سعى من أجل عمـــل شعبي عسكري ، يؤدي إلى انقلاب على الحكم الحاضر ، فقام ببعض الاتصالات مع كبار ضباط الجيش ، ولكن الانقلاب فشل ، وأعدم أولئك الضباط ، وفقد الإخوان بهذا نواة تنظيمهم في الجيش ، وتم إعادة الرشيد الطاهـــر إلى السجن .[3]

ونتيجة لهذا حدث صراع بين اتحاد الجامعة - الذي ظـــل تحت قيادة الإخوان طوال عهد عبّود - وبين الحكومة .

---

(١) كان سكرتيرًا لحزب الأمة السوداني ، ورئيس الوزراء في ذلك التاريخ ، وكان يعمل جاهدًا على جعل الإسلام المصدر الرئيس للدستـــور . د . حسن مكي ، حركة الإخوان المسلمين في السودان ، ص : ٥٠ .

(٢) د . حسن مكي ، حركة الإخوان المسلمين في السودان ، ص : ٥١ .

(٣) السابق ، ص : ٥١ - ٥٤ ، بتصرف .

وعقب التعديلات التي أقرها المؤتمر الخامس لمجلس الشورى في شهر محرم ، سنة : ١٣٨٢هـ - الموافق : مايو ، سنة : ١٩٦٢ م بدأ العمل الإسلامي يستجمع قواه ، إذ تركز النقاش حول دستور الإخوان .[١]

ودعا الإخوان لاشتراك الجنوبيين معهم في هيئة المعارضة. وبعودة حسن الترابي[٢] ومحمد صالح عمر ، وعثمان خالد ، تقوّت الحركة ، وعادت الثقة إلى ميادين العمل الإسلامي .[٣]

دستور الجبهة القومية الإسلامية :

نص هذا الدستور على عدد من الأهداف ، التي يجب تحقيقها ، وهذه الأهداف ، هي :

أولاً : الأهداف السياسية :

تهدف الجبهة إلى سيادة الإسلام عقيدة وشريعة ، وتطبيق تعاليم الشريعة الإسلامية المعطلة ، حتى يعلو منهاج الله -سبحانه وتعالى- ، ويصبح الفقه الإسلامي أم الأصول . وأن يكون الحكم الإسلامي مؤسساً على الشورى والمساواة ، ونشر العدل بين المجتمع ، وصيانة حقوق الديانات غير المسلمة ، والمساواة في

---

(١) د . حسن مكي ، حركة الإخوان المسلمين في السودان ، ص : ٤٨ .
(٢) سيصبح فيما بعد رئيساً للجبهة القومية الإسلامية ، وهي جماعة الإخوان المسلمين سابقاً .
(٣) د . حسن مكي ، حركة الإخوان المسلمين في السودان ، ص : ٥٩- ٦٠ .

الحقوق السياسية والمدنية . والتعاضد والتعاون مع المجتمعات والكيانات العربية والإسلامية في جميع المجالات .[١]

ثانياً : الأهداف الاقتصادية:

توكيد قواسة المجتمع على نظام الاقتصاد ، توجيهاً ومراقبةً ، وإبطال سائر المعاملات التجارية المخالفة للدين الإسلامي ، وتطوير البديل الإسلامي . ويحق للدولة الولاية على الثروات العامة ، والمشاريع الاستراتيجية ، وتطوير الزراعة ، والصناعة ، وتؤكد الجبهة أن العمل أصل الكسب في الدنيا والآخرة ، وشرط لنهضة الأمة المسلمة .[٢]

ثالثاً : الأهداف الاجتماعية :

نشر تعاليم الدين الإسلامي ، ومبادئه وآدابه ، وتطهير المجتمع من البدع السيئة في أنماط السلوك والأوضاع الاجتماعية ، ونشر دواعي الألفة ، وتسهيل الزواج ، وتيسير الحياة الأسرية ، والاهتمام برعاية الشباب ، وتعويده على الإقدام ، والعمل التطوعي والجماعي .[٣]

---

(١) دستور الجبهة الإسلامية القومية ، ص : ٦ - ٨ ، الخرطوم .
(٢) السابق ، ص : ٩ - ١٠ .
(٣) السابق ، ص : ١١ - ١٢ .

رابعاً : الأهداف الثقافية :

- نشر العلم والثقافة بين المجتمع .
- توجيه مناهج التعليم ؛ لتكون موافقة لأسس الشريعة الإسلامية .
- توسيع مجال التدريب والتخصص في ميدان التعليم ، وتأهيل المعلّم للقضاء على الأمية والجهل .
- العناية بمراكز تعليم القرآن الكريم ، وإحياء رسالة المساجد بعمارتها بطلاب العلم .
- إحداث نهضة علمية تبعث تراث الأمة المسلمة المتجدّد .
- جعل اللغة العربية لغة التعليم في كل مراحله ، ولغة العلوم، ولغة التخاطب في البلاد .
- توجيه الإعلام وفق التعاليم الإسلامية ، وإرشاده إلى دوره في التعليم والتوجيه .(١)

الحركة الإسلامية وجنوب السودان :

لقد تعرض المسلمون في جنوب السودان لعدد من دورات الاضطهاد الديني والسياسي والاجتماعي ، ومع هذا الاضطهاد فقد استطاعوا الحفاظ على كيانهم ، وشخصيتهم المسلمة ، وغير خاف أن اليد التي تعمل وراء هذه المطارق الحديدية هي : الكنيسة النصرانية ، التي تخص المسلم

---

(١) السابق ، ص : ١٣ - ١٤ .

بويلات جحيم فرنها ، حتى تلين جلودهم إلى ديانتهم[١].

وقد أدت سياسة الحل العسكري التي قامت بها الحكومة السودانية تجاه الجنوب ، سنة : ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م إلى ما يشبه النزوح العام من قبل الجنوبيين عن الاستوائية إلى أوغندة والكونغو ، وقد شملت تلك الهجرات قادة كباراً ، ونواب سابقين[٢].

ولم يكن الإخوان بمعزل عن هذه الأحداث ، فبدأوا بإقامة سلسلة من الندوات عن قضية الجنوب ، وكان القصد منها : التشهير بالوضع القائم ، وتعبئة الرأي العام ضده ، وكان من أقوى تلك الندوات : ندوة ثلاثة من شهر جمادى الأولى ، سنة ١٣٨٤هـ - الموافق : ٩ من شهر سبتمبر ، سنة : ١٩٦٤م ، والتي أقامتها جمعية الدراسات الاجتماعية بجامعة الخرطوم . ثم تلتها ندوة في جامعة القاهرة - فرع الخرطوم ، تلا هذا مباريات على صفحات الرأي العام[٣].

كما قام الإخوان بإصدار مجلة " المنار الإسلامية النسائية " في ٢٥ من شهر جمادى الأولى ، سنة : ١٣٨٤هـ - الموافق : ١ أكتوبر ، سنة : ١٩٦٤م[٤] ، ولم يكن العدد الصادر في أكتوبر مجرد مجلة نسائية ،

---

(١) الجبهة الإسلامية القومية ، مسألة جنوب السودان ، مجلة (السياسة الدولية) ، العدد : ٩١ ، ص : ١٥٢ .

(٢) Professor Bashir M.O., The Southern Sudan, Back - ground to Conflict, Horst and CO., page: 83.

(٣) د . حسن مكي ، حركة الإخوان المسلمين في السودان ، ص : ٦٥ .

(٤) مجلة (المنار الإسلامية النسائية) ، مشكلة الجنوب ، العدد : الأول ، الصادر بتاريخ ٢٥ من شهر جمادى الأولى ، سنة : ١٣٨٤هـ - الموافق : ١ من شهر أكتوبر ، سنة : ١٩٦٤ ، ط : مكتبة السودان ، بالخرطوم .

وإنمـــا كان ملفاً كاملاً عن قضية الجنوب . تلا ذلك ندوة في : ٤ من شهر جمادى الآخرة ، سنة : ١٣٨٤هـ - ١٠ أكتوبر ، سنة : ١٩٦٤م عن التقويم العلمي لمشكلة الجنوب ، وقد قامت الشرطة السودانية بمداهمة هـــذه الندوة ؛ لقطع مناقشاتها ، ولم تقطع هذه المداهمة ، ولا كل المضايقـــات نشاط هذه الجمعية في سبيل خدمة الإسلام في الجنوب .(١)

وقد دعت هذه الحركة الإسلامية إلى منح الجنوبيين قدراً من الحرية في إدارة أقاليمهم ، في إطار حكومة مركزية موحدة ، كمـــا دعت إلى تفهّم آراء ومطالب الثوار .(٢)

حل مسألة الجنوب لدى الإخوان المسلمين :

لقد أثبتت التجارب أن كل محاولات الحل العسكري المحض لا تفلح كثـــيراً ، وهذا أمر بدهي ؛ إذ لا يمكن احتواء ثورة مجموعة بشرية لظلم تقدر أنه وقع عليها عشرات السنين ، عن طريـــق القـــوة ، وفي المقابل شهدت كل الأحوال التي جلس فيها الإخـــوة من أجل الحوار الهادئ البناء ؛ لمسّاً للجذور المسببة للمشكلـــة ، وبحثاً عن أنجع علاج لها .(٣)

---

(١) د . حسن مكي ، حركة الإخوان المسلمين في الســـودان ، ص : ١١٤ ، بتصرف .
(٢) السابق ، الصفحة نفسها .
(٣) الجبهة الإسلامية القومية ، مسألة جنوب السودان ، ص : ١٣ ، بتصرف .

وهـذا مـا سيحدث لو عطلت الحكومة من أجله لحـــل مشكلـــة الجنوب ، وتحقيق الوحـدة ، وإفساح المجال أمام الدعـــوة الإسلاميـــة ، الـتي ستنشـر في جـو الأمن والسـلام .(١)

وقـد حـــاول الإخوان السعي من أجل هذا ، فأبـرزوا المعالـــم التي من أجلها قامت هذه المشكلة ، حـتى يسعى من أجل حلهـا ، ويمكـــن ذكـر هـذه الجوانب إجمالاً ، فيمـــا يأتي :(٢)

أولاً : العامل الجغرافي والتاريخي والثقافي :

هنـــاك اختلاف كبير بين الشمال والجنوب في الظروف الجغرافية ؛ إذ يتميز الجنوب بوعورة المسالك ، ممّا يؤدي إلى صعوبـة الاتصـــال من أجل تطبيق السياسا ت القانونية في منطقة الجنوب ، وهـذه الظـــروف أدت إلى انقطاع الصلة بين الشمال والجنوب ، وإصابة أهـــل الجنـــوب بعزلة كبـيرة ، ونتـج عن هذه العـزلة أن تشكلت صورة غير حسنة لســكان الجنوب لدى أهل الشمـال .(٣)

ولم تستدرك المناهج والمؤسسات التعليمية هذا الخلل الكبـير ؛ بل تجاهلت التعرض لتاريخ الجنوب وثقافته ، ومجتمعه ، وكان الأجدر بهـا أن تشير إليهـا ، أو تجعلها جزءاً لا يتجزأ من المنهاج الدراسي العـــام

---

(١) السابق ، الصفحة نفسها .
(٢) السابق ، ص : ١٤ .
(٣) السابق ، ص : ٥٥ .

للسودان ، حتى لا يبقى المواطن الشمالي جاهلاً بسكان الجنوب.[١]

وللخروج من هذا الأسر الجغرافي ، والتاريخي ، والثقافي ، لا بد أولاً من تمكين سبل الانتقال والاتصال بين شطري البلاد ، ثم يجب الالتزام بمنهاج تعليمي يتعرض للحديث عن الجنوب ، مبرزاً تاريخه وثقافته ، ويجب أن تقوم وسائل الإعلام بالتعريف بالجنوب ، كما يقوم الجنوب بالتعريف بالشمال ، وفق برنامج مخطط.[٢]

ثانياً : التنمية والخدمات :

يعيش جنوب السودان معيشة تخلف كبير ، نتيجة لسياسات مقصودة ، أو نتيجة للتجاهل والإهمال ، وهذا يولّد المرارة والحزن في قلب أي مسلم يحرص على تحسين صورة الحكومة المسلمة . ومعلوم أن الخلل في توازن النهضة في أي بلد يؤدي إلى التبرم والتململ ، وعدم الاستقرار.[٣]

ولا بد أن تتضافر جهود المسلمين من السودانيين لإعادة التوازن الاجتماعي لهذا الجسم الواحد ، ويجب أن توفر الموارد المالية للبدء في أسرع صورة ممكنة بإقامة المشاريع التنموية ، والاجتماعية ، والصحية ، والتعليمية ، وإعادة ترميم مرافق الخدمات القائمة ، والعمل على إنشاء خدمات جديدة ،

---

(١) السابق ، ص : ١٤ .
(٢) مختار عجوبة ، مشكلة جنوب السودان ، ص : ٧٦ .
(٣) السابق ، ص : ٧٢ .

وبخاصة في المناطق التي تشهد كثافة سكانية.[١]

رأي الجمعية في شكل الحكم في جنوب السودان :

طرحت الحركة الإسلامية في السودان أول مبادرة لإعطاء الجنوب نوعًا من الحكم الإقليمي ، سنة : ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م ؛ وذلك يقينًا منهم أنه لا سبيل لاستيعاب أحداث الجنوب ، إلا من خلال نوع من الحكم غير المركزي . وقد لقي هذا الطرح قبولاً مناسبًا في ذلك الوقت ، وقد تم تبنيه في مشروع دستور ، سنة : ١٩٦٧م - ١٣٨٧هـ ، وفي اتفاقية أديس أبابا.[٢]

وقد كان رأي الحركة الإسلامية كالآتي :

١- دراسة جدوى تطوير الحكم الإقليمي إلى نظام فيدرالي ، يناسب المنطقة .

٢- دراسة جدوى العديريات ؛ لتكون إطارًا للإدارة .

٣- إضفاء نوع من المرونة على التقسيم الإقليمي ؛ بإتاحة الحق لكل إقليم أن يقيم نوعًا من العلاقة الخاصة مع إقليم آخر يتميز بالتنسيق والتكامل .

٤- دراسة الموازنة العادلة في تمثيل الأقاليم في الأجهزة الحكومية المركزية ، التشريعية ، والتنفيذية .[٣]

---

(١) مسألة الجنوب ، مجلة (السياسة الدولية) ، العدد : ٩١ ، ص : ١٥٥ .

(٢) الجبهة الإسلامية القومية ، مسألة جنوب السودان ، عرض وتحليل ومقترحات ، ص : ١٤ - ١٥ .

(٣) السابق ، ص : ١٥ .

وأرى أنه لزاماً عليَّ أن أشير إلى ما قامت به هذه الحركة من دفاع مستميت ، في وجه تلك الشائعة التي تزعم : أن سبب التمرد في الجنوب إنما هو في محاولة تطبيق الشرع الإسلامي في القانون الرسمي للدولة ، وهذا افتراء مكذوب ؛ وإنما يعود سبب التمرد إلى ما ذكرته الحركة سابقاً من عوامل جغرافية وتاريخية وثقافية وتنموية .(١)

وبعد هذا العرض في الحديث عن (جمعية الإخوان المسلمين) نصل إلى عدد من النتائج ، منها :

الأولى : تميزت حركة الإخوان المسلمين في السودان عن حركة الإخوان في مصر ، بأنها حركة ذات قواعد طلابية ، وشخصيات علمية ، منذ ابتدائها .. أمّا حركة الإخوان المسلمين في مصر ، فهي : حركة جماهيرية شعبية .

الثانية : استطاعت الحركة بوسائل دعوتها أن تضم حولها عدداً كبيراً من الشخصيات الكبرى ؛ وذلك عائد لما تميزت به من وضوح أهدافها ، ولتعبيرها عن شخصية المسلم الحق ، الذي يريد أن يبذل كل نفيس في سبيل خدمة دينه .

الثالثة : لم تدّخر الحركة أي جهد في سبيل الذود عن هذا الدين ؛

---

(١) د . مختار عجوبة ، مشكلة الجنوب السوداني ، ص : ٨٠ ، بتصرف.

فقامت بنشر الدعاة المتعمقين ، الذين يتمكنون من الرد على المغرضين ، ويثنونهم بالحجة القوية ، والبينة العالية الواضحة ، ويردونهم إلى صواب القول ، وحسن العمل والمعتقد .

الرابعة : وإذا لم يكن من المواجهة القتالية بد ، فإن لدى الحركة رجالاً يتمنون الشهادة في سبيل الحق ، تحت الإيمان ، وقد تمثل هذا فيما وجهته الحركة من مجاهدين في بقاع كثيرة ، لمساندة الحركات الإسلامية بها .

الخامسة : لم تكن الحركة غافلة عن الأنشطة الإسلامية ، التي تمارس أعمالها في كل مكان من هذا العالم ، فقامت بإمدادها بمزيد من الرجال ، وبما يكتب من مقالات التأييد ، وما يقال على ألسنة الخطباء .

السادسة : أثبتت الحركة أنها تمتلك قوة كبيرة من الدعاة المعدّين للدعوة إلى الله - سبحانه وتعالى - الذين بإمكانهم مواجهة أطغى القوم، وأعتى الرجال ، لا بالقوة ، بل بالكلمة الطيبة ، والموعظة الحسنة ، وهي تمتلك بهذا قوة تأثير على الزعماء ، الذين بدخولهم يكثر الداخلون في دين الله عز وجل .

السابعة: قامت الحركة بالمناداة بضم السياسة إلى الإسلام ، لأن الإسلام دين ودنيا ، لا يقصر عن سياسة السياسة ، بل جاء بكل ما يقود العالم إلى كل خير له في دنياه وأخراه ، ويخطئ نفسه من يقول :

إننـا يجب أن نقصي الإسلام عن بيت الحكم ، وإذا أقصي الإسـلام عن الحكم ، فمـاذا سيبقى من الإسلام ؟ ! . خـذوا الإسلام جملـة ، أو دعـوه .

الثامنة : حـاولت الحركة توجيه الحكم في السودان ؛ ليكون حكمـاً إسلاميـاً ، وينعـم الشعب بظلال الإسلام الوارفـة ، المسلم منهم وغيره ، ولكـن مؤامرات المكر والحقد تحاك ، وألاعيب الثعالب تنفذ ؛ إذ هـي موقنة تمام اليقين أنه لا بقاء بها إذا ما قام حكم إسلامي حـق .

التاسعة : أثبتت الحركة أن القانون الحاكم يجب أن يكون منضوياً تحت تعاليم الإسلام ؛ فالذي يجب أن يحكم - ولا غيره - هو : شرع هذا الدين الحنيف ، وإن نادى قـوم بمواكبة العصر المتقدم ، وهم ينـادون بالجاهلية العمياء .

العاشرة : أولت الحركة جنوب السودان مزيداً من الرعاية الكبرى - كما رأينا - ، لكني ألحظ بأنها ركزت على الجانب السياسي كثيراً ، وأهملـت الجانب الدعوي ؛ ولعل هذا عائد إلى رغبتها في ضم شطي الشمال والجنوب ، وإزالة كل الحواجز التي تقف أمام كل ما يعيق انتشار الإسلام فيه .

* * *

ب - جمعيّة رعاية حديثي العهد بالإسلام

٢- جمعية رعاية حديثي العهد بالإسلام :

مدخل : جمعية حديثي العهد بالإسلام ، هي : إحدى الجمعيات التي تسهم في مجال الدعوة الإسلامية ، وقد كانت هذه الجمعية إحدى اللجان التابعة لهيئة إحياء النشاط الإسلامي بالخرطوم ، ولكنها انفصلت عنها فيما بعد .(١)

وقد كانت هذه الجمعية لجنة أنشئت في أواسط المحرم ، سنة : ١٤٠١هـ - ١٩٨١م بالخرطوم ؛ وذلك بعد إسلام اثني عشر رجلاً من كبار القساوسة السودانيين ، نتيجة حوار دار بينهم وبين الملحق السعودي ، وهيئة إحياء النشاط الإسلامي .(٢)

وبعد قيام هذه اللجنة بسنة واحدة ، رأت أن تنضم إلى هيئة إحياء النشاط الإسلامي ، وتكوّن لجنة مختصة قائمة بذاتها ؛ وذلك في تاريخ ٢٨ من شهر ربيع الأول ، سنة : ١٤٠٢هـ - الموافق : ٢٣ يناير ، سنة : ١٩٨٢م .(٣)

وبعد أن نهضت هذه اللجنة بكافة شئونها ، رأت أن تنفصل عن الهيئة ؛ لتكون منارة جديدة لنشر الإسلام في ربوع أفريقيا ، يجمعها هدف

---

(١) هيئة إحياء النشاط الإسلامي ، التقرير الدوري ، ص : ٣ ، الخرطوم ، سنة : ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

(٢) جمعية رعاية حديثي العهد بالإسلام ، ص : ١ ، ط : الخرطوم ، في تاريخ ١٨ من شهر ربيع الأول ، سنة : ١٤٠٤هـ - الموافق : ٢٢ من شهر ديسمبر ، سنة : ١٩٨٣م .

(٣) السابق ، الصفحة نفسها .

واحد ، فالجميع يعمل لأجل الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى.[1]

أهدافهـــا :

تهدف هذه الجمعية إلى تحقيق مجموعة من الأهداف القيمـــة ، ومن هذه الأهداف :

١- رعاية الداخلين في الإسلام حديثًا ، بالإرشاد ، والتعليم ، وتوفـير الحياة الاجتماعية له ، وسط إخوانه المسلمين ، ورعايتـه صحيـًا من الأمراض ، وتسهيل سبل كسب الرزق أمامه .

٢- إقناع الراغبين في فهم الإسلام بالحوار ، والحكمة والموعظة الحسنة .

٣- الوقوف أمام كل من يجهر بعدائه للإسلام بالحجة ، وإبطال زعمـه ، وردعه عن تشويه هذا الدين الحنيف .

٤- إحاطة المسلمين بما يحاك حولهم من مؤمرات ترمي إلى إخراجهم من دينهم .

٥- نشر الكتب التي تعرّف بالدين الإسلامي باللغة العربية ، والإنجليزية ، وباللهجات المحلية المختلفة .

٦- فتح كتاتيب تعليمية للصغار ، ومراكز لتعليم الكبار ؛ لتعميق أسس الدين في قلوبهم .

٧- محاولة نشر روح التعاون والإخاء بين الجماعات المسلمة ، عن طريق الوعظ الخطابي ، أو النشرات الكتابية .

---

(١) السابق ، ص : ٢ .

٨- التعاون مع هيئة إحياء النشاط الإسلامي ، ومنظمة الدعوة الإسلامية ، وجميع الجمعيات التي تعمل من أجل نشر الإسلام .

٩- صرف أموال الزكوات التي تجمعها الجمعية في أوجهها المنصوص عليها في القرآن الكريم (١) .

تكوين الجمعية :

للجمعية لجنة تنفيذية تتكون من تسعة أعضاء متطوعين ، وتعد الممثل الشرعي للجمعية ، وإليها يوكل إدارة جميع أوجه أنشطة الجمعية . وقد فتحت الجمعية العضوية لكل حديثي العهد بالإسلام ، ولكل العاملين في الحقل الإسلامي والاجتماعي ، الملتزمين بالسلوك الإسلامي ، على أن يزكيه عضوان من الجمعية . وتتكون الجمعية العمومية من جميع المسجلين ، وتعد هذه الجمعية السلطة العليا التي ترسم سياسة الجمعية (٢) .

أموال الجمعية :

للجمعية عدد من المصادر ، تؤمن من خلالها الدخل الذي تغذي به كافة فروعها ومرافقها ، ومن هذه المصادر:

١- الزكوات التي تقدم إلى الجمعية لتدعم بها أنشطتها .

---

(١) جمعية رعاية حديثي العهد بالإسلام ، النظام الأساسي ، ص : ٥ ، ط : الخرطوم ، في تاريخ ٢١ من شهر ربيع الثاني ، سنة : ١٤٠٤هـ - الموافق : ٢٤ يناير ، سنة : ١٩٨٤م.

(٢) جمعية رعاية حديثي العهد بالإسلام ، الإدارة والتكوين ، ص : ٦ ، ط : الخرطوم ، في تاريخ ٢١ من شهر ربيع الثاني ، سنة : ١٤٠٤هـ - الموافق : ٢٤ يناير ، سنة : ١٩٨٤م.

٢- التبرعات الخيرية ، والهبات ، والمنح ، والأوقاف ، والوصايـــا .

٣- القـروض التي تقدم من البنوك الإسلامية .

٤- ما تتبرع به الحكومات ، والمؤسسات الخيرية .

٥- أرباح أي وقف ، أو استثمار أنشيء دعمًا لمالية الجمعية .

إضافـة إلى ما تقـدم : فإنه يحق للجمعية أن تشتري العقـارات للصرف منها على الأغراض التي أنشئت الجمعية من أجلها ، كما يحق لهـا إقامة أي مشروع يعود على الجمعية بدخل طيب .(١)

نشاط الجمعية في جنوب السودان :

إن من يطلع على الأهداف التي تعمل الجمعية من أجلها يؤكـد أهمية هذه الأهداف ، ووجوب الإسراع بتحقيقها ، وبخاصة في الجنـــوب السوداني ، الذي هو في مسيس الحاجة إليهـا .(٢)

ولقد عملت الجمعية إلى جانب هيئة إحياء النشاط الإسلامـــي ، في فتح الكتاتيب التي تعـد لاستقبال حديثي العهد بالإسلام ، وأقامت برنامجًا متكاملاً تعرض من خلاله على حديث العهد بالإسلام ، مبادئ هذا الدين الحنيف ، وترشده إلى التعاليم الإسلامية السمحة .(٣)

---

(١) جمعية رعاية حديثي العهد بالإسلام ، النظام الأساسي ، ص : ٦- ٧ ، ط : الخرطوم ، في تاريخ ١٨ من شهر ربيع الأول ، سنة : ١٤٠٤هـ - الموافق : ٢٢ ديسمبر ، سنة : ١٩٨٣م .

(٢) السابق ، ص : ٥ ، بتصرف .

(٣) السابق ، ص : ٢ .

ولا تقف الجمعية عند هذا الحد ؛ بل تسعى إلى توفير أسباب المعيشة أمامه ، بعد أن هجر أهله وماله من أجل هذا الدين ؛ فتعلمه حرفة مناسبة ، يقتات منها ، ويتقي بها شر الفقر والحاجة ، التي قد تكون سبيلاً إلى ردته عياذاً بالله .(١)

ولم تقتصر الجمعية على استقبال القادمين من أجل الدخول في الإسلام ؛ بل سعت إليهم ، حاملة جوهر هذا الدين إليهم ، عارضة له أمامهم ، ومن يرغب في الالتحاق بهذا الدين تلحقه بمقر الجمعية .(٢)

وقد حرصت الجمعية على ألا تبقى متصدية لهذا العمل الجليل وحدها ؛ بل طلبت يد العون من الجمعيات والمنظمات الإسلامية ، وهي الآن تقوم ببعث عدد كبير من الذين يدخلون في الإسلام من الجنوب إلى الخرطوم ؛ وبخاصة الشباب منهم ؛ إذ يتلقون هناك أصول الدعوة الإسلامية ، وبقية العلوم الإسلامية ، ليعودوا إلى قومهم منذرين ، قد تسلحوا بسلاح العلم المتين .(٣)

إلا أن الجمعية - مثل أي عمل إسلامي - قد تلقت مزيداً من الأذى النصراني ؛ وبخاصة أنها قد فتحت باباً للمواجهة بالحجة معهم ، وما دامت الحجة هي أساس الحوار ، فإن الاندحار نصيبهم ، ولا ملجأ لهم إلا المكر والخداع والتدمير والتخريب .(٤)

---

(١) السابق ، ص : ٥ ، بتصرف .
(٢) السابق ، ص : ٦ .
(٣) السابق ، ص : ٣ .
(٤) السابق ، ص : ٦ ، بتصرف .

وبعد هذا العرض لـ (جمعية رعاية حديثي العهد بالإسلام) ، أخلص إلى عدد من النتائج ، منها :

الأولى : إن الاهتمام بحديثي العهد بالإسلام هو الخطوة الثانية من خطوات الدعوة الإسلامية ، وهي مرحلة مهمة تلي مرحلة الدخول في الإسلام ، وبها يتحدد رسوخ الإيمان من ضعفه بما تبذله الجمعيات من دروس ، وأساليب تعطيها المفهوم الصحيح للإسلام ، دون أي شائبة ، تفتح مجالات للشك ، أو طرقاً يدخل منها المنصّرون . فيجب أن يتنبه الدعاة إلى هذه الناحية .

الثانية : إن توفير الحرفة والمهنة أمراً مهماً تقع مسئوليته على القائمين على الدعوة الإسلامية ؛ لأنهم بهذا العمل يسدون باباً عظيماً من الأبواب التي تدخل منها النصرانية والمنصرون .

الثالثة : بذلت الجمعية جهوداً في سبيل فضح المؤامرات التنصيرية ، وفي هذا أمن لجانب مهم ، وهو : جانب الجهل بهذه المؤامرات ، فما دامت قد عرفت وفضحت فلن تستطيع أن تكون ذات تأثير فيمن عرفوا حقيقتها .

الرابعة : سدت الجمعية بعملها هذا فراغاً كبيراً غفلت عنه كثير من منظمات الدعوة الإسلامية ، فقد كانت تهتم بالداخلين إلى الإسلام ، وبعد دخولهم فيه يسقط حسابهم من المنظمة

مع أنهم في حاجة ماسة إلى من يتابع هـذا الإيمان الذي سرى في قلوبهم .

الخامسة: انفصال الجمعية عن هيئة إحياء النشاط الإسلامي ، أعطى هذه الجمعية دفعة إلى الأمام تجسّد هذا فيما بذلته من مجهودات بارزة في خدمة الإسلام .

* * *

المطلب الثالث

موقف وسائل الدّعوة الرسميّة، وغير الرسميّة من النشاطات التنصيريّة

ويشمل :

أولاً : مزاحمتها بالوجود الدعويّ الإسلامي

ثانيًا : استثمار الخلاف بين طوائف إرسالياتهم، وأهدافهم التربويّة

أولاً

مزاحمتها بالوجود الدعوي الإسلامي

المطلب الثالث

موقف وسائل الدعوة الرسمية ، وغير الرسمية من النشاطات التنصيرية

أولاً : مزاحمتها بالوجود الدعوي الإسلامي :

فتحت الإدارة العثمانية التركية المصرية السودان شماله وجنوبه ، فدخل فيه الدين الإسلامي ، كما دخل المنصرون بكل عددهم وعتادهم. وقد اعتنق الإسلام بعض القبائل الجنوبية ، ولم يمتد أثر الإسلام إلى القبائل النيلية ، التي استمرت في مقاومة الإسلام ، واللغة العربية ، لارتباطهما في تقديرها بالحكومة ، وتجارة العبيد . وعندما قامت الحكومة بإنشاء مدرسة أولية ، لتوفير التعليم لسكان مديرية الاستوائية بالجنوب ، لم يدخلها إلا عدد ضئيل من أبناء الجنوب.(1)

وقد رأى المنصرون الفرصة سانحة لنجاح مساعيهم في تلك المناطق ، وبخاصة خلال فترة الحكم العثماني المصري ، لأنهم أيقنوا بأهمية هذه المنطقة ، التي ستفتح لهم باباً ، يمكنهم من الوصول إلى مملكة أثيوبيا النصرانية ، التي كانوا يسعون إلى الاستيلاء على كنيستها

1- Professor Bashir M.O., The Southern Sudan , Background to conflict, Horst and Co.,page : 36, printed in:London , at: 1388 H.- 1968 A.D.

القبطيـــة[١].

وكان الرهبان الفرنسيسكان والجزويت يمرون بالسودان الشمالي ، خلال القرن الثامن عشر ، في طريقهم إلى أثيوبيا ، ولكن عندما تم احتلال السودان ، سنة : ١٢٣٥هـ - ١٨٢٠م ، بدأ المنصرون يوجهون اهتمامهم إلى السودان ذاته . كما حرص المنصرون الإنجليزيون ، والفرنسيون - الذين كانوا قد أنشأوا مراكز لهم في شرق أفريقيا - على مد نفوذهم إلى وادي النيل ؛ بدعوى محاربة تجار العبيد . كما كانوا يسعون للحصول على طريق يصل بين أوغندا والأصقاع الشمالية[٢].

وقد شجعت السياسة المتسامحة التي اتبعها محمد علي كثيرًا من المنصرين على القيام بمهام أعمالهم ؛ فأقاموا مدرسة كاثوليكية في الخرطوم، كما أنشأ البابا " جريجوري الرابع عشر " ، في سنة : ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م ، كرسيًا رسوليًا لأفريقيا الوسطى ، جعل مركزه الخرطوم ، وهدفه إدخال الزنوج في النصرانية ، وإيقاف تجارة العبيد[٣]. انظر : الخريطة رقم (٣٠).

ولم يلبث هذا الكرسي الرسولي أن مد نشاطه إلى الجنوب السوداني ، فأنشأ مركزين للتنصير ، أحدهما : في غندكرو ، والآخر في (كاكا) ، وقد واجه نشاط هذين المركزين مقاومة من جانب الإدارة المحلية،

---

(١) السابق ، الصفحة نفسها .
(٢) السابق ، ص : ٣٧ .
(٣) السابق ، الصفحة نفسها .

خريطـــة رقم (٣٠)



د . محمد عبد الغني سعودى ، وآخرون ، مشكلة جنوب السودان ، مركز بحوث الشرق الأوسط ، جامعة عين شمس ، سنة : ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

ومن جانب بعض السكان المحليين [١].

ولا ننسى الإشارة إلى المساعدات الكبرى ، والتسهيلات العظمى التي قدمها الجنرال " جوردون " للنشاط التنصيري . وقد كتب في سنة : ١٢٨٨هـ - ١٨٧١ م إلى جمعية المنصرين البريطانية ، يدعوها إلى العمل في مديريته ، لكنها اعتذرت [٢].

وقد لقي النشاط التنصيري -في هذه الفترة - قبولاً محدوداً جداً ، نتيجة لموقف العداء الذي وقفه الشعب منه ، إذ ربط أعماله هذه بالحكم الأجنبي غير المقبول . وقد أغلقت أكثر مراكز التنصير في جنوب السودان ، في تلك الفترة ، لعدة عوامل ، منها : عدم إجابة جمعية المبشرين البريطانية لدعوة جوردون ، نظراً لالتزاماتها في مناطق متعددة ، ولانشغال إيطاليا -أم التنصير - بحروبها في تلك الآونة ، ولموت كثير من المنصرين بسبب قسوة المناخ [٣].

ولم تمض فترة طويلة حتى نشر اكتشاف سبيك في كتاب " النيل الأبيض " ، الذي وضح فيه مؤلفه أن النيل هو الأداة العملية للوصول إلى أراضي شرق أفريقيا . فأعاد باكتشافه هذا الاهتمام بالسودان إلى الأوربيين ، ونشر

---

(١) السابق ، ص : ٣٨ .

(٢) السابق ، الصفحة نفسها .

(٣) Gray R., A history of the Southern Sudan Sudans : (1839- 1889 A.D.) page : 168, printed in : London, at : 1380 H.- 1961 A.D.

الأساطير عن الثروات التي يحويها جنوب السودان.[١]

ولمّـــا احتلت انجلترا مصر ، سنة : ١٢٩٩هـ - ١٨٨٢م ،انفتحت الطريق أمام التدخل المباشر لانجلترا ، وللديانة النصرانية ، في جنـــوب الســـودان ، وإن تأخر بعض الوقت ، لاندلاع الثورة المهدية.[٢]

وحـين قامت الدولة المهدية ، لم تتمكن سلطاتها من ضم الجنوب إليها ، أو إقامة إدارة فاعلة فيه . وعندمـــا قام الخليفة عبدالله التعايشـي بمحاولته غزو الجنوب ، كان هدفه التخلص من الإدارة المصرية ، وزيادة عدد المجاهدين من رجاله ، ولم يكن هدفه جمع العبيد ، أو نشر الإســـلام. أمّـــا الأثر الذي تركته المهدية في الجنوب ، فقد تمثل في تدمـــير كل أثر للإدارة والسلطة ، وهذا أدى إلى توقف التقدم الضئيل ، الذي حققه الدين الإسلامي ، في أثناء الحكم العثماني المصري ، وخلال فترة النشـــاط التنصيري.[٣]

وعندمـــا ضعف النفوذ المهدي ، بعد سنة : ١٣٠٢هـ - ١٨٨٥م، عاد الجنوب مرة أخرى إلى الفوضى والمنازعات القبلية ، التي عرفهـا قبـــل

---

(١) Collins R.o., The Southern Sudan:(1883-1878 A.D), Yale University, page:57, at:1381 H.-1962 A.D.

(٢) السابق ، الصفحة نفسها .

(٣) Sanderson G.N., England, Europe and the Upper Nile , page : 7-1o , printed in : Edinburgh , at: 1385 H.- 1965 A.D.

مجيء التجار ، والإدارة التركية المصرية . وقد كانت هزيمة أنصار المهدي في الرجاف ، ثم في أم درمان ، في سنة : ١٣١٦هـ - ١٨٩٨م ، إعلاناً عن انتقال الجنوب من أيد أفريقية إلى أيد أوربية[١].

وقد مهّد هذا الفتح الطريق أمام تغلغل التجارة الأوربية ، والنشاط التنصيري ، مما أدخل جنوب السودان حلبة السياسة الدولية ، والتزاحم بين الدول الأوربية على الأراضي الأفريقية[٢].

ولا بد لنا من الإشارة إلى أن النشاط التنصيري ، الذي لقي مساندة قوية من الحكم البريطاني ، فإنه على الرغم من ذلك لم تنتشر دعوته بقدر كبير في المناطق الوثنية . وهذا عائد إلى أسباب كثيرة ، منها : اقتسام الهيئات التنصيرية المختلفة لمناطق النفوذ ، وتنافسها فيما بينها ، ولإعراض المواطنين المتمسكين بعاداتهم وتقاليدهم ودياناتهم المحلية ، التي تناقض ما جاء به الدين الجديد ، ولعدم مواكبة أي تطور تعليمي أو اقتصادي أو إعلامي للتنصير ، ولسبب مهم آخر ، هو : الوجود الدعوي الإسلامي في بعض تلك المناطق[٣].

ويظهر أن أول عمل دعوي إسلامي منظم هو الذي ابتدأه الشيخ

---

(١) السابق ، الصفحة نفسها .
(٢) السابق ، ص : ١١ .
(٣) د . أحمد عبدالرحيم نصر ، الإدارة البريطانية والتبشير الإسلامي والمسيحي في السودان ، ص : ح ، ط : وزارة التربية بالخرطوم ، سنة : ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م .

علي عبدالرحمٰن[١]، عندما أسس جمعية (المؤلفة قلوبهم) ، سنة: ١٣٦٧هـ-١٩٤٨م . ثم ظهرت بعدها جمعية إسلامية تعني بالجنوب ، أسسها الشيخ محمد أمين القرشي[٢]، في سنة : ١٣٦٩هـ-١٩٥٠م ، وقد ابتدأ عمله في قرية " كوكا " إحدى قرى الدينكا ، فأسلم على يديه خلق كثير، كما نفر بعض أصحابه من أجل العمل الدعوي الإسلامي ، وركزوا على مديرية أعالي النيل ، فعملوا بين قبائل النوير ، والمورلي ، في مركزي : البيبور، والفيرجاك ، وقد أسلم على أيديهم عدد كبير ، منهم : بعض زعماء تلك المناطق ، ثم تلا هذا إقامة المساجد ، وكتاتيب التعليم ، وكذا حدث في منطقة بحر الغزال[٣].

وبعد الاستقلال ظهرت الهيئة القومية للتبشير الإسلامي ، في الخرطوم، وهي محاولة لإحياء هيئة التبشير الديني والإصلاح ، التي كان من أبرز

---

(١) هو : الشيخ علي عبدالرحمٰن ، كان يعمل قاضيًا شرعيًا في ملكال ، وفيها أسس جمعية إسلامية ، سنة : ١٣٦٧هـ-١٩٤٨م .
د . أحمد عبدالرحيم نصر ، الإدارة البريطانية ، ص : ١٠٩ .

(٢) هو : محمد أمين القرشي ، داعية إسلامي ، عمل متطوعًا لخدمة الإسلام، في مناطق كثيرة ، منها : جنوب السودان ، كما قام بفتح عدد من كتاتيب (الخلاوي) تدريس القرآن الكريم ، في تلك المناطق ، وقد أسلم على يديه عدد كثير من أبناء قبيلة الدنكا .
د . حسن مكي محمد أحمد ، السياسة التعليمية والثقافة العربية في جنوب السودان ، ص : ٣٥ ، ط : شعبة البحوث والنشر، بالمركز الإسلامي الأفريقي ، بالخرطوم ، سنة : ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م .

(٣) د . أحمد عبدالرحيم ، الإدارة البريطانية والتبشير الإسلامي والمسيحي في السودان ، ص : ١١٢ - ١١٣ .

أعضائها ، محمد أمين القرشي ، وعبد المجيد أبو قصيصة . ولكن هذه الهيئة لم تستطع تحقيق أهدافها ؛ للأسباب الآتية :

١- عدم قوة تنظيمها .

٢- اعتمادها على العمل التطوعي .

٣- كبر سن القائمين عليها ، وخلوها من الشباب المسلم النشط .

٤- وجود رئاستها في الخرطوم ، وهي بعيدة عن مكان عملها الرئيس .

٥- نشوب الحروب وعدم الاستقرار.

٦- عدم وضوح الرؤية في العمل.(١)

وقد ظهر بعد هذه الجمعية عدد من الجمعيات الإسلامية ، مثل : جمعيات المؤلفة قلوبهم ، التي انتشرت في عدد من مناطق الجنوب ، إضافة إلى عدد من الجمعيات الأهلية ذات الأهداف المحدودة ، إلا أن هذه الجمعيات على كثرتها كانت تفتقر إلى الاستمرارية ، والتخطيط الدقيق ، والنظرة الكلية ، والدعم السخي.(٢)

وقد أدت الحرب الأهلية إلى تقليص النشاط الدعوي في جنوب السودان ، وازدياد النفوذ التنصيري ؛ ممّا أدى إلى إضعاف اللغة العربية - وبخاصة في الأرياف - ، والتربية الإسلامية ، وهدم المساجد

---

(١) المركز الإسلامي الأفريقي ، السياسة التعليمية والثقافة العربية في جنوب السودان ، ص : ٣٥ ، ط : الخرطوم ، سنة : ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

(٢) السابق ، ص : ٣٦ .

والكتاتيب ، كما أثرت الحرب في التعليم الديني . ففي سنة : ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م : رأت الحكومة أنه من الأنسب نقل الطلاب وتلاميذ المعاهد المقيمين في المديريات الجنوبية إلى معاهد الجزيرة والخرطوم ، وقد تم نقل طلاب معهد جوبا الأوسط والثانوي ، ومعهد مريدي ، وياميو ، وتوريت ، وواو ، وكدوك .(١)

وقد قام مجلس الكنائس العالمي بدعم وفير للمؤسسات التنصيرية في جنوب السودان ، التي تواجه صراعاً قوياً مع الجماعات الإسلامية ، فحشدت كل طاقاتها لإذابة تلك الجماعات ، وبخاصة أنهم يواجهون عدداً من المشكلات التي تعرقل مسيرتهم ، ومنها :

١- افتقارهم إلى الخدمات الصحية والاجتماعية والتعليمية .

٢- عدم توافر القيادة الرشيدة الواعية .

٣- نقص الكتب الدينية ، وارتفاع نسبة الأميين بينهم .

٤- حالة الفقر الشديد التي تحيط بهم .

٥- إهمال الحكومة الإقليمية لهم .

٦- وقوف أعداء الإسلام أمام المعونات التي ترسل إليهم .(٢)

وقد تنبهت حكومة السودان لعدد المنصرين الكبير ، ووجودهم الكثيف في منطقة جنوب السودان ، فأصدرت في سنة : ١٣٨٠هـ-١٩٦١م

---

(١) السابق ، ص : ٣٨ .

(٢) محمد عمر موسى ، النشاط التبشيري الكنسي في جنوب السودان ، ص : ١٩٣ .

عدداً من القرارات ، منهـــا : منع عدد من المنصّرين من العودة إلى السودان بعد انتهاء إجازاتهم ، ثم أصدر المجلس الأعلى للقوات المسلحة في الثالث والعشرين من شهر رمضان ، سنة : ١٣٨١هـ - الموافق : السابـــع والعشرين من فبراير ، سنة : ١٩٦٢م : قراراً أعلن فيه مع وزارة الداخلية طرد جميع المنصرين من جنوب السودان .(١)

وقد كان عدد المنصرين العاملين في السودان في ذلك الوقـــت سبعة عشر وستمائة منصّر ، يقسمون إلى المجموعات الآتية :(٢) انظر : الخريطة رقم (٣١) .

الكنيســـــة	عدد المنصرين العاملين في شمال السودان	عدد المنصرين العاملين في جنوب السودان	المجموع
الكاثولوكيـــــة	٢٣١	٢٧٢	٥٠٣
أبناء فيرونا وميل هيل	١٦	١٥	٣١
جمعية المبشـــرين	٢٤	١٤	٣٨
الإرسالية الأمريكية	—	١٠	١٠
الإرسالية الأمريكية إلى المناطق الداخلية .	١١	٢٤	٣٥
المجمـــوع العـــام	٢٨٢	٣٣٥	٦١٧
عدد الكاثوليك منهم	٢٣١	٢٧٢	٥٠٣
عدد البروتستانت منهم	٥١	٦٣	١١٤

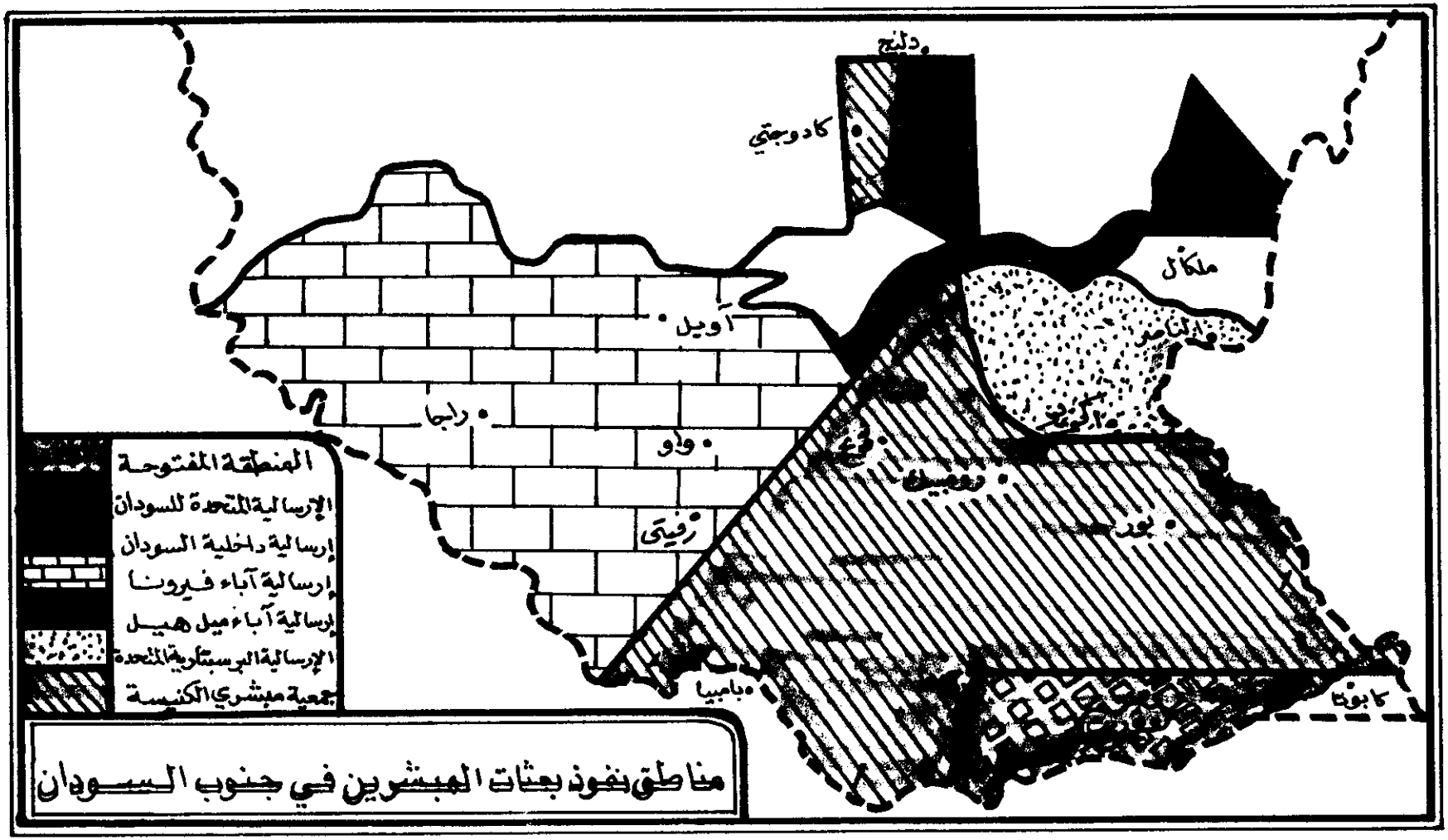
(٣)

(١) Collins R.O., The Sudan, page:53, printed in : London, at:1390 H.-1970 A.D.

(٢) Professor Bashir M.O., The Southern Sudan , Background to conflict, Horst and Co., page:143.

(٣) السابق ، الصفحة نفسها .

خريطـــة رقم (٣١)



د . محمد عبد الغني سعودى ، وآخرون ، مشكلة جنوب السودان ، مركز بحوث الشرق الأوسط ، جامعة عين شمس ،

سنة : ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

وكم سيكون الأمر حسناً لو أن القرار شمل جميع المنصرين ، بدلاً من تخصيص العاملين في الجنوب فقط . وقد أوضحت الحكومة أن سبب هـــذا الطرد هو : تجاوز تلك الهيئات لعملها التنصيري الديني ، إلى السعـــي من أجل تقويض استقرار البلاد ، وإضعاف أمنها الداخلي ، كمـــا عملت على تحريض سكان المديريات الجنوبية على الحكومة ، لتنشر الحقد في قلـــوب أهل الجنوب على أهل الشمال ، متسترة خلف قناع الدين .(١)

وفي مقابل النشاط الضخم الذي بذلته الهيئات الكنسية ، بـــرزت إلى الوجود مجهودات لدفع الحركة الإسلامية ، بعد اتفاقية ، سنة : ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م ، وقد تمثلت هذه المجهودات فيما يأتي :

١- تسجيل هيئة إحياء النشاط الإسلامي ، سنة : ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م .

٢- إنشاء الجمعية الخيرية بالاستوائية ، سنة : ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .

٣- تسجيل مجلس التبشير الإسلامي بالجنوب تحت قانون الجمعيـــات ، في سنة : ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .

٤- ظهور المنظمة الإسلامية للدعوة والتنمية الاجتماعية في أفريقيـــا ، وقد تم تسجيلها من ضمن الهيئات الدينية في شهر جمادى الآخرة ، سنة : ١٤٠٠هـ - الموافق : مايو ، سنة : ١٩٨٠م .

٥- ظهور الهيئة الإسلامية لجنوب السودان .(٢)

---

(١) Professor Beshir M.O. , The Sudan Gross Roads of Africa, Boadley Head, page:36, printed in:London, at:1385 H.- 1965 A.D.

(٢) محمد عمر موسى ، النشاط التبشيري الكنسي ، ص : ١٩٩ .

موقف النشاطات التنصيرية من الوجود الدعوي الإسلامي :

في أوائل الثمانينات شهد النشاط الإسلامي تحركاً فاعلاً ، يتمثل فيما بذلته منظمة الدعوة الإسلامية ، والمركز الإسلامي الأفريقي ، وغيرهما ، وقد أقلق هذا التحرك الكنيسة ، فلجأت إلى النشاط المضاد ، وذلك بتكثيف نشاطها ، لإذابة المؤثرات الإسلامية ، وتوسيع دائرة التنصير.(١)

وتلزمنا الإشارة إلى أن هناك ارتباطاً وثيقاً ، بين مسألة التخلص من الوجود الدعوي الإسلامي بالمديريات الجنوبية ، وبين المخطط العام للكنيسة النصرانية ، ويرمي هذا المخطط إلى محاصرة الإسلام ، بشبكة من الإرساليات النصرانية ، للحد من التقدم الإسلامي داخل أفريقيا.(٢)

وقد أجمعت الإرساليات التنصيرية على وجوب التخلص من الوجود الدعوي الإسلامي ، في الجنوب السوداني الوثني ، تمهيداً لإخلاء الطريق أمام الانتشار النصراني ، حتى تظهر منطقة عازلة بين النفوذ الإسلامي ، فيما وراء شمال السودان المسلم ، وبين النفوذ النصراني الآخذ في النمو ، فيما وراء جنوب السودان الوثني.(٣)

---

(١) السابق ، ص : ١٩٤ .

(٢) د . أحمد عبد الرحيم نصر ، الإدارة البريطانية والتبشير الإسلامي والمسيحي في السودان ، ص : ١١٢ .

(٣) د . إبراهيم عكاشة ، التبشير النصراني في جنوب سودان وادي النيل ، ص : ٩٧ .

دوافع الإرساليات إلى تقويض النشاط الدعوي الإسلامي :

شرعت الأنشطة التنصيرية في التخلص من الوجود الدعوي الإسلامي ، منذ بداية نشأتها في الجنوب السوداني ، وقد ارتبط هذا التخلص بثلاث مسائل ، هي :

الأولى : الصراع بين الحكومة والإرساليات في الشمال :

وقد نشأ هذا الصراع نتيجة للسياسة التي اتبعتها الحكومة في التعامل مع هذه الإرساليات ، وقد بدأ هذا الصراع منذ استخدام جمعية تبشير الكنيسة البريطانية ضغطها الأدبي والشعبي ، في بريطانيا ، سنة : ١٣١٧هـ - ١٨٩٩م ، وانتصارها على اللورد كرومر بالعدول عن سياسته التي تهدف إلى منع التنصير في شمال السودان المسلم ؛ وبخاصة أن سياسة الحكومة تهدف إلى العمل التنصيري الهادئ والتدريجي في البلاد .(١)

وقد لقيت الحملات الإعلامية التي شنتها الإرساليات ، ضد سياسة الحذر ، التي تتبعها حكومة السودان مع المنصرين ، لقيت مساندة من الرأي الأوربي العام ، الذي كان يروعه ما يقرؤه عن تجارة الرقيق ، التي

---

(١) Kook H.D., Christian association , page:126, printed in : London, at:1325 H.- 1907 A.D.

نجحت الإرساليات إلى حد بعيد في ربطها بالإسلام ، وأخذت أصواتهم تنادي بأن يظل جنوب السودان آمناً من عودة تجار الرقيق المسلمين ، وبهذا تحولت الأنظار إلى وجوب محاربة الإسلام في المديريات الجنوبية.(١)

وبهذا البوق نفخ المنصّرون ، حتى تمكنوا من محالفة الحكومة البريطانية ، على محاربة تجار الرقيق ، بشرط نشر الدين النصراني بين الوثنيين ، ثم تحوّل هذا التحالف إلى محاربة للإسلام ، بشرط أن تتكفل الإرساليات بمعاونة الحكومة في مجال الخدمات الاجتماعية في الجنوب ، التي تعجز خزانة الدولة عن تحمّل كل أعبائها.(٢)

الثانية : إعاقة تقدم الإسلام داخل أفريقيا :

شهد العقد الأول من القرن العشرين حركة نشطة لدراسة سبل نشر النصرانية في العالم الإسلامي ، ومواجهة تقدم الإسلام في القارة الأفريقية . وقد عقدت لأجل هذا عدة مؤتمرات عالمية ، منها : مؤتمر التبشير العالمي الذي عقد في القاهرة ، سنة : ١٣٢٤هـ - ١٩٠٦م ، ومؤتمر أدنبرة ، سنة : ١٣٢٨هـ - ١٩١٠م ، وقد كان من أعضائه البارزين الدكتور " واطسون " ، ذو الإسهامات البارزة في هذا المجال ، وقد ورد في تقرير اللجنة : " إن التسابق بين الإسلام والنصرانية في أفريقيا هو الأمر

---

(١) د . إبراهيم عكاشة ، التبشير النصراني ، ص : ١٠٢ .
(٢) د . أحمد عبد الرحيم نصر ، الإدارة البريطانية ، ص : ٤٠- ٤١ .

الذي ينبغي أن تكون له الأولوية على كل ما عداه من القضايا التي تواجه المبشرين".[١]

ولهذا دبّرت خطة تنصيرية على السودان ، وبخاصة جزؤه الجنوبي ، وكوّنت الإرساليات التي تحمل اسم السودان ، مثل : إرسالية شرق السودان التبشيرية ، وإرسالية السودان المتحدة ، وإرسالية السودان الداخلية ، ورابطة السودان[٢] . . . الخ . انظر : الخريطة رقم (٣٢) .

وقد قال الدكتور " كارل كم " أحد المؤسسين البارزين لبعض تلك الإرساليات ، بعد زيارته لجنوب السودان : " إن من أقوى الدوافع التي تحركنا من أوطاننا للعمل في السودان ، هو : الخوف من وقوع الوثنيين في شبكة الإسلام".[٣]

كما عبّر " ويلز " - أستاذ الإلٰهيات - عن مصدر خوف تلك الإرساليات من الإسلام في أفريقيا بقوله : " إن الإسلام يدعو إلى ديانة واضحة المعالم ، سهلة الفهم ، يدعو إلى حياة دينية متساوية في الوضوح والبساطة ، وسهولة الفهم ، وتتمشى مع دعوة الأفريقيين للأفريقيين . . أمّا فيما يتعلق بالنصرانية ، فإنها تبدو عقيدة أجنبية عن القارة ، إضافة إلى أن ممثليها من الأجانب ، الذين ليس لديهم إلا القليل من المعرفة ، ونادراً

---

(١) د . إبراهيم عكاشة ، التبشير النصراني ، ص : ١٠٤ .
(٢) السابق ، الصفحة نفسها .
(٣) السابق ، ص : ١٠٥ .

خريطـــــة رقم (٣٢)



المصدر : د . محمد عبد الغني سعودي وآخرون ، مشكلة جنوب السودان ، مركز بحوث الشرق الأوسط ، جامعة عين شمس ، سنة : ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

ما يتعرفون على وجهة نظر الأفارقة ، والعقيدة التي ينادون بها في غاية الغموض ، والمبادئ التي يصرون عليها ، قليلة في قيمتها العملية ، والشروط التي يضعونها متصلبة ، الأمر الذي لا يجعل النصرانية بديلاً حيوياً للإسلام ".(١)

وبهذا كانت هذه النظرة دافعاً قوياً للنشاط التنصيري ، إلى القضاء على الوجود الإسلامي ، حتى يتمكن لها ما ترمي إليه .

الثالثة : عودة إقليم لادو إلى السودان :

يقع إقليم لادو غربي بحر الجبل ، حتى نهاية الحدود الجنوبية مع أوغندا والكونغو البلجيكي ، وتسكنه قبائل المورو ، والفاجلو ، ونياجوارا ، وكاكوا ، وكاليكو ، وغيرها من القبائل . وقد وصف " أدمين " سكان اللادو ، بأنهم : يمتازون بالذكاء والنشاط ، ويتقدمون في جميع النواحي عن قبائل الدينكا ، والباري ، إذ يميلون إلى التمدن في جميع أمور حياتهم . ويحوي الإقليم مناطق مرتفعة ، ذات طقس جميل ، كالرجاف ، ولوكا ، وياي ، تصلح جميعها أن تكون مراكز تنصيرية حسنة .(٢)

---

(١) G.Wells , Christianghip in Uganda , page:75, printed in : London , at: 1339 H . - 1920 A.D.

(٢) Professor Admin , Mangala Region , The Annual Report, page : 23 , G.S.W., printed in:Khartoum, at:1328 H.- 1910 A.D.

وقد انضم الإقليم إلى السودان ، بعد وفاة الملك " ليوبولد الثاني " ، ملك بلجيكا ، وقد كان قبل هذا تابعاً للكونغو البلجيكية .[١]

ويتمتع الإقليم بموقع مهم على مجرى نهر النيل ، بين غندكرو ونيمولي ، وقد كان هذا الإقليم منذ محاولة اكتشاف منابع النيل عقبة كبرى أمام التقدم التنصيري نحو الجنوب .[٢]

إضافة إلى ما سبق : يعد الإقليم-من وجهة نظر المنصرين - من العناصر المهمة للعمل التنصيري . وقد عبّر عن أهمية هذا الموقع المنصّر " آرنولد " ، الذي كان يعمل في أكوت في جنوب السودان ، بقوله : إن الادارة البريطانية قد وضعت أيدي إرسالية جوردون على موقع ذي أهمية عظمى ، لأنه النافذة التي عن طريقها يمكن جني ثمار أكبر حقل في وسط شرقي أفريقيا .[٣]

ومن منطلق هذه الأهمية سعت هذه الإرساليات إلى محاولة إقصاء الوجود الدعوي الإسلامي ، عن هذه المنطقة ، حتى لا يفصم الحلقة التي يرتبط بها مع هذا الإقليم .

---

(١) السابق ، الصفحة نفسها .
(٢) السابق ، الصفحة نفسها .
(٣) Professor Bashir M.O., The Southern Sudan , Background to Conflict , Horst and Co.,page:79 .

* **تنافس الإرساليتين الإيطالية والبريطانية على مزاحمة الوجود الدعوي الإسلامي ، والسيطرة على الإقليم :**

لقد ركزت الإرساليتان الإيطالية والبريطانية على وجوب السيطرة على إقليم اللادو ، والتخلص من الوجود الإسلامي في هذا الإقليم . وبعد إلحاق الإقليم بمديرية منقلا ، رفع مدير المديرية تلك طلبًا إلى الجمعية البريطانية بسالسبرى ، وضّح فيه : أهمية هذا الإقليم ، ووجوب الإسراع إلى السيطرة عليه قبل قدوم المد الإسلامي ، لكن هذه الجمعية اعتذرت عن القدوم ؛ لأزمة مالية تحيط بها.[1]

ولمّا قررت إحدى الجمعيات التنصيرية تخفيض مخصصات الإرسالية إلى الجنوب ، لقي هذا القرار معارضة قوية ، وقال "شو" - أحد المعارضين لهذا القرار - : " . . . إن الإقليم قد توجهت إليه أعداد من الجنود السودانيين المسلمين ، ومجموعة من التجار المسلمين ، وأخشى هؤلاء ؛ وبخاصة إذا ما استطاعوا تجنيد عدد من الوثنيين في الجيش ، فإنهم قادرون على تحويلهم إلى مسلمين ، كما استطاعوا جعل يوم الجمعة يوم العطلة الرسمية ".[2]

ثم أضاف "شو" في مناسبة أخرى ، قائلاً : " في الوقت الحاضر

---

(١) د . إبراهيم عكاشة ، التبشير النصراني ، ص : ١٠٨ .
(٢) السابق ، الصفحة نفسها .

يمكن الأهالي الوثنيين ، الذين لا يوجد بينهم مسلم ، أن يستنتجوا فقط أن الإسلام هو دين انجلترا ".[١]

وقد دفعت هذه الخطابات ، التي تنادي بالتخلص من الوجود الإسلامي في إقليم اللادو ، دفعت الجمعية البريطانية للتبشير إلى العدول عن قرارها ، والتمسك بشدة بهذا الإقليم ، على الرغم من ظروفها القاسية.[٢]

ولم تكتف هذه الجمعية بقرار الرجوع وحدها ، بل استعانت ببعض الإرساليات ، والمنظمات التنصيرية الإنجليكانية ، لتعمل معها في إقليم اللادو ، كما استعانت - أيضاً - برابطة السودان التبشيرية ، وبإرسالية أفريقيا الداخلية ، وبإرسالية السودان المتحدة ، حتى توافدت إلى هذا الإقليم مجموعة كبيرة من المنصّرين.[٣]

وتشاء إرادة الله - سبحانه وتعالى - أن يعم هذا الإقليم مرض ، أصدرت بعده اللجنة الطبية تعليمات تؤكد خطورة إنشاء مراكز تعليمية تنصيرية ، لئلا يتعرضوا لفتك هذا المرض الخطير . ومع هذا : فإن اللجنة لا تمانع من إنشاء مراكز علاجية تنصيرية.[٤]

---

(١) السابق ، الصفحة نفسها .

(٢) التيجاني عامر ، جنوب السودان ، بحر الغزال بين العصابات والحكومات ، ص : ١٢٤ - ١٢٥ .

(٣) Sudan an Anglo Christian organization, page: 25 , printed in:London , at: 1330 H.-1912 A.D.

(٤) التيجاني عامر ، جنوب السودان ، ص : ١٢٣ - ١٢٥ ، بتصرف .

وبنـــــاء على تلك التعليمات ، صرف المنصرون اهتمامهم عن إقليم اللادو إلى منطقة الدينكا ، ووقع اختيارهم على منطقة " لاو " ؛ لما تتمتع به من موقع متميز ، يصلها بعدد كبير من المناطق .[١]

أمّـــــا إقليم " لادو " : فقد خلا تماماً من جميع المنصريـــــن ، بسبب ذلك المرض ، إلى أن تقدم أسقف الإرساليـــة الإيطالية " جير " ، إلى حاكم السودان " ونجت " بطلب يرغب فيه من الحاكم السماح لإرساليته بالعمل في إقليم اللادو ، وقد تساءل في ختام خطابه هذا قائـــــلاً : " هل من الأفضل أن يصبح جنوب السودان مسلماً أو كاثولوكياً ؟ ".[٢]

وقد تحقق لهذه الإرسالية الإيطالية ما تريد من السيطرة على هذا الإقليم ، لكن المكاسب التي كانت تؤمل من هذا الإقليم لم تتحقق ، فلـــم تكن منافساً قوياً للوجود الدعوي الإسلامي ؛ لهذا رأت أنه من الأجدى لها أن تبحث عن ميادين أرحب ، فمدّت رؤاها إلى: مريدي ، وطمـــــــبرا ، الواقعتين في إقليم الزاندي ، غربي إقليم لادو ؛ إذ كانا في ذلك الوقـــت خاليين من أي نشاط تنصيري .[٣]

وقد سعت هذه الإرسالية الإيطالية إلى استصدار قـــرار من الحاكم العام ، يقضي بضم هذين القسمين إليها ، وبالفعل تحقق لهـــا

---

(١) د . إبراهيم عكاشة ، التبشير النصراني في جنوب سودان وادي النيل ، ص : ١٠٩ - ١١٠ .
(٢) السابق ، ص : ١١٠ .
(٣) السابق ، ص : ١١١ .

هذا القرار . لكن الإرسالية البريطانية لم يرضها هذا القرار ؛ إذ كان من المقرر أن هذين القسمين تابعان لها ، وقد اغتصبتهما الإرسالية الإيطالية ، لكن الأخيرة اتهمت الأولى بعدم الاهتمام بهما ، وتركهما فريسة سائغة للدعوة الإسلامية .(١)

وعلى هذا النحو يظهر التنافس الشديد بينهما ، كل هذا في سبيل الوقوف أمام الوجود الدعوي الإسلامي ، الذي لا يلبث إلا أن يجد نجاحاً مرموقاً أينما حل ، وبأقل جهد ممكن .

* **مذكرة مانلي (١٣٣٤هـ - ١٩١٦م) للتخلص من الوجود الإسلامي في الجنوب :**

أعد مانلي - سكرتير الشئون الأفريقية بالجمعية البريطانية - مذكرة مهمة في شهر ربيع الأول ، سنة : ١٣٣٤هـ - الموافق : يناير ، سنة : ١٩١٦م ، ترسم السياسة التي يجب أن تسير عليها الحملات التنصيرية في جنوب السودان . وتعد هذه المذكرة ممارسة جديدة لسياسة التخلص من الوجود الإسلامي في الجنوب ، الذي يسعى إليه كل منصر هناك .

وقد أكد مانلي في مذكرته على أن انتشار الإسلام ، هو أهم ما يجب التركيز عليه ؛ نظراً للسرعة الكبرى التي يتميز بها ، والمتمثلة

---

(١) السابق ، ص : ١١١ - ١١٢ .

في الأسباب الآتية :

١- انتشار التجار المسلمين .

٢- اختلاط المسلمين بغيرهم ، وما يحدثه هذا الاختلاط من تأثـــر كبير بدين الإسلام ، إلى أن يدخلوا فيه .

٣- كون العربية لغة منتشرة في الجنوب ، وهي لغة القرآن الكريـم دستور الإسلام ، والثقافة الإسلامية .

٤- اختلاط الموظفين والجنود المسلمين بغيرهم .(١)

* **المبادرات التي تقوم بها الإرساليات للتخلص من الوجـود الإسلامي في الجنـــوب :**

لقد رأت الإرساليات التنصيرية أن أساس الوجود الإسلامي يعـــود إلى انتشار التجار المسلمين في الجنوب ، ووجود الجنود المسلمين والموظفين العاملين في المديريات الجنوبية ، إضافة إلى انتشار اللغـة العربية . وقـــد مثل هذا الوجود حلقة اتصال كبرى ، ربطت بين الشمال المسلم ، والجنـوب الوثني ، لهذا سعت تلك الإرساليات إلى تطبيق سياسة تؤدي إلى : التخلص من التجار المسلمين ، والجنود والموظفين المسلمين ، واللغة العربية ، وقـــد(٢) سبق لنـــا الحديث عن هذه السياسة بتفصيل أكثر .

---

(١) Professor Bashir M.O., The Southern Sudan , Background to conflict , Horst and Co. , page : 79 - 84.

(٢) السابق ، ص : ٨٥ .

وقد رأت البعثات التنصيرية : أنه يجب عليها زيادة أنشطتها ، وتكثيف مجهوداتها ، لتقاوم الوجود الإسلامي في تلك المناطق . فبعد اتفاقية " أديس أبابا " ، سنة : ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م ، توافد عدد كبير من المنصّرين على هيئة ظاهرة ، أو على هيئة خبراء أو مختصين.[١]

كما أنشئت في رجب ، سنة : ١٣٩٢هـ - الموافق : سبتمبر ، سنة : ١٩٧٢م ، هيئة نصرانية متخصصة ، هدفها بناء الكنائس ، ومراكز التنصير ، وملحقاتها .

كما شهد مجلس الكنائس العالمي[٢] نشاطاً واضحاً ، تركز في رعاية اللاجئين ، والمشردين ، وفي إقامة البحوث الاجتماعية ، والاقتصادية ، والدينية ، لخدمة أهداف التنصير.[٣]

ومن جهة أخرى : نشطت جمعية الكتاب المقدس ، فقامت بطبع وتوزيع الأناجيل ، إضافة إلى نشر الثقافة النصرانية الأخرى.[٤]

كما تدفقت الجحافل الكنسية من كل حدب ، كالفرقة الطبية الألمانية ، ومساعدات الكنيسة النرويجية ، إضافة إلى وفود أخرى تحمل

---

(١) محمد عمر موسى ، النشاط التبشيري الكنسي في جنوب السودان ، ص : ٦٤ .

(٢) هو : تنظيم نصراني يجمع الكنائس الكاثولوكية ، والأورثوذكسية ، والبروتستانتية ، والإنجيلية ، في مختلف بلاد العالم .
محمد عمر موسى ، النشاط التبشيري الكنسي ، ص : ٩٣- ٩٤ .

(٣) محمد عمر موسى ، النشاط التبشيري الكنسي ، ص : ٩٥ .

(٤) د . إبراهيم عكاشة ، التبشير النصراني ، ص : ١٣٣ ، ١٤٢ .

شعار الإغاثة الإنسانية ، والمساعدات النبيلة ، وهي في حقيقتها خلايا سرطانية كبرى للتنصير[١] .

وقد قامت هيئات التنصير البروتستانتية بأعمال ضخمة ؛ فقامت بفتح المؤسسات التعليمية ، ومعاهد تدريس علم الإلٰهيات ، كما قامت مطبعتها بإفراز عدد كبير من النشرات التي تخدم أهدافها التنصيرية[٢] .

وبات جنوب السودان مليئاً بكثير من الخلايا التنصيرية ، التي قدمت من كل صوب ، ونسلت من كل حدب ، محاولة إيقاف المد الإسلامي ، ومزاحمة الوجود الدعوي المخلص ، حتى إن الوجود التنصيري قد شمل مجموعات من الأرمن ، واليونانيين ، والأقباط ، وغيرهم[٣] . انظر : الخريطة رقم (٣٣) .

ومن يتتبع تحركات تلك الإرساليات ، فسيرى أنهم يقيمون طحقاتهم التنصيرية بجوار المعاهد الإسلامية ، ويقيمون الكنائس بجوار المساجد ، وينشئون كافة الإمكانات الضخمة ، بجوار تلك المرافق الضئيلة ، سعياً منهم إلى صرف الناس عن معتقدهم ، بما يقدمون إليهم من مساعدات ومغريات ضخمة[٤] .

---

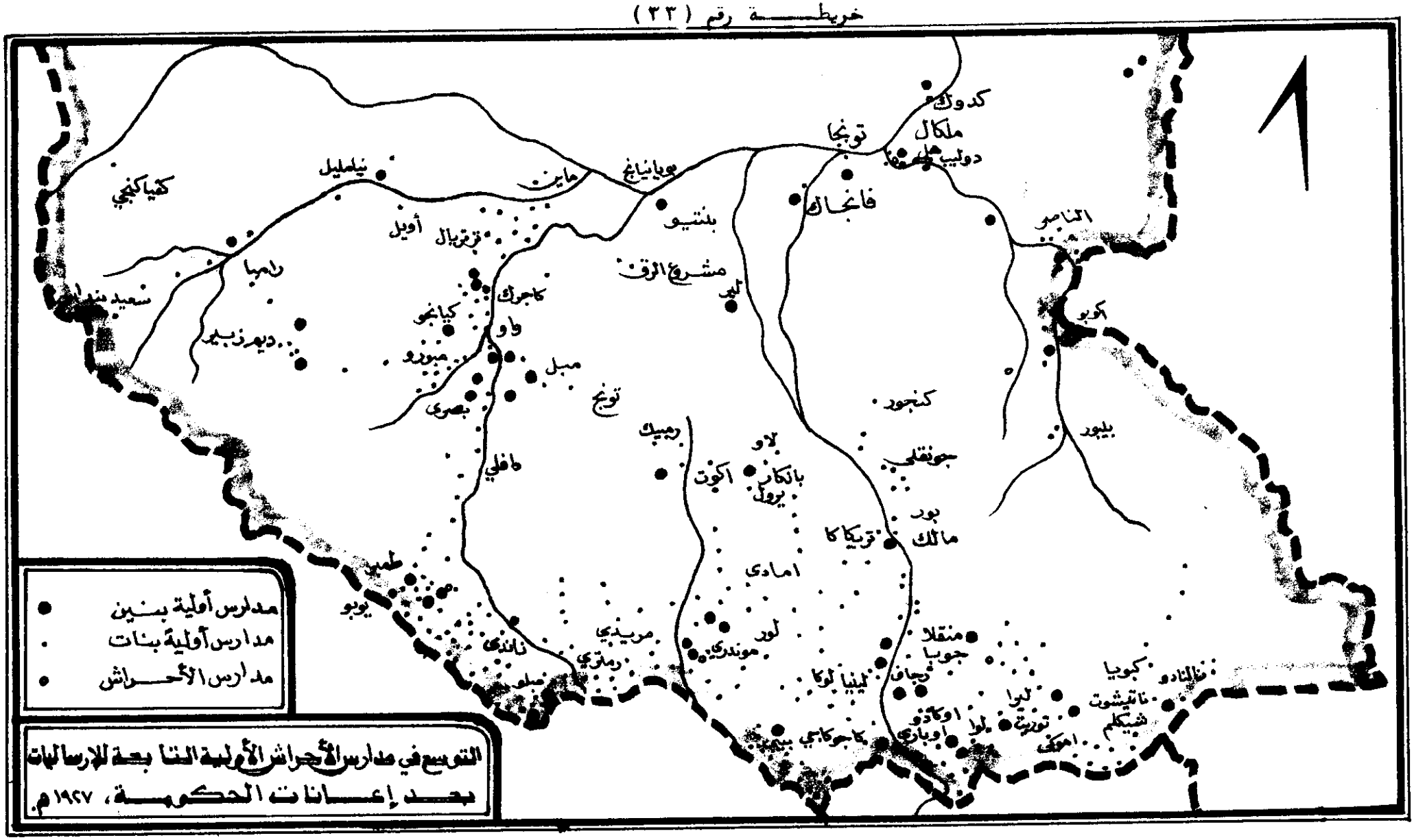
(١) د . حسن مكي محمد أحمد ، التبشير المسيحي في العاصمة المثلثة ، ص : ١٣ ، ط : المطبعة العربية ، بالخرطوم ، سنة : ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

(٢) السابق ، الصفحة نفسها .

(٣) السابق ، ص : ١٤ .

(٤) السابق ، ص : ١٥ .

خريطـــــة رقم (٣٣)



المصدر: د. فيصل محمد موسى، الكنيسة ودورها في السياسة التعليمية في جنوب السودان، تحت الإدارة البريطانية، مجلة "دراسات أفريقية"، ص: ٩٧، المركز الإسلامي الأفريقي، العدد: الأول، رجب، ١٤٠٥هـ - أبريل، ١٩٨٥م.

وقد عمل أولئك المنصّرون على وضع سياسة تمكن لهم في جنوب السودان ، وتطرد من يزاحمهم ، وقد قامت هذه السياسة على :

١- إبعاد المؤثرات العربية والإسلامية عن الجنوب إلى الشمال ، وذلك بعزل الجنوب عزلاً تاماً .

٢- احتكار الكنيسة للتعليم ، والخدمات الصحية في الجنوب .

٣- إيجاد قيادة جنوبية نصرانية متعلمة ، تساعد على طرد الوجود الإسلامي من الجنوب .

٤- صبغ الجنوب بالطابع الكنسي النصراني.[1]

وبعد أن تمكن هؤلاء المنصرون من الانتشار في الجنوب ، شرعوا يفكرون في سبل تكفل لهم دوام البقاء ، إذ قال أحدهم : " إن المعضلة الرئيسة الآن ، هي : كيفية الحفاظ على كيان المجتمعات النصرانية ، عن طريق استحداث وسائل أكثر تطوراً ، تلائم حياة السود ".[2]

ولقد نجحت في هذه المهمة ، فبعد استقرار الأحوال بالجنوب ، وقيام الحكم الذاتي الإقليمي ، مع فتح الباب أمام المؤسسات المختلفة ، التي تهدف إلى النزوح إلى مناطق الجنوب ، بدأوا في إقامة المؤتمرات الكنسية ، التي تدعم الوجود التنصيري ، وتبحث له عن سبل البقاء . ومن هذه المؤتمرات : مؤتمر أكسلسيور الذي عقد في الخرطوم من اليوم

---

(١) محمد عمر موسى ، النشاط التبشيري الكنسي ، ص : ٦٨ .
(٢) السابق ، ص : ٨٤ .

الأول إلى الثالث من شهر صفر ، سنة : ١٣٩٣هـ - الموافق : من الخامس إلى السابع من شهر مارس ، سنة : ١٩٧٣م ، تحت إشراف مجلس الكنائس السوداني ، وقد تمخضت عن توصيات تعمل على زيادة المنظمات والجمعيات المحلية ، لربط القاعدة بالقمة ، ومحاولة الحصول على المزيد من مناطق النفوذ ، قبل مبادرة هيئات الدعوة الإسلامية ، للسيطرة على تلك المناطق[1].

ويعمل على الإغاثة والتوطين عدد من الهيئات ، وهي :

١- مجلس كنائس أستراليا .

٢- هيئة كنائس فنلندا .

٣- كنيسة آيسلندا .

٤- مجلس خدمات الكنيسة العالمي .

٥- الوكالة المركزية لتنمية الخدمات في العالم .

٦- وكالة خدمات الكنائس البروتستانتية .

٧- هيئة الكنائس النرويجية .

٨- الكنيسة الألمانية .

٩- إضافة إلى هيئات أخرى من كينيا ، وملاوي ، وتبسوانا[2].

ونحن إزاء هذا العرض المذهل للوجود التنصيري ، نقف أمام حقيقتين مهمتين :

---

(١) السابق ، ص : ٨٩ - ٩٠ .
(٢) السابق ، ص : ١٦٧ - ١٦٨ .

الأولى: إن هذه المؤسسات التنصيرية الضخمة ، لم تترك في سبيل تحقيق أهدافها باباً إلا طرقته ، ولا مجالاً إلا حلت فيه ، ولا جهاداً إلا عطلت عليه ؛ لتجعل جنوب السودان منطقة غير مسلمة .

الثانية: كان على الوجود الدعوي الإسلامي ، إزاء هذه الحشود الهائلة ، أن يتوقف عن العمل ، يائساً من نجاح مساعيه ، مقابل هذه الإمكانات الهائلة ، أو أن يستمر في عمله ؛ ليزاحم تلك الوفود ، التي تمتلك العدة الضخمة ، والمبدأ الهزيل ، وهو يملك المعتقد الصحيح المنطلق ، حتى ولو قلت إمكاناته المادية ، ودوافعه العددية . ولا شك في أن الثانية كانت حال أولئك الرجال المخلصين ، وقد أثمر عن هذا الصمود اتساع في رقعة الانتشار الإسلامي ، كما هو واضح .

وبعد أن أنهيت هذا الموضوع ، أعرض بعض النتائج ، التي توصلت إليها ، من خلال معالجتي له ، ومنها :

الأولى: إن الوجود الدعوي الإسلامي ، لم تتوقف حركته ، ولم يضمر نشاطه ، أمام الكثافة التنصيرية المتعصبة الحاقدة ، قناعة منه بصدق الأمانة التي يحملها ، وحاجة البشرية إلى الرسالة التي يدافع عنها .

الثانية: إن كثرة الهيئات التنصيرية ، التي تريد صرف الناس عن الدين الإسلامي ، تذكرنا بعهد الإسلام الأول ، عهد الرعيل الأول ،

عندما تكاثفت قوى الشر والبغي والطغيان ؛ لتقضي على هـذا الدين ، ولكن يأبى الله - سبحانه وتعالى - إلا أن يتم نوره ، وهم كارهون ، وبالفعل تحقق وعد الله الصادق في تلك الآونة ، ولن نقنط من تحقيقه في هذه المرحلة الحرجة ، التي تشهد كثافة عددية ، كلها تريد المكر بهذا الدين الحنيف.

الثالثة: إن تسخير النصارى لكل طاقاتهم ، وبذلهم غالي ما يملكونه ؛ إنما هو من أجل إيقاف انتشار الإسلام ، الذي يزلزل عروش مكاسبهم المادية ، وآمالهم الفردية ، التي تريد البطش بسعادة البشرية.

الرابعة: إن في صمود الوجود الإسلامي ، أمام هذا الزحف الهمجي ، عاملاً مهماً من عوامل الحفاظ على انتشار الإسلام ، وحصناً مكيناً لهذا الدين ، فلو سقط ، أو تكاسل ، لحقق حلماً يراود المنصرين ؛ بل كل من يريد خذلان هذا الدين .

الخامسة : إن خوف تلك الإرساليات ، ليس من وفرة إمكانات الوجود الدعوي الإسلامي ؛ إنما هو من كثرة الحيارى ، الذين يبحثون عن هذا النور ، الذي لن يبصروا إلا بألقه ولن يسعدوا إلا في شذاه.

السادسة : لقد أدركت تلك الإرساليات : أن وجود اللغة العربية ، يعني : وجود الإسلام ، وأن التخلص منها هو : بداية للتخلص من الإسلام . ومن أبناء جلدتنا ، وملتنا ، من ينادي بإهمال لغة

القرآن الكريم ، والبحث عن بديل آخر ، وهو : إمّا قاصر غير مدرك ما يقول ، أو حاقد يريد وأد الإسلام في الأفئدة المؤمنة .

السابعة: لقد كان التجار المسلمون خير دعاة لهذا الدين ، لما انغرس في قلوبهم من إيمان مطمئن ، وعقيدة راسخة ، فتحولت هذه العقيدة إلى سلوك عملي ، وتصرف أخلاقي كان خير للإسلام ومبادئه السمحة .

الثامنة : لقد أيقنت تلك الإرساليات بأهمية مجال التعليم ، ورأت في الإمساك بزمامه إمساكاً بأمر مهم ؛ إذ به تمتلك عقولاً غير منطوية على شيء ، وتشكلها على الوجه الذي تريد ، باذلة كل ما لديها من جهد في سبيل ترغيب الناس في الالتحاق بمدارسهم ، التي تمنح شهادات عالية .

التاسعة: استخدمت الإرساليات التنصيرية ، شتى الأساليب الحضارية ؛ لتنفيذ مخططاتهم ، مستغلة الفقر والحرمان ، وسطوة الأسقام ، وقلة الأفهام .

العاشرة : سعت تلك الإرساليات إلى تنفيذ مخططات تؤدي إلى فصل الشمال السوداني عن الجنوب ؛ حتى تضمن عدم زحف المد الإسلامي إلى الجنوب ؛ وذلك بإشاعة الكره والتنافر بين الشماليين والجنوبيين ، ممّا يؤدي إلى نبذهم كل ما يأتي من الشماليين ، ومنه الدين الإسلامي .

الحادية عشرة : كثيراً ما تتخفى الهيئات التنصيرية ، في عباءة المساعدات الإنسانية ، والإغاثة ، والإنقاذ الأخوي ، والوعي الثقافي ، والرعاية الصحية والاجتماعية ؛ لتمد بيوتها ، وتنشر خلاياها ، وإفرازاتها العفنة ، في ظل تلك الشعارات البراقة .

الثانية عشرة : لجأت المؤسسات التنصيرية إلى مزاحمة الوجود الإسلامي بمرافق تفوق مرافقه ، وبهبات وعطايا تتجاوز حدود إمكاناته ، لتحد من تأثيره ، وقلة فاعليته ، مستغنية بهذا عن الصراع والصدام ، الذي لن تربح منه شيئاً .

الثالثة عشرة : لقد سرى التنصير في كافة أشكال الأنشطة العملية في جنوب السودان ، واستخدم الأجهزة الحكومية ، وبعض الهيئات الإسلامية ؛ مستخدماً أمكر الأساليب ، لإحاطة الناس بمبادئهم ، وحمايتهم من تسرب النور المسلم إليهم .

الرابعة عشرة : لقد شهد العمل التنصيري تنافساً كبيراً بين الفئات المتخالفة ، التي اتفقت كلها ، لا على نشر معتقد كل منها ؛ بل على إيقاف انتشار الإسلام ، والإحاطة به ، ويا ليت أبناء الإسلام يعون هذه الحقيقة ، فيتركون التعارك على سفاسف الدنيا ، إلى التنافس في أمور الدعوة الإسلامية .

* * *

ثانياً : استشعار الخلاف بين طوائف إرسالياتهم ، وأهدافهم التربوية :

لقد تعرضت الكنيسة الكاثولوكية [1] ، والبروتستانتية [2] ، لاختلاف كبير في نواحي العقيدة ، والنظرة العامة إلى مفهوم التنصير والغرض منه ، كما يعيش المنصرون المنتسبون إلى هاتين الكنيستين اختلافاً في الأهداف التربوية ، وهذا الاختلاف يؤدي إلى تضارب أنشطتهم ، واختلاف نظراتهم ، وهذا يشغلهم عن النظر فيما قدموا إليه من إيقاف النور الإسلامي ، كما يمهد السبيل أمام النور المسلم ، لينشر ظله على أفياء كثيرة من جنوب السودان .

يرى البروتستانت أن الهدف من التنصير وأنشطته هو : تنصير الجماعات غير النصرانية ، إلا في حالات استثنائية ، فيمتد إلى نشر مذهبه بين المجتمعات الكاثولوكية النصرانية .

---

(١) تسمى الكاثولوكية ، أي : العامة ، لأنها ترى أنها أم الكنائس ومعلمتها ، وأنها وحدها هي التي تستحق نشر النصرانية في العالم ، وتسمى الغربية اللاتينية ، لامتداد نفوذها إلى الغرب اللاتيني : إيطاليا ، فرنسا ، بلجيكا ، أسبانيا ، البرتغال . . . الخ . كما سميت بالبطرسية والرسولية ، لادعائها بأن مؤسسها هو : الرسول بطرس - كبير الحواريين ورئيسهم - ، وباقي البابوات هم خلفاؤه . محمد فؤاد الهاشمي ، الأديان في لغة الزمان ، ص : ٤٤ .

(٢) ظهرت هذه الكنيسة بظهور حركة الإصلاح الديني ، التي قادها الراهب والأستاذ الجامعي " مارتن لوثر " (٨٥٧هـ - ١٤٥٣م / ٩٥٣هـ - ١٥٤٦م) .
دائرة المعارف الأمريكية - المجلد السادس ، ص : ٦٩ .

أمّـــا الكاثوليك ، فيرون : أن الهدف من التنصير هو : إدخـال الذين لا يؤمنون بالكنيسة الكاثولوكية الرومانية بما فيهم النصارى إلى الكنيسة الكاثولوكية .(١)

وقد حـــدث صدع في الكنيسة الكاثولوكية ، قسّمها إلى قسمين :

أ - القسم الذي يضم الأقطار الكاثولوكية .

ب- القسم الذي يشمل البلاد التي تخضع للتنصير .

وقد انتشرت الكنائس الكاثولوكية في أكثر مناطق العالم حضره وريفه ، حتى في أماكن البدو ، وهذا مهّد للفاتيكان إقامة شبكة محكمة تحيـــط بدقائق الأمور المتعلقة بالدول ، سياسياً واجتماعياً وثقافياً ، كمـا مكّنها هـذا من معرفة مواطن القوة والضعف ، ومتى تتدخل ؛ لتكون اليد السيطـــرة والضاربـــة .(٢)

أمّـــا الكنائس البروتستانتية : فقد جعلت الإنجيل المصـــدر الوحيد لمعتقداتها ، وردت جميع الأحكام التي لم ترد فيه . وقد قامت هـذه الكنيسة بإنشاء عدد من الكنائس الخاصة بها ، غير معترفة بكنائس رومـا .(٣)

وقد استقبلت أراضي جنوب السودان إرساليات من تلك الكنائـس،

---

(١) د . إبراهيم عكاشة ، التبشير النصراني في جنوب سودان وادي النيل ، ص : ٢١ .

(٢) السابق ، ص : ٢٣ .

(٣) السابق ، ص : ٢٤ .

التي تشهد اختلافاً كبيراً في المعتقد ، وفي الهدف الذي جاءت من أجلـــه ، وهذا مهّـد السبيل أمام الوجـود الدعوي الإسلامي ، الذي رأى أمامه مأخـذاً كبيراً يجـب عليـه استغلاله من أجـل نشر الإسلام .

وفيمـــا يأتي إشارة إلى هذين التجمعـين التنصيريين ، والخـلاف بينهمـــا :

الجمعيات التنصيرية الكاثولوكية التي تعمل في جنوب السودان :

١- جمعية أفريقيا التنصيرية بفيرونـا :

وقد تحولت إلى طائفة تسمى (أبناء القلب المقدس) ،وهي طائفـــة من الرهبان الكبار، الذين جاءوا ليكرسوا جهودهم من أجل التنصير، وقد أنشئت هذه الجمعية ، سنة : ١٢٨٤هـ - ١٨٦٧م ، ويعـــرف التابعون لها بأبنـاء فيرونـا .[٢] ثم غير هذا الاسم رسميـــاً إلـــى الإرسالية الكاثولوكية الرومانية ، سنة : ١٣٤٣هـ - ١٩٢٥م .[٢]

٢- جمعية سانـت جـوزيـف :

وتعرف باسم(أبناء مل هـل) نسبة إلى مقر إدارة جمعيتهـــا

---

(١) أبناء فيرونا : نسبة إلى مقر إدارتهم بمدينة فيرونا ، بشمال إيطاليـــا . وللجمعية مراكز تدريب للمنصرين في كل من : أمريكا ، أسبانيا ،أثيوبيا ، البرازيل ، انجلترا ، النمسا . . . الخ .
محمد عمر موسى ، النشاط التبشيري الكنسي في جنوب السودان ،ص: ٥٩ .

(٢) السابق ، ص : ٦٩ .

بـ " مل هل " بلندن . وقد بدأت هذه الجمعية عملها في أعالي النيل ، سنة : ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م ، بعد أن قررت الإدارة البريطانية طرد المنصرين الإيطاليين من جنوب السودان.(١)

وقد سعت الكنيسة إلى إنشاء جمعيات تقوم بجمع الأموال التي تمد المنصرين بما يحتاجون إليه من متطلبات الحياة ، ومن مواد ضرورية لأعمال التنصير ، مثل : إنشاء المدارس والكنائس ، وتعرف هذه الجمعيات بالجمعيات المساعدة ، ومن هذه الجمعيات :

١- جمعية ليونز لنشر العقيدة .

٢- جمعية القديس بيتر .

٣- منظمة الطفولة المقدسة .(٢)

الهيئات التنصيرية البروتستانتية :

وقد جاء نشاط هذه الجمعيات سابقاً للإرساليات الكاثولوكية ، ومن أبرز جمعياتها :(٣)

١- الجمعية البريطانية لتنصير أفريقيا والشرق :

وقد تكونت هذه الجمعية في لندن ، سنة : ١٢١٤هـ - ١٧٩٩م . وتعد من أكبر الجمعيات التنصيرية نشاطاً ، وأكثرها تنظيماً ،

---

(١) السابق ، ص : ١٢٢ .
(٢) السابق ، ص : ١٢٥ .
(٣) السابق ، ص : ١٥١ .

بحكم ارتباطها بكنيسة الدولة ، وقد بدأت نشاطها في السـودان ، سنة : ١٣٢٣هـ - ١٩٠٥م .[1]

٢- جمعية أنصار الإنجيل التنصيرية :

أنشئت سنة : ١٣٤٠هـ - ١٩٢٢م ، بعد أن انشقت عن الجمعيـة البريطانية ، لتؤكد ولاءها للمبادئ التقليدية للمذهب الإنجيلي.[2]

٣- إرسالية السودان المتحدة :

أنشئت سنة : ١٣٢٢هـ - ١٩٠٤م بانجلترا ، وقد بدأت نشاطهـا في السودان ، سنة : ١٣٣١هـ - ١٩١٣م .

٤- الإرسالية الأمريكية :

أنشئت في سنة : ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م ، وقد بدأ نشاطها في جنوب السودان ، بعد الفتح مباشرة .[3]

٥- إرسالية أراضي أفريقيا :

ومقرها مدينة " تورينتو " بكندا ، وقد امتد نشاطها من أوغندا وزائـير إلى قبيلة الزاندي المجاورة لتلك الدول في المديرية الاستوائيـة في جنوب السودان .

(١) السابق ، ص : ١٥٢ .
(٢) د . إبراهيم عكاشة ، التبشير النصراني في جنوب سودان وادي النيل ، ص : ٣٤ .
(٣) السابق ، ص : ٣٥ .

٦- إرسالية السودان الداخلية :

أنشئت سنة : ١٢١٠هـ - ١٨٩٣م ؛ للعمل في السودان والحبشة، وفي سنة : ١٣٤٦هـ - ١٩٢٨م : بدأت نشاطها في الحبشة، وبعد أن قرّرت السلطات البريطانية طرد المنصرين البروتستانت بعد غزوها للحبشة ، سنة : ١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م ، أعطتها بديلاً وهو : العمل في مديرية أعالي النيل في جنوب السودان .

٧- جمعية طبع الإنجيل البريطانية :

وهي من المنظمات المساعدة للجمعيات التنصيرية التي تكونت في انجلترا ، سنة : ١٢١٩هـ - ١٨٠٤م ، ومهماتها : طبع وترجمة وتوزيع الإنجيل على النطاق العالمي . كما تقوم بعقد المؤتمرات التي تبحث - بخاصة - في مشكلة تعدد اللجات المحلية في جنوب السودان .

٨- جمعية طبع الإنجيل الأمريكية :

أنشئت سنة : ١٢٣١هـ - ١٨١٦م ، وهدفها إمداد الإرساليات التنصيرية بالكتب والمطبوعات الدينية النصرانية . وقد بذلت جهداً كبيراً في طبع الكتب المدرسية باللهجات المحلية في جنوب السودان (١).

---

(١) السابق ، ص : ٣٥ - ٣٦ .

وهكـــذا اجتمعت كل هذه الجحافل على ما بينهـا من تخالف وتنافر ، فيـــا ترى مـا الذي عطلته إزاء الوجود الدعوي الإسلامي ،الذي يفتقـــر إلى الإمـدادات المالية والبشرية . انظر: الخريطة رقم (٣٤) .

لقد أشارت عدد من الإحصاءات إلى : أن الغالبية العظمـى لسكان الجنوب هم من الوثنيين ، ثم يليهم المسلمون ، ثم يأتي بعدهمـا النصارى ؛ وذلك ما ورد في الكتاب السنوي للتنصير ، سنـــة: ١٤٠١هـ - ١٩٨١ م. الذي يصدره مجلس الكنائس العالمي ، والذي قـرر بصفـــة دقيقة : أن: ٦٥٪ من السكان هم من الوثنيين ، ١٨٪ من المسلمين ، ١٧٪ من النصـارى .(١)

وقد أضافت تلك الدراسات التي يقوم بها مجلس الكنائس العالمي إلى : أن النصارى لم يتفوقوا في العدد على المسلمين ، على الرغم مما لديهم من دعم مادي ، وقوة عددية مؤهلة ، وقد أرجعوا هذا الإخفاق إلى عدد من الأسباب ، التي منهـا :

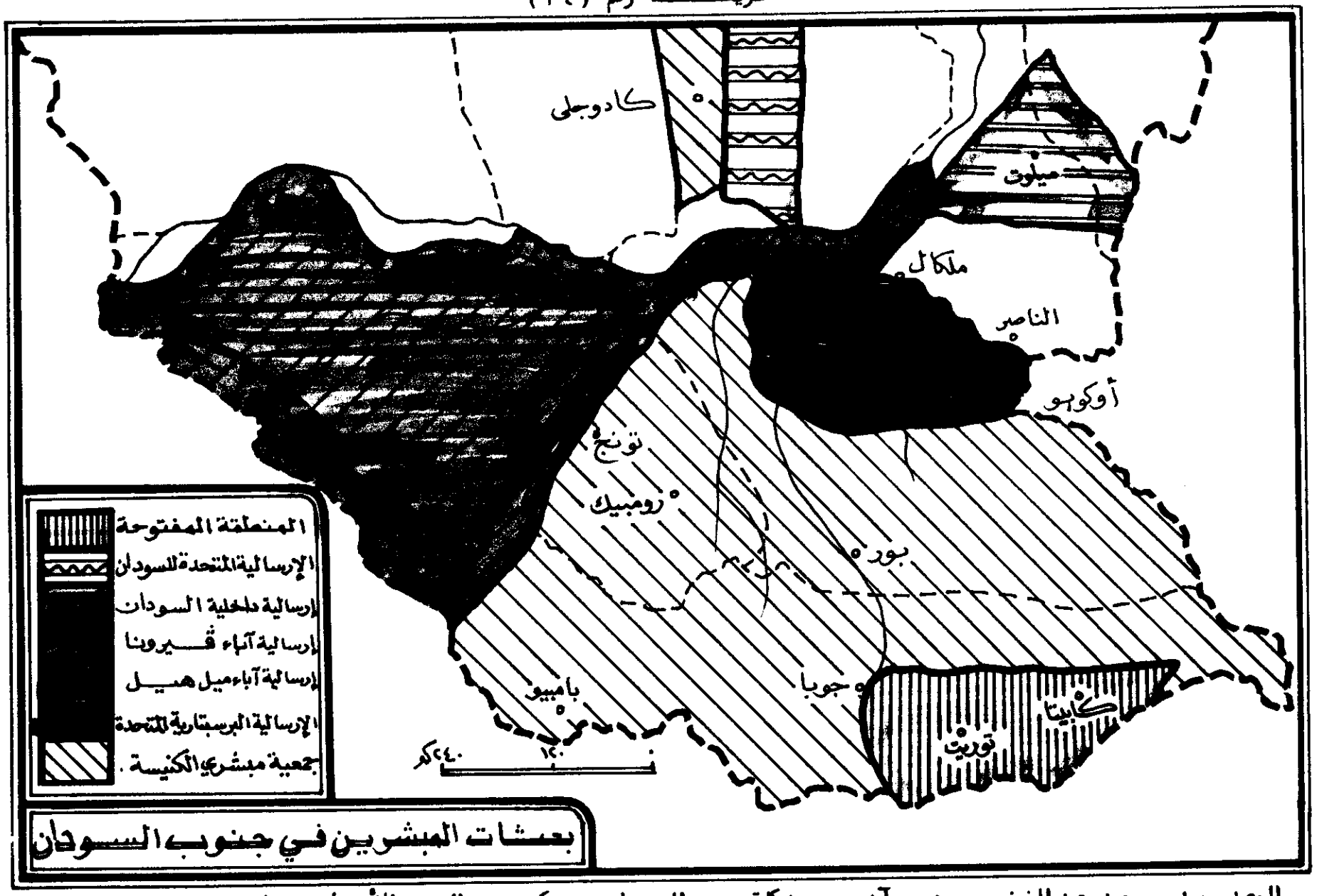
أولاً : ما يعانون هم منه ، من قلق الروح ، وانفصام العقلية ؛ نتيجة الإحســاس بالتجـاذب المفـرط بين الآليـة القبليـــة ، ومدركات النصرانيـة .(٢)

---

(١) وجهة نظر الجبهة القومية ، مسألة جنوب السودان ، مجلة (السياسة الدولية) ، العدد : ٩١ ، ص : ١٥٢ .

(٢) محمد أبو زهرة ، محاضرات في النصرانية ، ص : ١٧٩ .

خريطـــــة رقم (٣٤)



المصدر: د. محمد عبد الغني سعودي وآخرون، مشكلة جنوب السودان، مركز بحوث الشرق الأوسط، جامعة عين شمس، سنة: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

ثانياً : الانقسامات الكبرى بين الكنائس النصرانية الكاثولوكية منهـــا والبروتستانتية ، إضافة إلى الحرب الباردة بين البروتستانت والرومان الكاثوليك .

ثالثاً : مشكلة تعدد الزوجات التي تحاربها الكاثولوكية ، ولم تستطع أن تمنع رعاياها في الجنوب من الوقوع فيها ؛ إذ إن ٥٠٪ منهم قد عدّد زوجاته ، وهذا اضطر الكنيسة إلى عدم حرمان أولئك الرجال من عضويتها ، لكنها لا تعدهم أعضاء مؤهلين لأعمال القساوسة.[١] انظر : الخريطة رقم ٣٥ .

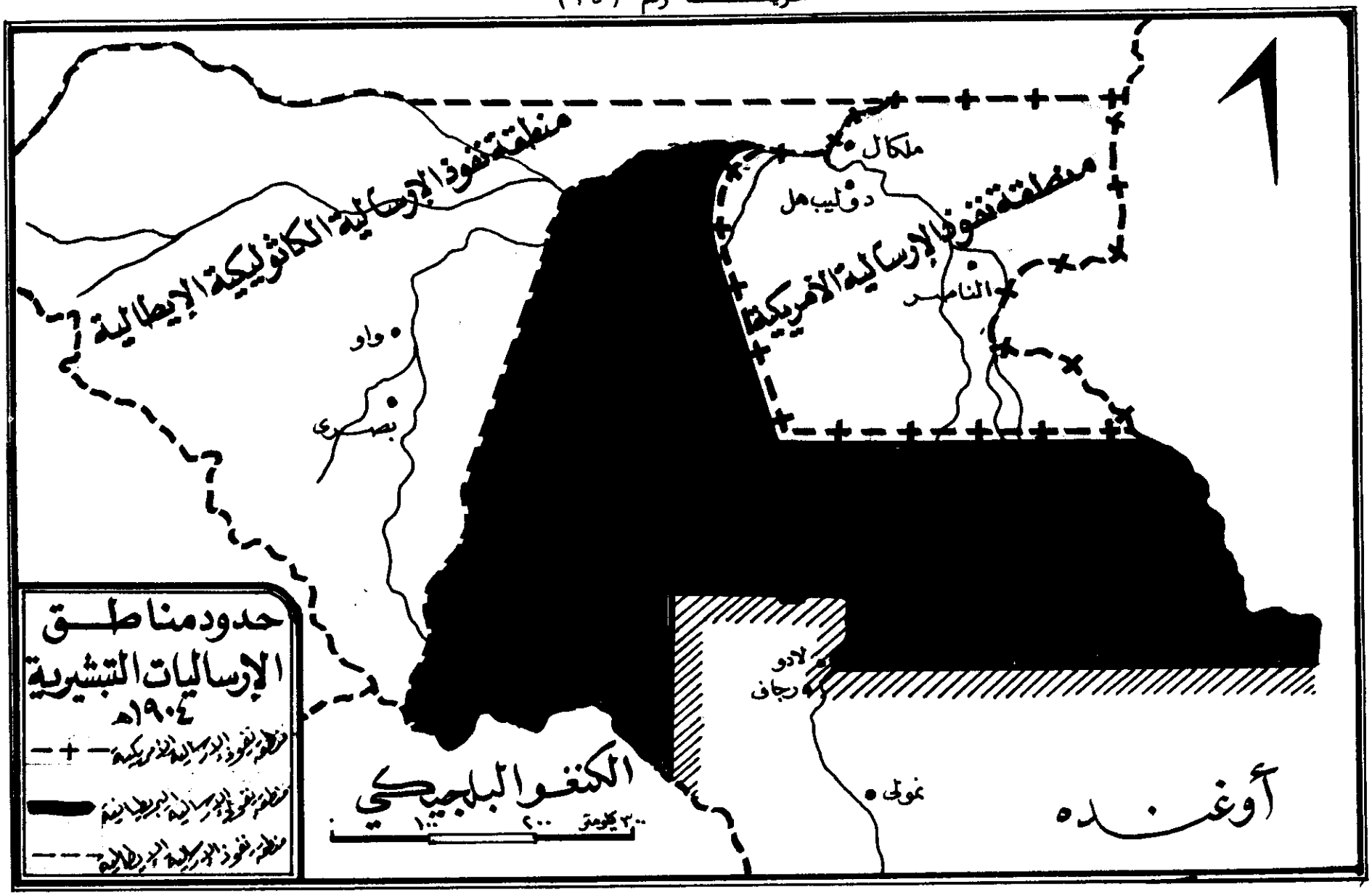
وهذه القضية - عدم تعدد الزوجات - أدت إلى إعاقة النصرانية من الانتشار في المجتمعات الجنوبية ، وهذا زاد من حسرتها ؛ وبخاصة عندما ترى سرعة انتشار الدين الإسلامي عن طريق المصاهرة.[٢]

رابعاً : عدم الاهتمام بالدين ، وهي مشكلة كبرى تواجه الكنيسة ؛ فهي ترى من أفرادها انغماسهم في الأمور الدنيوية ، واهتمامهم بالحصول على المناصب السياسية ، غير مبالين بديانتهم ، وتعاليمها التي تحد من تحركاتهم ، وتقصر دون طموحاتهم.[٣]

---

(١) محمد عمر موسى ، النشاط التبشيري الكنسي في جنوب السودان ، ص : ٢١٥ .
(٢) السابق ، الصفحة نفسها .
(٣) السابق ، ص : ٢١٦ .

خريطـــــة رقم (٣٥)



المصدر: فيصل محمد موسى ، الكنيسة ودورها في السياسة التعليمية في جنوب السودان ، تحت الإدارة البريطانية ، مجلة " دراسات أفريقية " ، ص : ٩٨ ، الخرطوم ، العدد : الأول ، رجب ، سنة : ١٤٠٥هـ - أبريل ، سنة : ١٩٨٥م.

خامساً : مشكلة عدم وجود من يستحق القيام بالتنصير ، بصدق وإخلاص ؛ لأن الكنيسة تشهد عجزاً عن تأهيل القساوسة المحليين والإداريين والمتعلمين في الكليات الإلٰهية ، وهذا يحد من أنشطتهم المكثفة.(١)

سادساً : عدم استمرار روح الدين النصراني بين الشيوخ ، وزعماء القبائل ؛ لأن معظم مواد النشاط التنصيري برامج شبابية ؛ إذ إن أكثر من ٦٠٪ من رواد الكنيسة من الشباب.(٢)

سابعاً : تتحالف الكنيسة السودانية مع قوة أجنبية كبرى ، وهذا يلزمها بالتبعية لتلك القوة ، وهذا مصدر ضعف لها ، لا مصدر قوة، مثل تلك الحركة ؛ لأن القوى الأجنبية تعمل وفق حسابات مدروسة ، تعرف بمقتضاها الأوقات الملائمة للدعم من عدمه ، وهذا ما فشلت في استيعابه قيادة الكنيسة السودانية.(٣)

ثامناً : إن الدول والمؤسسات العالمية - مهما عظم تأثيرها الدولي - تظل تصرفاتها - في الساحة الدولية - محكومة بالأعراف ، والسياسات الدولية التي تحد من دعمها للكنيسة ، مثل : سياسة عدم التدخل في الشئون الداخلية لأي دولة .

---

(١) السابق ، الصفحة نفسها .
(٢) السابق ، ص : ٢١٨ .
(٣) السابق ، ص : ٢١٩ .

إن كل ما تقدم هو : من عوامل هدم النشاط الكنسي التنصيري . وهذه العوامل السابقة : يمكن استغلالها أحسن استغلال ، كما يمكن استثمار الخلاف بين تلك الإرساليات ، وذلك بكشف مخططاتهم ، وفضح أسلوب تعاملهم ، وتبيين أهدافهم الماكرة ، وفي هذا دعم كبير لنشاط الدعاة المسلمين المتمثل في : المنظمات والهيئات والجمعيات الإسلامية .

وبعد هذا العرض ، أخلص إلى النتائج الآتية :

الأولى : إن كثرة الإرساليات التنصيرية ، والجحافل المحفلية ، يوحي بالرغبة الأكيدة ، والتصميم العظيم الهادف إلى تنصير أبناء الجنوب السوداني ، ثم تنصير كل أبناء أفريقيا ، والوقوف أمام انتشار الدين الإسلامي ، الذي يحاصر قلوبهم ، ويحيطهم بسياج من الرهبة الخائنة ، ويزلزل عروشهم المكدسة بأموال أولئك الفقراء المسخرة لِلذّات لاهية ، وشهوات محرمة .

الثانية : إن هذه الكثرة الهائلة من الإرساليات التنصيرية تعيش خلافاً جذرياً ، وفرقة أكيدة ، لكنها تغالب هذا الحاضر البائس بمستقبل مشرق بوجودها العظيم ، وسيطرة سلطانها على كل ذرات العالم .

الثالثة : إن ذلك الخلاف النصراني ناشئ عن ارتجالية معتقداتهم ، وبطلانها الأكيد ، وانحراف كتبهم عن سواء السبيل ، وكذلك يصير كل منهاج ينحرف عن مرشده ، وخالقه .

الرابعة: لقد صورت تلك الجحافل التنصيرية قلقاً روحياً ، يتيه في صحرائه كثير من أولئك المنصرين ، وما ذلك القلق إلا بسبب شعورهم بزيف معتقداتهم ، ووجودهم في الجانب البعيد عن صواب الطريق .

الخامسة: إن تلك الإرساليات الضخمة ، والخطط المدروسة ، والمنشآت المقامة ، لم تحقق الأمل المنشود ، والمطمح الكبير ؛ إذ لا يزال النشاط الإسلامي - على قلة موارده المادية والبشرية - متفوقاً على كل نشاط يقومون به .

السادسة: لقد حرص المنصرون على الإمساك بزمام التعليم ؛ ليقيموا لهم كنائس في صدور أولئك الأطفال السذج ، ولينشروا أهدافهم التربوية ، التي تسعى إلى تنصير كل فرد ليس من النصرانية .

السابعة: شهدت المدارس التابعة لتلك الإرساليات التنصيرية ، اختلافاً كبيراً بين مناهجها التعليمية ؛ وذلك عائد إلى الخلاف الكبير بين أهدافهم التربوية .

الثامنة: إن في استغلال ذلك الخلاف بين الإرساليات التنصيرية دعماً للنشاط الإسلامي ، ومعوقاً كبيراً للتحرك النصراني . كما أن على القائمين على النشاط الإسلامي في الجنوب أن يفكروا في سبل تمكنهم من استغلال هذا الخلاف الشاسع في سبيل خدمة الدعوة الإسلامية ، والحد من هذا النشاط المتزايد .

التاسعة : إن قلوب أولئك المنصرين أماكن سهلة لورود الدين الإسلامي إليها ، وبخاصة أنها تعيش معاناة حقيقية ، وقد جف الورد فيها ، وصارت ظامئة ، إلى الينبوع الصافي ، إلى الدين الإسلامي .

العاشرة : لقد دعت تعاليم الشريعة الإسلامية إلى : تكثير أبناء الإسلام ، وإشباع الرغبة البشرية عن طريق سن تعدد الزوجات ، وهي بهذا تخالف السياسة التي اتبعتها النصرانية ، التي تدعو إلى ضد هذا ، غير متبينة عواقب هذا العمل على الفرد النصراني ، أو على رجال الدين لديهم ، من شيوع للرذيلة ، وهتك للفضيلة ، وتحطيم لقدوة رجل الدين ، وصاحب كرسي الاعترافات .

الحادية عشرة : متى ما تعمق الدين الإسلامي في قلب المؤمن ، صار أهلاً لأن يكون داعية إلى هذا الدين البين الواضح . خلافاً للمنصرين ، الذين يجب عليهم الإلمام بكتب كثيرة ، والترقي في مناصب عدة ، أوجدتها مطكة الدجل ، وحب الخرافات .

الثانية عشرة : إلى جانب الخلاف الكبير الذي شهده العمل التنصيري ، والتفرق الذي صدر عنه ، تميّز العمل الإسلامي بالتماسك والثبات ، والتعاون والإخاء ، لأن المنطلق الذي انطلق منه جلي المبادئ ، واضح التعاليم ، يوافق الفطرة السوية ، والعقل الحكيم .

* * *

المبحث الثاني

العوامل المساعدة

وفيه أربعة مطالب ، هي :

المطلب الأول : علاقة الجنوب بالحكومة المركزية

المطلب الثاني : الوضع الديني

المطلب الثالث : التجار المسلمون

المطلب الرابع : الوكالة الإسلامية الأفريقية للإغاثة

المبحث الثاني

العوامل المساعدة

مدخل :

إلى جانب العوامل السابقة ، التي أسهمت في نشر الإسلام بصورة مباشرة في الجنوب ، برزت عوامل أخرى ساعدت العمل المبذول ، من أجل نشر الإسلام في الجنوب ، وفي هذا المبحث أتناول هذه العوامل المساعدة بالدراسة ، وإلقاء الضوء ، مقسماً إيّاها إلى أربعة مطالب ، تناولت في أولها علاقة الجنوب بالحكومة ، وما أثمرت به هذه العلاقة من تنظيم لنشاط الدعوة الإسلامية ، وحد لتكاثر الأنشطة التنصيرية ، ثم فيما طرحته الحكومة من حلول لمشكلة الجنوب .

وفي المطلب الثاني : تحدثت عن الوضع الديني لسكان الجنوب ، وتأثير هذا الوضع في انتشار الإسلام ، لوجود بعض المسلمين من أبناء الجنوب ، أو لوجود وثنيين يتقبلون هذا الدين ، ويفضلونه على غيره ، لأنه ارتداد إلى الفطرة السوية ، والخلق القيم .. أمّا ثالث المطالب : فقد تحدثت فيه عن عامل مهم من عوامل انتشار الإسلام ، وهو التجار المسلمون ، وذلك بما تمثل فيهم من خلق إسلامي نبيل ، أمّا رابع المطالب ، فهو : الوكالة الأفريقية للإغاثة ، وما بذلته من جهود لخدمة الإسلام وأهله .

المطلب الأول

علاقة الجنوب بالحكومة المركزية

ويشمل:

أولاً.. : تنظيم الدعوة الإسلامية، ودعمها

ثانيًا: الحد من النشاط التنصيري

ثالثًا: حل مشكلة الجنوب

المطلب الأول

علاقة الجنوب بالحكومة المركزية

مدخل :

لقد حرص الحكم الإنجليزي للسودان ، على أن يقسّم السودان إلى شمال وجنوب ؛ فقاموا بوضع خطط تنموية غير متكافئه بين شقي البلاد في الشمال والجنوب ، كما سعت تلك الحكومة إلى بذر الشقاق والتفرقة في قلوب أهل الجنوب ، وأخذت تعمل على إذكاء روح الفتنة وتأجيج نيران الكراهية ، وبث الدعايات المغرضة ، التي تصف الشماليين بسماسرة البشر في الوقت الذي كانت تمارس فيه تجارة الرقيق في كل أنحاء العالم .(١)

وفي عهد الحكم الثنائي ذي السيطرة الإنجليزية ، عملوا على فصل الجنوب عن الشمال ، واتخذوا في هذا المجال أهم خطوة ، وهي : حصر أمور الجنوب داخل حدوده ؛ وذلك في سنة : ١٣٣٥هـ - ١٩١٧م، عندما شكلت قوة عسكرية محلية ، أطلق عليها اسم : الفرقة الاستوائية ، وأبعدت الحامية الشمالية ، التي كانت تمثل رابطة قوية بين الشمال والجنوب .(٢)

وبذلك أصبحت القوة الاستوائية القوة الوحيدة العسكرية الدائمة في جنوب السودان ، حتى وقوع حركة العصيان في شهر ، ذي الحجة ،

---

(١) علي حسن عبدالله ، الحكم والإدارة في السودان ، ص : ١٧٦ .

(٢) Professor Bashir M.O., Southern Sudan , Background to conflict, Horst and Co., page: 80.

سنة : ١٣٧٤هـ - أغسطس ، سنة : ١٩٥٥م. وكانت هذه الحركة بتحريض من بعض الجهات الأجنبية التي قامت بدعمها مالياً .(١)

وعندما أعلنت في شهر صفر ، سنة : ١٣٧٤هـ - أكتوبر ، سنة : ١٩٥٤م نتائج أعمال لجنة السودنة ، تحولت الشكوك إلى عداء صريح ؛ لأن اللجنة قرّرت أن تجري التعيينات والترقيات على أسس الأقدمية والخبرة . . ولمّا كان الجنوبيون يفتقرون إلى ذلك فإن أعمال السودنة لم تحدث في أوضاعهم تغييراً ؛ إذ عين أربعة منهم فقط في منصب مساعد المأمور ، واثنان فقط في منصب المأمور . وقد أحدث هذا خيبة أمل عنيفة بين الجنوبيين ؛ وبخاصة المتعلمون منهم ، الذين ظنوا أنهم يعيشون الآن احتلالاً شمالياً خلف الاحتلال الإنجليزي ، كما رأوا فيه نقضاً للوعود التي قطعها رئيس الحزب الوطني الاتحادي : بأن تكون الأولية في التعيين في الجنوب لأبناء الجنوب ؛ بل تتعداها إلى التعيين في الجنوب ، وفي مناصب رئيسة في الحكومة المركزية .(٢)

وبهذا العمل خسرت الحكومة المركزية صداقة الفئة المثقفة من أبناء الجنوب ؛ بل إن الأميين بدأوا يعادون السلطات الشمالية ، وينظرون إلى الإداريين من أبناء الشمال بعين الكراهية .(٣)

---

(١) Collins R.O., The Southern Sudan , page: 27.

(٢) Professor Bashir M.O., The Southern Sudan,Background to conflict, Horst and Co.,page: 129.

(٣) السابق ، ص : ١٣٠ .

خـــلال هذه الفترة الحرجة كان الوعي السياسي في الجنـــــوب يزداد ، نتيجة للتطور السياسي والاقتصادي والتعليمي ، فشكلت في جوبـــا سنة : ١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م حزب الأحرار الجنوبي ، كما شكلت لجنـــــة سياسية برئاسة "بـــول لوجالي" ، وبدأ التنظيم السياسي ينمـو ويزدهـــر تحت قيادة الجنوبيين . وهذا زاد في اقتناع الجنوبيين بأن مصالحهـــــم الإقليمية أهم من ارتباطهم بالسودان الشمالي.(١)

وبلغت الأحداث ذروتها عندما تمردت القوة الاستوائية في سنة : ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م - كما أسلفنا - الذي أدى إلى مقتل مائتين وستة عشر رجلاً من أبناء الشمال ، وخمس وسبعين رجلاً من أبناء الجنوب . ولم يكـــن السبب الحقيقي لهذا التمرد سوء تصرف الشمال مع الجنوب فقط ، بل اليد البريطانية قد أسهمت في تحريكه ، إضافة إلى زمرة المنصّرين الجنوبيـــين.(٢)

وقد وافقت الحكومة المركزية على دراسة مشروع ، لإقامة اتحـــــاد فيدرالي في السودان ، مع إعلان الاستقلال في : ١٨ من شهر جمادى الأولى ، سنة : ١٣٧٥هـ - الموافق : ١ يناير ، سنة : ١٩٥٦م ، وبهذا الوعد سكنت المخاوف والشكوك في قلوب أهل الجنوب الذين كانوا يؤملون من هـــــذا الاتحاد إيجاد وضع خاص للجنوب داخل الدولة الموحدة ، وقد عمّ الارتياح

1- Collins R.O., The Southern Sudan , page:130-131.
2- Professor Bashir M.O., The Southern Sudan,Background to conflict, Horst and Co., page:158.

الجميع ، إلا فئة ضئيلة كانت تنادي بالانفصال التام.[١]

وفي شهر جمادى الأولى، سنة : ١٣٧٥هـ - الموافق : يناير ، سنة : ١٩٥٦م : أعلنت السودان وحدة مستقلة احتفل بها كل السودانيين ، كما احتفل الجنوبيون بالفيدرالية ، التي تحوّلت إلى وهم لا وجود له ، وسراب لا حياة فيه.[٢]

وسعياً من الحكومة لتهدئة الوضع في الجنوب ، قرّرت في شهر ذي الحجة ، سنة : ١٣٧٥هـ - الموافق : يوليو ، سنة : ١٩٥٦م : إنشاء إدارة خاصة بالمناطق المتخلفة تضم الجنوب وجبال النوبة ؛ لتعجل بنهوض تلك المناطق ، ولتقدم بشغل المناصب الجنوبية بأبناء الجنوب ؛ وبخاصة المناصب العليا ؛ لتعطي الجنوبيين نصيباً كبيراً في إدارة شئونهم المحلية.[٣]

وفي ٦ من شهر جمادى الأولى ، سنة : ١٣٧٨هـ - الموافق : ١٧ نوفمبر سنة : ١٩٥٨م : استولى الجيش على الحكم . وقد سعى قادة هذا الحكم الجديد إلى توحيد شمال البلاد بجنوبها ؛ فقاموا بإدخال اللغة العربية والدين الإسلامي إلى الجنوب ، وتم تأسيس عدد من الكتاتيب فيه ، كما عين كثير من الوعاظ فيه ، وتم افتتاح ست مدارس إسلامية في كل من :

---

(١) السابق ، ص : ١٥٨ - ١٥٩ .

(٢) بونا مالوال ، حول جذور الصراع الراهن في جنوب السودان ، مجلة (السياسة الدولة) ، العدد : ٩١ ، ص : ٨١ .

(٣) Professor Bashir M.O., The Southern Sudan , Background to conflict , Horst and Co., page : 131 - 132.

جوبا ، كدوك ، واو ، مريدي ، راجا ، ياي ، كما تم فتح معهد إسلامي في جوبا ، وإقامة مراكز للوعظ والإرشاد الديني .[١]

كما فرضت الحكومة العسكرية في سنة : ١٣٨١هـ - ١٩٦١م قيوداً على المنصرين الموجودين في جنوب السودان ، ومنعت المنصرين المجازين من العودة إلى السودان ، بعد انتهاء إجازاتهم . ثم قرّر المجلس الأعلى للقوات المسلحة سنة : ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م طرد المنصرين الأجانب من جنوب السودان ، الذين بلغ عددهم ستمائة وسبعة عشر منصرًا ، ينتمون إلى عدة إرساليات .[٢]

ولم يرض هذا الوضع النصارى من أبناء الجنوب ، فغادرت البلاد فئات كثيرة منهم ، وما لبثوا أن نظموا صفوفهم ، فشكلوا رابطة السودان المسيحية ، والاتحاد الوطني للمناطق المغلقة بالسودان الأفريقي ، الذي عرف فيما بعد باسم : " سانو " . فقام هذان الحزبان بالمعارضة للحكومة ، مستمدين من الجهات الكنسية الدعم المادي والمعنوي .[٣]

وفي سنة : ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣ م : ظهرت في الجنوب جمعية " أنيانا "[٤]

---

(١) جمهورية السودان الديمقراطية ، حقائق أساسية عن جنوب السودان ، ص : ٧٩ ، ط : الخرطوم ، سنة : ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م .

(٢) Collins R.O., The Southern Soudan , page: 53.

(٣) Professor Bashir M.O., The Southern Soudan, Background to conflict , Horst and Co., page:145.

(٤) الأنيانا : كلمة تعني : ثعبان الكوبرا . . وقد اتخذت هذه الجماعة شعارها : " بالعنف نحصل على النصر " .

الإرهابية ، المكونة من بعض جنود القوة الاستوائية السابقة ، ومن بعض خريجي السجون في الجنوب . وقد كانت هذه الجمعية تعبيراً عن مرحلة جديدة في قضية الجنوب تتميز بالسخط العظيم من أبناء الجنوب على الحكومة المركزية.(١)

وازداد العنف بين الجانبين : الحكومة العسكرية من جهة ، ونشاط المتمردين بقيادة الأنيانا من جهة أخرى ؛ ممّا أدى إلى مقتل كثير من الأبرياء ، وإحراق كثير من القرى بأكملها ، وزيادة عدد اللاجئين المشردين ، والضعف الاقتصادي الكبير للدولة ، وهذا جعل الأحزاب السياسية في الشمال تفكر في إنهاء الحكم العسكري في البلاد.(٢)

بعد سقوط ذلك الحكم العسكري : أعلنت الحكومة الجديدة العفو التام عن جميع المتمردين والهاربين ، ودعت إلى عقد مؤتمر الدائرة المستديرة في الخرطوم ، سنة : ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م ، لحل مشكلة الجنوب.(٣)

وفي سنة : ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م : فوضت حركة تحرير جنوب السودان بالتوقيع على اتفاقية أديس أبابا ، وهذا أعطى الجنوب حكماً ذاتياً إقليمياً ،

---

(١) Collins R.O., The Southern Soudan , page: 55.

(٢) Professor Bashir M.O., The Southern Sudan , Background to conflict , Horst and Co., page: 148 .

(٣) جمال عبدالجواد ، الثقافة والهوية ونظام الحكم ، الصراع حول مستقبل السودان ، مجلة (السياسة الدولية) ، العدد : ٩١ ، ص : ١١١ .

في إطار السودان الموحد . وبهذا هدأت الأوضاع ، وتخلت الحركة عن الانفصال .[١]

ولعل هذا الهدوء قد أعطى الحكومة درساً في أن محاولات اللجوء إلى الدمج القسري فاشلة ، كما أن محاولات الانفصال التام فاشلة أيضاً . لهذا لجأت الحكومة إلى مشروعات تقوم على التسليم لجنوب السودان بوضع خاص متميز في إطار السودان الموحد .[٢]

وقد برزت أمام هذا العمل مشكلة تمثلت في صعوبة فصل هذه المشروعات عن سياقها الاجتماعي والسياسي والثقافي العام ، أي : عن التصور العام لمستقبل السودان .[٣]

ولا يفوتنا أن نشير إلى أن قيام الحرب بين الشمال والجنوب قد أدى إلى تقويض إمكان تنمية الجنوب بسبب تدميرها لأكبر مشروعين هناك ، وهما :

١- <u>مشروع قناة جونقلي</u>:

الذي يهدف إلى الاستفادة من المياه الضائعة أمام السدود ، وفي المستنقعات ، فبهذا المشروع يمكن تحقيق زيادة في المياه تقدر بعشرين مليون متر مكعب ، ويمكن استغلالها في ري ما بين

---

(١) السابق ، ص : ١١١ .
(٢) السابق ، الصفحة نفسها .
(٣) السابق ، ص : ١١٢ .

ثلاثة إلى أربعة ملايين فدان في أراضي وسط السودان ، وأراضي ماثلة في مصر ، إضافة إلى ري حوالي أربعة ملايين فدان في الجنوب .

٢- مشروع إنتاج البترول :

لقد كان من المؤكد أن حقل الوحدة في الجنوب سينتج خمسين ألف برميل يومياً ، وكان ينتظر هذا الإنتاج ، وما سيعود به من أرباح ضخمة تسد عجز الميزان التجاري للدولة ، وقد تم مد خط أنابيب من بنيتو في بحر الغزال ، حتى بور سودان ، غير أن المشروع توقف في شهر جمادى الأولى سنة : ١٤٠٤هـ - الموافق : فبراير ، سنة : ١٩٨٤م ؛ بسبب اندلاع الحرب[1] .

---

(١) هموم سودانية في شتاء ساخن ، مجلة (السياسة الدولية) ، العدد : ٩٤ ، ص : ١٢٤ ، الصادر في : ٢٦ جمادى الأولى ، سنة : ١٤٠٩هـ - الموافق : ٣ يناير ، سنة : ١٩٨٩م.

أولاً

تنظيم الدعوة الإسلامية، ودعمها

أولاً : تنظيم الدعوة الإسلامية ودعمها :

ينبغي عليّ قبل البدء في هذا الموضوع أن أشير إلى نقاط ثلاث ، لها من الأهمية الخطوة الكبرى . الأولى : أشير فيها إلى أهمية أي دعم تبذله الحكومة لنشر الإسلام ؛ فإن أي نشاط دعوي إسلامي لا يكون له التأثير الواسع ، والانتشار الكبير إلا إذا كان مدعوماً من سلطة كبرى ، ولننظر إلى أكثر الحركات الإصلاحية الإسلامية ، التي لا يكون لها سعة انتشار، حتى تستعين بقوة السلطة ، ودعم الحكومة ، والله ـ سبحانه وتعالى ـ قد ينزع بالسلطان ما لم ينزعه بالقرآن .

أما الثانية : فهي أثر من الأولى ، التي تشير إلى : أهمية الدعم الحكومي لنشر الإسلام ، فعندما كان الاحتلال الإنجليزي جاثماً على قلب السودان ، شهد النشاط الإسلامي هناك سكون المجبور ،وهدأة المقهور؛ لما يرى من مضايقات عدة تحد من نشاطه ، وتخنق أنفاسه ، وتسهل بكل سبيل نشاط أعدائه المنصرين ، فتكسبهم الشرعية ، وتسخر لهم أجهزة الدولة ، وتحيطهم بسياج من الأمان ، ليوقفوا التحرك الإسلامي . وهذا التضييق من جانب ، والتسهيل من جانب آخر ، أدى إلى توقف انتشار الإسلام ، حتى إذا ما أزيلت تلك الطغمة الحاكمة، وقامت مكانها حكومة مسلمة تنفس النشاط الإسلامي ؛ إذ أحس بالدعم والتأييد والتسهيل والمشاركة .

والثالثة : أؤكد فيها : أن قيام التمرد في الجنوب ضيق على

كل نشاط للحكومة فيه ، بمـــا فيه تسهيل نشر الإسلام ؛ لأن الإسلام دين السلام ، لا ينتشر إلا في جو من الأمان والطمأنينة ، والعمل الهادئ البناء ، والحوار المثمر المخلص . وبهذا يتحقق لأولئك المغرضين الكافرين المؤيدين لهذا التمرد ما كانوا يطمحون إليه من إلغاء للوجود الإسلامي في منطقة كبيرة ، ومساحة عظيمة .

وعندمـــا استلم الحكم المسلم السلطة في السودان ، عمـــل على نشر الإسلام في الجنوب بوسائل مختلفة ، من بينها إنشاء المؤسســـات الإسلامية في الجنوب ، ثم التنظيم والدعم للمنظمات الدعوية الإسلاميـــة ، التي تجعل الجنوب جزءًا من اهتماماتها ، ثم ما تقوم به وزارة الشئـــون الدينية والأوقاف من أعمال تدعم العمل الإسلامي في الجنوب .(١)

ولعل أهم عمل للحكومة في هذا المجال : هو ما أسهمت بـه مـن أعمال لتقام فيها عدد من الهيئات والمنظمات الإسلامية ، التي تهتم بالدعوة الإسلامية في كافة أفريقيا ، حرصًا منها على أن يكون جنـــوب الســـودان رقعة مهمة تلقى نصيبًا كبيرًا من النشاط الإسلامي .

فأقيمـــت على أرض السودان منظمة الدعوة الإسلامية ، ووسعـــت أمامها فرص العمل ، وأمدت بالدعم المعنوي ، وما تيسر من الدعم المادي ،

---

(١) علي الخاتم ، وآخرين ، الإسلام في السودان ، مجلة (دراســـات أفريقية) ، ص : ١٩٦ ، ط : الخرطوم ، سنة : ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

فأسهمت هذه المنظمة بعدد من الجهود البارزة ، التي باتت أمرًا ملموسًا ، وذلك بما بذلته من جهود بارزة في جنوب السودان .

كما أقيم المركز الأفريقي الإسلامي في الخرطوم ، والذي عدّ منارة إشعاع ضخمة للدعوة الإسلامية في أفريقيا عامة ، وفي جنوب السودان خاصة ، وذلك بالعمل البارز الذي قام به في مجال الدعوة الإسلامية .

إضافة إلى هيئة إحياء النشاط الإسلامي ، التي تلقى تأييدًا كبيرًا من الحكومة المركزية ، وتسهيلات ضخمة منها ، لكي تقوم بأعمال الدعوة الإسلامية في جنوب السودان .(١)

وكما قامت الحكومة بفسح المجال أمام ظهور الهيئات والمنظمات الإسلامية ، كذلك قامت بتنظيم عملها ، لتكون ذات تأثير كبير ، ونشاط مميز ، فقامت بتوحيد الأهداف العامة لتلك الهيئات والمنظمات ، وجعلتها منصبة على الأهداف الآتية :

١- نشر الإسلام بين غير المسلمين ، وإرشاد المسلمين إلى تنمية الشخصية المسلمة ، القادرة على فهم العقيدة وتطبيقها والدعوة إليها ، والصبر عليها .

---

(١) محمد عمر موسى ، النشاط التبشيري الكنسي في جنوب السودان ، ص : ١٩٨ .

٢- نشر التفاهم والتسامح بين المسلم وأخيه المسلم ، وبين المسلم وغـــــيره .

٣- توجيه المسلمين وتطويرهم فكرياً وثقافياً ، وفقاً للتعاليم الإسلاميـــــة المستمدة من القـرآن الكريم ، والسنة المطهرة .

٤- الإسهام في التنمية الاجتماعية والاقتصادية ، والرعايـة الصحيـــــة لأبنـاء الإسـلام .[1]

وإضافة إلى مـــا بذلته الحكومة من دعم وتنظيم لتلك الهيئـات والمنظمات الإسلامية ، قامت كـذلك بتسخير جهود وزارة الشئون الدينيـة والأوقاف على العمل الدعوي الإسلامي في جنوب السودان .

وقد قامت هذه الوزارة بجهود ليست باليسيرة في هذا المجـال ، فقد قامت في سنة : ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م بإقامة برنامج عمل لإحياء النشاط الإسلامي وتدعيمه في الجنوب ، ويشمل هذا البرنامج :

١- التركيز على مناطق تجمع المسلمين على مستوى المراكز ورئاســـات المحافظات والاهتمام بالمؤسسات الدينية ، من مساجد وكتاتيـــب وأوقاف ، والحرص على أن تؤدي دورها في مجال خدمة الإســـلام على أكمل وجـه .

---

(١) منظمة الدعوة الإسلامية ، دليل المنظمة ، ص : ٥ .

٢- حل الصعوبات والمعوقات التي تقف أمام الدعاة، وأئمة المساجد ، وشيوخ الكتاتيب .

٣- النهوض بالدعوة الإسلامية ، والتوعية الدينية ، عن طريق الأجهزة الإعلامية المختلفة .

٤- الاهتمام بأبناء الجنوب الوافدين إلى الشمال ، من أجل الدراسة بمساعدتهم وإفادتهم ، والاستفادة منهم .(١)

---

(١) محمد عمر موسى ، النشاط التبشيري الكنسي في جنوب السودان ، ص : ٢٠٥ .

ثانيًا

الحَدّ مِن النشاط التنصيري

ثانياً : الحد من النشاط التنصيري :

إن في الحد من النشاط التنصيري، إيقافاً للزحف النصراني، وما يفرضه هذا الزحف من احتلال لمناطق كثيرة من جنوب السودان، وما يحوز عليه من أراض ومكاسب ومرافق حيوية . وإن في الحد من النشاط التنصيري ـ أيضاً ـ إفساحاً للجهد الدعوي الإسلامي؛ لينتشر وينشر الدعوة الإسلامية . وإن في الحد من النشاط التنصيري ـ أيضاً ـ إبعاداً لطغمة حاقدة، ونفوس خبيثة لا تريد سماع الهدى، ولا اتباع الحق؛ بل تسعى وراء ضلالاتها الزائفة، وأمنياتها الباطلة .

ولا ريب في أن أي جهد تنصيري لا بد أن يكون خاضعاً تحت أنظمة الحكومة التي تتحكم في كل مرافق البلاد، واستخدام تلك السلطة مطلب مهم لتلك الأطراف؛ لأن الحكومة هي التي تحد أو تساند، تمنع أو تدعم أي نشاط يقوم على تلك الأرض .

وقد عرفنا في الفصل السابق : أنه قد تتابع على حكم السودان عدد من الحكومات التي اختلفت سياستها تجاه النشاط التنصيري؛ فمن مشجع له، داعم لأنشطته، ومن مضايق له، محارب لأفعاله، ومن واقف موقفاً وسطاً، لا بداعم، ولا بمحارب، ولا بمضايق .

ولقد انتهج الاحتلال البريطاني أسلوب الدعم غير المحدود للنشاط التنصيري ؛ لأنه يحقق له أهدافاً ومكاسب لا غنى له عنها ، فضلاً عن أنه لا يستطيع القيام بها مجتمعة .

وهذه المكاسب والأهداف ، هي :

١- أن يدين أبناء الجنوب بديانة واحدة ، هي : النصرانية .

٢- أن يتحدثوا ويكتبوا بلغة واحدة ، هي : الإنجليزية .

٣- أن يغرس في قلوبهم الكره والحقد على أبناء الشمال .

٤- تفخيم الفوارق بين سكان الشمال والجنوب من النواحي الجغرافية ، الثقافية ، التاريخية ، الاقتصادية ، الاجتماعية .

٥- إيجاد شخصية منفصلة لأبناء الجنوب عن سكان الشمال .

٦- معاونة النشاط التنصيري ومرافقه ، في دعم النشاط الثقافي والاقتصادي (١) .

ومن أجل تحقيق هذه الأهداف ، قام الاحتلال البريطاني بدعم النشاط التنصيري ، وهذا الدعم أدى إلى سعة انتشاره ، وامتداد أنشطته ، وقد أقلق هذا الدعم كثيراً من علماء الإسلام ودعاته ؛ فأصدرت هيئة كبار العلماء بالجامع الأزهر بياناً في ١٦ جمادى الآخرة ، سنة : ١٣٥٢هـ - الموافق : ٥ أكتوبر سنة : ١٩٣٣ م . حذرت فيه الحكومة من التمادي في هذا الدعم ، وما سينتج عنه ، وطالبت باتخاذ الإجراءات

---

(١) علي حسن عبدالله ، الحكم والإدارة في السودان ، ص : ١٧٩ .

اللازمة لإيقاف هذا الدعم الكبير ، كما قامت بتشكيل لجنة من علماء الأزهر تقوم بتنظيم العمل من أجل إيقاف هذا المد الزاحف ، الذي أصبح خطراً جسيماً على الإسلام وأبنائه .[١]

وقد استطاعت الحكومة البريطانية استيعاب حركة الأزهر تلك باستخدام المكر والخبث ، ممّا أدى إلى استمرار الدعم والتشجيع ، وعودته إلى سيرته الأولى .[٢]

ولمّا رحل الحكم البريطاني وحل محله الحكم المسلم ، رأى الخطر المتفاقم من وجود أعداد كبيرة من الإرساليات التنصيرية ، وما تقوم به من جهود لقتل الإسلام ، وفصل الشمال عن الجنوب .

وقد قامت الحكومة بإقامة عدة طرق تحد من النشاط التنصيري في جنوب السودان ، منها :

١- إحياء النشاط الدعوي الإسلامي هناك ، والمتمثل في وجود المنظمات والهيئات الدعوية الإسلامية ، ودعم تلك المنظمات بشتى السبل .

---

(١) د . إبراهيم عكاشة ، التبشير النصراني في جنوب سودان وادي النيل ، ص : ٢٧٧ .
(٢) السابق ، الصفحة نفسها .

٢- ابتكار عدد من الأساليب العلمية المدروسة للحد من النشاط التنصيري ، وتكوين لجان تقوم بهذا العمل .

٣- العمل على الاهتمام بالوافدين من أبناء الجنوب إلى الشمال ، ورعايتهم الرعاية الحسنة ؛ وبخاصة القادمون منهم ؛ من أجل استكمال دراساتهم .[١]

٤- محاولة دعم جامعة جوبا ؛ لكي تقوم بالحد من النشاط التنصيري ، فهي تباشر المكان الذي يكثر فيه الوجود التنصيري .

٥- توفير وسائل العلاج والوقاية ، حتى لا يقع المسلم في حبائل الإرساليات التنصيرية العلاجية .

٦- تقديم العون المادي لأبناء الجنوب المسلمين المحتاجين ، حتى لا يقعوا في دائرة الإعانات التنصيرية السردية .[٢]

٧- نشر الأمن بحماية المسلمين من أبناء الجنوب من العصابات الموجهة من قبل الإرساليات التنصيرية ، وحماية المساجد والخلاوي والقائمين عليها ؛ لأن في توفير الأمن للداعية تمكيناً له في العمل من أجل الدعوة الإسلامية .

---

(١) المركز الإسلامي الأفريقي ، السياسة التعليمية والثقافة العربية في جنوب السودان ، ص : ٦٣ .

(٢) السابق ، ص : ٦٤ .

٨- محاولة وصل الشمال بالجنوب بشتى السبل ؛ من فتح لطرق المواصلات ، وتسهيل الانتقال ، وربط العلاقات الاجتماعية بينهما ، حتى ينتج عن هذا اختلاط المسلمين الشماليين بإخوانهم المسلمين في الجنوب ، وليرى الوثنيون الإسلام وهو يتمثل في جيرانهم ومن يخالطونهم .(١)

٩- تصحيح مسار التعليم ، وتخليصه من قبضة المنصرين ، وإبطال كل الصلاحيات التي منحها الاحتلال البريطاني لهم في هذا المجال خاصة .(٢)

وعندما تسلم الجيش الحكم في السودان ، سنة : ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م ، أكمل سيرة الحكومة السابقة ؛ فلم يتوان عن القيام بحركة إصلاح سريعة للحد من النشاط التنصيري في جنوب السودان ، فقام بالسعي من أجل نشر الدين الإسلامي في تلك المنطقة ، ونشر اللغة العربية ، حتى تتم الوحدة في الدين ، وفي اللغة ، ويستحكم الاتصال بين الشمال والجنوب .(٣)

كما قامت تلك الحكومة بمجابهة الأعمال التنصيرية بتأسيس عدد من الكتاتيب ، ونشر كثير من الوعاظ في مناطق الجنوب . كما تم فتح

---

(١) السابق ، الصفحة نفسها .

(٢) السابق ، ص : ٦٢ .

(٣) Professor Bashir M.O., The Southern Sudan, Background to Conflict , Horst and Co.,Page:173-174.

عدد من المدارس في تلك المنطقة.[١]

وقامت تلك الحكومة بالتضييق الشديد على المنصرين ومن يعاونهم ؛ بعزل المثقفين النصارى من أبناء الجنوب ، وتم اعتراض عدد من الكبار المنصرين هناك.[٢]

وفي سنة : ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م : قامت الحكومة بمنع المنصرين من إقامة شعائرهم خارج الكنيسة ، كما حرم من غادروا البلاد قبل هذا التاريخ لقضاء إجازاتهم من العودة إلى البلاد مرة أخرى . وفي سنة: ١٣٨١هـ - ١٩٦٢م : أصدرت القوات المسلحة قانوناً جديداً يضيق على نشاط الإرساليات التنصيرية.[٣] وفي سنة : ١٣٨١هـ - ١٩٦٢م : أصدرت وزارة الداخلية أمراً بطرد كافة الهيئات التنصيرية الأجنبية من جنوب السودان.[٤]

هذا وقد قامت الحكومة بتطوير طرق التفكير ؛ فاستحدثت أساليب للحد من النشاط التنصيري ، وعدّدت مصادر تدعم هذا الحد بوضع خطط مستقبلية محكمة تضاهي المخطط التنصيري الماكر، وذلك بإقامة القدرات الفنية ، والإمكانات المادية ، والدعاة القادرين على الوقوف أمام هذا المد الزاحف.[٥]

---

(١) حكومة جمهورية السودان ، حقائق أساسية عن جنوب السودان ،ص : ١٦ ، ط : الخرطوم ، سنة : ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

(٢) Professor Bashir M.O., The Southern Sudan , Background to Conflict, Horst an Co., page: 173.

(٣) السابق ، ص : ١٧٥.

(٤) Collinse, The Sudan , page : 53.

(٥) نشرة منظمة الدعوة الإسلامية ، ص : ١٣ ، ط : الخرطوم ، شهر شعبان ، سنة : ١٤٠٦هـ - الموافق : أبريل ، سنة : ١٩٨٦م.

فأقيمت المنظمات والهيئات الدعوية الإسلامية ، التي تضيق الخناق على تلك الإرساليات ، بما تقوم به من أسلوب محكم ومنظم في مجال الدعوة الإسلامية . كما قامت بفتح مراكز العلاج والرعاية الاجتماعية التي ترعى أبناء الجنوب ، مسلمين ، وغيرهم ، من خطر النشاط التنصيري .(١)

وبهذا نرى مدى الجهد الذي بذلته الحكومة في الحد من النشاط التنصيري ، وهو : نشاط ليس بالأمر الهين ؛ بل إن له تأثيراً كبيراً في نشر الإسلام في جنوب السودان ؛ إذ به كف اليد التي تطاولت لتتآمر على انتشار هذا النور المبين ، وحماية لأولئك المستضعفين من كيد أولئك المنصرين .

ولا يفوتني أن أنبه إلى : أن أسلوب الحد الذي استخدمته الحكومة مع النشاط التنصيري ليس أسلوب التخلص الانتقامي من وجود النصرانية ؛ لأن الدين الإسلامي لا ينص على ذلك ، فعلى المسلم أن يعامل غير المسلمين بالأسلوب اللين ، لا بالإرغام ، أو الإغراء الكاذب .(٢)

لهذا ركزت الحكومة على الاهتمام بالدعوة الإسلامية ، ليكون هذا الاهتمام هو الرد المقابل للكثافة التنصيرية . لكن الحكومة لم تكتف بهذا ؛ بل سعت إلى التضييق عليهم ؛ لما رأت منهم من تخط للحدود ، وممارسة أعمال لا تتعلق بالتنصير .

---

(١) السابق ، ص : ١٥ .

(٢) د . إبراهيم هكاشة ، التبشير النصراني في جنوب سودان وادي النيل ، ص : ٣٠٢ .

ثالثًا

حَلّ مُشكِلة الجَنوبْ

ثالثاً : حل مشكلة جنوب السودان :

لم يرحل المحتل البريطاني ، إلا وقد أوجد مشكلة كبيرة عانى السودان منها كثيراً ، وهي : مشكلة جنوب السودان ، وقد سعت الحكومات التي تتابعت على حكم السودان إلى حلها بوسائل مختلفة ، يمكن أن يجمعها إطار واحد .

ولسنا بغافلين عن هدف المحتل من إيجاد هذه المشكلة ؛ إذ يريد أن يجعل له مساحة من الأرض تتميز بالموقع الحسن ، والأرض المعطاءة ، فسعى من أجل هذا بكل ما لديه من حيل إلى فصل الشمال عن الجنوب ، وعزل الأخير عزلة تامة ، وهذا أوجد مشكلة كبرى للحكومات المحلية الآتية .

وإن في استمرار تفاقم مشكلة جنوب السودان تعطيلاً لانتشار الإسلام في تلك المنطقة ؛ إذ سيتحول المكان إلى ساحات حروب ، ومنازل دماء ، ومواطن غدر وخيلة ، والسعي في حلها عامل من عوامل انتشار الإسلام .

وقد سعت الحكومة المركزية إلى حل هذه المشكلة ، وقامت بعدد من الخطوات التي نجملها فيما يأتي :

الخطوات التي اتخذتها الحكومة لحل مشكلة الجنوب :

أولاً : الحلول المتعلقة بالجوانب التاريخية والثقافية والجغرافية :

لقد رأت الحكومة أن الجنوب قد وقع في أسر قام بعطه الاستعمار أدى إلى عزلة تامة عن الشمال ، من النواحي التاريخية والثقافية والجغرافية ، وللخروج من ذلك الأسر رأت الحكومة أن تتبع الخطوات الآتية :[1]

١- وضع منهاج تعليمي جديد يغطي الجوانب التاريخية والثقافية والجغرافية للجنوب ، حتى لا يجهل المواطن الشمالي واقع أخيه الجنوبي ، وحتى تكون الحقوق متساوية ، والعدالة قائمة في هذا المجال المهم .

٢- فتح سبل الاتصال بين شطري البلاد شماله وجنوبه بتشييد الطرق البرية ، ومد شبكات للخطوط الداخلية تربط أجزاء الأقاليم الجنوبية ، وتحسين أسطول النقل النهري والجوي ، والعمل على استمرار وانتظام عمل السكك الحديدية .[2] انظر : الخريطة رقم (٣٦) .

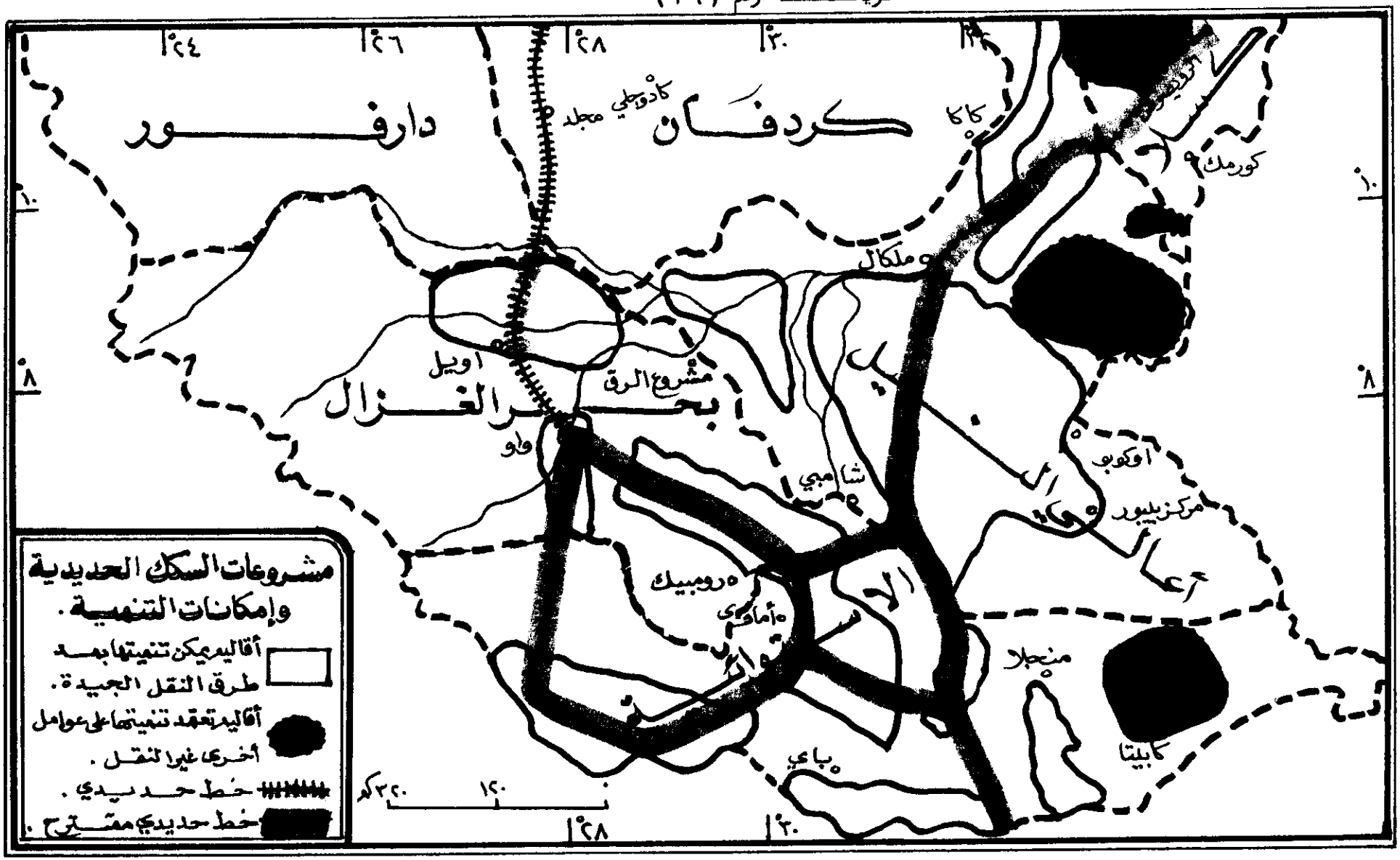
٣- توجيه وسائل الإعلام إلى القيام بدور فاعل في التعريف بالجنوب وأهله ، وتعريف أهل الجنوب بأهل الشمال ، وهذا من أوثق سبل

---

(١) أسامة الغزالي ، الوحدة الوطنية والسلام في السودان ، مجلة السياسة الدولية ، العدد : ٩١ ، جمادى الأولى ، سنة : ١٤٠٨هـ - يناير ، سنة : ١٩٨٨م .

(٢) وجهة نظر الجبهة القومية الإسلامية ، مسألة جنوب السودان ، مجلة السياسة الدولية ، العدد : ٩١ ، ص : ١٥٥ .

خريطـــــة رقم (٣٦)



المصدر: محمد عبد الغني سعودي، وآخرون، مشكلة جنوب السودان، مركز بحوث الشرق الأوسط، جامعة عين شمس، سنـــــة: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

الاتصال الحديثة ، التي يمكن أن تؤدي إلى نتائج قيمة.[١]

٤- تدعيم عمل المنظمات والهيئات الإسلامية ؛ لتقوم بنشر الدعوة الإسلامية بين أبناء الجنوب ؛ لتزول عنهم عوارض الوثنية ، وسواقط النصرانية ، وليقيم الدين الإسلامي هناك دولة شامخة البناء ،عميقة الأساس ، متينة الأركان ، موطدة العلاقة بالشمال المسلم.[٢]

٥- دعم كل محاولة لنشر اللغة العربية ، وجعلها لغة التعليم والإدارة ؛ لأن في نشرها ربطًا للجنوب بالشمال ، وتماسك الأجزاء ، الذي تسهم فيه وحدة اللسان والدين.[٣]

٦- دعم المجلس الأعلى للشئون الدينية ؛ ليقوم بإصلاح أوضاع المسلمين في الجنوب ، وتعليمهم ، وتدريبهم ، ذكورًا وإناثًا . وليقوم بمنح فرص السفر لأبناء الجنوب إلى الشمال ، لاستكمال تعليمهم في المراكز التعليمية في الشمال ، أو في أي منطقة من مناطق العالم الإسلامي . كما أن على المجلس أن يقوم بإنشاء مراكز تعليمية للطالبات من بنات الجنوب ؛ لما للمرأة من أهمية في الحفاظ على رباط العقيدة الإسلامية بما تغرسه في قلوب أبنائها.[٤]

---

(١) السابق ، الصفحة نفسها .

(٢) محمد عمر موسى ، النشاط التبشيري الكنسي في جنوب السودان ، ص : ٢٠٥ - ٢٠٦ .

(٣) محمد عيسى الشرقاوي ، العدو ليس في الشمال ، جريدة الأهرام القاهرية ، ص : ١٢ ، العدد الصادر بتاريخ : ٤ جمادى الآخرة ، سنة : ١٤٠٩هـ - الموافق : ١١ يناير ، سنة : ١٩٨٩م .

(٤) حسن مكي محمد أحمد ، السياسة التعليمية ، والثقافة العربية في جنوب السودان ، ص : ٦٥ .

٧- إحياء مجال النشر في المناطق الجنوبية ، وتكثيف إقامة الدورات التأهيلية في الشمال ، وفي بعض الدول الإسلامية، والهيئات الإسلامية ؛ ولهذا قامت الحكومة بدعم دار النشر التربوي بجوبا ؛ لتنهض بما أوكل إليها من مهمات للقيام بها .

٨- رصد الحوافز المغرية والمشجعات القيمة للطلاب المتفوقين في مجال التربية الإسلامية واللغة العربية ؛ لدعم نشر هذين العنصرين المهمين بين أبناء الجنوب .

٩- إقامة مكتب حكومي في الجنوب ليقوم بتطوير مجالات التعليم في الجنوب ؛ وذلك بالتنسيق مع المنظمات التي يمكن أن تسهم في هذا المجال الحيوي المهم .

١٠- إقامة عدد من المدارس في الجنوب ، ودعمها بكتب التربية الإسلامية ، واللغة العربية ، والمدرسين القادرين على القيام بتدريس هذه المواد ، وإعطاء تلك المدارس صفة الرسمية ، حتى لا يقوم الطلاب المسلمون بالالتحاق بمدارس التنصير ، التي تمنح شهادات مغرية ، إضافة إلى توافر الكتب والمدرسين بها .

١١- تخصيص منح دراسية فوق الجامعية للطلبة المتفوقين في مجال التربية الإسلامية ، واللغة العربية ، في عدد من الدول الإسلامية ، وتنظيم رحلات مخططة لهم للتعرف على الشمال ، وعلى مناطق العالم الإسلامي .

١٢- دعم الكتاتيب ورفعها إلى مستوى المدارس التكميلية ، لما تقوم به من تعليم للدين الإسلامي ، واللغة العربية .(١)

ثانياً : الحلول المتعلقة بالتنمية والخدمات :

ممّا لا شك فيه أن جنوب السودان قد عاش تخلفًا ليس بالهين ؛ نتيجة السياسة التي اتبعتها الإدارة البريطانية ، التي ترمي إلى عزل الجنوب عن الشمال ، وقد أشعر هذا التخلف أبناء الجنوب السخط ، وعدم الرضا عن الحكومة في الشمال ؛ وذلك لعدم توازن كفتي النهضة بين الشمال والجنوب ، وكأنهم ليسوا في وطن واحد .(٢)

وقد أشعر هذا الإحساس الحكومة بضرورة العمل على إقامة موارد للتنمية في الجنوب ، ومرافق مختلفة للخدمات ، وسلوك أي سبيل لتنهض تلك المنطقة من جور التخلف وظلم الجهل والتخبط .

وليست أرض الجنوب بالأرض الفقيرة أو الميتة التي لا قيمة فيها ؛ بل تملك منطقة الجنوب موارد ضخمة ، ومكاسب هائلة لو سعت الحكومة إلى البحث عنها ورعتها حق رعايتها ، فلقد تكون كافية لإحداث ثروة ضخمة تعود على السودان كله بالخير والنماء .(٣)

---

(١) السابق ، ص : ٦٤ - ٦٦ .
(٢) الجبهة القومية الإسلامية ، مسألة جنوب السودان ، مجلة (السياسة الدولية) ، العدد : ٩١ ، ص : ١٥٤ .
(٣) علي حسن عبدالله ، الحكم والإدارة في السودان ، ص : ١٩٦ .

ونتيجة لما سبق سعت الحكومة من أجل توفير عدد كبير من الموارد المالية ؛ للقيام بعدد من المشاريع التنموية ، ومن هذه المشروعات :

١- البدء بإقامة عدد من المشروعات الصغيرة ذات الربح السريع ؛ لكي تغذي بهذا الربح مشروعات أخرى قادمة .(١)

٢- الانتقال المبرمج والمخطط نحو مشروعات كبرى ، ومن هذه المشروعات على سبيل المثال :

أ - مشروع قناة جونقلي : وسوف يتحقق بإنجاز هذا المشروع ري ما بين ٣-٤ ملايين فدان من أراضي وسط السودان ، وأربعة ملايين فدان من أراضي جنوب السودان . وقد تم تنفيذ ثلثي هذا المشروع الذي يبلغ طوله : ثلاثمائة وعشرين كيلاً ، ولكنه توقف سنة : ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، مع بداية الحرب الأهلية .

ب - مشروع إنتاج البترول ؛ إذ ينتج من حقل الوحدة وحده ما يقارب خمسين ألف برميل يوميًا ، إلى جانب هذا : يقوم حقل الهجليج - أيضاً - بالإنتاج مثله . وبهذا يصبح الجنوب من مصادر تصدير النفط . وقد شرع في إقامة خط للأنابيب بين بنيتو في بحر الغزال ، وبورسودان ، إلا أن المشروع توقف في شهر جمادى الأولى ، سنة : ١٤٠٤هـ - الموافق : شهر فبراير ، سنة : ١٩٨٤م . بسبب هجمات الحروب

---

(١) وجهة نظر الجبهة القومية الإسلامية ، مسألة جنوب السودان ، مجلة السياسة الدولية ، العدد : ٩١ ، ص : ١٥٥ .

الأهليـــة .[١]

٣- النهوض بالجوانب الاقتصادية الإسلامية ، وذلك بفتح المصـــارف الإسلامية في الجنوب ، وإرسال عدد من المزارعين المسلمـــــين الجنوبيين إلى الشمال ، وإلى مصر ، ليتلقوا تدريبات مختلفـــة على أساليب تحسين الزراعة . وتشجيع الهيئات والمنظمـــــات الإسلامية على القيام بمثل هذه الأمور في الجنوب .[٢]

٤- دعوة الدول الإسلامية إلى فتح مكاتب لها بالجنوب ، لتسهيـــل تهجير الأيدي العاملة من أبناء الجنوب إلى تلك البلاد المسلمة وبخاصة المسلمون منهم ، مع دعوة تلك الدول إلى الاهتمـــام بهم ، والحرص عليهم ، والاستغناء بهم عن الأيدي العاملـــة غير المسلمة ، التي لا تلتزم بقيم الإسلام ، وتعاليمه السمحـــة .[٣]

٥- وضع خطة كاملة لمنطقة جونقلي ، تشتمل على خطط للتوطـــين والإسكان والتنمية الاجتماعية والحضارية ، وذلك لتستوعب التغييرات الاجتماعية والحضارية والبيئية التي ستصاحب استكمال القنـــاة ، لاحتمال التوافد البشري الكبير إليها من الغارين من الجفـــاف ،

---

(١) محمد عيسى الشرقاوي ، العدو ليس في الشمال ، جريدة الأهـــرام القاهرية ، ص : ١٢ ، العدد الصادر بتاريخ ٢٢ جمادى الأولى ، سنة : ١٤٠٨هـ - الموافق : ١١ يناير ، سنة : ١٩٨٨م .

(٢) المركز الإسلامي الأفريقي ، السياسة التعليمية والثقافة العربية فـــي جنوب السودان ، ص : ٦٤ .

(٣) السابق ، ص : ٦٣ .

أو الباحثين عن مناطق زراعية ، أو الرعاة الواردين مياه القنـــاة .[١]

٦- التعاون التام مع كل المنظمات والهيئات الإسلامية التي تعمـــل في الجنوب ، وذلك من أجل التنمية الاقتصادية في تلك المناطـــق بمـا في ذلك مساعدة تلك المنظمات والهيئات على إقامة عـــدد من المشروعات التنموية ، والمرافق الاقتصادية ، وفسح المجـــال أمام كل خدماتها ومرافقها ، وتذليل السبل أمامها .[٢]

وقد رأت أنها بما سبق تستطيع أن تقيم نهضة حضاريـــة في الجنوب السوداني إذا توافر لتلك الخدمات والمشروعات جو من الســـلام والاطمئنان ، مع وجود المدير المدبر لتلك المشروعات ، والمشرف عليها ، والوسيط بينها وبين الحكومة المركزية .[٣]

ثالثاً : حل مشكلة الحكم :

لعل هذه هي المشكلة الرئيسة لجنوب السودان ، وبحلها تحـــل أكبر مشكلات السودان تعقيداً وصلابةً . ولقد كانت أول مبادرة لإعطـــاء الجنوب نوعاً من الحكم الإقليمي ، هي التي طرحتها جماعة الإخوان المسلمين

---

(١) علي حسن عبدالله ، الحكم والإدارة في السودان ، ص : ١٩٦ .

(٢) المركز الإسلامي الأفريقي ، السياسة التعليمية والثقافة العربيـــة في جنوب السودان ، ص : ٦٣ .

(٣) Professor Bashir M.O., The Southern Sudan , Background to Conflict , Horst and Co., page: 171-172 .

سنة : ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م . في مؤتمر (المائدة المستديرة) . وتشتمل تلك المبادرة على إقامة حكم غير مركزي في الجنوب ، وقد تم تبني هذه المبادرة في مشروع دستور ، سنة : ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م . ثم في اتفاقية أديس أبابا فيما بعد .(١)

كما قامت الحكومة بطرح عدد من الدراسات التي تتعلق بحل هذه المشكلة ، ومنها :

١- دراسة مدى جدوى المديريات ، إذ أثبتت التجربة أنها أصبحت إدارة قليلة التأثير ، وحلقة ضئيلة الفاعلية بين الحكم المركزي في الشمال ، والمديريات في الجنوب .

٢- دراسة أمر البقاء على التقسيم الإقليمي بعد أن يضفى عليه نوع من المرونة التي تفسح المجال أمام كل إقليم ليقيم نوعًا من العلاقة الخاصة مع إقليم آخر ، بالتنسيق والتكامل ، أو الاندماج في إقليم واحد .

٣- دراسة الموازنة العادلة في تمثيل الأقاليم في الأجهزة الحكومية المركزية التشريعية والتنفيذية .(٢)

---

(١) وجهة نظر الجبهة القومية الإسلامية ، مسألة جنوب السودان ، مجلة السياسة الدولية ، العدد : ٩١ ، ص : ١٥٥ .

(٢) السابق ، الصفحة نفسها .

رابعاً : حل مشكلة القانون العام لجنوب السودان :

إن تحكيم الشريعة الإسلامية ضرورة لا بد منها ، وخير عظيم لا بد من السعي الحثيث إليه . كما أن حرية الاعتقاد تشكل جزءاً لا يتجزأ من مبادئ الدين الإسلامي ، الذي ظل على مدى العصور ينطوي على احترام مشهود للفكر والعقيدة .(١)

ووفقاً لهذا سعت حكومة السودان إلى : توطيد هذا الرأي ، وذلك بموجب قانون البلاد وعرفها ، التي تعمل بمقتضى المبادئ العليا لحقوق الإنسان التي تضمنها الشرع الإسلامي قبل خمسة عشر قرناً .(٢)

فلقد حفظت الشريعة الإسلامية لغير المسلمين كيانهم وثقافتهم ، ومكنتهم من ممارسة أديانهم وعاداتهم وتقاليدهم . كما أن الفقه الإسلامي بسعته ومرونته يمكن أن يتسع لكثير من التسويات القانونية المتعلقة بغير المسلمين استثناءً وتجاوباً مع الحقوق المشروعة لغير المسلمين .(٣)

وبهذا تهدم عقبة كؤود من عقبات النزاع بين الشمال المسلم ، والجنوب ذي الزعامات غير المسلمة ، والتي كانت ترى في وجود قانون

---

(١) السابق ، الصفحة نفسها .
(٢) محمد عمر موسى ، النشاط التبشيري الكنسي في جنوب السودان ، ص : ٢٠٩ .
(٣) كمال الباقي ، موقف الإسلام من الأديان ، ص : ٩٤ ، ط : جامعة أم درمان الإسلامية ، الخرطوم ، سنة : ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

إسلامي تضييقاً شديداً عليها ، وأيم الله ، لن ترى في ظل الإسلام إلا رخاءً عميماً ، وعزاً خالداً .

وقبل نهاية هذا المطلب (علاقة الجنوب بالحكومة المركزية) أعرض أبرز ما توصلت إليه من نتائج ، ومن هذه النتائج :

الأولى : إن للحكومة في غالب بلدان العالم سلطة كبرى تتحكم بها في كل ما يجري ويتم في بلادها . ولعل هذا يفسر السعي الدائب الذي تبذله المنظمات ذات الدعاوي الضالة ، من أجل الوصول إلى تلك السلطة ، أو التزلف إليها على أقل تقدير ، ليتم لها نشر مبادئها ، وإرغام الناس على قبولها بقوة السلطة ، ونفاذ الحكم . كما يفسر لنا هذا عدداً من المشكلات التي تصيب العالم المسلم ، والتي مصدرها قرار أصدرته الحكومة جاءها من مصادر حاقدة عليها ، حريصة على كل ما يؤذيها . فعلى ولاة الأمر التنبه إلى هذا الأمر الخطير ، الذي ولّوه .

الثانية : لقد أثبتت التجارب أن مسار الدعوة الإسلامية لا يمكن أن يتحسن ما لم تتضافر الجهود من أجل تنظيمه ، ووقوفه على كل دقيقة وعظيمة ، وأن يكون وفق دراسات خضعت لمخططات عدة ، مكّن لهم تجارب وممارسات كثيرة في هذا المجال الضخم والمهم . ولو اجتمعت تلك المنظمات التي تقوم في جميع بلدان العالم المسلم تحت تنظيم واحد ، وتخطيط واحد ، لآتت ثماراً كثيرةً ، ولتخلصت من

عقبات كثيرة ، ولتحقق لها ما تصبو إليه من نشر للدين الإسلامي ، وفتح لقلوب حيارى ، وهداية لعقول خرّبها الزيغ ، واستهاحها الضلال .

الثالثة : إن الدعم الذي تلقاه منظمات الدعوة الإسلامية في جنوب السودان ساعدها كثيراً في إنجاح جهودها ، وإثمار زروعها ؛ ذلك بأن كل عمل يحتاج إلى الدعم والتأييد ، حتى يقوم ، ثم يؤتي نتائجه . ولا ريب في أن الدعم المادي يتيح لهذه المنظمات مجالاً أوسع وأفقاً أرحب .

الرابعة : لقد تطاول نشاط التنصير في جنوب السودان ، وأصبح الوقوف أمام زحفه ضرورة ملحة ، حتى لا يستمر في التهام كثير من أبناء المسلمين ، أو الغافلين ، الذين يطلبون الرغيف والكساء والدواء ، ولا يهم ماذا سيحصل بعد هذا ؟ . والوقوف أمامه يحتاج إلى سلطة قوية تستطيع أن تقف أمام القوى الكبرى التي تسانده ، وتمده بالشرعية الدائمة ؛ لتحقق مصالحها الذاتية في تلك الدول الغافلة .

الخامسة : لقد أصبح من أنجح خطط الوقوف أمام التنصير إحياء النشاط الإسلامي هناك بفتح المدارس الحكومية المسلمة ، وبناء المساجد ، وبث الدعاة ، وتسهيل مهمات المنظمات العاملة في مجال الدعوة الإسلامية . وبهذا يتّسع النور الإسلامي ، ويتهاوى الظلام قطعاً ساقطة ، لا تقوى على الوقوف أمام بهائه ، مهما أوتيت من حلل الدنيا ورخائها .

السادسة : لقد أيقنت حكومة جنوب السودان المسلمة بضرورة الاهتمام بجنوب السودان ، وأوجبت على نفسها حل مشكلاته التي يعاني منها ، حتى يصير السودان وحدة مستقلة ، غير مبالية بمخططات أعدائها الذين يتآمرون على ثرواتها ومصالحها . فمتى يعي المتمردون في الجنوب هذه الحقيقة ؟ .

السابعة: يتمثل حل مشكلة جنوب السودان في الجلوس على مائدة النقاش الهادئ ، والحوار الباني والمثمر ، ولا يجدي في حلها الضرب بيد من حديد ، أو الإعراض النائي ، والشطوط الزائغ .

الثامنة : إن في حل مشكلة الجنوب انتشاراً للإسلام ، ولا ريب إذ به تتوقف الحروب ، ويعم الرخاء ، وتتاح الفرصة أمام المنظمات والهيئات الإسلامية ؛ لكي تقوم بأعمالها في هذا المجال .

التاسعة : إن في وجود الدعاة المسلمين في وسط الحروب الأهلية خطراً كبيراً عليهم ؛ إذ يجعلهم عطلهم هذا غرضاً قريب المنال لأي حاقد على الإسلام ، وهذا يمكنهم من عمل تصفية للوجود الدعوي الإسلامي هناك . من هنا : كان لابد من وجوب وجود الأمن والاستقرار لانتشار الدعوة الإسلامية .

العاشرة :لقد تآمر المحتل البريطاني مع العصابات التنصيرية لإيقاف انتشار الإسلام ، متسترين بشعار المصالح الداخلية والإقليمية .

الحادية عشرة : لقد بات من المؤكد عزم المحتل البريطاني على النجاح في مؤامرته التي ترمي إلى فصل الجنوب عن الشمال المسلم ، وعزله عزلاً تاماً ، ليكون بؤرة تنصيرية ، ومنفذاً إلى الأدغال الأفريقية ، إضافة إلى ما فيه من خيرات حسان ، أراد المحتل الاستمتاع بها .

الثانية عشرة : إن سياسة تغذية الثورات وتحريك التمرد أسلوب حقير يتبعه الحكم البريطاني الذي لا يرحل حتى يترك سفيراً له في تلك المنطقة ، فيقيمه حاكماً ، ويحثه على التمرد ، ويعده بالإمدادات الثمينة والتأييد العظيم ، يدبر لكل هذا تحت سجوف الليل ، ويظهر في النهار أقبح الابتسامات ، وأمكر الأحاديث .

الثالثة عشرة: مارست الحكومة المركزية أنشطتها الدعوية في جنوب السودان عن طريق وزارة الشئون الدينية ، والمنظمات والهيئات الإسلامية ، وذلك بالدعم والتأييد والتسهيل .

الرابعة عشرة : إن قضية الحكم في الجنوب هي أساس المشكلة التي نعق بها أذناب المحتل ، وقد لجأت الحكومة إلى معالجة هذه المشكلة ، غير أن الشرارة قد قدحت ، ولم تمهلها يد الغدر ، حتى تصل إلى طريق مضيئة لأطراف النزاع ، لأن الحاقد لا يريد الاتصال .

الخامسة عشرة : لكي تقوم الحكومة بالقضاء على التمرد ، فعليها أن تقطع كل صلة تمد إلى المتمردين من كل المتآمرين .

السادسة عشرة : وممّا لا شك فيه أن الحكومة قد قامت بحل مشكلة الجنوب من جميع جوانبها : التاريخية ، الثقافية ، الاجتماعية ، التنموية ، السياسية ، التشريعية ، ولم تبق بهذا أية حجة لمحتج .

السابعة عشرة : إن تسلل بعض العناصر العميلة إلى الحكم في السودان أدى إلى إحباط عدد كبير من مساع الحكومة ، من أجل تنمية علاقاتها مع الجنوب .

* * *

المطلب الثاني

الوَضع الدّيني

ويشمل :

أولاً.. : وُجود بَعض المسلمين

ثانيًا : كثرة الوثنيين، واستعدادهم لتقبل الإسلام

الإسلام والتجانس الاجتماعي والثقافي :

إن مبادئ الدين الإسلامي لتعمل جاهدة من أجل الإسهام في توحيد التجانس الاجتماعي والثقافي ؛ ولهذا كانت الأمم الأفريقية بحاجة ماسة إليه ؛ ليلم شتاتها ، ويضم شعثها برباط الأخوة في الدين ، والسعي من أجل الوحدة المتكاملة .(١)

ولقد أنجز الإسلام وحدة متكاملة ، وتجانسًا اجتماعيًا وثقافيًا للأمم المتباينة في الأعراق واللغات والأديان . وأصل الإسلام روح التجمع بين المجتمعات الأفريقية تحت راية التسامح والتآخي ، والعمل المثمر البناء .(٢)

وبفضل من الله ترسخ التجانس العرقي تحت هذا المبدأ السامي ، واختلط الدعاة إلى دين الله بأصول تلك المجتمعات ، وشاركوهم حياتهم ، وصاهروهم ، حتى باتوا جزءًا مهمًا في مجتمعهم الجديد .(٣)

كما كان للغة العربية أثر كبير في عملية التجانس اللغوي ، فهي تمثل لكل مسلم مكانة عظيمة ؛ لكونها لغة القرآن الكريم ، ولغة هذا الدين الحنيف . وقد حققت اللغة العربية انتشارًا سريعًا في وسط

---

(١) د . مدثر عبدالرحيم ، الإسلام والتجانس الاجتماعي في أفريقيا ، ص : ١٣ ، ط : المركز الإسلامي الأفريقي بالخرطوم ، سنة : ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
(٢) السابق ، ص : ١٥ .
(٣) السابق ، الصفحة نفسها .

الأمم الأفريقية ، ومن بينها جنوب السودان ؛ إذ أصبحت اللغة الدارجة فيه ، على الرغم من كل المحاولات التي تكيد لها ، وترمي إلى قتلها .[١]

وقد كان جنوب السودان قبائل متفرقة ، ومجموعات غير متجانسة ، حتى جاء الدين الإسلامي إليه ، فتحقق له شيء من التجانس الاجتماعي والثقافي واللغوي . لكنه مع هذا لا يزال يعاني من عدم قوة الروابط بين كل أجزاء مجتمعه .[٢]

لقد أردت أن تكون هذه الكلمات مقدمة توضح حال قبائل الجنوب وتجانسهم ، وإمكان كون هذا التجانس مهمًا في عملية انتشار الإسلام .

---

(١) Trimingham J.S., The Christian and Islam , Page : 47, printed in : London , at:1374 H.-1955 A.D.

(٢) شوقي عطية الجمل ، إعادة بناء أفريقيا ، جـ : ٢ ، ص : ١٨ ، ط : معهد البحوث والدراسات الأفريقية بالقاهرة .

أولاً

وُجود بَعض المسلمين

أولاً : وجود بعض المسلمين :

لقد دخل الإسلام جنوب السودان عن طريق الجهد الفردي ؛ إذ إن حدود الإسلام المتحركة أصابها السكون منذ القرن السابع عشر ، فتوقفت في السودان عند قطاع الأبيض ، كوستي ، سنجة ، القلابات ؛ ممّا جعل التقدم جنوب هذا الخط تقدماً فردياً عن طريق التجار المسلمين[١] .

وشهد عهد إسماعيل باشا توسعًا نحو الجنوب السوداني ، وهذا أدى إلى انتشار الجنود المسلمين بكثرة في منطقة جنوب السودان[٢] .

انظر : الخريطة رقم (٣٧) .

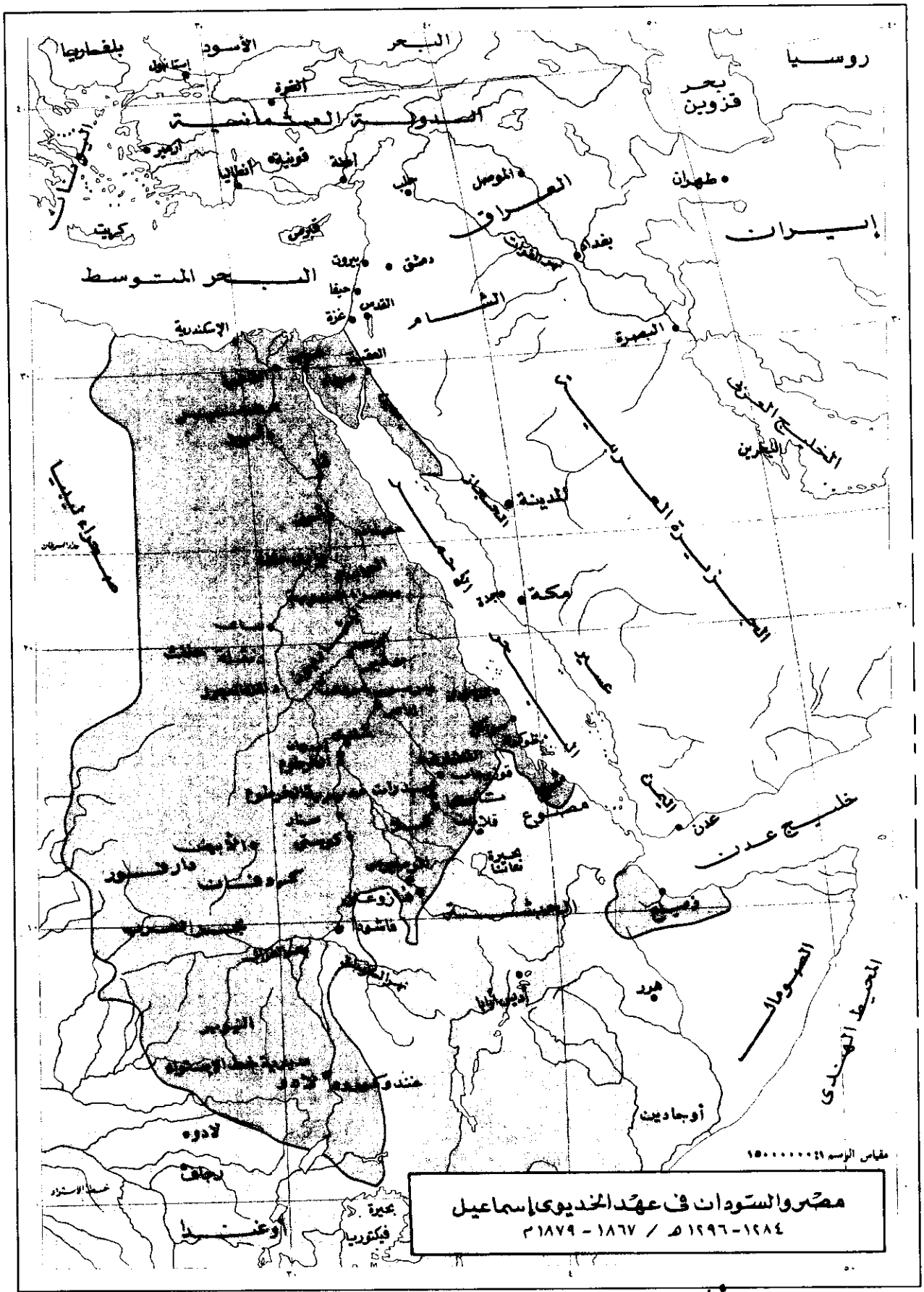
وفي فترة الحكم البريطاني شهد الجنوب انفتاح المواصلات بين أجزائه ، وهذا أدى إلى تنقل التجار المسلمين والجنود بين أجزاء الجنوب ناشرين الدين الإسلامي[٣] .

وظهرت في سنة : ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م جمعية المؤلفة قلوبهم . ثم ظهرت بعدها بسنتين جمعية دعوية إسلامية ، تعنى بنشر الإسلام في الجنوب . وقد ابتدأت هذه الجمعية عملها في قرية " أكوكا " - إحدى قرى الدنكا - ناشرة أفرادها بين أجزاء تلك القبيلة ، وقد أسلم على أيديهم خلق كثير .

---

(١) المركز الإسلامي الأفريقي ، السياسة التعليمية والثقافة العربية في جنوب السودان ، ص : ١٢ .
(٢) السابق ، ص : ١٤ .
(٣) عيسى محمد جليل ، جيبوتي ، دراسة سياسية في الجغرافيا الاقتصادية والسياسية ، ص : ١٥٣ .

خريطـــة رقم (٣٧)



د . حسين مؤنس ، أطلس تاريخ الاسلام ، ص : ٣٣١ .

كما قام أولئك الدعاة بالعمل بجهدهم الخاص ، وركزوا عملهم على قبائل النوير ، والمورلي ، فأسلم على أيديهم عدد من زعماء تلك القبائل ، وتبعهم خلق كثير من أبناء تلك القبائل . وتلا ذلك إقامة المساجد والكتاتيب بين قبائل الفرجاك والنوير . وقد حدث مثل هذا العمل في بحر الغزال حيث يوجد عدد كبير من الجنود المسلمين.(١)

وهكذا رأينا الإسلام وهو ينتشر بين أبناء الجنوب بفضل تلك الجهود الفردية الحميدة . ثم قامت الدولة بدعم تلك الجمعيات ، وسعت إلى المنظمات الإسلامية ، لكي تقيم لها مراكز في الجنوب لتقوم بنشر الدين الإسلامي.(٢)

وقد أدت الحرب الأهلية إلى خلو أرياف الجنوب السوداني من الدعاة المسلمين ، وهذا أدى إلى ضعف النفوذ الإسلامي في تلك الأرياف في مقابل الأثر القوي لذلك النفوذ في المدن . وهذا مهّد للحملات التنصيرية استغلال خلو الأرياف من الدعاة المسلمين ، لنشر معتقداتهم بينهم بأساليبهم المختلفة.(٣)

---

(١) المركز الإسلامي الأفريقي بالخرطوم ، السياسة التعليمية والثقافة العربية في جنوب السودان ، ص : ٣٦ .

(٢) محمد عمر موسى ، النشاط التبشيري الكنسي في جنوب السودان ، ص : ١٩٨ .

(٣) الجبهة القومية الإسلامية ، مسألة جنوب السودان ، مجلة (السياسة الدولية) ، العدد : ٩١ ، ص : ١٥٢ .

وقد لوحظ أنه من الناحية الدينية : مـــا زالت الوثنية منتشـــرة بين أغلب السكان ، إذ ينقسم عدد السكان غير الوثنيين حسب التقديرات التي أجريت سنة : ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م إلى المجموعات الآتية :

الديانـــــة	عـــدد هم	
	من	الى
المسلمـــون	٢٢٫٠٠٠	٢٣٫٠٠٠
البروتستانت	٢٥٫٠٠٠	٣٠٫٠٠٠
الروم الكاثوليـــك	١٨٠٫٠٠٠	٢٠٠٫٠٠٠
المجمـــوع	٢٢٧٫٠٠٠	٢٥٣٫٠٠٠

(١)

ويمثلون ما يقارب ١٠٪ من مجموع سكان الجنوب ، ونرى أن المسلمين يمثلون ما يقارب ١٪ من مجموع سكان الجنوب.(٢)

وقد بلغ عدد الوثنيين - حسب لجنة تقصي الحقائق التي شكلت سنة : ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م - ثلاثة ملايين نسمة ، أي : ما يقارب ٩٠٪ من سكان الجنوب.(٣)

---

(١) Professor Bashir M.O., The Southern Sudan , Background to Conflict , Horst and Co.,page:25.

(٢) السابق ، ص : ٢٦ .

(٣) أ.د . محمد عمر بشير ، من الحرب الداخلية إلى السلام ،ص : ٤٦٥ ، ط : دار المأمون بالخرطوم ، سنة : ١٣٩٣هـ - ١٩٧٤م.

وفي سنة : ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م : عينت الحكومة المركزية السيد / علي بلدو[١] مديراً تنفيذياً للمديرية الاستوائية ، ومنحته سلطات واسعة سخرها طوال مدة إدارته - سبع سنوات - في خدمة الدين الإسلامي . فقد عمل على تشجيع الدعوة الإسلامية ، فافتتح عدداً من المساجد والكتاتيب والمعاهد الدينية والمدارس . كما عمل على الحد من النشاط التنصيري . كما سعى في سنة : ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م إلى تأميم التعليم في الجنوب . وسعى إلى نشر اللغة العربية ومبادئ هذا الدين الحنيف ، حتى يتوحد أبناء الجنوب تحت دين واحد ولغة واحدة .[٢]

وقد اهتم علي بلدو بإدخال السلاطين في حمى الإسلام ، إذ أسلم على يديه كثير منهم ، منهم : عشرون سلطاناً في مدينة " ياي " وحدها ، واثنان وستون سلطاناً من جميع أجزاء المديرية ، التي يبلغ عدد السلاطين بها أكثر من مائة سلطان .[٣]

---

(١) ولد في مدينة الأبيض ، سنة : ١٣٢٧هـ - ١٩٠٩م في بيئة صالحة طيبة ، عمل في عدة مناصب إدارية ، ثم عين مديراً تنفيذياً ، سنة : ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م بالاستوائية ، حتى سنة : ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م . أ.د . محمد عمر بشير ، من الحرب الداخلية إلى السلام ، ص : ٤٧٠ .

(٢) مجلة (البشير) ، علي بلدو ، المعهد الذهبي للإسلام في أفريقيا ، العدد : الخامس ، ص : ٢٢ - ٢٣ ، شهر ربيع الأول ، سنة : ١٤٠٥هـ - الموافق : ديسمبر ، سنة : ١٩٨٤م .

(٣) السابق ، ص : ٢٤ - ٢٥ .

وقد شهد جنوب السودان بعد سنة : ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م نشاطاً واسعاً في مجال الدعوة الإسلامية ، تمثل ذلك فيما بذلته منظمات وجمعيات ومؤسسات الدعوة الإسلامية . فأشعّ النور الإسلامي ، على الرغم من تلك الحرب الضروس.[١] والدليل على هذا : إحصاء مجلس الكنائس العالمي الذي أعلن أن توزيع الديانات في جنوب السودان كالآتي :

الديانة	نسبة معتنقيها من مجموع السكان
الوثنية	٦٥٪
الإسلام	١٨٪
النصرانية	١٧٪

(٢)

ومن هذا الإحصاء نلحظ الأمور الآتية :

١- قلّت نسبة الوثنيين من : ٩٠٪ إلى : ٦٥٪ .

٢- زادت نسبة المسلمين من : ١٪ إلى : ١٨٪ .

٣- زادت نسبة النصارى من : ٩٪ إلى : ١٧٪ .[٣]

ومّما يجدر بالذكر : أن امتداد الإسلام في الجنوب يشبه إلى حد

---

(١) محمد عمر موسى ، النشاط التبشيري الكنسي في جنوب السودان ، ص : ١٩٨ .

(٢) الجبهة القومية الإسلامية ، مسألة جنوب السودان ، مجلة (السياسة الدولية) ، العدد : ٩١ ، ص : ١٥٢ .

(٣) السابق ، الصفحة نفسها .

بعيد مسيرته في الشمال ؛ فقد دخل الإسلام في الشمال متأخراً ، وبات انتشاره بطيئًا ، إلى أن تغلب على معظم العقبات التي أعاقت مساره. وما حدث في الشمال متوقع أن يحدث كذلك في الجنوب ، الذي ما زال يعيش في إطار القبيلة ، إضافة إلى عدد من العقبات الأخر.(١)

ويعيش المسلمون الجنوبيون في فقر مدقع ، وتخلف كبير ، وجو تسيطر عليه الخرافات والأرواح ، وكثير من الممارسات الاجتماعية الخاطئة. لذا يجب في المرحلة التالية لانتشار الإسلام أن تهيأ الظروف والشروط الموضوعية لاستمرار صفاء العقيدة الإسلامية ؛ وذلك بربط هذا الشعب تعليمياً وثقافياً واقتصادياً بمؤسسات إسلامية ذات طابع حضاري ؛ سواء أكانت رسمية أم غير رسمية.(٢)

وقد أدت السياسات المتبعة في جنوب السودان منذ الفتح العثماني إلى عصر الاستقلال ، وما فرضته من قيود تعليمية وسياسية واقتصادية أدت إلى تحجيم انتشار الإسلام ، وتضاؤل صلة أبناء المنطقة بالحركات الإسلامية ، وتضييق قنوات الاتصال من : حج وعمرة ، ورحلات دراسية ، وبعثات تعليمية ، ومنشورات باللغة العربية ، وانعدام في التفاعل الفكري الإسلامي ، في الوقت الذي ازدادت فيه رقعة التفاعل الفكري النصراني في الجنوب .. هذا

---

(١) محمد عمر موسى ، النشاط التبشيري الكنسي في جنوب السودان ، ص : ١٩٨ - ١٩٩ .

(٢) علي حسن عبدالله ، الحكم والإدارة في السودان ، ص : ١٧٦ - ١٧٩ .

بالإضافة إلى ما أملته الحرب من ظروف كثيرة .[١]

وعلى الرغم من كل تلك العقبات ، تشهد السجلات ارتفاعاً كبيراً في نسبة الذين يدخلون الدين الإسلامي . (انظر : الجدول الذي يبين أعداد الذين دخلوا في الإسلام من سنة : ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م إلى سنة : ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م من سجلات المحاكم الشرعية بعواصم الجنوب) .[٢]

---

(١) السابق ، الصفحات نفسها .

(٢) المركز الإسلامي الأفريقي بالخرطوم ، شعبة البحوث والنشر ،ص : ٥٦ ، ط : الخرطوم ، سنة : ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

جـــــدول بيـــــين

أعداد الذين دخلوا في الإسلام من سنة : ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م إلى سنة : ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م

من سجلات المحاكم الشرعية بعواصم الجنوب

المكان	السنوات والأعداد												
	١٩٦٦ ١٩٦٧	١٩٦٧ ١٩٦٨	١٩٦٨ ١٩٦٩	١٩٦٩ ١٩٧٠	١٩٧٠ ١٩٧١	١٩٧١ ١٩٧٢	١٩٧٢ ١٩٧٣	١٩٧٣ ١٩٧٤	١٩٧٤ ١٩٧٥	١٩٧٦ ١٩٧٧	١٩٧٧ ١٩٧٨	١٩٧٨ ١٩٧٩	١٩٧٩ ١٩٨٠
ملكال	١٧	٣٣	٢٧	٧	١٣	٧	٥	٥	٧	٢٠	١٥	١١	١٧
جوبا	٦	١٢	٨	٤	٦	—	١	—	٥	١٣	١٢	٧	١٢
واو	٤	٦	٧	٧	٤	٢	٢	٦	٣	١٣	١٤	١٣	٣١
المجموع	٢٧	٥١	٤٢	١٨	٢٣	٩	٨	١١	١٥	٤٦	٤١	٣١	٦٠

(١)

---

(١) السابق ، الصفحة نفسها .

ومن الجـــدول السابق : نرى أن أكبر نسبة تحـول لانتشار الإسلام كانت في سنتي : ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م/ ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م ، وهي : الفـــترة التي باشرت فيها المنظمات والهيئات الإسلامية أعمالها المنظمـــــة فـي الجنوب السوداني . كمـــا نرى أن أضعف نسبة كانت في سنة اتفاقيـــة " أديس أبابا " . كمـــا نرى أن أعلى المعدلات للاتجاه نحـو الإســـلام كانت بين السنوات : ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م ، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م ، وهي تواكب فترة النشاط الدعوي الذي أحياه السيد علي بلدو . والفـترة الثانيـــة كانت بين السنوات : ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م ، وهـــي فـترة النشاط الفعلي لمنظمات الدعوة الإسلامية .[١]

وهكـــذا أصبح للمسلمين في الجنوب كيان واحد ، وأصبح الإسـلام واقفًا يملك استعداد الحركة والنهوض ، وينتظر التغذية ، وبـث الـــروح ، ويبشّـر بسرعة الانتشـار .[٢]

---

(١) محمد عمر موسى ، النشاط التبشيري الكنسي في جنوب الســـودان ، ص : ٢١٣ - ٢١٥ .

(٢) المركز الإسلامي الأفريقي ، السياسة التعليمية والثقافة العربيـــة في جنوب السودان ، ص : ٥٧ .

ثانيًا

كثرة الوثنيين
واستعدادهم لتقبل الإسلام

ثانياً : كثرة الوثنيين واستعدادهم لتقبل الإسلام :

يمثل الوثنيون في جنوب السودان غالبية السكان ، ويعيش هؤلاء الوثنيون بجوار عدد من المسلمين ، ومن النصارى ، وهذا يؤدي إلى تأثرهم بإحدى هاتين الديانتين ؛ لأن ممارساتهم الدينية ممارسات ضعيفة ، لا تمت إلى عالم الروح والحقيقة بأية صلة ؛ بل تقوم على السحر والشعوذة الزائفة . انظر : الخريطة رقم (٣٨) .

وبما أن الإسلام هو دين الفطرة السليمة ، وهو العقيدة الصحيحة ، التي تدل وتقول كل البراهين بصحتها ، فإن تقبلها أكبر ، وإن كان التأثر بها أسرع . إلى جانب ما تحويه هذه العقيدة من مبادئ وقيم يحتاجها الوثنيون أمس الاحتياج ، ولا توجد في غير الإسلام من الديانات الأخرى .

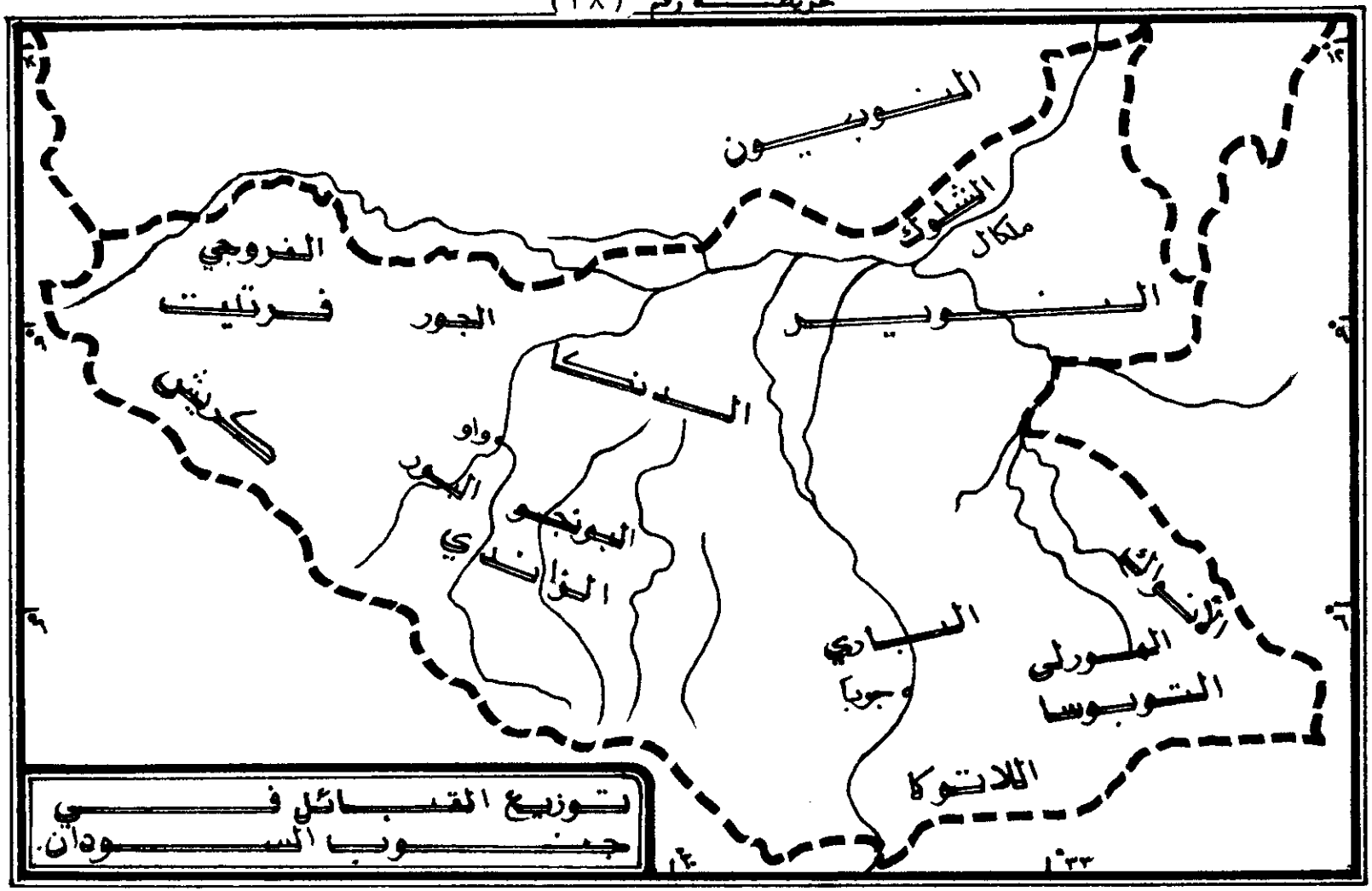
الأديان والجنوب السوداني :

على الرغم من أن اللغة العربية ، هي : لغة التخاطب لأغلب سكان الجنوب ، إلا أن أغلب السكان يدينون بالوثنية ، وتصل نسبتهم إلى ٦٥٪ من سكان الجنوب ، البالغ عددهم ما يقارب خمسة ملايين نسمة . ويقدّر عدد المسلمين بما يقارب : ١٨٪ من جملة سكان الجنوب . ثم النصارى ، الذين تقدّر نسبتهم بما يقارب : ١٧٪ من جملة السكان[1] .

---

(١) محمد عمر موسى ، النشاط التبشيري الكنسي في جنوب السودان ، ص : ١ - ٣ ، بتصرف .

خريطـــــة رقم (٣٨)



المصدر: أ.د. محمد عمر بشير، جنوب السودان، دراسة لأسباب النزاع، ص: ٣٤، ترجمة: أسعد حليم، الهيئة المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، سنة: ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

وفي دراسة أخرى : نلحظ أن الوثنيين تصل نسبتهم إلى ما يقارب: ٥٥٪ من جملة سكان الجنوب ، يليهم المسلمون بما يقارب : ٢٥٪ ، ثم النصارى بما يقارب : ٢٠٪ .(١)

من تلك البيانات السابقة نلحظ : أن هناك نشاطاً إسلامياً ظاهراً ، إذ وصلت نسبة المسلمين ، في سنة : ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م إلى : ١٪ فقط . أمّا النصارى : فقد كانوا يمثلون ما يقارب : ٩٪ . وعلى الرغم من تصدي النشاط التنصيري والإدارة في السودان للنشاط الإسلامي ، إلا أنه وصل - فيما يقارب ربع قرن - إلى ربع عدد السكان .(٢)

ومن الملحوظ : أنه على الرغم من قانون المناطق المغلقة ، والإمكانات العظيمة والكبيرة للإرساليات التنصيرية ، إلا أن النصرانية لم تنتشر بقدر كبير في المناطق الوثنية ، ذلك لإحاطة التأثير الإسلامي ببعض تلك المناطق ، ولإعراض الوثنيين عن الديانة النصرانية ، وما فيها من تناقضات .(٣)

ولقد ثبت تاريخياً أن مساندة السلطة السياسية - أياً كانت - لأي من الدينين ، لا تكون العامل الأول والمهم في نشره ، لأن الدين

---

(١) السابق ، ص : ٤ .
(٢) د . أحمد عبدالرحيم نصر ، الإدارة البريطانية والتبشير الإسلامي والمسيحي في السودان ، ص : ج .
(٣) السابق ، الصفحة نفسها .

لا يفرض بالقسوة ، بل يؤخذ عن طواعية واقتناع ، فقد اختلط سكان الجنوب بالعرب القادمين من الشمال ، فأعجبوا بكرم معاملاتهم ، ثم اتخذوا لغتهم لغة التخاطب فيما بينهم ، واتخذوا الإسلام ديناً لهم ، بحرية تامة ، ودون أي قهر . هذا على الرغم من كثير من الضايقات التي تصادف الدين الإسلامي هناك ومن يتبعه[1] .

ولقد أيقن المنصّرون بهذه الحقيقة ، فتضافرت جهودهم لمحاربة امتداده في الجنوب ، فقاموا بإبعاد من يدعو إلى هذا الدين ، وسلطوا فنون الإغراء ، وفلول الإذلال على من يتبع هذا الدين ، ليقتلعوه من قلوبهم ، فنجحوا بعض النجاح ، وساعدهم عليه :

١- تكثيف حركة التنصير .

٢- بقاء الاحتلال الفكري والاقتصادي .

٣- التأخر الاجتماعي والاقتصادي والثقافي ، وفصل الدين عن حركة تطور الحياة .

٤- الجهل بتعاليم الدين الإسلامي .

٥- سياسة الدولة المحلية (الداخلية) واتجاهاتها[2] .

وعلى الرغم من كل هذا : امتد الإسلام في الجنوب ، وانتشر ، وفي أثناء انتشاره لم يحدث هزات في البنية الاجتماعية أو الاقتصادية ، فقد ظلت

---

(١) السابق ، ص : ٦٢ .

(٢) محمد عمر موسى ، النشاط التبشيري الكنسي في جنوب السودان ، ص : ٢٠٧ .

معظم التقاليد الحيوية والأسرية على صورتها ، إذا كانت غير مناقضة لتعاليم الإسلام . ومع أن الإسلام قد قضى على روح الانتماء والتعصب المذمومين ، وبنى على أطلالها وحدة اجتماعية عظمى ، وصلات روحية أقوى .(١)

وفي مجال الحياة الاقتصادية : شجع الإسلام على العمل من أجل لقمة عيش شريفة ، مهما كانت دنيئة في نظر جهلاء البشر، مثل : الفلاحة ، والحرف الصناعية ، على عكس ما حدث عندما دخلت النصرانية التي خططت لنقل الإنسان الأفريقي إلى مجال الحياة الأوربية المبهرجة .(٢)

الدين الإسلامي ومدى استعداد الوثنيين لتقبله :

يحوي الإسلام بمبادئه العظام ، على جاذبية للفرد الأفريقي ؛ فلقد قدم إلى الأفريقيين عن طريق دعاة أفريقيين ، وهذا يعني شيئاً كثيرًا للأفريقي ، الذي ما زال ينظر إلى النصرانية على أنها ديانة غريبة عنه ؛ لأنها تقدّم إليه عن طريق أجانب ليسوا من بني جلدته . ولقد حاول المنصرون تفادي هذا المعوق ؛ فقاموا بالبحث في الثقافة المحلية الأفريقية ، فأنتجوا كثيرًا من تعاليمها باللغات المحلية ، وسعوا إلى نشر

---

(١) د . علي الخاتم ، الإسلام في السودان الغربي ، آثاره السياسية والثقافية ، ص : ١٩٣ ، مجلة (دراسات أفريقية) ، العدد الصادر في شهر رجب ، سنة : ١٤٠٥هـ - الموافق : أبريل ، سنة : ١٩٨٥م .

(٢) Layden B. , Islam in west of Africa, page:33 - 34, printed in :London, at:1374 H.-1954 A.D.

النصرانية بصور عدة ، لتصل إلى أهدافها بالسيطرة على هـذا المجتمع البدائي.(١)

ولكن الإسلام دخل حياة المجتمع الأفريقي ، دون إحداث أي خلل بهذه الحياة ، ومن ثم لم يحدث أي خلل بأكبر مظاهر قوة الأفريقي ، ألا وهي الجماعة ، فالتقى الأفارقة والمسلمون عند غاية واحدة . أمّا النصارى : فبسبب تركيزهم على الطابع الفردي كثيرًا ، لم يلقوا القابلية الكبرى.(٢)

ولأن الإسلام يرفض التمييز العنصري ، انجذب إليه كثير من الأفارقة ، لينضموا تحت ظله وسلكه الاجتماعي العظيم ، الذي لا يحدد المراكز الاجتماعية بسبب لون البشرة ، فكل أبيض وأسود ، وغني وفقير ، يقف أمام بارئه خمس مرات في اليوم ، في مكان واحد ، وفي صف واحد ، خالين من كل زيف دنيوي . ولا يمكن للنصرانية أن تدعي أو تدعو إلى مثل هذه المبادئ العليا.(٣)

وقد بات جليًّا : أن الإسلام قد سار سارًا طويلاً ، وهو يحقق انتشارًا واسعًا . وقد أكد هذا الانتشار تناقص أعداد الوثنيين ، لصالح زيادة المسلمين ، في جنوب السودان ، فقد ذكرنا من قبل : أن الوثنيين

---

(١) الجبهة القومية الإسلامية ، مسألة جنوب السودان ، مجلة (السياسة الدولية) ، العدد : ٩١ ، ص : ١٥٢ .

(٢) محمد عمر موسى ، النشاط التبشيري الكنسي ، ص : ٢٠٧ .

(٣) السابق ، ص : ٢٠٨ .

كانوا يمثلون ما يقارب : ٩٠٪ من مجموع سكان الجنوب ، وعدد المسلمين يساوي : ١٪ من ذلك المجموع ، ثم ازداد عدد المسلمين ، حتى وصل إلى ١٨٪ ، ونقص عدد الوثنيين فصار : ٦٥٪ فقط.(١)

ولقد قدّم الدين الإسلامي عدداً كبيراً من المبادئ والقيم والخيرات والخدمات الكبرى لهذا الكون ، ومن أبرزها : خدمة القضية الإنسانية ، فقد قام بتوحيد عدد كبير من أجناس البشر، مع مساواتهم في المقامات ، والفرص . تشهد بهذا : الأمم المسلمة في أفريقيا ، وفي الهند ، وفي أندونيسيا ، وغيرها.(٢)

ولقد شهد كتّاب ومفكروا الغرب بما يسمونه بديمقراطية الدين الإسلامي ، وشهدوا بمبدأ المساواة والمثل نحو الحرية (الديمقراطية) الاجتماعية في تعاليم الإسلام ، وعلى سبيل المثال : ما قالته " ساروجيني نايدو " في إحدى محاضراتها عن القيم والمثل العليا للإسلام : لقد كان أول دين نادى بالديمقراطية (الحرية) ، ومارسها في المسجد ، حينما ينطلق الأذان من المنارة ، ويجتمع المصلون معاً ، فديمقراطية الإسلام تتجسم خمس مرات في اليوم ، إذ يركع الفلاح بجوار الملك، معلنين : **الله أكبر** . . لقد عجبت جداً من هذه الوحدة الإسلامية التي لا تنفصم ، والتي تجعل

---

(١) السابق ، ص : ٤ .

(٢) Geat H.R., Where Islam, page : 379, printed in: London , at : 1351 H. - 1932 A.D.

الإنسان أخاً للإنسان بكل وضوح.[1]

وعبّر عن مثل هذه الفكرة - أيضاً - المفكر " روجيه جارودي " (رجاء الله جارودي) ، الذي كتب كثيراً عن الإسلام ، وتسامحه ومساواته ، وأنه يجب أن يكون دين البشرية جمعاء .

وفي مقابل هذا : لم تتعمق النصرانية في جنوب السودان ، ولم تكن بالعقيدة الراسخة ، ذلك لأن حركة التنصير اعتمدت على الدعاية المادية ، ممّا أظهر أفراداً وجماعات تغير دينها بين عشية وضحاها ، تحت تأثير الإغراء المادي . وقد سعى المنصرون إلى الاهتمام بالعدد الكثير ، بل إنه في كثير من الأحيان يكون الهدف الأول من التنصير هو : منع الجنوبي الوثني من اعتناق الإسلام ، بالتضليل والتكريه ، دون تأكيد على الجانب الروحي لذلك الجنوبي ، الذي يبحث عن راحة الحقيقة ، وبرهان الحق.[2]

كما يلحظ : انعدام استمرارية روح الدين النصراني ، بين الشيوخ وزعماء القبائل ، لأن معظم مواد النشاط التنصيري برامج شبابية ، إذ إن أكثر من : ٦٠٪ من رواد الكنيسة في جنوب السودان من الشباب.[3]

---

(١) Sarogienny Taido , Sayinge and writtens of Sarogienny , page : 169 , printed in : London, at: 1338 H. - 1918 A.D.

(٢) محمد عمر موسى ، النشاط التبشيري الكنسي في جنوب السودان ، ص : ٢١٧ - ٢١٨ .

(٣) السابق ، ص : ٢١٨ .

ولا يخفى علينـــا : أن رابطة الكنيسة والتنصير بجنوب الســودان ، هي رابطة سياسية ، قبل أن تكون رابطة دعوية . أمّـــا العقيدة الإسلامية : فهي عقيدة راسخة شاملة ، وهي الحق المبين ، والنور العميم . وهي دين يدعو إلى المساواة الاجتماعية ، وينبذ الرهبنة التي تخالف أصول الفطـرة ، والإسلام هو دين الفطرة السليمة .

وأقـــول مكرراً : إن من أبرز أسباب نجاح الدعوة الإسلاميـــة ، أنها دعوة للتعاطف مع كل سلالات البشر ، وبهذا أصبح الإسلام عالميـــاً في نظرته للكون وموجوداته ، قـــال تعالى :(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾) .(١)

وقـــال تعالى : (وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾) .(٢)

وقـــال تعالـــى : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾) .(٣)

---

(١) سورة النساء ، آية : ١ .
(٢) سورة الروم ، آية : ٢٢ .
(٣) سورة الحجرات ، آية : ١٣ .

وفي نهاية هذا المطلب (الوضع الديني) نخرج بالنتائج الآتية :

الأولى : إن الإسلام في جنوب السودان مرتبط بما يحدث في الشمال ؛ إذ إنه جزء من مسار حركة ومستقبل الإسلام في الشمال ، فكلما ازداد نشاط الإسلام في الشمال ، حدث مثله في الجنوب . والعكس مثله .

الثانية : قامت اللغة العربية بدور كبير في إحداث التجانس اللغوي ، حتى صارت لغة التخاطب في معظم الجنوب .

الثالثة : ينتشر الإسلام في الجنوب ، ويتقبله الوثنيون ؛ فهو أقرب إلى فطرهم وعاداتهم ، من الدين النصراني . وإن كان انتشاره مضيقاً عليه ، إلا أنه يتخطى تلك العقبات .

الرابعة : لقد عمل الاحتلال على تنصير التعليم ، وساعده على ذلك الإرساليات التنصيرية ؛ لتصبح زمام الإدارة والسياسة والحكم في أيدي النصارى الجنوبيين .

الخامسة : على الرغم من تفاقم الحروب الأهلية ، وما رسبته في النفوس من مفاهيم خاطئة عن الإسلام والمسلمين ، لم يتوقف المد الإسلامي بين أبناء الجنوب ، ويثبت ذلك سجلات المحاكم الشرعية المدون بها أعداد الذين اعتنقوا الإسلام من الوثنيين .

السادسة : ممّـــا أسهم في دفع حركة الدعوة الإسلامية اتباع الحكومـــة ، ومنظمات الدعوة الإسلامية الأساليب الحضارية التي كانت تتبعهـــا الإرساليات التنصيرية ، وبطرق وأساليب مدروسة ؛ لتضاهي المخططات التنصيرية الماكرة الخادعة .

السابعة : لقد شهدت الدعوة الإسلامية في جنوب السودان نجاحًا كبـــيرًا بين الوثنيين ؛ وذلك بعد تكثيف وسائل الدعوة ، وبأسلوب مدروس ومبرمج ، في إطار العمل المتكامل ، وتجاوز سلبيات الأعمال السابقة . فتقوم الدعوة بمقتضاه مصحوبة بالخدمات الاجتماعية المختلفـــة ، والتنمية الثقافية والاقتصادية .

* * *

المطلب الثالث

التجّار المسلمون

المطلب الثالث

التجـــار المسلمـــون

لقد كان للتجار المسلمين دور مهم في نشر الدين الإسلامي ، واللغة العربية في جنوب السودان ، كما أسهموا في ربط الجنوب بالشمال ، وقد كان انتشار هؤلاء التجار في الجنوب إيذانًا بحدوث تحول كبير في جنوب السودان ، من الوثنية إلى الإسلام (١).

فقد استوطن كثير من هؤلاء التجار جنوب السودان ، وتزاوج أكثرهم مع الملوك والسلاطين ، وأصبحوا يمثلون الطبقة الراقية. وقد أعجب كثير من أبناء الجنوب بهؤلاء التجار ، وسعوا إلى تقليدهم ، وتعلم لغتهم ، وسائر أساليب حياتهم ؛ إذ إن المتخلف مولع بتقليد المتفوق (٢).

ولا يفوتنا أنه كان هناك دور كبير للفقهاء والأطباء المحليين في نشر اللغة العربية والإسلام ، عن طريق كتاتيب تعلم القرآن الكريم . وما يزال هذا الدور مستمرًا (٣).

---

(١) المركز الإسلامي الأفريقي بالخرطوم ، السياسة التعليمية والثقافة العربية في جنوب السودان ، ص : ١١.

(٢) د. عشاري أحمد محمود ، العربية في جنوب السودان ، مجلة (السياسة الدولية) ، العدد : ٩١ ، ص : ١٤٠.

(٣) السابق ، الصفحة نفسها.

وقد كان للزبير باشا دور كبير في نشر الدين الإسلامي . وقد بدأ حياته تاجراً ناجحًا ، وقدم إلى جنوب السودان ، وسعى من أجل قيام دولة تحكم بالشريعة الإسلامية ، في بحر الغزال . وأدى دورًا مميزًا في نشر الإسلام واللغة العربية ، في الجنوب . وقد تعرض اسم الزبير لكثير من التشويه والتشهير ، فقد درج بعض الباحثين على إظهاره على أنه أشهر تاجر للرقيق في جنوب السودان .[1]

ولقد تجاهل أولئك الباحثون - الذين رموا الزبير بتجارة الرقيق - الظرف التاريخي ، وظروف المنطقة ، متناسين إصلاحاته ، ودوره الكبير في وضع لبنة مهمة ، في بناء السودان المعاصر .

يقول الزبير : " وكان من عادة تلك البلاد أنهم يتتبعون أهل الجنايات ، كالسارق ، والزاني في الأسواق ، فيذبحونهم ، ويبيعون لحومهم كالأبقار ، ويشتريها أهل تلك الجهات ليأكلوها . فكلما رأيت منهم ذلك أخذت أشتري من أجد فيه اللياقة لحمل السلاح ، وأفديه من الذبح ، حتى بلغ ما اشتريته نحو خمسمائة تقريباً . وصرت أعلمهم حمل السلاح إلى أن أتقنوا حملة ، فزودتهم جميعاً بالأسلحة التي أحضرتها معي ".[2]

---

(١) د . مختار عجوبة ، مشكلة جنوب السودان ، وأثرها على مستقبل العلاقات العربية الأفريقية ، ص : ٦٢ .

(٢) المركز الإسلامي الأفريقي بالخرطوم ، السياسة التعليمية ، والثقافة العربية في جنوب السودان ، ص : ١١ .

وقد سنّ الله - سبحانه وتعالى - في عهده على كثير من أبناء الجنوب بالدخول في الإسلام دون إكراه . كما أسلمت قبيلة السلطان " تكيما " كلها ، لمّا أسلم سلطانها على يد الزبير ، وهذا حدث مع كثير من قبائل الجنوب . ثم أسس الزبير مدينة جعلها عاصمة له ، سميت بـ" دير زبير " .(١)

ومن الجدير بالإشارة إليه : أن جهود الزبير قد أدت إلى ازدهار التجارة ، واستتباب الأمن ، وهذا أدى بدوره إلى انتشار الإسلام واللغة العربية . كما قام المجندون في جيش الزبير بدور بارز في هذا الانتشار . وقد بلغ عدد ذلك الجيش اثني عشر ألف جندي .(٢)

وقد أدرك " جوردون " حاكم السودان العام : أن هناك قرى تتحدث العربية في جنوب السودان ، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر . كما أنه لم يجد - بعد بحث طويل - أية تفرقة عرقية أو عنصرية بين الشماليين والجنوبيين داخل هذه القرى . وقد صرّح هذا الرجل بأن اللغة العربية يجب أن تكون لغة هذه البلاد ، يريد جنوب السودان .(٣)

وهذا يدلنا على مدى المعاملة الحسنة ، التي تعامل بها أولئك التجار المسلمون مع أبناء الجنوب ، وكانت النتيجة : أن سار رؤساء

---

(١) السابق ، الصفحة نفسها .
(٢) السابق ، ص : ١٢ .
(٣) د . مختار عجوبة ، مشكلة جنوب السودان وأثرها على مستقبل العلاقات العربية الأفريقية ، ص : ٦٣ .

القبائل الجنوبية إلى تقليدهم . في مأكلهم ، وملبسهم ، ومعاملاتهم ؛ بل أصبح للأعياد الإسلامية ،ومعظم شعائر الإسلام ، مكانتها بين معتقدات الجنوبيين القديمة.[١]

محاولات التخلص من التجار المسلمين :

وعندما قامت الإدارة البريطانية ، والإرساليات التنصيرية بحرب الإسلام هناك ، كان أول من حورب هم التجار الشماليون ؛ لأن الإسلام انتشر على أيديهم ، وصارت لهم المكانة العليا في الجنوب . فكان لا بد من قتل وجودهم هناك ؛ ليتمكنوا من تحجيم الوجود الإسلامي هناك.[٢]

وفي شهر ربيع الأول ، سنة : ١٣٣٤هـ - الموافق : يناير ، سنة : ١٩١٦م ، أعدّ " مانيلي " مذكرة خطيرة عن السياسة التي يجب أن تتبع في جنوب السودان . وقد كان من أهم بنودها : القضاء على أسباب انتشار الإسلام في الجنوب ، وقد كان أهم تلك الأسباب هم التجار المسلمون ، الذين عملوا على نشر الإسلام ، واللغة العربية في جنوب السودان.[٣]

---

(١) Gray R., A History of the Southern Sudan : (1839- 1889 A.D.), page : 112-158.

(٢) د . عشاري أحمد محمود ، اللغة العربية في جنوب السودان ، مجلة (السياسة الدولية) ، العدد : ٩١ ، ص : ١٤٠.

(٣) Professor Bashir M.O., The Southern Sudan, Background to conflict, Horst and Co., page: 79 - 84.

ولم تمض مدة يسيرة ، حتى ظهرت تلك المخططات من عالم الخفاء إلى عالم الجلاء ، إذ جاء في المادة (الثانية والعشرين) من لائحة جوازات السفر : أن من حق الحاكم العام للسودان أن يجعل أي إقليم منطقة مغلقة إغلاقاً كاملاً أو جزئياً ، أمام كل سوداني وغيره . كما منحته هذه المادة الحق في وضع القيود على دخول الأشخاص إلى تلك المناطق ، وتحديد الشروط للسماح لهم بدخولها . كما منحته المادة : حرية إغلاق أي منطقة من السودان في وجه التجارة .(١)

كما أصدر أمر يخص تصاريح التجارة ، سنة : ١٣٤٣ هـ ـ ١٩٢٥م ، نص على أنه لا يجوز لأي شخص من غير أبناء المنطقة أن يمارس التجارة ، دون الحصول على تصريح بذلك .(٢)

وقد أضحى جلياً : أن الهدف من هذه الإجراءات هو: منع التجار المسلمين من ممارسة أي نشاط ، والتضييق عليهم حتى يخرجوا من جنوب السودان . وقد كتب السير " ماكمايكل " وزير الداخلية في الخرطوم إلى حكام المديريات ، سنة : ١٣٤٩هـ - ١٩٣٠م كتاباً قال فيه : " إن الحكومة تريد اتخاذ الإجراءات الكفيلة بتشجيع التجار اليونانيين ، والسوريين النصارى ، ليحلوا محل التجار المسلمين . ولا بد من التشدد في إعطاء التصاريح لهذه الفئة الأخيرة ، بشكل هادئ ومستمر ، وينبغي

---

(١) السابق ، ص : ٨٤ .
(٢) السابق ، ص : ٨٥ .

مراعاة ألا تعط هذه التصاريح إلا للأشخاص الملائمين منهم ، ممّن لا يهتمون بغير الأعمال التجارية . كما ينبغي الحد من تجارة أولئك - يريد المسلمين - في المدن والطرق الممهدة ".[1]

ويقول الحاكم العام للسودان في مذكرته عن السياسة التعليمية ، في جنوب السودان في التاسع عشر من شهر شوال ، سنة : ١٣٤٧هـ - الثلاثين من شهر مارس ، سنة : ١٩٢٩م : " إن الهدف من التعليم ليس تحضير مستخدمين للحكومة فقط ، بل الهدف - أيضاً - تأهيل الجنوبيين لمقابلة التطورات المقبلة ، وأن يحلوا محل التجار الشماليين ، ومنع النفوذ الإسلامي من الانتشار في الجنوب ".[2]

ولا يفوتني أن أشير إلى : أن أسلوب التخلص من التجار المسلمين ، قد بدأ بقرارات مؤتمر التنصير العالمي ، الذي عقد في أدنبرة ، سنة : ١٣١٩هـ - ١٩٠١م ، والذي قرّر اتخاذ التجارة وسيلة ضرورية لنشر الإنجيل بين الشعوب الوثنية ، وذلك كما يقولون أسوة بما اتبعه التجار المسلمون ، وتيارهم الإسلامي الزاحف على المناطق التي يتعاملون فيها ، فقد كان كل تاجر منهم داعية مسلم ، وهذا يهدد بتحويل أفريقيا

---

(١) تقرير لوزير داخلية السودان في الخرطوم ، السير هارولد ماكمايكل ، بتاريخ ٢٥ من شهر شعبان ، سنة : ١٣٤٨هـ - الموافق : ٢٥ يناير ، سنة : ١٩٣٠م.

(٢) محمد عمر موسى ، النشاط التبشيري الكنسي في جنوب السودان ، ص : ٧٢ .

الوثنية كلها إلى أمة مسلمة .[١]

ولم يمض وقت قصير حتى اشتغل أولئك المنصرون بالتجارة في جنوب السودان ، وبخاصة تجارة المواد الحيوية ، كالذرة والأبقار والأساور النحاسية . وكانت فوائد هذه التجارة استفادوا منها في دعم عمل الإرساليات التنصيرية .[٢]

وقد أدى هذا التضييق الكبير على التجار المسلمين إلى شكوى عارمة ، ممّا جعل الحاكم العام في السودان ، يصدر أمرًا بتحريم اشتغال المنصرين بالتجارة ، إلا في بعض السلع اليسيرة ، لمنتجات الإرساليات .[٣]

وقد حاولت الإرسالية الأمريكية ، إقناع المسئولين بطرق مختلفة ، لإلغاء هذا القانون ، حتى يتمكن المنصرون من مزاولة أنشطتهم التجارية . فقد عقد الدكتور " واطسون " اجتماعًا مع الحاكم العام ذكر فيه : بأن الهدف من اشتغال المنصرين بالتجارة ، ما هو إلا مقاومة لانتشار الإسلام ، لأن التجارب أثبتت بما لا يدع مجالاً للشك : أن التجار المسلمين يتعقبون كل أثر لأي أمة بيضاء ، تقوم بحكم إقليم جديد ، في أفريقيا ،

---

(١) Professor Bashir M.O., The Southern Sudan , Background to conflict, Horst and Co., page: 84 - 85.

(٢) د .إبراهيم عكاشة ، التبشير النصراني في جنوب سودان وادي النيل ، ص : ١١٥ .

(٣) السابق ، ص : ١١٦ - ١١٧ .

والإسلام ينتشر على أيدي هؤلاء التجار ، بحكم طبيعة عملهم التجـــوالي ، الذي يمهد لهم الاتصال بكثير من السكان ؛ ومن ثم أصبحت المسألة الـــتي يجب إقرارها ، هي : إنشاء وسائل ، مثل : تلك التي يقـــوم بها المنصرون ؛ لنشر النصرانية بالطريقة نفسها .(١)

وقد استمر قانون منع اشتغال المنصرين بالتجارة ساري المفعـــول ، وأصبح المنصرون لا يمارسون التجارة إلا بتصريح خاص ، ولمنتجات الإرساليات فقط ، كالحبال ، والفواكه ، والكتب ، وعن طريق المقايضة مـــع الأهالي للحصول على متطلباتهم الضرورية .(٢)

وقد أشار " مانوي " سكرتير إدارة المعارف في الحكم البريطانـــي ، إلى : أنه يمكن للمنصرين ، أن يعلموا أبناء الجنوب أسس التجارة . وهـــذا يمكنهم من التخلص النهائي من التجار المسلمين .(٣)

ومع هذا الضغط المتزايد على التجار المنصرين ، فقد استمـــرت الإدارة البريطانية في تبني مبادرة الإرساليات ؛ للتخلص من وجـــود التجار المسلمين في الجنوب ؛ وذلك عن طريق سن بعض التشريعات الـــتي استمر تطبيقها ، حتى سنة : ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م ، وهو : الوقت الذي تم فيه تخفيف تـلك التشريعات ، في إثر المطالب التي قدمها مؤتمـــر الخريجين

---

(١) السابق ، ص : ١١٨ .
(٢) محمد عمر موسى ، النشاط التبشيري الكنسي ، ص : ٧٢ .
(٣) السابق ، الصفحة نفسها .

الوطني ، وقد كان أحد هذه المطالب : رفع قيود التجارة والتنقل[١].

هذا وعلى الرغم من تلك العراقيل ، والسياسات الماكرة ، الا أن التجار حملوا لواء العقيدة الإسلامية ، في جنوب السودان ، وقد كان لهم الفضل الأكبر في غرس بذور الإسلام هناك .

ولا يفوتني المقام دون إشارة إلى أن الجهد الذي قام به هؤلاء التجار - مع ضخامته - إلا أنه جهد فردي تطوعي لنشر الدين الإسلامي . لتأتي بعد هذه مرحلة جديدة ، تظهر فيها التنظيمات الكبرى ، لنشر الدعوة الإسلامية ، بشكل منظم وجماعي ، وبخاصة بعد سنة : ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م ، إذ ظهرت المنظمات والهيئات ، التي تعمل بجد ونشاط ، وبطرق حديثة . وقد نجحت إلى حد كبير في سياساتها ، التي تطرقت إلى الوسائل الاجتماعية والثقافية والصحية ، لتدعيم الوجود الإسلامي في جنوب السودان[٢].

وبهذا نرى أن الدعوة الإسلامية تتحول من أفراد متطوعين ، نجحوا في نشر الإسلام في الجنوب ، إلى جهات دعوية منظمة ، تتشكل في الحكومة المركزية ، ووسائلها الأخرى ، وفي المنظمات والهيئات الإسلامية الأخرى[٣].

---

(١) د . إبراهيم عكاشة ، التبشير النصراني ، ص : ١٢٢ .
(٢) محمد عمر موسى ، النشاط التبشيري الكنسي ، ص : ١٩٨ .
(٣) السابق ، الصفحة نفسها .

وفي نهاية هذا الحديث عن (التجار المسلمين) أصل إلى النتائج الآتيـــة :

الأولى : لقد بذل التجار المسلمون جهوداً كبيرةً ، في سبيل نشر الدعـــوة الإسلامية ، في جنوب السودان ، وهذا عائد إلى الانتشار الكبـــير لهم في تلك الأجزاء المتناثية ، ومـا مثله هذا الانتشـــار مـن معاملات كثيرة ، أدت إلى إعجاب أولئك الجنوبيين بالسلوك العام لهؤلاء التجار ، النابع من عقيدتهم الإسلامية . وانتقلوا من طـــور الإعجاب إلى طور الاتباع ، بيقين الراسخ الثبت ، والمؤمن المطمئن .

الثانية : يعد عمل هؤلاء التجار في الجنوب ، ومعاملاتهم الإسلامية ، مثـالاً كبيراً للقـــدوة الحسنة ، ومـا تؤدي إليه هذه القدوة ، من ترسيخ مفهوم الإسلام ، بمبادئه السامية ، في أذهان الغافلين عنـــــه ، المحجمين عن قبوله .

الثالثة : إن غيظ أعداء الإسلام يتمثل في القدرة البارزة ، التي يستطيـــع بها الإسلام أن يبني رجالاً ، حملت في صدورها أمانـة تبليغ هـذه الدعوة . فقد نجح الإسلام في صنع عدد كبير من المصاحـــــف والأحاديث التي تخطو على الأرض ، ناشرة عبق الإيمان ، ونـــــور اليقين ، بعد أن طابت غراسها ، في تلك القلوب المؤمنة .

الرابعة : إن الداعية المسلم ينبغي عليه ألا يغفل عن أهمية التعامل مع غـير المسلمين ، بالرفق واللين والتسامح ، وكرم الأخلاق الإسلاميـــــة ،

وليس هذا مقتصراً على هذا الوضع ؛ بل هو سلوك متحتم يجب على كل مسلم أن يتحلى به ، ففيه السعادة الدائمة ، إلى جانب أنه عنصر مهم من عناصر الدعوة الإسلامية ، يحظى بمراقبة كثير من غير المسلمين ، فينبغي التنبه له ، والاهتمام به .

الخامسة : لقد رأى المنصرون وأعوانهم من الحكام : أن في وجود التجار المسلمين خطراً كبيراً عليهم ، لما يمثله هذا الوجود من تمام لانتشار الإسلام . لذلك قاموا بعمل سبلاً مختلفة للتضييق على التجار ؛ لينالوا من هذا الوجود ، ويطردوه من الجنوب .

السادسة : أيقن العاملون من أجل قتل وجود التجار المسلمين ، بوجوب مواجهة هذا الزحف بالمثل . فقاموا بمحاولة استبدال التجار المسلمين بتجار نصارى ، ثم أدخلوا المنصرين في لجنة التجارة ، كل هذا من أجل مقاومة الأعمال الكبرى ، التي يقوم بها التجار المسلمون . وهذا يدلنا على الأسلوب الحاقد الماكر ، الذي تلجأ إليه الإرساليات التنصيرية ؛ من أجل إيقاف انتشار الإسلام ، في كل مكان .

السابعة : إن استخدام أسلوب الاتهامات ، وتلطيخ الأسماء الشريفة ، بالألقاب الخبيثة ، منتشر لدى كل حاقد على الإسلام ، وعلى أهله . وقد استخدم هذا الأسلوب في مواجهة الأعمال الكبرى التي بذلها التجار المسلمون ، فاتهموهم بالمتاجرة في رقاب الناس ،

وسعيهم الحثيث من أجل اصطياد الرقيق ، وسلب الحريات من الأحرار. وهم يعلمون علم اليقين أنهم أولى بهذه الألقاب من غيرهم ، والتاريخ مليء بمخازيهم المنفّرة في هذا المجال ، وفي كل مجال .

الثامنة: ولقد كان من أبلغ الناس تأثراً شديداً بهذه الاتهامات ، هو: الزبير ، التاجر المسلم ، الذي نشر الإسلام ، في أفياء مقفرة من الجنوب السوداني . ولقد كان لمحاولته الجريئة في إقامة دولة إسلامية في جنوب السودان أثر كبير في تمكين الوجود الإسلامي في الجنوب ، ولعل المنصفين من المؤرخين يقفون أمام هذا الجهد البارز بإنصاف تام ، ورأي سديد .

التاسعة: ولم يقدم التجار المسلمون للجنوب ، أروع الأمثلة على هذا الدين القويم فحسب ، بل قدّموا اللغة العربية ، لغة القرآن الكريم ، ولسان التشريع الإسلامي ، والتي يرتبط بها الوجود الإسلامي ، لهذا سارع محاربو الإسلام ، إلى سرعة اقتلاع وجود هذه اللغة ، لأن وجودها يعني : بقاء الوجود الإسلامي .

* * *

المطلب الرابع

الوكالة الإسلامية الأفريقية للإغاثة

المطلب الرابع

الوكالة الإسلامية الأفريقية للإغاثة

تعد الوكالة الإسلامية الأفريقية ، أحد العوامل التي ساعدت على انتشار الإسلام في جنوب السودان ، وفي مناطق كثيرة من أفريقيا ؛ إذ كانت سنداً كبيراً للجهود الدعوية المخلصة ، التي تقوم بها الهيئات والمنظمات الإسلامية ، وكل جهد فردي ، في سبيل نشر الإسلام .

كل ذلك ينبع من كون الوكالة حصناً منيعاً ، يأوي إليه المشرّدون من أبناء أفريقيا ، ممّن فروا من النكبات والحروب والجفاف ؛ ليجدوا الرعاية الأمنية المخلصة ، والأمن المكين في ظل الإسلام .

ولقد أتت نشأة هذه الوكالة ، وغيرها من الوكالات المثيلة لها ، بدافع كبير من أجل حماية أبناء المسلمين ، من تسلط الأيدي التنصيرية ، التي تحاول المساس بدينهم . وقد اتخذت النشاطات التنصيرية سبلاً مختلفة ، من بينها : تكوين هيئات من المنصرين ، تعمل في مجال الإغاثة ، وفي دائرة التنصير . وهذا يمثل خطراً كبيراً ؛ وبخاصة على أبناء الإسلام ؛ لهذا قامت عدد من الوكالات الإسلامية للإغاثة ؛ لتحمي المسلمين ، ولتقوم بواجب الدعوة الإسلامية للمسلمين ولغيرهم .

الأسباب التي أدت إلى ظهور الإغاثة الإسلامية :

لقد رأى القائمون على الدعوة الإسلامية : أن تقام عدد من الهيئات المتخصصة في مجال الإغاثة والتوطين ، تحت رعاية الدعوة ، لتخدمها ، ولتحمي أبناء المسلمين من نفوذ المنصرين .

فلقد رأت الكنيسة استحداث عدد من السبل والوسائل الحديثة ، لدفع حركة التنصير ، وذلك بفتح عدد من هيئات الإغاثة والتوطين ، دون اعتماد على الوسائل التقليدية ، وكما قال أحد قساوسة تلك الكنيسة : " إن المعضلة الرئيسة الآن ، هي : كيفية الحفاظ على كيان المجتمعات النصرانية ، وذلك باستحداث وسائل أكثر تطوراً تلائم حياة السود " .(١)

ولقد تحقق للكنيسة ما تريده ، فباستقرار الأحوال في الجنوب ، وقيام الحكم الذاتي الإقليمي ، ظهرت المؤسسات التنصيرية المختلفة ، المسهمة في مشروعات التوطين والإغاثة والتنمية ، وتدعي أنها هيئات خيرية ، وهي خلايا تنصيرية .(٢)

كما تمخض عن " مؤتمر فندق السلسبوري "(٣) الذي عقد

---

(١) محمد عمر موسى ، النشاط التبشيري الكنسي في جنوب السودان ، ص : ١٦٤ .

(٢) السابق ، الصفحة نفسها .

(٣) عقد مؤتمر فندق " السلسبوري " في الخرطوم من : الواحد والعشرين إلى الثالث والعشرين من شهر جمادى الأولى ، سنة : ١٣٩٣هـ - =

تحت إشراف مجلس الكنائس السوداني : خطة متعلقة بالإغاثة والتوطين ، وضعت موضع التنفيذ ، وحددت مناطق نفوذها ، وجعلت تابعة للإرساليات الموجودة في منطقتها . وقد حظيت الاستوائية بجنوب السودان ، بعدد كبير من مثل هذه الهيئات .[١]

وقد ظهر عدد من الهيئات الكنسية ، التي تعمل في مجال الإغاثة والتوطين ، ومنها :

١- مجلس كنائس أستراليا .

٢- هيئة كنائس فنلندا .

٣- كنيسة آيسلندا .

٤- مجلس خدمات الكنيسة العالمية .

٥- الوكالة المركزية لتنمية الخدمات في العالم .

٦- وكالة خدمات الكنائس البروتستانتية .

٧- هيئة الكنائس النرويجية .

٨- الكنيسة الألمانية .

٩- هيئات كنسية أخرى في : كينيا ، وملاوي ، وبتسوانا .[٢]

وهكذا نرى هذه المرافق الهائلة ، والمناشط الفخمة ، المجهزة بكل عناصر العمل الفاعل ، تتوجه إلى أبناء أفريقيا في كل مكان ، لتقدم

= الموافق من الخامس إلى السابع ، من شهر مارس ، سنة : ١٩٧٣م.
محمد عمر موسى ، النشاط التبشيري الكنسي في جنوب السودان ، ص : ١٦٤ .

(١) محمد عمر موسى ، النشاط التبشيري الكنسي ، ص : ١٦٦ .

(٢) السابق ، ص : ١٦٧ - ١٦٨ .

إليهم الإغاثة بيد ، وترك الدين والانتقال إلى دينهم باليد الأخـــرى . وهذا أدى إلى ظهور عدد من هيئات الإغاثة الإسلامية في أفريقيـــا ، التي تكثر فيها النكبات والمشردون ؛ لتحافظ على أبناء تـــلك القـــارة من الزحف النصراني الهائل ؛ ولتحمي أبنـاء الإسلام من الضياع والتشـــرد ، وتسلط الأيدي النصرانية عليهم ؛ ولتكون مرفقاً حيوياً لنشر الدعوة الإسلامية ، في كل منطقة تصل إليها .

وقد تم بنـــاء صرح عظيم يشد من أزر الرسالة الإسلامية ، ألا وهـــو : (الوكالة الإسلامية الأفريقية للإغا ثة) ، التي تعد أحد روافد " منظمـــة الدعوة الإسلامية " ، التي تعمل وتسعى لتحرير الإنسان على وجـــه الأرض ، من ربقة الشرك والضلال ، ولتدرج به على نهج الدين القويم ، دين الحق والعدالة والهداية .[1]

وهكـــذا قامت الوكالة الإسلامية الأفريقية للإغاثة ؛ لتقدم جميـــع الخدمات الطبية ، والأكسية والأطعمة للمتضررين المنكوبين ، وتسهم إسهامـــاً جاداً في حل مشكلاتهم الاجتماعية والتعليمية . كمـــا تقوم بالدراســـات المتعلقة بالنواحي الغذائية والصحية ، وتشييد معاهد ومراكز للتدريـــب المتخصص ؛ وذلك من أجل تصحيح الوضع غير الطبيعي لهؤلاء المنكوبـــين ، ودفع الضرر عنهم ، وحمايتهم من النشاطات المعادية للإسلام ، وإعـــادة

---

(١) منظمة الدعوة الإسلامية ، ص : ٥ .

توطينهم في حياتهم الطبيعية الآمنة المستقرة ، البعيدة عن خطر محدق .[1]

أهداف الوكالة الإسلامية الأفريقية للإغاثة :

للوكالة عدد من الأهداف ، من أهمها :

١- تعمل الوكالة على أنها جهاز متخصص من أجهزة الدعوة الإسلامية ؛ لتحقيق أهداف المنظمة الكلية في أفريقيا .

٢- تعني الوكالة بأمر اللاجئين ، الذين اضطرتهم ظروف الحياة القاسية ، وعوامل القهر إلى ترك ديارهم وأموالهم .

٣- تعمل الوكالة على إمداد اللاجئين بالطعام والكساء والعلاج حسبما تقتضيه ظروفهم .

٤- تعني الوكالة بإغاثة المناطق الأفريقية ؛ وخاصة الإسلامية منها ، التي تصيبها الكوارث ، كالفيضانات ، والزلازل ، وغيرها من الكوارث الطبيعية ، ومدهم بالاحتياجات اللازمة ، بأقصى سرعة .

٥- تسهم في حل المشكلات الاجتماعية ، والتعليمية ، والاقتصادية للفارين من مناطق الكوارث ،في أفريقيا .[2]

---

(١) منظمة الدعوة الإسلامية ، النظام الأساسي للوكالة الإسلامية الأفريقية للإغاثة ، ص : ٢ .

(٢) السابق ، ص : ٣ - ٤ .

وسائلها في تحقيق أهدافها :

اتخذت الوكالة عدداً من الأساليب لتحقق تلك الأهداف ، ومنها :

١- القيام بدراسات علمية ميدانية ؛ للتعرف على توزيع اللاجئين ، ونسبة المسلمين منهم ، والتعرف على أحوالهم الصحية والغذائية والتعليمية .

٢- التقدم بمشروعات الإغاثة المكتملة الدراسة ، إلى المؤسسات التمويلية الإسلامية ، والحكومات المسلمة ؛ لتوصيل الإمدادات والإعانات الممنوحة ، إلى المحتاجين إليها ، والإشراف على البرامج الصحية والغذائية والتنموية للاجئين .

٣- تقوية الصلات بين الهيئات والأفراد العاملة في مجال الإغاثة في أفريقيا ، وغيرها من مناطق الكوارث المختلفة ، وتبادل الزيارات ، ونشر الكتيبات والنشرات ؛ من أجل ترسيخ مفهوم الإغاثة ، والتعريف بمشكلات اللاجئين على أوسع نطاق ممكن .[1]

٤- إنشاء المؤسسات التعليمية والصحية والتنموية والاجتماعية ، وغيرها من الأعمال الخيرية في أماكن تجمعات اللاجئين ، وفي مناطق الكوارث ؛ لتحقيق أهداف الوكالة .

---

(١) السابق ، ص : ٤ - ٥ .

٥- القيـــام بأية أنشطة أخرى تكون تابعة أو لازمة لأي غـــرض من أغراض الوكالة ، أو المنظمة الأم .[١]

مصادر دخل الوكالـــة :

تعتمد الوكالة في تنظيم دخلها المالي ، على عدد من المصـــادر ، منهـــا :

١- الاعتمادات المالية التي تقررها منظمة الدعوة الإسلامية للوكالـــة ، ضمن موازنتها السنوية العامة .

٢- القـروض والهبات والصدقات والزكوات من الأفراد والهيئات .

٣- الإعانات المقدمة من الحكومات والهيئات والمؤسسات ، مع مراعـــاة عدم إضرارها بأغراض الوكالة ، أو سمعتها .[٢]

بعض الشروعات العامة التي قامت الوكالة بتنفيذها :

١- منطقة شرق أفريقيا :

نفذت الوكالة فيها مشروعًا لتوطين اللاجئين . كمـــا أنشأت عيادات في كل من : زنجبار ، ودار السلام ، وكينيا ، وأوغندا ، وزمبابـــوي .

٢- منطقة غرب أفريقيـــا :

قامت بتشييد مراكز صحية في كل من موريتانيا ، ومالي ، والسنغـال .

---

(١) السابق ، ص : ٢٦ .
(٢) منظمة الدعوة الإسلامية ، النظام الأساسي للوكالة الإسلامية الأفريقية للإغاثة ، ص : ٦ .

كما تقوم بحملات التطعيم ضد الأوبئة . ولها عيادات طبية في تشاد وأفريقيا الوسطى .

٣- الصومال :

تدير الوكالة معسكراً للمهاجرين ، به مشروع زراعي ، مكون من عشرين فداناً ، ومدرسةً للأطفال ، ومركزاً لتدريب الشباب بمنطقة (أكبر) ، بالإضافة إلى عشر مدارس لتعليم القرآن الكريم ، وعشرين مركزاً لتوزيع الإغاثة ، التي يستفيد منها نصف مليون لاجئ ومهاجر هناك .

٤- باكستان :

أقامت الوكالة في بشاور عيادات علاجية للمهاجرين الأفغان ، منها : واحدة متحركة . كما أقامت عيادة للأمراض النفسية ، ومركزاً لرعاية الأمومة والطفولة ، بالإضافة إلى مركز لرعاية الأرامل وتدريبهن على بعض المهن . وأقامت - أيضاً - مركزاً لتدريب الشباب الأفغان هناك .[1]

٥- أوغندا :

أقامت الوكالة سبع عشرة مدرسة ابتدائية ، لأبناء اللاجئين الأوغنديين في جنوب السودان ، وقدمت لهم بعض الخدمات الزراعية ، وما يلزمها من معدات . وأنشأت سبع مطاحن للغلال ، ومنشآت

---

(١) دليل منظمة الدعوة الإسلامية ، الوكالة الإسلامية الأفريقية للإغاثة ، ص : ٢٦ - ٢٧ .

استثمارية أخرى .[١]

٦- السودان :

أقامت الوكالة مراكز لها في شرق السودان ؛ لخدمة اللاجئين الأريتريين ، تتمثل في مدارس لتحفيظ القرآن الكريم ، ومستوصفات طبية وبيطرية ، ومزرعة دواجن ، ومشروع زراعي . كما تقوم الوكالة بعدة خدمات في غرب السودان ؛ لخدمة اللاجئين التشاديين .[٢]

وقد قامت الوكالة بدور بارز في درء آثار المجاعة السودانية الأخيرة ؛ فقد أقامت خمسة وعشرين معسكراً ؛ لإغاثة نصف مليون من المتأثرين بالمجاعة ، بالتعاون مع لجان الإغاثة الإسلامية ، ولجان الأمم المتحدة ، والمنظمات العالمية المتطوعة ، بتكلفة شهرية تبلغ مليون دولار أمريكي . كما أقامت تسعة وثمانين مركزاً لتوزيع الأغذية ، بالتعاون مع المنظمات الدولية الأخرى . وقد استفاد من هذه الخدمات ما يقارب مليوني متأثر بالجفاف .[٣]

وتعمل الوكالة الآن على تنفيذ مشروعات ؛ لإعادة التأهيل والتعمير ، في الكثير من تلك المناطق التي اجتاحها الجفاف والتصحر . ويهدف كل مشروع إلى إغاثة ألف أسرة ، يخصص لكل أسرة خمسة أفدنة . كما تشرف الوكالة على حفر الآبار بها ، وتحضير المواد اللازمة للزراعة .[٤]

---

(١) محمد عمر موسى ، النشاط التبشيري الكنسي ، ص : ٢٠١ .
(٢) دليل منظمة الدعوة الإسلامية ، ص : ٢٧ .
(٣) محمد عمر موسى ، النشاط التبشيري الكنسي ، ص : ١٠٣ .
(٤) دليل منظمة الدعوة الإسلامية ، ص : ٢٨ .

جهود الوكالة في جنوب السودان :

عندما توجهت الوكالة إلى العمل في جنوب السودان ،وجدت نفسها بين بحر خضم من وكالات الإغاثة ، التي تعمل من أجل التنصير ، تحت هذا الشعار الزائف ؛ لهذا كان لزامًا عليها : أن تجدّ في أعمالها هذه ، وأن تبذل كل ما لديها من قدرات ؛ لتواكب تلك الجحافل التنصيرية الحاقدة ، ولتعمل على حماية أبناء المسلمين من التشرد والضياع ، أو السقوط في براثن المنصّرين[١].

ولقد كان للوكالة جهد بارز تمثل فيما قدمته لأبناء أفريقيا كلها ، ولأبناء جنوب السودان بخاصة . فقد قامت في الجنوب بأعمال الإغاثة للمتضررين من المجاعة التي ألمت بالسودان ؛ إذ أقامت خمسة وعشرين معسكرًا ؛ لإغاثة نصف مليون من المتضررين من هذه المجاعة ؛ وذلك بتكلفة شهرية تبلغ مليون دولار أمريكي[٢].

كما قامت الوكالة - أيضًا - بتوزيع الأغذية والأدوية ، على ما يقارب من مليوني متضرر من الجفاف ؛ وذلك بالتعاون مع لجان الإغاثة الإسلامية الأخر ، التي قامت -أيضًا - بجهد بارز في هذا المجال[٣].

---

(١) منظمة الدعوة الإسلامية ، ص : ٥ ، بتصرف .
(٢) محمد عمر موسى ، النشاط التبشيري الكنسي في جنوب السودان ، ص : ٢٠٢ .
دليل منظمة الدعوة الإسلامية ، ص : ٢٧ - ٢٨ .
(٣) نشرة منظمة الدعوة الإسلامية ، ص : ٣ ، بتصرف .

وتسعى الوكالة - الآن - إلى : إعادة تأهيل وتعمير عدد من المناطق التي اجتاحها الجفاف ، وداهمها التصحر . كما تهدف إلى إغاثة ألف أسرة ، تخصص لكل أسرة خمسة أفدنة زراعية ، وتشرف الوكالة على تنمية وإحياء تلك المناطق بحفر آبار المياه ، وتوفير المواد الزراعية .[١]

ومما يجدر بالذكر : أنه كان يجب أن يكون للوكالة دور بارز في نكبات التمرّد في الجنوب ، وإغاثة الصالين نار هذا الجحيم ، ولكن هذا لم يحدث ؛ إذ لم تمكن تلك الوكالة من التغلغل إلى تلك المناطق المنكوبة ، لظروف الحرب ، ولمصايد المتآمرين ، التي تريد إبادة كل وجود دعوي إسلامي[٢] .

وهذا حق يجب أن يذكر ، وهو : أن الوكالة سدت فراغاً في مجال العمل الإسلامي ، من أجل نشر الإسلام ؛ وذلك لتأمينها أبناء المسلمين المتضررين من روعات النكبات والمحن ، ولتوفيرها مناطق الإيواء والسكن ، بعد تهدم منازل الوطن ، وجفاف الأرض ، وشح المزن[٣] .

---

(١) السابق ، ص : ٢٧ .

(٢) محمد عمر موسى ، النشاط التبشيري الكنسي في جنوب السودان ، ص : ٢٠٤ .
نشرة منظمة الدعوة الإسلامية ، النظام الأساسي للوكالة الإسلامية الأفريقية للإغاثة ، ص : ٤ .

(٣) نشرة منظمة الدعوة الإسلامية ، النظام الأساسي للوكالة الإسلامية الأفريقية للإغاثة ، ص : ٢ - ٥ ، بتصرف .

إضافة إلى ما سبق : فإنها حمت حوزة الإسلام من تسلط المنصرين المتربصين . الذين ترقبوا حلول تلك المصائب ، لاستغلالها أسوأ الاستغلال ، من أجل إخراج المسلم من إسلامه ، وإبعاد الإسلام عن كل من سيتقبله .(١)

وبعد هذا العرض في هذا المطلب (الوكالة الإسلامية الأفريقية للإغاثة) أعرض أبرز النتائج التي يمكن أن تستنبط من هذا المطلب ، وهي :

الأولى : لقد رأينا كيف تكاثفت الجهود التنصيرية في مجال الإغاثة ، مستغلين قلة الوجود الإسلامي ، الذي لم يلتفت إلى هذا الأمر إلا متأخراً ، وبعد أن وقع عدد من أبناء المسلمين في قبضة المنصرين المتربصين الحاقدين .

الثانية : إن وجود الإغاثة الإسلامية يبث في نفس المسلم هناك شيئاً من الأمن والطمأنينة ، إذ يجعله هذا يحس بأن رباط أخوة الدين لم يفضل عنهم إخوانهم ، بل قدموا لإغاثتهم ، ولإزالة شكاتهم ،وحمايتهم من كل أذى .

الثالثة : مع ما قدمته الوكالة الإسلامية الأفريقية للإغاثة من مجهودات بارزة في مجال إغاثة المنكوبين من أبناء المسلمين ، فإن هذا

---

(١) محمد عمر موسى ، النشاط التبشيري الكنسي في جنوب السودان ، ص : ١٧١ ، بتصرف .

الجانب لا يزال قاصراً يحتاج إلى دعم كبير من حكومات العالم المسلم ، الذي يجب أن تكون يداً واحدةً ، إذا اشتكى منهـــا عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .

الرابعة : تعد الوكالة الإسلامية الأفريقية للإغاثة حركة نشطة ، تسهم إسهاماً كبيراً في إنجاح مساعي المنظمات والهيئات الدعويـــــة الإسلامية في جنوب السودان ، وبخاصة منظمة الدعوة الإسلاميـة ، فقد قامت بتغطية جانب مهم ، ألا وهـو : الإغاثة والتوطـــين ، وحماية المسلمين من كيد المبشرين .

الخامسة : إلى جانب ما سبق : تعد الوكالة مواجهة لتحد كبير ، وشوكة في فم من صرخ بتقصير المسلمين في جانب الإغاثة الإنسانيـــة ، والتي كان الهدف منها : إساءة وجه الإسلام المشرق ، والكيد له . فجاءت الوكالة ، وكل عمل مماثل لها للرد على هـذه الافتراءات الضالـــة .

* * *

الفصل الثالث

معوقات انتشار الإسلام في جنوب السودان

وفيه أربعة مباحث هي :

المبحث الأول : الوضع الجغرافي والسياسي

المبحث الثاني : الحالة الاقتصادية، والتنموية

المبحث الثالث : النشاطات المضادة للإسلام

المبحث الرابع : تقصير المسلمين، وضعفهم

الفصل الثالث

معوقات انتشار الإسلام في جنوب السودان

مدخل :

بعد أن رصدنا في رحلة طويلة أبرز العوامل التي كانت وراء انتشار الإسلام ، وعرفنا مدى إسهام تلك العوامل في نشر الإسلام في الجنوب ، بين أساس ومساعد . ننتقل إلى الحديث عن المعوقات التي أعاقت وتعيق انتشار الإسلام ، في جنوب السودان .

وإن الحديث عن المعوقات يقتضي مني - قبل كل شيء - أن أقرر أن هناك تفاوتاً بين ما سأذكر من معوقات ،في قوة التأثير ، فليست كلها بذات قوة واحدة ، كما أن العوامل ليست بذات قوة متساوية ، في العمل على انتشار الإسلام .

وتباين قوة تأثير تلك المعوقات عائد إلى العوامل التي تسعى في تكوينها وإنشائها ، وهي مختلفة - أيضاً - في هذا المجال . وهذا الاختلاف أدى إلى ضعف أو قوة تلك المعوقات .

كما يجب عليّ أن أشير إلى أن من سيقرأ ما تقدم من عوامل ، وما تأخر من معوقات ، فإنه سيرى صراطاً ضيقاً ، وصعوداً وهبوطاً ، بين العوامل التي تسعى لنشر نور الإسلام ، والمعوقات التي أخذت نفسها للوقوف أمام هذا الانتشار ، وهذا يجعل القارئ يلج في دائرة السؤال :

أيهما المنتصر ؟ . ولن كنت أرى أن الأجدر أن يسأل : ماذا نتج عن هذا الصراع ؟ .

وإجابة هذا التساؤل مطوية في هذا الفصل ، كما سأعرض لها في خاتمة هذا الباب ، إن شاء الله .

المبحث الأول

الوضع الجغرافي والسياسي

وفيه ثلاثة مطالب، هي:

المطلب الأول: المناخ والتضاريس

المطلب الثاني: التخلف والبدائية

المطلب الثالث: الواقع شبه الانفصالي

المطلب الأول

المناخ والتضاريس

المبحث الأول

الوضع الجغرافي والسياسي

المطلب الأول : المناخ والتضاريس :

أولاً : المنـــاخ :

تقع أقاليم السودان الجنوبية على عدد من خطوط العرض ، التي تبدأ من خط العرض : ١٢° شمالاً ، إلى خط عرض : ٣٠ر٣° شمال خط الاستواء . أي : أن أقاليم الجنوب تقع على ما يقارب تسعة خطوط عرض ، وهذا يجعل التباين في المناخ أمراً واقعاً بين أقسامه المختلفة .

ونتيجة لوقوع جنوب السودان ، داخل إطار المنطقة المدارية ، مع تباين في المناخ ، بين أقطاره ، حدث اختلاف بين مناطقه . فتجد مثلاً في الشمال أمطاراً قليلة ، تتراوح بين أربعمائة مم ، وألف وستمائة مم . وتبلغ في الجنوب ما يقارب ألفين ومائتين مم.(٢)

غير أنه من السمات العامة في هذا الإقليم ، أن معدل سقوط الأمطار وتوزيعها ، يختلف اختلافاً كبيراً من عام إلى عام . وهذا ينتج عنه صعوبة في توقع الهطول ، ومدى ترقبه والاعتماد عليه.(٣)

---

(١) محمود شاكر ، السودان ، ص : ٤٤ .

(٢) Professor Bashir M.O., The Southern Sudan, Back-ground to Conflict, Horst and Co. page: 19.

(٣) د . عبدالعزيز كامل ، الجغرافية البشرية للسودان ، ص : ٦١-٦٣ .

ويتدرج مناخ الإقليم من المداري الرطب شمالاً ، إلى شبه الاستوائي جنوباً . وهـذا فرق مهم يضاف إلى الاختلاف في كمية الأمطار ، الذي يمثل الاختلاف الكبير بين شمال الإقليم وجنوبه.(١)

ومن الملحوظ أنه في منطقة ملكال في الجنوب ، يشتد سقوط الأمطار ، التي تستمر إلى مدة تقارب ثمانية أشهر . ويبلغ متوسط المطر عند ملكال ثمانمائة وستاً وعشرين م ، في السنة . كما يبلغ متوسط المطر عند مدينة (واو) مائة وثلاث م ، في السنة .(٢)

ونتيجة للتأثيرات المناخية ، يمكننا أن نقسم الجنوب إلى إقليمين رئيسين : إقليم الفيضان ، والإقليم الاستوائي . أمّا إقليم الفيضان فيتألف من مراع فسيحة ، ومستنقعات كثيرة . وتنتشر في الإقليم الاستوائي الغابات والأدغال . وحيث يكثر تجمع المياه ، تنشأ المستنقعات ، وتقام السدود ، وعلى جوانبها تظهر الزراعة والمراعي . وينبغي أن أضيف إلى أن مرور الأنهار وسط تلك الأدغال المتشابكة ، جعل الملاحة فيها عسيرة ومحفوفة بالمخاطر ، لهذا باتت منطقة السدود حاجزاً بين الشمال والجنوب.(٣) انظر : الخريطة رقم (٣٩) .

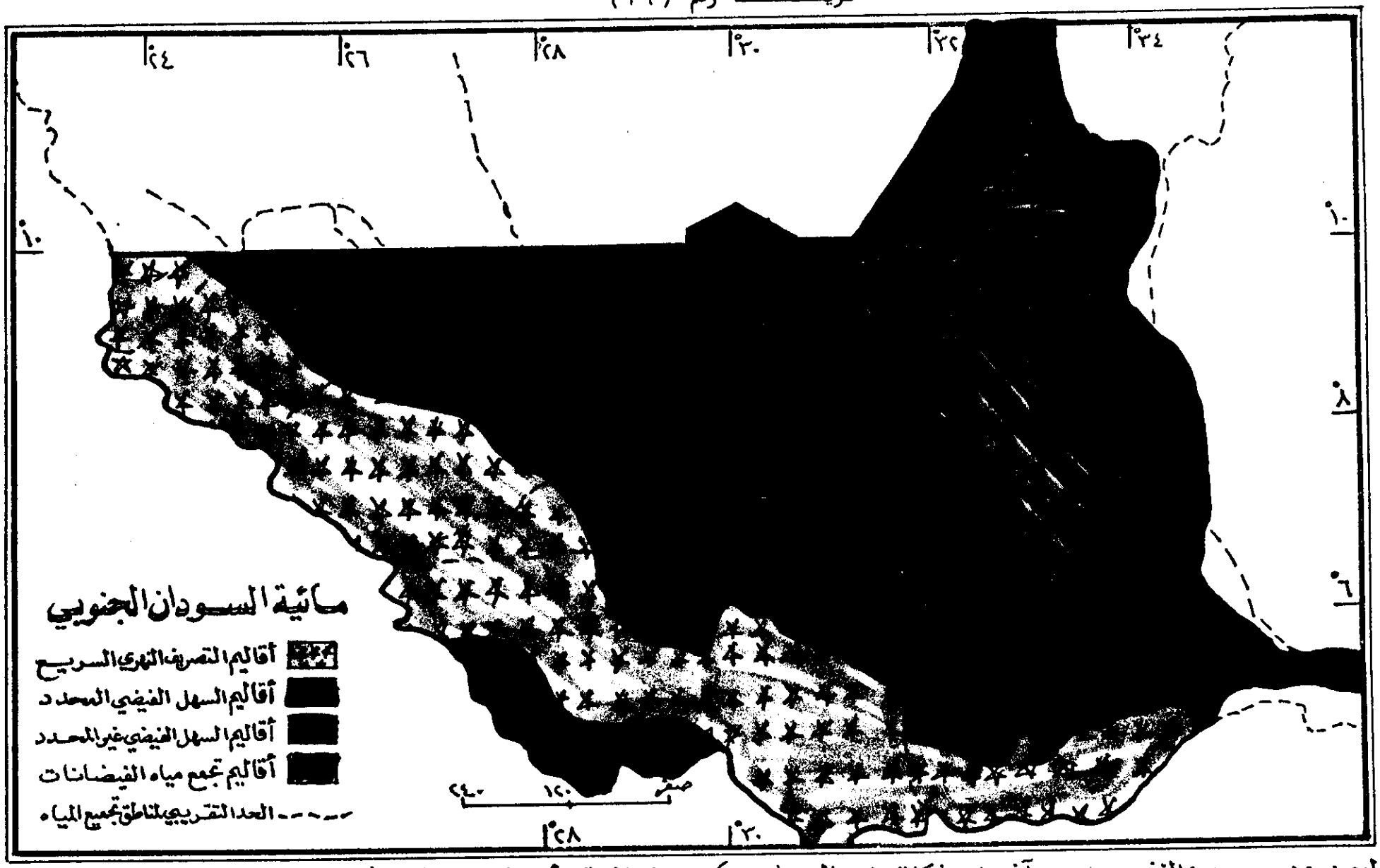
---

(١) السابق ، ص : ٦٣ .

(٢) د . فيليب رفلة ، الجغرافية السياسية ، مع دراسة شاملة للدول الأفريقية ، سياسياً ، واقتصادياً ، وطبيعياً ، ص : ٢٢٠ .

(٣) Professor Bashir M.O., The Southern Sudan , Background to Conflict, Horst and Co., page: 19.

خريطـــــة رقم (٣٩)



المصدر: د. محمد عبد الغني سعودي، وآخرون، مشكلة جنوب السودان، مركز بحوث الشرق الأوسط، جامعة عين شمس، سنة: ٨-١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

ثانياً : التضاريس :

إن للظاهر الطبعية ، إسهاماً في تشكيل نوع السياسة الداخلية ، لأي دولة . فالظاهر الجبلية وسط السهول ، تحتم وجود اختلاف في المعايش ، والسياسة التنموية . وإذا كانت الأراضي مستوية التضاريس ، فإن هذا سيقرّب الوحدة والاندماج .

وإذا نظرنا إلى السودان من هذه الناحية ، لم نجد للجبال المرتفعة أثراً ، إلا في أطرافه الجنوبية والشرقية ، فالظهر العام للسودان تغلب عليه سهولة التضاريس ، وإلى جنوب السودان يتشكل حوض كبير ، يمثل ذلك الإقليم .(١)

غير أنه مع سهولة السطح ، وقلة الانحدار ، فإن تربة الأرض تشكل عدداً من المشكلات ، فهي صلصالية تتحول إلى لزجة مغطاة بالمستنقعات ، مدة تزيد على منتصف العام ، وقد أدى هذا العائق إلى صعوبة الاتصال البري بين الشمال والجنوب .(٢)

وتمثل السهول الصلصالية في جنوب السودان ، مثلثاً كبيراً ، قاعدته الشمالية خط يمتد إلى شمال بحر الغزال ، حتى الحدود الأثيوبية . ويربط بين الجنوب والغرب خط يمتد على جوانبه الفاصل المائي بين

---

(١) د . محمد عبد الغني سعودي ، وآخرين ، مشكلة جنوب السودان ، ص : ٢٤ .

(٢) السابق ، الصفحة نفسها .

النيل والكونغو ، تاركاً وراءه في الجنوب الغربي والغرب منطقة التربات الحديدية .[١]

كما يكثر في امتداد النهر الالتواءات الشديدة ، والضحالة الكبيرة ، ممّا يسبب عدم انسياب الحركة النهرية . ومن هنا يمكن القول : بأن سهولة المستنقعات كانت من الأسباب التي أدت إلى عزلة الجنوب ، بل أدت إلى عزلة بعض قبائل الجنوب عن بعض ، فقبائل النوير الذين يحتلون إقليم المستنقعات ، على جانبي بحر الجبل ، كانت طبيعة بلادهم من عوامل عزلتهم ، فأرضهم مستنقعات في موسم المطر ، وصحراء قاحلة ، في موسم الجفاف .[٢]

انظر : الخريطة رقم (٤٠) .

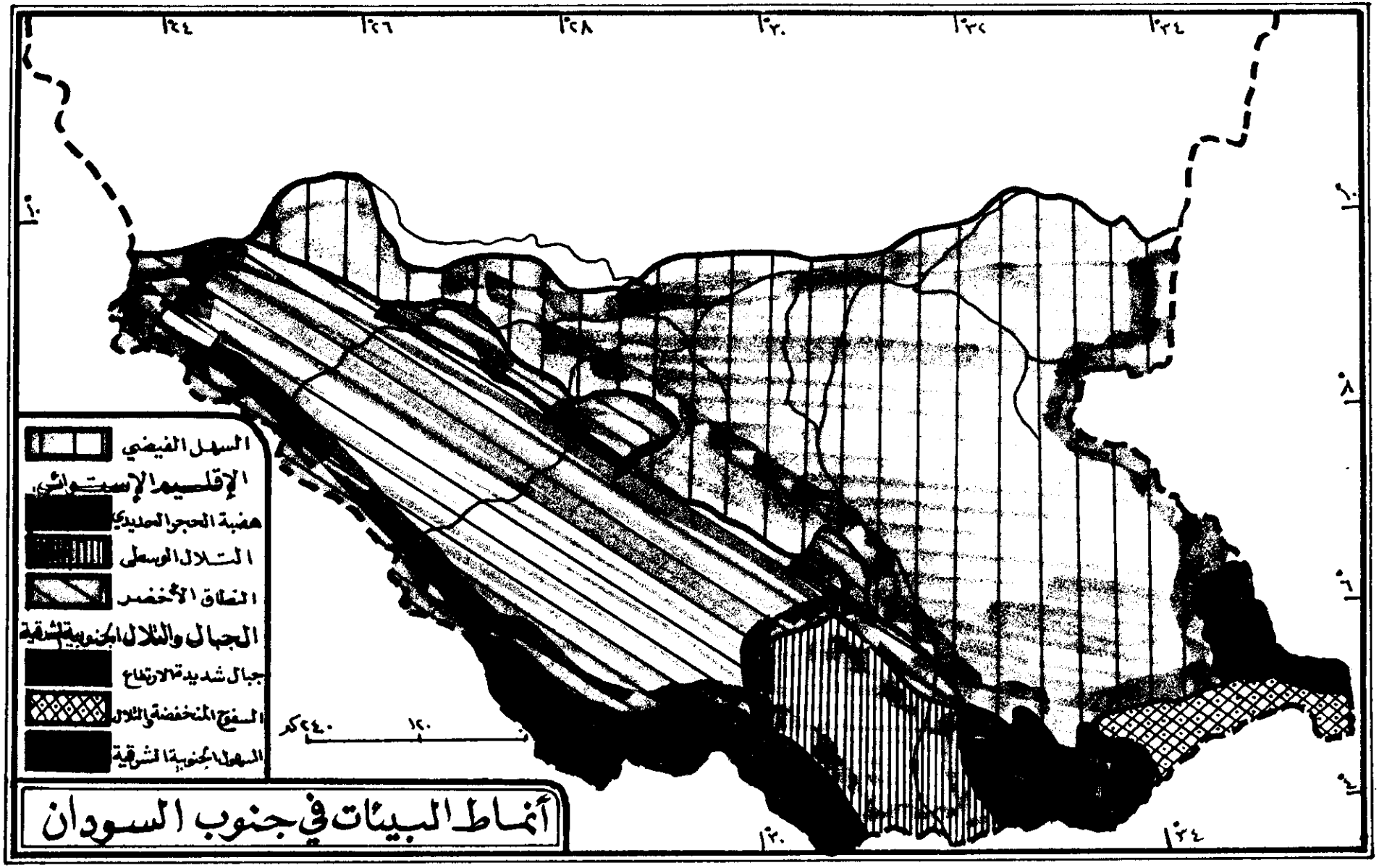
ولهذا عاشت هذه القبيلة في شبه عزلة عن حولها ، ومن هنا لم تكن علاقاتهم بالحكومة حسنة ، بل اشتعلت الحرب بينهم فترة من الزمن .[٣]

ونلحظ أن تجمعات سكان جنوب السودان تكون على المناطق المرتفعة ، التي يسهل تصريف مياهها ، ولا تغطيها المستنقعات في موسم المطر . وهي - ولا ريب - مراكز الاستقرار الدائم . ومنها يرحل جزء من السكان إلى الأغوار والمجاري المائية ، في فصل الشتاء ، تاركين وراءهم

---

(١) السابق ، الصفحة نفسها .
(٢) د . عبدالعزيز كامل ، الجغرافيا البشرية للسودان ، ص : ٥٧ .
(٣) د . محمد عبدالغني سعودي ، مشكلة جنوب السودان ، ص : ٢٥ .

خريطـــــة رقم (٤٠)



المصدر: محمد عبد الغني سعودي، وآخرون، مشكلة جنوب السودان، مركز بحوث الشرق الأوسط، جامعة عين شمس، سنة: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

النساء ، وكبار السن ،ليعودوا إليهم إذا ما هطل المطر ، وفاض النهر.[١]

والحافات المرتفعة من الشمال الشرقي في جنوب السودان ، هي :

١- الحافات المرتفعة ، التي تحف بالنيل الأبيض ، ويسكنها قبائل الشلك والدنكا .

٢- الحافات المرتفعة التي يشغلها النوير ، بجوار نهر السوباط بالقرب من مدينة الناصر.[٢]

٣- الأراضي المرتفعة تقع بالقرب من واط ، شمال شرق أكوبو.[٣]

٤- الحافة المرتفعة الممتدة من شمال بور[٤] ، حتى فنجاك.[٥]

٥- الأراضي المرتفعة الموازية للضفة الغربية لبحر الزراف .

٦- الأراضي المرتفعة الواقعة على الجانب الشمالي لبحر الغزال.[٦]

---

(١) السابق ، الصفحة نفسها .

(٢) هي :مدينة في مديرية أعالي النيل ، تقع على نهر السوباط ، على خط الحدود مع أثيوبيا ، وهي أحد مراكز النوير .
علي حسن عبد الله ، الحكم والإدارة في السودان ، ص : ٥٩ .

(٣) هي : مدينة تقع على نهر بيبور ، وهي أحد روافد السوباط ، وتقع على حدود أثيوبيا .
سعيد صباغ ، الأطلس العربي ، ص : ٢٤ - ٢٥ .

(٤) هي : مدينة تقع على بحر الجبل ، وهي إحدى مدن مديرية أعالي النيل ، تقع في أقصى جنوب المديرية ، بالقرب من حدود المديرية الاستوائية .
سعيد صباغ، الأطلس العربي ، ص : ٢٥ .

(٥) هي : مدينة على بحر الزراف ، قبل التقائه ببحر الغزال ، وهي تابعة لمديرية أعالي النيل .
سعيد صباغ، الأطلس العربي ، ص : ٢٥ .

(٦) Parber K.M., Rebublic of Sudan , page:234 - 237 , printed in : London , at: 1381 H. - 1961 A.D.

أمـــا النطاق الجنوبي الغربي ؛ فهو يمتد على هضبة كـــبرى ؛ لهذا لا يعاني هذا النطاق من مشكلة صرف المياه ، التي عانى منهـــا النطاق السابق . وتشمل هـذه الهضبة مديريتي : الاستوائية ، وبحـــر الغزال ، وتسمى أحياناً " هضبة الحجر الحديدي " .[١]

ويتدرج ارتفاع هذه الهضبة تجاه الجنوب والغرب ؛ حـــيث تتضح معالم الأودية والنهيرات ، ثم بعض المستنقعات ، ثم صخور عاليـــة.[٢]

ويظهر هنـــا عامل آخر ، وهو : الغابات والأحراش ؛ حـــيث يسود نوع من الاستقرار ، يمكن أن يسمى : الإسكان المشتت .[٣]

ويمكـن أن تقسم تلك الهضبة إلى ثلاثة أقسام فرعية ، من الشرق إلى الغرب ، هي :

١- المرتفعات الجنوبية .

٢- الفاصل المائي بين النيل والكونغو .

٣- الهضبة الوسطى .[٤]

وتبرز في المرتفعات الجنوبية مجموعة من الجبال المفـردة ،منها : جبل لوكا ، ولادو ، وحافة الفالق المطلة على النيل قرب " غولي "[٥] ، وهـــي

---

(١) د . عبد العزيز كامل ، الجغرافيا البشرية للسودان ، ص : ٦٠ .
(٢) التيجاني عامر ، جنوب السودان ، بحر الغزال ، ص : ١١ .
(٣) محمد عبد الغني سعودي ، مشكلة جنوب السودان ، ص : ٢٦ .
(٤) د . عبد العزيز كامل ، الجغرافيا البشرية للسودان ، ص : ٦١ .
(٥) هي : مدينة تقع على حدود أوغندا ، وهي إحدى مدن المديريـــة الاستوائية ، ومنها : يبدأ بحر الجبل ، ليندفع داخل الســـودان =

جزء من النظام الأخدودي الأفريقي.[١]

وفي الهضبة الوسطى تبرز بعض التكوينات الجرانيتية ، كما تظهر بعض التلال الدائرية الصغيرة ، التي يزداد ارتفاعها في الشمال الغربي.[٢]

وتدخل هذه الهضبة - نباتياً - في نطاق مروج السافانا العالية السطرة ؛ إذ تظهر مجموعات نباتية من الحشائش والأشجار ، التي تزال لأجل الزراعة ، وتصريف المياه.[٣]

وقد أسهمت المستنقعات الكثيرة ، والأحراش الكثيفة في إعاقة الوصول إلى الجنوب ، وفي انتشار بعض الأمراض والأوبئة ، وفي عزل عدد من القبائل عن الوجود الإسلامي ، وفي كثرة النكبات والمآسي التي تحف بمنطقة جنوب السودان .

وبعد هذا العرض لمطلب (المناخ والتضاريس) نخلص إلى النتائج الآتية :

الأولى : لقد قضى الله - سبحانه وتعالى - أن يكون الإنسان في صراع مع الطبيعة الجغرافية ، التي تخالف كثيراً ممّا يطمح إليه ، وهذا

= الجنوبي ، وهي مدينة مهمة .
سعيد صباغ ، الأطلس العربي ، ص : ١٧ .

(١) د . عبدالعزيز كامل ، الجغرافيا البشرية للسودان ، ص : ٦١ .
(٢) السابق ، الصفحة نفسها .
(٣) السابق ، ص : ٦٢ .

جعله يسعى إلى تذليل عالميها ، وتسخيرها وفق ما يريد ، حسب ما استطاع من إمكانات مادية وبشرية .

الثانية: يمثل المناخ والتضاريس معوقاً لانتشار الإسلام ؛ وذلك لوجود عدد من مظاهرهما وقفت أمام تقدم الدعاة إلى الله ؛ بل أخرت وصولهم ، ومن أبرز هذه المظاهر :

أ - وجود التربة الصلصالية التي تتحول إلى تربة لزجة ، تعيق وجود أية مواصلات بين أجزاء ذلك الإقليم .

ب - انتشار المستنقعات المائية المحاطة بالنباتات الكثيفة ، يعطل سبل التواصل ، إضافة إلى عدم الاطمئنان إلى السكن بجواره .

جـ - التواءات النهر وسط أحراش كثيفة ، وضحولة مياهه في بعض الأماكن تؤدي إلى عدم الاطمئنان إلى جعله وسيلة للتواصل ، إلى جانب النباتات الجارية فيه ، التي تعيق تقدم الملاحة .

د - تذبذب الأمطار بين الغزارة والقلة أدت إلى تضرر الساكنين ؛ فإذا ازدادت غزارتها سببت الفيضانات ، ونسفت طرق المواصلات ، وشردت السكان . وإذا شحّ غيثها عاش السكان في مجاعة الجفاف ، ولهيب التصحر .

هـ - كثافة الغابات في بعض المناطق ، وعدم احتمال السكنى فيها .

و - تشتت السكان في السكنى ؛ نتيجة لهذه الظروف ، مع انعدام في سبل التواصل .

الثالثة : إن هذه الظروف الجغرافية تحتاج من منظمات الدعوة الإسلامية جهداً كبيراً ، وإمكانات هائلة للتغلب عليها ؛ فهي بحق معوقات طبعية صعبة ، تريد في التعامل معها أن يكون صبوراً ، وذا إمكانات كافية .

* * *

المطلب الثاني

التخلف والبدائية

المطلب الثاني

التخلـــــف والبدائيـــــة

يعجب الإنسان من كثرة الأمور السخيفة المنتشرة في جنـــوب السودان ، التي لا يقبلها العقل السليم ، ولا الفطرة الصحيحة السويـة ، بل هي منكرة أشد الإنكار . وقد كانت تلك الأمور دلالة على مـــدى التخلف والبدائية ، التي ظهرت من خلال عاداتهم وتقاليدهم .

فمن هذه السخافات ، على سبيل المثال : إذا ولدت البقـــرة توأماً ، فإن على صاحبها أن يتخلص منها بسرعة ، لأن هـــذا دلالـة شـــؤم .[١] ويمكن طبقة حكام الزاندي ، الذين يلقبون بـ" الفنجارا" ، أن يتزوجوا من شقيقاتهم . كما يربط الأب الدنكاوي حياة ابنـــه بثور صغير يعيشان معاً ، حتى إن الصبي يعرف بين أقرانه بالاســـم الذي يطلق على الثور ، ولهذا لا تذبح الماشية إلا في المناسبات الكبرى[٢] .

ويؤمن شعب الدنكا بأن هناك قوة خفية تسيطر على العالم ، فتقدم الأضاحي لهذه القوة الخفية ، لترسل السحب ، وتجود بالمطر[٣] . كما أنه على الزوجة ألا تقيم مع زوجها إقامة دائمة ، حتى تموت أمه .

---

(١) محمود شاكر ، السودان ، ص : ٧٠ .

(٢) Parber K.M., Rebublic of Sudan , page:241 ,

(٣) محمود شاكر ، السودان ، ص : ٧٣ - ٧٤ .

وإذا توفي شاب قبل أن يتزوج ، تزوج أخوه باسمه ، ونسب أبناءه لأخيه ، كي لا تغضب روحه.[١]

وأمّا شعب الشيلوك (الشلك) فيعملون تحت إمرة زعيمهم الروحي ، فمن رآه من أفراد القبيلة ، جلس على الأرض ، على بعد مائتي متر للسلام ، وإلا ابتعد عنه . كما يؤمنون بأن زعيمهم الأول " نيكانج " لم يمت ، وإنما ذهب مع الريح ، ويدخل في روح كل زعيم جديد ، ويعطيه القدرة على إسعاد شعبه ، وإنزال المطر ، وإرسال السحاب . ويحق لبنات الزعيم أن يعاشرن من يردن دون زواج.[٢]

كما يقدّسون الثعابين الصفر ، فلا تعجب إذا رأيتها تسرح وتمرح في ديارهم بكثرة . كما ترسّخ في عاداتهم أنهم لا يأكلون في أثناء نزول المطر.[٣]

وأمّا شعب النوير : فيؤمنون بتعدّد الآلهة ، ولكل إلٰه وظيفة مخصوصة به ، فـ (دينج) مختص بالمرض ، و (ريو) بالحرب ، و (كول) بالصواعق والرعود . ويعتقدون : أن الأرواح تتقمص في البشر ، وفي البقر ، وفي الطيور.[٤]

---

(١) السابق ، ص : ٧٦ .
(٢) محمد عمر موسى ، النشاط التبشيري الكنسي في جنوب السودان ، ص : ٦٤ - ٦٥ ، بتصرف .
(٣) محمود شاكر ، السودان ، ص : ٧٦ .
(٤) Parber K.M., Rebublic of Sudan , page : 243 .

ولهؤلاء أنبياء ، ومن أشهر أنبيائهم في القرن العشرين (وندننج بنج) ، ويحجون إليه من مختلف المناطق ، ويحملون إليه الهدايا التي يباركها بأن يمصق عليها . وقد خلفه ابنه (جوبك) ، ثم (دينك لاكا) ، ثم (روال) .(١)

وتتشابه باقي القبائل في تلك العادات المختلفة ، التي تنبع من الأهواء والخرافات ، وإملاء مردة السحرة ، وتقبل سفهاء العقول .

ونعجب كثيراً من مبلغ اعتقاد بعض القبائل في مثل السلطة الروحية ، الذي يمثل لديهم أرواح السلف(٢) ، حتى الشباب المتعلم من أبناء جنوب السودان ، فتجده بعد أداء شعائر الكنيسة ، يذهب إلى العراف أو الساحر ؛ ليطلعه على ما خفي ، أو ليمنحه تعويذة ، إلى جانب الإصرار على تعدد الزوجات ، وإن كانت الكنيسة ترفضه ، ولكنه ما زال على عقائده .(٣)

وقد استغل السحرة والكهنة ذلك التخلف والبدائية ، بما لديهم من خبث وذكاء ، وخبرة بأحوال معيشة أولئك المتخلفين ، فاستطاعوا أن يصححوا اعتقاد الناس فيما يقولونه لهم ، مقابل الاستجابة لمطالبهم ، تحت

---

(١) محمود شاكر ، السودان ، ص : ٧٣ .
(٢) محمد عمر موسى ، النشاط التبشيري الكنسي في جنوب السودان ، ص : ٤٤ .
(٣) محمود شاكر ، السودان ، ص : ٦٧ - ٦٨ .

أي ظرف ، وإذا لم تصب فراسته ، فما أيسر وجود السبب ، وأولها : أن القرابين التي قدمت لم تكن كافية ، وأن الأرواح تريد قرابيناً أخر . أو أنه لصعوبة الموقف يقتضي الأمر التقرب لروح جد أعلى .(١)

إن كل ما ذكر - ممّا سبق - قليل من كثير ، يدل على مدى هاوية التخلف التي وقع فيها أبناء جنوب السودان . وأسباب هذا التخلف ، وهذه البدائية كثيرة ، منها : ما كان مصاحباً لتلك الشعوب البدائية ، ومنها : ما كان خارجاً عن مجتمعها .(٢)

وقد كان أحد أبرز أسباب تخلف جنوب السودان ، هو : عزلته التامة عن العالم الخارجي ، والتي حدثت بسبب عدد من العوامل السياسية والجغرافية ، وغيرها .(٣)

ومن الملحوظ : أنه لا يتوافر عن تاريخ المديريات الثلاث الجنوبية ، قبل سنة : ١٢٣٥هـ - ١٨٢٠م ، عندما دخلت الجيوش التركية المصرية السودان ، غير قليل من معلومات . وقد كانت قبائل تلك المنطقة تعيش في عزلة تامة ؛ إذ كانت السدود والمستنقعات تشكل

---

(١) محمد عمر موسى ، النشاط التبشيري الكنسي في جنوب السودان ، ص : ٤٤ - ٤٥ .

(٢) علي حسن عبد الله ، الحكم والإدارة في السودان ، ص : ١٧٥ - ١٨٠ ، بتصرف واختصار .

(٣) الجبهة القومية الإسلامية ، مسألة جنوب السودان ، مجلة (السياسة الدولية) ، العدد : ٩١ ، ص : ١٥٧ .

حاجزاً طبعيـــــاً.[١]

وكانت قبائل بحر الغزال ، والمديرية الاستوائية ، تعيـــش في حالة من الفوضى والحروب القبلية . وكانت القبائل القوية تسيطـــر على القبائل الضعيفة . فكانت " الأزنداي " تشق طريقها نحو الشمـــال ، على امتداد خط تقسيم المياه بين الكونغو والنيل . ومن القبائل المغلوبة على أمرها قبائل : (بونجو) ، و (كريش) ، و (الشط) . . أمّا قبيلة الـــدنكا : فقد كانت ذات نظرات عدوانية توسعية.[٢]

وبدخول الجيش التركي المصري السودان ، خفت حدة هـــذه المصادمات الهمجية ، ومثل هذا الدخول بداية مرحلة جديدة ، فـــي السودان الجنوبي ، وفي علاقاته بالشمال ؛ إذ خضع الجنوب لأول مـــرة لسلطة حكومة واحدة ، تحكم الشمال والجنوب معاً . وفتح الباب الجنوبي أمام المستكشفين والتجار . وأوقف التوسع القادم من قبائل الأزانـــدي ، التي كانت قد طوت كثيراً من القبائل تحت إمرتها . وقد كان من المرجح أن يصل زحفها إلى منطقة السدود ، لولا وصول الأتراك من الشمـــال إلى الجنوب ، تجاه ذلك الموقع.[٣]

1- Professor Bashir, M.O., The Southern Sudan, Background to Conflict, Horst and Co,page: 35.
2- Collins R,O., The Southern Sudan :(1883-1878 A.D), page:150, Yale University, at: 1962 A.D.
3- Hamilton J.A., The Anglo Egyptian Sudan from Within, page:99, printed in:London , at:1935 A.D.

وفي سنة : ١٢٨٧هـ - ١٨٧٠م تم احتلال عدد من الأماكن في الاستوائية ، وفي بحر الغزال ، ولم تأت سنة : ١٢٩٤هـ - ١٨٧٧ م حتى كان مجرى النيل الأبيض بين بحيرة فيكتوريا والخرطوم ، قد أصبح معروفاً كله .(١)

وكان بالإمكان استمرار عملية تحضير جنوب السودان لولا أسلوب الإغلاق الذي لجأ إليه المحتل البريطاني ؛ مما أوجد فجوة كبرى أخذت تتزايد وتتسع في هذا المجال .(٢)

وهذا يجعلنا - ولا ريب - نجعل المحتل ، هو المسئول الأول عن التخلف الكبير في جنوب السودان في مختلف المجالات ؛ وبخاصة في المجال الاقتصادي ؛ إذ أصبح الجنوب ضحية الأطماع البريطانية الاقتصادية ، التي نهبت خيراته ، وتركته في أسوأ مثل للتخلف والبدائية .

وقد اعترف السكرتير الإداري للإدارة البريطانية في الحكومة السودانية بهذا التخلف ، الذي يقع فيه الجنوب ، فوصفه بأنه في حالة ازداد فيها الجهل والخرافة ، وسوء التغذية ؛ عازياً ذلك إلى سوء المواصلات ، وطول المسافات ، وسوء الطقس ، ونزوع القبائل إلى مقاومة

---

(١) Horst H.E., The Nile , page : 220 ,printed in : London , at: 1952 A.D.

(٢) د . محمد عبد الغني سعودي ، مشكلة جنوب السودان ، ص : ٤١ .

التجديد والتحضر الذي تقوم به الإرساليات.[١]

وبعد رحيل المحتل اشتعلت نار التمرد ، مؤذنة بدوام هذا التخلف ، ناسفة كل محاولة لطرد شبح الجهل . وحتى يتخطى الجنوب خط هذا التخلف ، يجب وقف هذا النزيف البشري ، والمادي ، الذي تسببه الحرب ، التي استهلكت ملايين الجنيهات ، ونسفت كثيراً من المشروعات الحضارية.[٢]

وبعد هذا العرض الذي وصلنا إليه في مطلب (التخلف والبدائية) أعرض بعض النتائج الآتية :

الأولى : لقد وقف تخلف الجنوب وبدائيته أمام انتشار الإسلام فيه ؛ ذلك لتأصل الخرافة في أبنائه ، وسيطرة الجشعين من السحرة والكهنة على عقولهم ، ورضوخ أولئك الجهلة لهم . وهذا جعل منهم شعباً عدوانياً ، لا يستجيب لنداء الفطرة ، ما دام راضخاً لتلك الخرافات .

الثانية : إذا أردنا حصر أسباب تخلف جنوب السودان ، فإننا سنرجعها إلى الأسباب الآتية :

---

(١) الجبهة القومية الإسلامية ، مسألة جنوب السودان ، مجلة (السياسة الدولية) ، العدد : ٩١ ، ص : ٦٢ .

(٢) جريدة (الأهرام القاهرية) ، حرب الجنوب . لماذا هي هم بالليل ، وإهدار للثروة بالنهار ، ص : ١١ ، العدد الصادر في : ٢٣ من شهر جمادى الآخرة ، سنة : ١٤٠٩هـ - الموافق : ٣٠ من شهر يناير ، سنة : ١٩٨٩م .

أ - العزلة الظاهرة التي عاش فيها أبناء جنوب السودان عن كل مؤثر حضاري ، في كل النواحي ؛ وذلك بسبب طبيعة أرضهم ومناخهم ، وميلهم إلى الانعزال ، وتوقد نيران العداوة فيما بينهم ؛ ممّا جعل بعضهم يرهب بعضهم الآخر ، ولا يواصله .

ب - ما جنته السياسة البريطانية على هذا الشعب الجهول من فرض لسياسة المناطق المغلقة ، التي آذنت باستدار هذا التخلف ، وهذه البدائية ، والانعزال عن الشمال ؛ بسبب الأطماع الحيوانية ، والنزوات الدنيئة .

جـ - وكان جنوب السودان على موعد مع ما يديم هذا التخلف وهذه البدائية ، وهي : الحرب الشعواء ، التي غذى أوارها المحتل ، وشرب مرّها الشعب المسكين ؛ إذ أكلت كل خيرات البلاد ، وحطمت كل سبيل إلى التطور والرقي .

الثالثة : إذا استعرضنا مظاهر التخلف في جنوب السودان ، وجدنا : أن أبرزها هو التخلف العقدي الذي هوى إلى دركات الوثنية في أسوأ صورها ، وسيطرت عليه خرافات نسج أطرافها السحرة والكهنة ، الذين وجدوا في عقول أولئك الجهلاء رزقاً كبيراً

لهم ، ومكسباً وفيراً . وإن هذا التخلف العقدي هو الذي سيقف مع الإسلام في صراع يشبه إلى حد كبير بداية ظهور الإسلام ، وصراعه مع الوثنية الجاهلية .

الرابعة: للإطاحة بهذا التخلف ، يجب إيقاف التمرّد ، ومد جسور الاتصال بين الشمال والجنوب ، وطرح مشروعات تنموية موازنة بين الشمال والجنوب ، ونشر المدارس التعليمية ، وترك السبيل أمام المنظمات والهيئات الدعوية الإسلامية ؛ لكي تقوم بنشر الدين الإسلامي الحنيف هناك ؛ فهو رائد الحضارات ، وقاتل التخلف .

* * *

المطلب الثالث

الواقع شبه الانفصالي

المطلب الثالث

الواقع شبه الانفصالي

مدخل :

عرضنا - فيما سلف - لعنصرين مهمين من عناصر الوضع السياسي والجغرافي لجنوب السودان ، وأثر كل من المناخ والتضاريس ، والتخلف والبدائية ، في إعاقة انتشار الإسلام ، ونعرض الآن عنصراً مهماً يضاف إلى السابقين ، وهو : (الواقع شبه الانفصالي) لجنوب السودان عن بقية السودان .

وقد كان من أبرز ما أضر بجنوب السودان ، هو : وقوعه هذا الموقع الذي حرمه كثيراً من الخيرات . وقد كان لهذا عوامل كبرى أملت عليه ، وجرت فيه ، وكانت السبب الأكبر في وقوعه في هذه الحالة المتردية .

ولعل أبرز هذه العوامل ما حفت به أرض جنوب السودان من معوقات كثيرة ، تتمثل في : كثرة المستنقعات التي تغلق أمامه الأبواب ، والتوءات النهر ، وتراكم النباتات الكثيفة فيه ، وكثرة الغابات والأحراش المليئة بالهوام والسباع . وهذه المؤثرات كلها أسهمت في إعاقة سير المواصلات من وإلى جنوب السودان ؛ بل في أكثر مناطق الجنوب نفسه ؛ إذ ينقطع الاتصال كثيراً بينهم .

ولم يكتف واقع الجنوب المنفصل بهذه العوامل ؛ بل جاء المحتل المتعصب الحاقد ، وسعى وراء أطماعه إلى جعل جنوب السودان منطقة تابعة له بعد رحيله ؛ فأغلق منافذها ، وسد أبوابها ، وطرد كل مؤثر إسلامي فيها ؛ ليصبح جنوب السودان منطقة نصرانية موالية له ، وإلى جانب هذا : زرع بذور الشقاق والنزاع بين أبناء البلد الواحد ؛ ليجعل من المحال قيام الوحدة ، وهذا إيذان ببقاء جنوب السودان في واقعه شبه الانفصال .

وفيما يأتي تناول لهذه العوامل بشيء من التفصيل :

أولاً : العوامل الجغرافية :

ينظر دائماً إلى السودان على أنه يضم شعبين ، كما ينظر إليه بأنه يتكون من شقين مختلفين ، هما : الشمال والجنوب . ولم ينشأ هذا الفهم ، إلا لوجود اختلاف بين هذين الشقين ؛ سواء في الملامح الجسمانية ، أم في اتباع سياستين متباينتين في أثناء الحكم الثنائي ، أم في اختلاف الظروف الجغرافية بينهم .(١)

وإذا ركزنا النظر على الناحية الجغرافية ؛ فإننا سنجد اختلافاً كبيراً في العوامل المناخية بين الإقليمين ؛ فالشمال تسود

1- Professor Bashir M.O., The Southern Sudan , Background to Conflict , Horst and Co., page: 17-18.

أرضه الأراضي الصحراوية ، وشبه الصحراوية ، وغير المأهولة بالسكان.[١]

أمّـــا الجنوب : فيقع في منطقة السدود ، وهي مملوءة بالحشائش والمستنقعات جزء منه ، والجزء الآخر يقع في الإقليم الاستوائي المزدحم بالغابات والأشجار . ولقد كانت منطقة السدود حاجزاً كبيراً يفصل بين الشمال والجنوب.[٢]

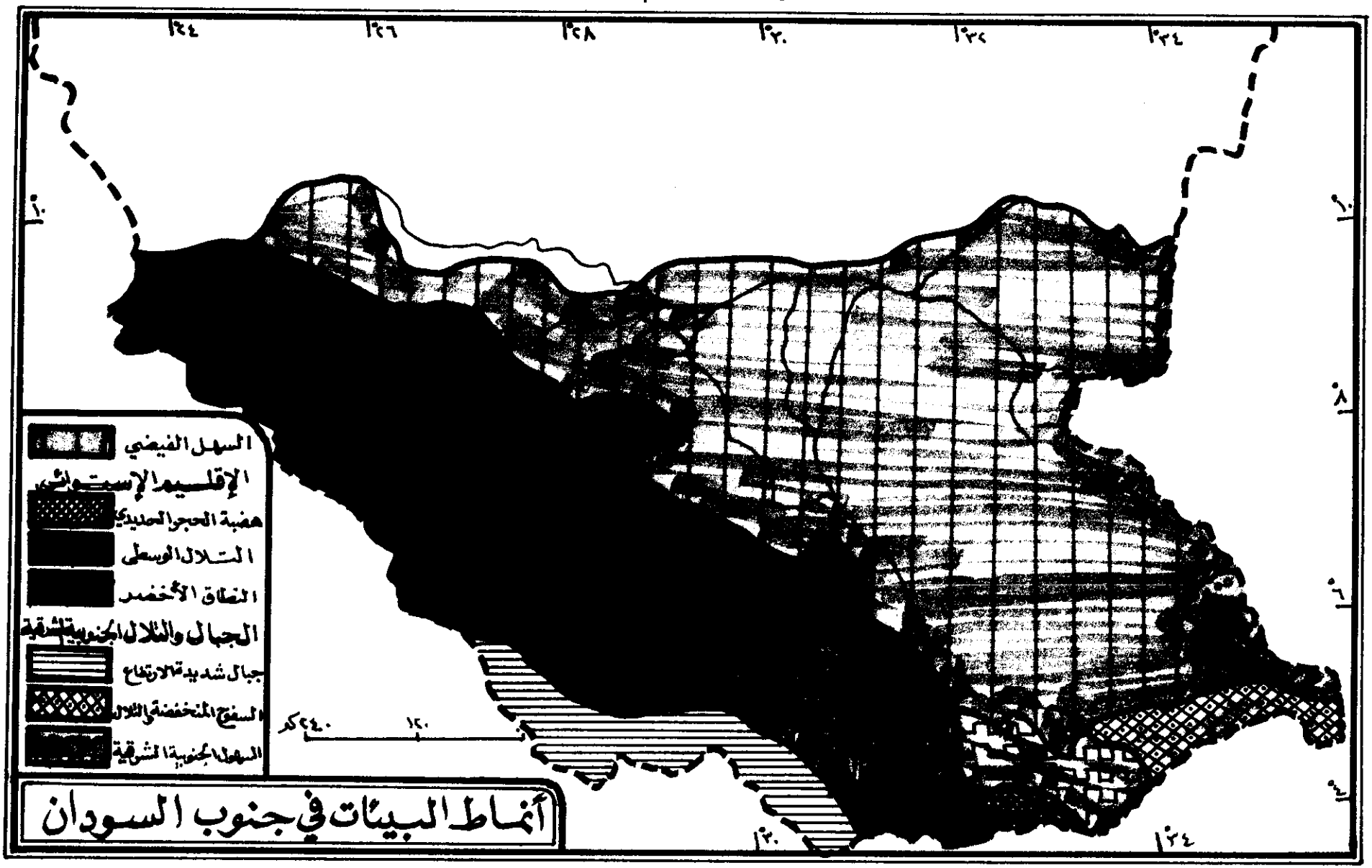
كمـــا ساعدت العوامل الطبعية الأخرى على عزلة الإقليم الجنوبي ؛ وبخاصة أن الأمطار والفيضانات ، والمستنقعات ، كانت أحد أبرز هذه العوامل في قطع الاتصال بين شمال السودان وجنوبه ؛ بل بين أجزاء الإقليم نفسه ؛ إذ ينقطع الاتصال البري بين تلك الأجزاء لمدة تصل إلى تسعة أشهر أحياناً في العام الواحد.[٣] انظر : الخريطة رقم(٤١).

ويزداد الانفصال عندما يجري " بحر الجبل " في فصل الصيف مكوناً مستنقعاً ضخماً ، وتغمر المياه الضفاف ، وتمتلئ المجاري الفرعية ، ويمتد طول هذا الظرف وقتاً طويلاً ؛ لأن عودة المياه إلى النهر تستغرق مدة ليست قصيرة.[٤]

---

(١) السابق ، ص : ١٨ - ١٩ .
(٢) السابق ، ص : ٢٠ .
(٣) محمد عبد الغني سعودي ، وآخرين ، مشكلة جنوب السودان ،ص : ٢٢ .
(٤) د . فيليب رفلة ، الجغرافيا السياسية لأفريقيا ، مع دراسة شاملة للدول الأفريقية ، سياسياً ، واقتصادياً ، وطبيعياً ، ص : ٢٢٠ - ٢٢١ .

خريطـــــة رقم (٤١)



المصدر: محمد عبد الغني سعودي، وآخرون، مشكلة جنوب السودان، مركز بحوث الشرق الأوسط، جامعة عين شمس، سنـــة : ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

ويكثر إلى جانب تلك المجاري النباتات المائية ، كما تجري فيها النباتات العائمة ، التي اقتلعتها الرياح ، وقذفت بها إلى ذلك المجرى ، وتتجمع هذه النباتات ؛ لتكون سداً نباتياً كبيراً وصلباً.(١)

وتكثر في الجنوب التربة الصلصالية ، التي تتحول إلى تربة لزجة تغطيها المستنقعات مدة تزيد على أكثر من نصف عام ، وهذا أدى إلى صعوبة الاتصال البري بين شمال السودان وجنوبه . كما كان لطبيعة النهر ، وكثرة التواءاته ، وشدة ضحالة بعض مناطقه أثر في عدم انسياب الحركة النهرية . ومن هنا : يمكن القول : بأن سهولة المستنقعات كانت أحد الأسباب المسئولة عن عزل الجنوب ؛ بل وصلت - أيضاً - إلى عزل بعض قبائل جنوب السودان عن بعضها الآخر ؛ فقبائل " النوير " معزولة ؛ لأن أراضيهم غارقة في المستنقعات في موسم الأمطار.(٢)

وتدفع هذه العزلة السكان إلى ممارسة اقتصاد يقوم على ما ينتجونه هم بأنفسهم ؛ ليأكلوا منه ، لا ليبيعوه . فيقومون بإنتاج الغذاء موسماً من السنة ، ثم يركنون إلى الراحة والدعة . وتتفشى - نتيجة لهذا - بينهم مظاهر اجتماعية سيئة تدل على التأخر والهمجية.(٣)

---

(١) د . محمد عبد الغني سعودي ، مشكلة جنوب السودان ، ص : ٢٣ .

(٢) السابق ، ص : ٢٥ .

(٣) Professor Bashir M.O., The Southern Sudan, Background to Conflict, Horst and Co., page:21.

أمّـــا النطاق الجنوبي الغربي ، فهو هضبي لا يعاني من تجمع المياه على الرغم من غزارتها ، غير أن كثرة الغابات والأحـــراش سببت قطع الاتصال بينها وبين الشمال ، وألجأت السكان إلى التشتت في الأماكـــن[1].

ونتيجة لهذه العوامل الجغرافية ضعف الاتصال بين شمـــال السودان وجنوبه ، وذلك ظاهر في قلة المواصلات التي تربط بينهمـــا ، والتي لا زالت تعاني كثيراً من قطعها نتيجة هذه الظروف الجغرافيـــة[2].

ثانياً : العوامل السياسية :

لقد رأينا ـ فيما سبق ـ كيف أن المحتل البريطاني الحاقـــد سعى إلى تقسيم السودان إلى قسمين ، وركز أطماعه على القسم الجنوبـــي منها ، لعدد من الأسباب . وكان عليه أن يسعى إلى سياسة تحقق لـــه هذه المآرب ، وتفصل شمال السودان عن جنوبه .

وقد كان أول ما بدأ به هو : وضع صورة مخصوصة في ذهـــن الجنوبي ، تصور فيها الشمالي بأبشع وأقبح وأكره الصور ، فجعلته فـــي صورة تاجر رقيق ، الذي يحمل القيد في يده ، ليضعه في رقاب أحـــد

---

(١) د . محمد عبد الغني سعودي ، وآخرين ، مشكلة جنـــوب السودان ، ص : ٢٦ .

(٢) محمد عمر موسى ، النشاط التبشيري الكنسي في جنوب الســـودان ، ص : ٦ .

أبناء الجنوب ، مما جعلهم يتوجسون منهم شراً ، ولا يرغبون فيهم.[١]

وكان الغرض الوحيد للمحتل من طرح هذه السياسة ، هو: إقصاء النفوذ الإسلامي في جنوب السودان ، وفصله عن الشمال . كما قامت السياسة البريطانية بوضع قيود شديدة ، تهدف إلى منع الهجرة من الشمال إلى الجنوب ، وقد تبلورت هذه السياسة في قانون المناطق المغلقة ، الصادر في سنة : ١٣٤٠هـ - ١٩٢٢م.[٢]

وقد اجتمعت عوامل السياسة التي اتبعها المحتل المتعصب الحاقد ، لتذهب بالتلاحم السياسي بين شمال السودان وجنوبه ، ولتنبت بذور الفرقة والفتنة ، وتقوى جذورها ، لتصبح المؤثر الفعلي في حياة السودان حتى اليوم ، وسيكون لها الأثر في تشكيل مستقبله.[٣]

وقد كان للتمرد أعظم الأثر في وقوع الجنوب في الانفصال ، الذي حاول كثيراً أن يتخطاه ، لكن الأيدي الخفية لم ترد له ذلك ، وإنما أرادت أن تجعل منه كتلة واحدة ، حتى ولو كانت كتلة ملتهبة بكثير من المشكلات والأخطار.[٤]

---

(١) د . مدثر عبدالرحيم ، ندوة الوحدة الوطنية . السلام في السودان ، مجلة (السياسة الدولية) ، العدد : ٩١ ، ص : ١١٩ .

(٢) Professor Bashir M.O., The Southern Sudan , Background to Conflict, Horst and Co., page: 98- 99.

(٣) السابق ، ص : ١٥٨ .

(٤) د . محمد عيسى الشرقاوي ، هموم سودانية في شتاء ساخن ، جريدة (الأهرام) القاهرية ، ص : ٥ ، العدد الصادر في ٢٦ من شهر جمادى الأولى ، سنة : ١٤٠٩هـ - الموافق : ٣ يناير ، سنة : ١٩٨٩م .

وبهذا نرى : أن الواقع شبه الانفصالي للإقليم الجنوبي ، يرجع إلى عدد من العوامل ، سواء أكانت طبعية يمكن التغلب عليها ،أم مستعصية كالتمرد الذي دمّر كل المحاولات ، التي تسعى إلى الاتصال[١].

وهناك أسباب أخرى ساعدت على توسيع الفجوة ، وأهمها : أعمال المحتل ومن خلفه الإرساليات التنصيرية ، ثم القادة السياسيون ، الذين كانوا يسعون إلى احتلال كراسي الحكم ، دون الالتفات إلى مصالح القطر شماله وجنوبه ، إضافة إلى أطماع استحدثت على المسرح المحلي والإقليمي والدولي ، على سبيل المثال : اهتمام إسرائيل بالجنوب ، وتعضيدها للمتمردين[٢].

هذا من جانب ، ومن جانب آخر : أثيوبيا ، وسعيها إلى مساعدة المتمردين ، لتوقف السودان مساعداتها لثوار أريتريا ، إضافة إلى ما عرفت به حكومة أثيوبيا من عداوة للإسلام والمسلمين ، ومن أطماع، ورغبات في العدوان[٣].

وفي نهاية هذا المطلب (الواقع شبه الانفصالي) أعرض أبرز النتائج التي توصلت إليها :

---

(١) السابق ، الصفحة نفسها .
(٢) عبد الغفار محمد أحمد ، السودان والوحدة في التنوع ، ص : ٩١ .
(٣) عيسى محمد خليل ، جيبوتي ، دراسة في الجغرافيا السياسية ، المقدمة .

الأولى : لقد كان للعوامل الطبيعية (الجغرافية) أثر كبير في انفصال جنوب السودان عن شماله ، وعن أي تأثير إسلامي مدة من الزمن ، وإنه ليسهل التغلب على هذه العوامل ، لو توفرت الهمة القوية ، والإمكانات المادية .

الثانية : سعى المحتل المتعصب الحاقد إلى إبعاد جنوب السودان عن كل وجود إسلامي ؛ ليجعل من جنوب السودان منطقة نصرانية تابعة له ، يشرف منها على شرق أفريقيا ، ويستنزف من خيراتها الشيء الكثير .

الثالثة : كانت السياسة التي انتهجها المحتل لتنفيذ مأربه ذلك ، هي :

أ - زرع بذور الكراهية والضغينة في قلوب أبناء الجنوب على الشماليين (المسلمين) ؛ وذلك بوصفهم بتجار الرقيق ، الذين قدموا ليضعوا القيد في رقاب رجالهم ونسائهم وأطفالهم .

ب - وضع سياسات تنموية واقتصادية غير متوازية بين الشمال والجنوب ؛ ليظهر هذا سخطاً وتبرماً من أبناء جنوب السودان الفقراء البدائيين على أبناء الشمال المنعمين .

جـ - إزاحة أي وجود إسلامي في جنوب السودان ؛ وذلك بإغلاق المنطقة أمام القادمين من الشمال ، والتضييق على من في الجنوب ؛ ليخفوا ويرحلوا ، ويخلص جنوب السودان منهم .

د - إحياء التمرد العارم المنادي بالانفصال عن الشمـــال ، والذي سيكون موالياً للحكم البريطاني .

الرابعة: لقد كان جنوب السودان ضحية أطماع فردية ودولية ، سعـت كلها إلى تحقيق مصالحها ، ولو على حساب معاناة شعب بكاملـه مدة طويلة .

الخامسة : إن للواقع شبه الانفصالي للجنوب دوراً كبيراً في تأصـل الوثنية ، والبدائية والتخلف ، لأنه أعاق وصول شراع الهداية إليه ، والإنقاذ من هذا الجحيم الرؤام ، الذي أريد للجنـوب أن يكون واقعاً فيه .

* * *

المبحث الثاني

الحالة الاقتصادية، والتنموية

وفيه مطلبان، هما:

المطلب الأول: سوء استغلال الموارد الاقتصادية

المطلب الثاني: الخدمات العامة

المبحث الثاني

الحالة الاقتصادية والتنموية

مدخل :

يعود التخلف الاقتصادي والتنموي ، في جنوب السودان ، إلى عوامل كثيرة ، منها : السياسات المقصودة أحياناً ، أو التجاهل والإهمال ، أو لسوء الإدارة والفساد . وهذا أحدث فجوة في التنمية ، بين شمال السودان وجنوبه . وقد أخذت تلك الفجوة تتسع بالتدريج ، وتتزايد مع امتداد الزمن .(١)

فمن المسئول إذن عن التخلف الاقتصادي لجنوب السودان؟

لقد دأبت الإدارة البريطانية على وضع خطط تنمية غير متكافئة بين شقي البلاد . وقد صاحب ذلك السياسات الاحتلالية ، التي تهدف إلى بذر الشقاق والفرقة ، فأخذت تعمل على إذكاء روح الفتنة ، وإشاعة الكراهية ، وتأجيج نيرانها ، وبث الدعايات المغرضة لترويجها ، ولا أدل على هذا من وصف الشماليين بسماسرة البشر .(٢)

وقد تركت الفجوة الاقتصادية بين الإقليمين ، شعوراً بالحقد والمرارة ، والمعارضة ، وعدم الرضا من أبناء الجنوب ، على سكان

---

(١) الجبهة القومية الإسلامية ، مسألة جنوب السودان ، مجلة (السياسة الدولية) ، العدد : ٩١ ، ص : ١٥٧ .

(٢) د . مختار عجوبة ، مشكلة جنوب السودان وأثرها على مستقبل العلاقات العربية الأفريقية ، ص : ٦٥ .

الشمال[١]؛ لأن الخلل في توازن النهضة في أي بلد ، يؤدي إلى التبرم والسخط ، وعدم الاستقرار.[٢]

ثم اشتعلت نار التمرد في جنوب السودان ، قبيل الاستقلال ، وجلاء المحتل ، وكأن كل شيء كان مدبراً . الذي أبى أن يرحل إلا أن يترك له باباً مفتوحاً يدخل منه . ولقد استمرت نيران هذا التمرد مشتعلة ، منذ أكثر من عشرين سنة[٣]؛ أخذت من موازنة الدولة، مبالغ ضخمة ، وموارد قيمة ، كان يجب أن تسخر من أجل خدمة التنمية في هذا البلد المعطاء ، بإقليميه الشمالي والجنوبي ؛ فقد كانت الخزانة تتكلف بسبب المتمردين ، حتى سنة : ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م ما يقارب أربعين مليون جنيه سوداني سنوياً . ارتفعت في الثمانينات ارتفاعاً رهيباً ؛ فأصبح كل نهار يكلّف مليون دولار ، مما يهدر أي مسعى نحو التنمية والرقي.[٤]

---

(١) الجبهة القومية الإسلامية ، مسألة جنوب السودان ، مجلة (السياسة الدولية) ، العدد : ٩١ ، ص : ١٦٣ .

(٢) د . محمد عبد الغني سعودي ، وآخرين ، مشكلة جنوب السودان ، ص : ٤٢ .

(٣) الجبهة القومية الإسلامية ، مسألة جنوب السودان ، مجلة (السياسة الدولية) ، العدد : ٩١ ، ص : ١٥٦ .

(٤) د . محمد عيسى الشرقاوي ، هموم سودانية في شتاء ساخن ، الأهرام ، مجلة (السياسة الدولية) ، العدد : ٩١ ، ص : ١٥٧ .

المطلب الأول

سُوْء استغلال الموارد الاقتصادية

المطلب الأول

سوء استغلال المـــوارد الاقتصادية

إن جنوب السودان غني بموارده التنموية المختلفة ، التي تريد من يقوم باستغلالها بصورة مثلى . وقد أقيمت دراسات حول مشاريع مختلفة في جنوب السودان ، منهـا : ما بدئ في تنفيذه ، ومنهـا : ما ينتظر إتمام دراسات حول مدى جدواه الاقتصادية .(١)

وفي سنة : ١٣٦٣هـ - ١٩٤٤م : وجهت لجنة الاقتصاد والتجارة عناية مخصوصة لقضايا التطور الاقتصادي ، في المديريات الجنوبية ، وبناء على توصية صادرة منها ، وافق مجلس الحاكم العام ، في شهر ذي الحجة ، سنة : ١٣٦٣هـ - الموافق : شهر ديسمبر ، سنة : ١٩٤٤م ، على تعيين لجنتين لدراسة تفاصيل مشروع الزاندي(٢) . وقد أوصت اللجنتان بما يأتي :

١- إقامة لجنة تسمى لجنة مشاريع الاستوائية الزراعية ، على أن يكون لديها رأس مال كاف لإدارة مشاريعها الزراعية وملحقاتها .

٢- الموافقة على مشروع معدل في منطقة الزاندي ، تقوم اللجنة بإدارته .

---

(١) الجبهة القومية الإسلامية ، مسألة جنوب السودان ، مجلة (السياسة الدولية) ، العدد : ٩١ ، ص : ١٥٣ .

(٢) Professor Bashir M.O., The Southern Sudan, Background to Conflict , Horst and Co., page: 105.

٣- إنشاء وحدة تجارية تعمل في الاستوائية كلها ، تحت إشراف مشاريع الاستوائية .

وقد ذكر السكرتير العالي عند رفع مقترحات اللجنة ، إلى الحاكم العام ، ما يأتي :

على الرغم من أنني أشعر بأن المشروع كله لن يكون مشروعاً تجارياً ناجحاً ، ويستحق أن تديره لجنة مخصوصة ، إلا أنه يوفر العمل لأكثر من ستمائة وخمسين جنوبياً ، يعطون فيه موظفين ومهنيين وتجار . كما يساعد على إيجاد سوق كبير ، لعدة آلاف من المزارعين .(١)

وقد وافق مجلس الحاكم العام في اجتماع في ١٧ من شهر رجب، سنة : ١٣٦٤هـ - الموافق : ٢٧ من شهر يونيو ، سنة : ١٩٤٥م ، على تكوين لجنة المشاريع الزراعية بالاستوائية ، وعلى إنشاء قسم تجاري تحت رعاية هذه اللجنة .(٢)

لهذا كان مشروع الزاندي أبرز مشروعات جنوب السودان ، في عهد الحكم الثنائي . ويرجع التفكير في هذا المشروع إلى ما قبل الحرب العالمية الثانية .(٣) ويرتبط هذا المشروع بمشروعات التنمية

---

(١) الجبهة القومية الإسلامية ، مسألة جنوب السودان ، مجلة (السياسة الدولية) ، العدد : ٩١ ، ص : ١٦١ .

(٢) Professor Bashir M.O., The Southern Sudan, Background to Conflict,Horst and Co,page:129.

(٣) د . عبدالعزيز كامل ، الجغرافيا البشرية للسودان ، ص : ٦٢ .

التي بدأت تظهر بعد تعيين الدكتور " توتهيل "[1] ، الذي سعى من أجل تنمية الجوانب الاقتصادية في جنوب السودان[2] .

وقدم " توتهيل " مشروعاً يستغرق تنفيذه عشر سنوات ، يتضمن عدداً من المقترحات التي تصعد بسبل التنمية الاقتصادية ، في جنوب السودان ، غير أن قيام الحرب العالمية الثانية ، أدى إلى عرقلة تنفيذه . ثم عاد " توتهيل " مرة أخرى ، فقدّم في سنة : ١٣٦٢هـ - ١٩٤٣م ، مشروعاً محدداً لمنطقة معينة ، وقد اختار لمشروعه منطقة الزاندي ، حيث تظهر النتائج الملموسة له[3] .

ولقد استقر الرأي على إسكان الزاندي في منطقة معينة ، وفقاً لخطوط الإسكان المحددة ، على أن تشتمل على مواضع للطرق والممرات والحدود الفاصلة . وقد خصّص لكل مزارع منطقة واسعة محدودة ، تتراوح مساحتها ، ما بين : خمسة وعشرين إلى أربعين فداناً . بشرط أن يزرع المزارع محاصيل معينة ، وفقاً لنظام معين ، وأن تتعاقب على دورات

---

(١) هو : أحد أعضاء الإدارة البريطانية في السودان ، وقد عين في سنة : ١٣٦٢هـ - ١٩٤٣م مديراً للزراعة في السودان ، بعد أن كان يعمل مديراً للزراعة في أوغندا . وقد قام بتنفيذ مشروع الزاندي في جنوب السودان .
د . عبدالعزيز كامل ، الجغرافية البشرية للسودان ، ص : ٦٤ .

(٢) الجبهة القومية الإسلامية ، مسألة جنوب السودان ، مجلة (السياسة الدولية) ، العدد : ٩١ ، ص : ١٠٢ .

(٣) Professor Bashir M.O. , The Southern Sudan, Background to Conflict, Horst and Co., page: 105.

محـــددة .[1]

وقد استطـاع المشرفون على المشروع ، وبمهارة سياسية فائقة، إقناع الزانـدي بالتعـاون معهم في أمر الإسكان بالمنطقة الجديـــــدة، وبدأ الإسـكان في سنة : ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م ، وقد تم إسكان خمسين ألف أسـرة ، أي : ما يقرب من مائتي ألف نسمة ، فيما يقرب من ألـف قريـة . وكانت طريقة الإسكان تـوزع في خطـوط طويلة داخل الغابات . وقد قام الزانـدي بزراعة القطن ؛ لكي يصـدّر إلى الدول الأوربية ؛ وبخاصـــــة بريطانيا . وقد تم تركيب مصنع نسيج ، ومصنع للسكر الأحمر ، وغيرهـا[2].

ومن جلـي الأمـور : أن بريطانيا لم تشجع التنمية في جنـــــوب السودان لصالح السودان ، ولا حبـاً في نمـوه ، ولكن من أجـــل التنافـس العالمي ؛ إذ أصبح اقتصاد بريطانيا في ذلك الوقت مهدداً بالسقـــوط ، فرأت أن تنهـض به ، من خـلال مستعمراتهـا ، بدليل أن الزراعات التي تشجعها لا تناسب ما يحتاج إليه أبناء تلك الأقاليم[3].

وعلى ضـوء الظـروف السائدة في جنوب السودان ، فإن التنميـــة الاقتصادية - في المستقبل القريب - يجب أن توجه إلى المحاصيل الزراعية،

---

(١) K.M. Poeer , Summarizing in Sudan Regional geography , page : 94 - 96 , printed in: London, at: 1389 H. - 1969 A.D.

(٢) د . عبد العزيز كامل ، الجغرافية البشرية للسودان ، ص : ٦٣- ٦٤ .

(٣) د . عبد الغفار محمد أحمد ، السودان والوحدة في التنوع ، ص : ٣٤ .

والإنتاج الحيواني ، والثروة النهرية . وإذا كانت مشكلة النقل إلى بور سودان للتصدير ، من أقصى الجنوب ، تمثل عقبة كبرى ، فإنه يمكن - في الوقت الحاضر - الاتجاه نحو تنمية المحاصيل ، التي يشتد عليها الطلب في شمال السودان "[1]. انظر: الخريطتين رقمي (٤٢) ، (٤٣) .

ويأتي على رأس القائمة : قصب السكر ، والأرز ، والشاي ، والبن . كما يجب أن يزداد الإنتاج فوق حاجة الاستهلاك المحلي ؛ حتى يوجد فائض يمكن أن يصدّر"[2].

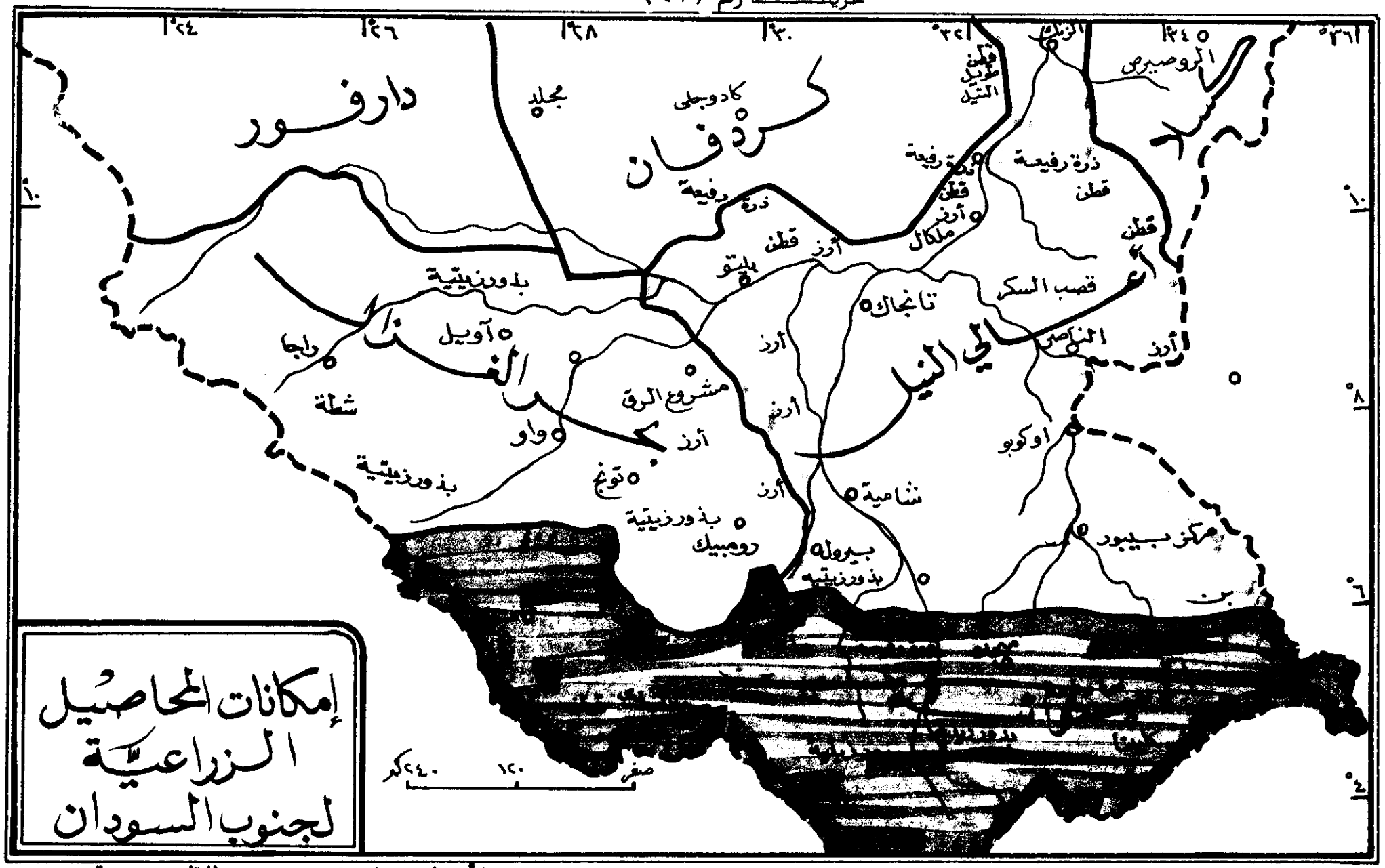
وبعد اتفاقية " أديس أبابا " ، سنة : ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م ، تحسنت أحوال الزراعة في جنوب السودان ، وأصبح يكفي نفسه من المواد الغذائية . وقد وزعت الحكومة نحوًا من مائة وعشرين ألف قطعة من الأدوات الزراعية مجاناً على المزارعين "[3]. وقد لاقت زراعة الأرز نجاحاً كبيراً في " أويل " . وأعيدت زراعة القطن والشاي والبن في المديرية الاستوائية "[4].

وفي مديرية أعالي النيل ؛ حيث توجد أكبر رقعة للزراعة ، وقد أجريت فيها عدد من دراسات تبحث في جدوى استغلالها وتنميتها ، وقد صرفت أموال كثيرة من أجل استثمارها ، وتم فيها زراعة القطن ،

---

(١) د . محمد عبدالغني سعودي ، مشكلة جنوب السودان ، ص : ٤٣ .
(٢) د . عبدالغفار محمد أحمد ، السودان والوحدة في التنوع ، ص : ٣٥ .
(٣) د . محمد عبدالغني سعودي ، مشكلة جنوب السودان ، ص : ٤٤ .
(٤) السابق ، ص : ٥٥ .

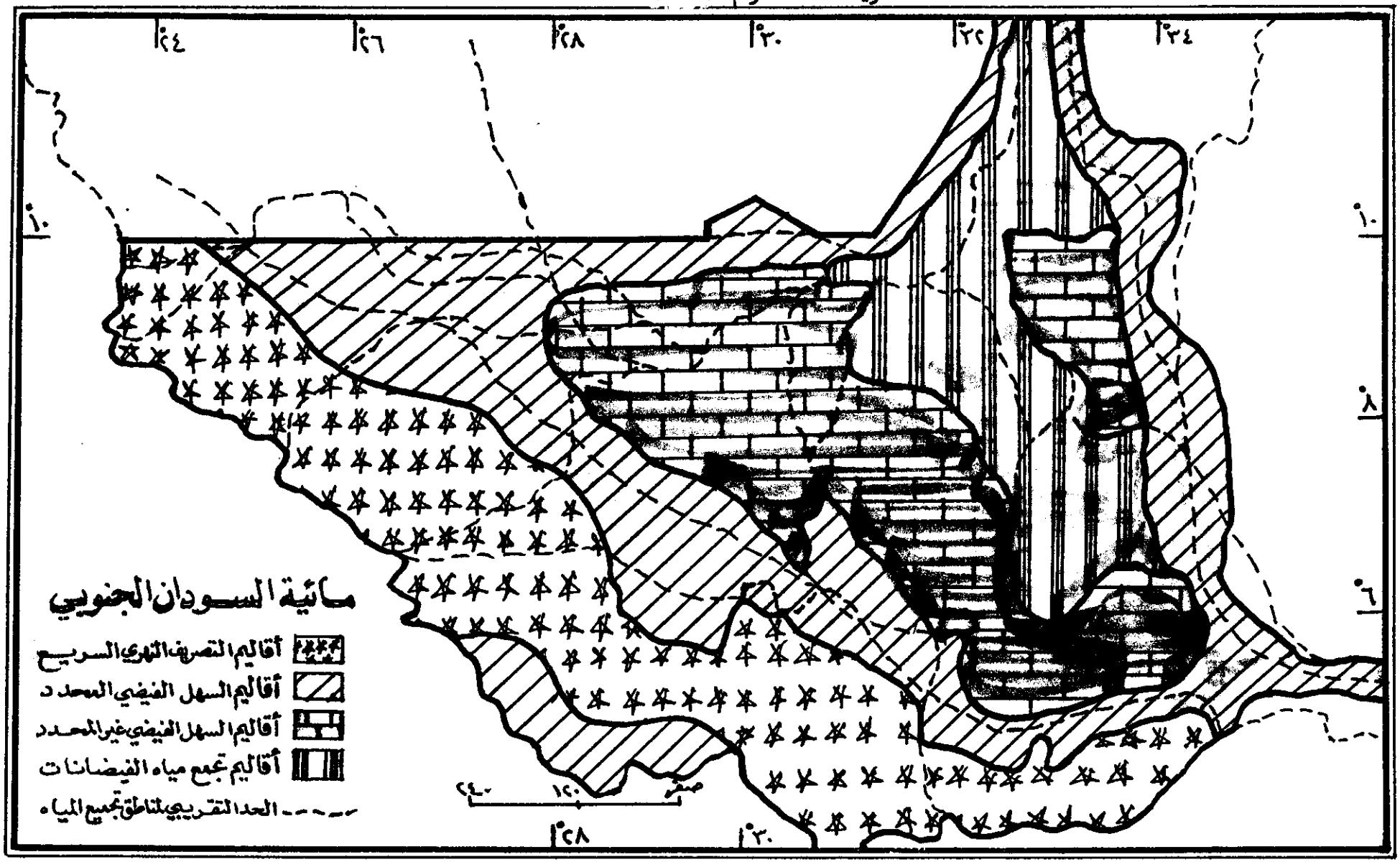
خريطـــــة رقم (٤٢)



إمكانات المحاصيل الزراعية لجنوب السودان

المصدر: محمد عبد الغني سعودي، وآخرون، مشكلة جنوب السودان، مركز دراسات الشرق الأوسط، جامعة عين شمس، القاهـــرة، سنة: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

خريطـــــة رقم (٤٣)



المصدر: د. محمد عبد الغني سعودي، وآخرون، مشكلة جنوب السودان، مركز بحوث الشرق الأوسط، جامعة عين شمس، سنة: ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

ونجحت نجاحاً باهراً ، كما زرع فيها قصب السكر -أيضاً- . وبها ثروة حيوانية ضخمة . وهذا ما دفع البريطانيين في عهد الحكم الثنائي إلى إقامة معمل بيطري فيها ؛ وبخاصة أنها بحاجة إلى تلك الثروة ، لتزويد جيوشها بالغذاء ؛ وبخاصة في فترة الحرب العالمية الثانية . إضافة إلى ما يكمن في باطن ذلك الإقليم من مواد بترولية.[1]

أما إقليما بحر الغزال والاستوائية ، فيأتيان في المرتبة الثانية ، بعد أعالي النيل ؛ إذ هما يقلان عنه في وفرة الأراضي الزراعية . ولن كان تقدم الماشية حسناً في الاستوائية.[2] انظر : الخريطة رقم (٤٤) .

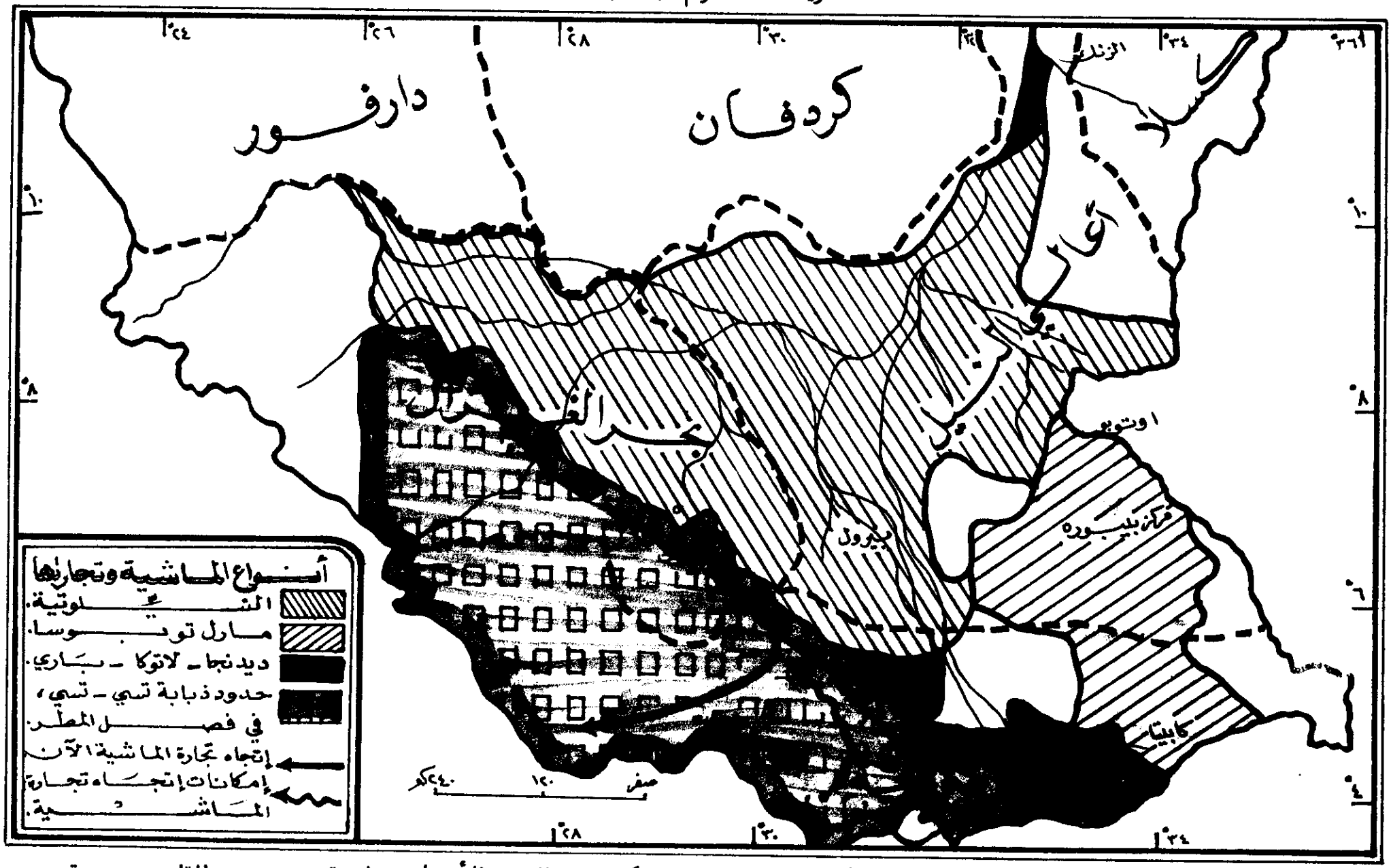
وتبلغ الأراضي القابلة للزراعة ، والمراعي ، ما يقارب مائتي مليون فدان ، إضافة إلى الثروة الحيوانية الهائلة ، التي تصل في بعض الأحيان إلى أكثر من أربع وحدات حيوانية للفرد الواحد ؛ وبخاصة في مديريتي : أعالي النيل ، وبحر الغزال .[3]

كما أن جنوب السودان يسهم وبقدر كبير في الثروة الغابية ، وإنتاج الجلود ، والعسل ، وموارد اقتصادية أخرى.[4]

---

(١) علي حسن عبدالله ، الإدارة والحكم في السودان ، ص : ١٩٤-١٩٥ .
(٢) د . محمد عبدالغني سعودي ، مشكلة جنوب السودان ، ص : ٥٢-٥٤ .
(٣) د . سعد ماهر حمزة ، التنمية الاقتصادية والجمود الاجتماعي ، تعارض وتناقض مع الإشارة إلى مصر والسودان ، وغيرهما ، ص : ٤٠ .
(٤) د . محمد عبدالغني سعودي ، مشكلة جنوب السودان ، ص : ٥٤ .

خريطـــــة رقم (٤٤)



المصدر: محمد عبدالغني سعودي، وآخرون، مشكلة جنوب السودان، مركز بحوث الشرق الأوسط، جامعة عين شمس، القاهـــــرة، سنة: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

أمّـــا الاقتصاد النقدي في جنوب السودان ، فقد تأخر لأمد طويل ؛ وذلك لبعد المسافات التي تفصل أقاليمه عن الأسواق الكبرى.(١) ولانعدام وسائل المواصلات الجيدة ، ولانعدام وسائل التسويق المناسبة.

كمـــا أن نقص الأموال ، والأيدي العاملة ، من ناحية ، والحاجة إلى التخصص وتقسيم العمل ، من ناحية أخرى ، من الأسباب الرئيسة التي أدت إلى استمرار التخلف الاقتصادي في جنوب السودان.(٢)

إذا نظرنـــا إلى الجدول رقم : (١) الذي يمثل فترة الالتزام باتفاقية " أديس أبابا " ، فإننـــا سنرى أنه لم يتحقق أي من الأهداف التي سعى إليها الفريقان ، فمحصلة التجربة في مجال التنمية شديدة التواضع ؛ إذ لم يتم الالتزام بما اتفق عليه . ويبين الجدول أن مجموع مخصصات التنمية في الجنوب ، لم تزد عن : ٢٠ر١٪ من المقدر لهـــا.(٣)

أمّـــا الجدول رقم : (٢) فيبين أن حال مخصصات الاستثمار في جنوب السودان ، هو الحال نفسه ؛ فمخصصات الاستثمار الأصلية

---

(١) K.M. Power , Summarizing in Sudan Regional geography , page : 98 , printed in:London, at:1389 H. - 1969 A.D.

(٢) محمد عمر موسى ، النشاط التبشيري الكنسي في جنوب السودان ، ص : ٢٥ .

(٣) د . جمال عبد الجواد ، الثقافة والهوية ونظام الحكم والصراع حول مستقبل السودان ، مجلة (السياسة الدولية) ، العدد : ٩١ ، ص : ١١٦ .

تجري مراجعتها للهبوط بها ، ثم مراجعتها ، وبعد ذلك لا يتم تنفيذ سوى نسبة محدودة من الموازنة المعدلة . وقد أدى هذا إلى إحباط الآمال التي تولدت لدى الجنوبيين ، لتجاز الفجوة التي تفصلهم عن الشمال.(١)

والحق : أن آثار الأداء المنخفضة في مجال التنمية ، أكبر بكثير مما تظهره الأرقام ؛ وذلك لأن الاستثمار في تمييز الشمال ، يؤدي إلى جعله أكثر قدرة على اجتذاب مزيد من الاستثمارات ؛ بل إن رؤوس الأموال التي تتم مراكمتها في أقاليم السودان المختلفة ، تنتقل إلى الشمال للاستفادة منها ، في مجالات البنية ، والخبرات الفنية والإدارية.(٢)

وتشير الدراسات إلى أن ما يقارب نصف رأس المال العامل في السودان ، يوجد في الخرطوم ، كما يوجد في العاصمة ما يقارب ٧٣٪ من المنشآت الصناعية في السودان.(٣)

وإذا عدنا مرة أخرى إلى الجدولين المذكورين ، فسنرى سوء استغلال الموارد الاقتصادية ، وعدم الالتزام بخطة الاستثمارات . وكذلك

---

(١) السابق ، الصفحة نفسها .

(٢) Fatima , Babiker M., Sudan Al- BRGORZI , page : 122 - 127 , printed in : DAR ZD , and his corpratives , London , at: 1404 H . -- 1984 A.D.

(٣) د . جمال عبدالجواد ، الثقافة والهوية ونظام الحكم ، مجلة (السياسة الدولية) ، العدد : ٩١ ، ص : ١١٦-١١٧ .

جـدول رقم (١)

موازنـة التنميـة الخاصـة بجنـوب السودان

السنـة	الموازنـة المقررة بالجنيه السوداني	الموازنـة الفعليـة بالجنيه السـوداني	نسبة الموازنـة الفعليـة من الموازنة المقررة
١٩٧٢ م ١٩٧٣ م	١ر٤٠٠ر٠٠٠	٥٦٠ر٠٠٠	٤٠٪
١٩٧٣ م ١٩٧٤ م	٧ر٣٠٠ر٠٠٠	٧٣٠ر٠٠٠	١٠٪
١٩٧٤ م ١٩٧٥ م	٧ر١٠٠ر٠٠٠	١ر١٥٠ر٠٠٠	١٦ر٢٪
١٩٧٥ م ١٩٧٦ م	٧ر٢٠٠ر٠٠٠	١ر٦٣٠ر٠٠٠	٢٢ر٧٪
١٩٧٦ م ١٩٧٧ م	١٥ر٣٠٠ر٠٠٠	٢ر٦١٠ر٠٠٠	٢٣ر٦٪
المجمـوع	٣٨ر٣٠٠ر٠٠٠	٧ر٦٨٠ر٠٠٠	٢٠ر١٪

(١)

(١) مجلة (معهد البحوث والدراسات الأفريقية الآسيوية) ص : ١٢ ، ط : جامعة الخرطوم ، الصادرة في : شهر جمادى الأولى ، سنـة : ١٤٠٥هـ ـ الموافق : فبراير، سنة : ١٩٨٥م.

جـــدول رقم (٢)

الاستثمارات المخططة والمحققة في جنوب السودان (بالمليون جنيه السوداني)

السنـــة	المخصصات الأصليـــة	المخصصات المعدلـــة	المخصصات المتحققـــة	المخصصات الأصليـــة	نسبة المتحققـــة من المعدلة
١٩٧٧ م ١٩٧٨ م	٣٢ر٤٩	٣٢ر٤٩	٦ر١٣	١٨ر٩	١٨ر٩
١٩٧٨ م ١٩٧٩ م	٣٩ر٤٥	٢٢ر٥٠	٧ر٨٢	١٩ر٨	٣٤ر٨
١٩٧٩ م ١٩٨٠ م	٤١ر٥٩	٢٠ر٥٠	١٠ر٣١	٢٤ر٨	— ر٥٠
١٩٨٠ م ١٩٨١ م	٣٨ر١٤	٢٠ر٥٠	١٢ر٨٠	٢٣ر٦	— ر٦٢
١٩٨١ م ١٩٨٢ م	٣٦ر٦٠	— ر١٦	١٣ر٤	٢٦ر٩	٨٣ر٧
١٩٨٢ م ١٩٨٣ م	٤٣ر٤٠	— ر١٦	٨ر١٣	١٨ر٩	٥٠ر٦
الاجمالـــي	٢٣١ر٣١	١٢٧ر٩٩	٥٨ر٥٩	٢٥ر٢	٤٥ر٨

(١)

(١) مجلة (معهد البحوث والدراسات الأفريقية الآسيوية) ، ص : ١٥ .

سنرى الفارق بين الموازنة المقدّرة ، والموازنة الفعلية . وقد أصبحت حقائق الواقع الاقتصادي في تدهور ؛ بل وصلت إلى مرحلة الانهيار الاقتصادي ، وقد كان للحرب الدائرة في جنوب السودان الأثر الكبير في هذا التدهور ، وأصبحت الدولة عاجزة عن القيام بالمهمات الرئيسة ، ووصلت المواصلات إلى ذروة الاختناق ، وانهارت المتطلبات المعيشية ، التي يحتاج إليها المواطن من مأكل وملبس ، ومسكن وتعليم ، وصحة ؛ ممّا أدى إلى العجز الاقتصادي . وقد زاد الأمر سوءاً تسلط العوامل الخارجية ، والنفوذ الأجنبي في جنوب السودان[1] ، الذين يمثلهم الإرساليات التنصيرية ، والصراع الدولي على المناطق الحيوية ، ذات الموارد الاقتصادية ؛ وبخاصة ممارسة دولة أثيوبيا العدوانية[2] .

ولا يفوتني أن أذكر : أن جنوب السودان غني بالمعادن ؛ وبخاصة خامات النحاس والحديد ، والبترول . لكن استخراجها واستغلالها متعذر بسبب الاضطرابات التي تسود تلك المناطق[3] .

---

(١) د . أسامة الغزالي ، ندوة الوطنية في السودان ، والسلام في السودان ، مجلة (السياسة الدولية) ، العدد : ٩١ ، ص : ١٢١ .

(٢) عيسى محمد خليل ، جيبوتي ، دراسة في الجغرافيا السياسية ، ص : ٣٠٦ .

(٣) د . عيسى محمد الشرقاوي ، تحقيق عن السودان ، صحيفة (الأهرام) القاهرية ، العدد الصادر بتاريخ ٤ من شهر جمادى الآخرة ، سنة : ١٤٠٩هـ - الموافق : ١١ من شهر يناير ، سنة : ١٩٨٩م ، ص : ١٠ .

وفي نهاية هذا المطلب (سوء استغلال الموارد الاقتصادية) أعرض أبرز ما توصلت إليه من نتائج في هذا المطلب ، وهي :

الأولى : إن الحقيقة تشهد بأن جنوب السودان قد وقع في قبضة التأخر الاقتصادي ، ولكي نعود إلى المسئول عن هذا التخلف ، فلن نغفل عن السياسة البريطانية الثعلبية ، التي عمدت إلى أساليب ماكرة ، استطاعت بها أن تدمر حاضر جنوب السودان ومستقبله ، وأن تقضي على كل بارقة أمل للنهوض به . وما دامت متمسكة بتلك السياسة ، فستطول معانات جنوب السودان ، وستهدر أموال الدولة السودانية إلى لا شيء ، أو ربما إلى بئر الخزانات المالية البريطانية ، وما يتبعها من عملاء مأجورين .

الثانية : إن التمرد الذي حدث في جنوب السودان ، وما يغذيه من مصالح ذاتية ، ونوايا شيطانية ، لإهدار لخيرات بلد كبير ، وصرف لأموال الكادحين في الأرض ، في ساحة الدم ، لا لتحرير رق ، ولا لاستعادة ماء وجه ، ولكن لإرضاء نبض قلوب تتوجس ، وتهدئة خوف عين ، ودّت لو عميت ولا ترى وحدة كاملة ؛ خوفاً من أن تدمر أسوارها ، وتطرق أبواباً سلبت منها في ليلة صامته . ولن في استمرار هذا التمرد الذي لا يعرف له أي مصلحة ، سيراً باقتصاد جنوب السودان والبلاد بعامة نحو هاوية سحيقة ، مليئة بأشباح التخلف ، وذل الحاجة .

الثالثة : وليس من دالة على أن جنوب السودان عميم الخيرات ، ثر الطيبات، كريم الأرض ، سخي السماء ، بما حوى من موارد قيمة ، ومعطيات ثمينة ،ولكن الأمر في عدم استغلال تلك الخيرات الاستغلال السليم ، وتوجيه نفعها إلى الخير العميم ، ويمكن أن نرجع سوء الاستغلال إلى عدد من التصرفات الهازلة ، منها :

أ - إهمال جم غفير من تلك الموارد ، والإعراض عنها ،دون استغلال واستثمار يعود على جنوب السودان بالخير.

ب- التوجه بالبذل إلى موارد قليلة ، غير نافعة لأبناء جنوب السودان ؛ وإنما فرضتها أطماع دولة ، استحقت الأرض بهيمنة السلاح .

جـ- انصراف أبناء جنوب السودان عن البحث عن هذه الموارد ؛ربما لجهلهم ،أو لقلة إمكاناتهم ، مع شدة فاقتهم .

الرابعة: إن في استغلال موارد جنوب السودان حلاً لعدد كبير من مشكلات جنوب السودان ، ومنها :

١- إيجاد فرص عمل لأبناء جنوب السودان .

٢- انطلاقة مسيرة التقدم الاقتصادي والتنموي .

٣- انفتاح جنوب السودان بعد إغلاق أبوابه .

٤- إلجام ألسنة المتمردين ، الناعقين بعدم مساواة الحكومة بين الشمال والجنوب .

الخامسة : إن الدعم البريطاني للاقتصاد في جنوب السودان ، وإنشاء المزارع ، وتزويدها بالإمكانات العالية ، ليس لإغاثة جنوب السودان ، والرقي به ؛ وإنما هو لمحاولة إيجاد أسواق وأراض تجارية تستطيع بها بريطانيا أن تنافس الدول الكبرى الأخرى ، في مجال الاقتصاد ؛ بدليل أنها اتجهت في أثناء الزراعة إلى ما يغطي نقصها في السوق العالمي ، ولم تنظر إلى مدى حاجة جنوب السودان إليه .

السادسة: إن سياسة الدعم الاقتصادي والتنموي ، يجب أن تراعي الحكمة في معاملة أبناء جنوب السودان ، وأهل الأرض ، ولا تلجأ إلى عمل مشروع إلا بعد أن تأخذ موافقة تلك القبائل البدائية ، ليس هذا فحسب ؛ بل تضمن لها موارد كسب وفيرة من هذا المشروع .

السابعة : لقد أصاب السودان خلل في توزيع رؤوس الأموال ، نتج عنه ميل كفة الميزان تجاه الشمال ؛ وخاصة الخرطوم ، ميلاً لا وجه فيه للمقارنة ، وهذا أضر ضرراً بالغاً بأي عمل تجاري في جنوب السودان ، الذي لا بد به من وجود سوق تجاري ، يمتاز بوفرة الأموال ، التي تمول المشاريع .

الثامنة : إن سوء استغلال الموارد الاقتصادية أدى بجنوب السودان

إلى السقوط في هاوية الفقر ، وما يتبع الفقر من التخلف والجهل ، وسطوة الأمراض ، ووجود الأفاكين ، الذين يصيدون رقاب البشر ، دون حق .

* * *

المطلب الثاني

الخِدمات العامة

المطلب الثاني

الخدمات العامة في جنوب السودان

يشغل جنوب السودان عدد كبير من السكان ، الذين يحتاجون إلى خدمات عامة ، سينعكس توافرها على حياتهم المعيشية ، وتتمثل هذه الخدمات في : المواصلات ، والتعليم ، والخدمات الصحية ، والاجتماعية . وسنتناول هذه الخدمات في جنوب السودان ، بشيء من التفصيل .

أولاً : المواصلات :

إن للمواصلات شأناً مهماً في هذه المساحات الشاسعة ؛ إذ لا بد من وجود رابط قوي بين المركز والأطراف ، وإلا كانت هذه الأطراف معرضة للشلل ، الذي سيوجد فجوة تتبعها جفوة ، وهذا ما حدث بين شمال السودان وجنوبه ، وحتى بين أقاليم الجنوب المختلفة ؛ بل بين المديرية ومراكزها التابعة لها ؛ إذ تنقطع المواصلات لمدة تصل إلى ما يقارب تسعة أشهر في العام ، في بعض المديريات .(١)

وطرق المواصلات في جنوب السودان تختلف باختلاف الجهات ؛

---

(١) د . محمد عبد الغني سعودي ، وآخرين ، مشكلة جنوب السودان ، ص : ٢١ - ٢٢ .

ففي مديرية أعالي النيل ، إذا استثنينا الأنهار الصالحة للملاحة، فإنه من المتعذر استعمال العربات لمدة تقترب من التسعة أشهر في السنة .[1] انظر : الخريطة رقم (٤٥) .

وليست مديرية بحر الغزال بأحسن حالاً من أعالي النيل ، فإذا استثنينا طريق العربات الصالحة للاستعمال طول السنة ، بين " واو " و " جوبا " ، فإن النهرين الصالحين للملاحة ، هما : نهر الجور، وبحر الغزال . ولا توجد طرق صالحة للسيارات طول العام . وتنظم الخطوط الجوية السودانية رحلات جوية ، تكون مرتين أسبوعياً إلى جوبا ، وملكال ، وواو . وهناك السكك الحديدية ، التي تصل من غرب السودان إلى " واو " ، ولم يصل هذا الخط إلا في الستينات.[2]

والسفريات العادية بين شمال السودان وجنوبه تقوم بالبواخر النيلية ، من كوستي إلى جوبا مرة أسبوعياً .. أما الطرق البرية : فلا تستخدم إلا لمدة ثلاثة أشهر في السنة ، عن طريق دارفور إلى ملكال وجوبا ، ولكن يقل استخدام هذه الطرق البرية.[3]

وللخروج من هذا الأسر الجغرافي والتاريخي والثقافي للجنوب

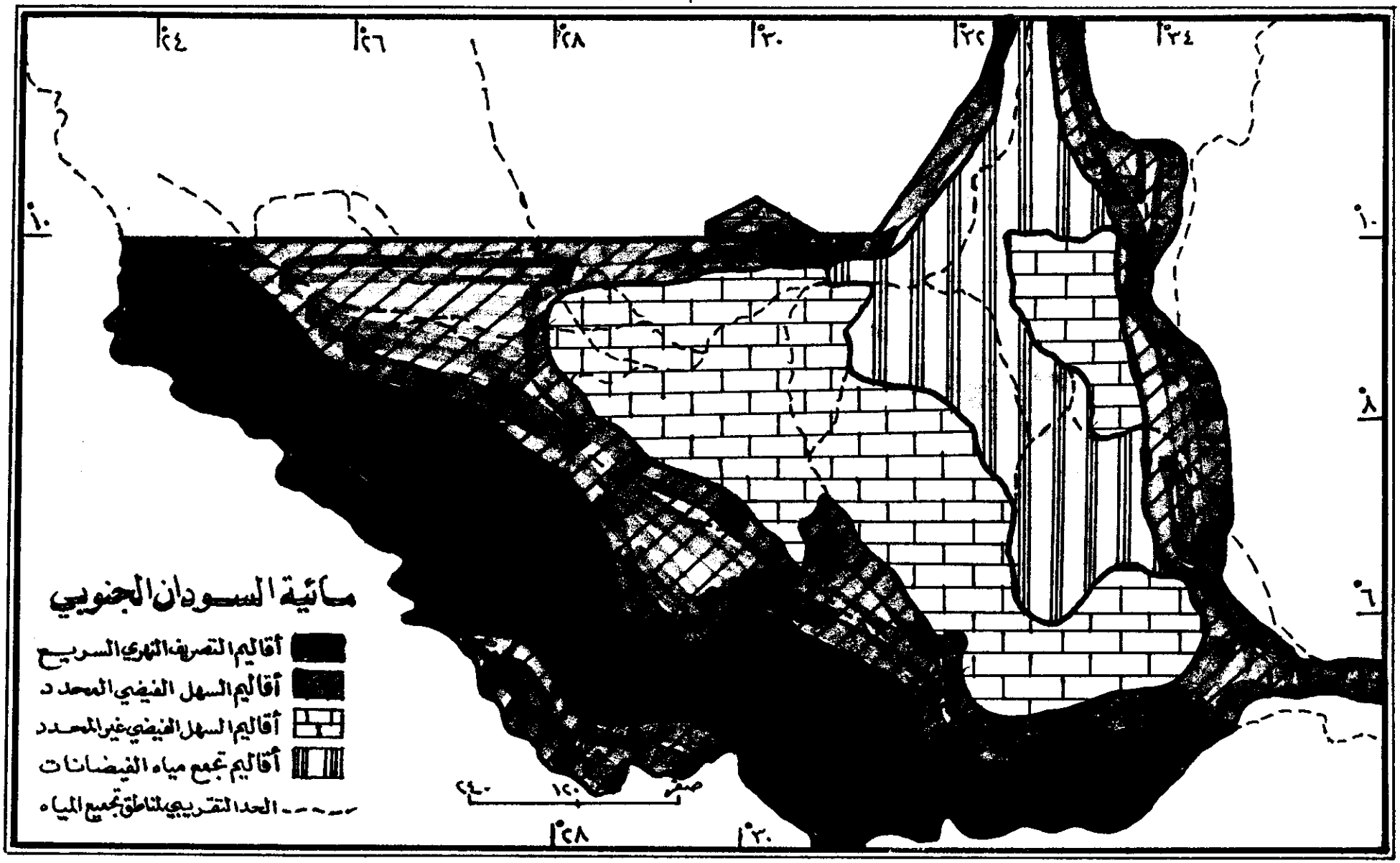
---

(١) Professor Bashir M.O., The Southern Sudan , Background to Conflict, Horst and Co.,page: 19 - 20.

(٢) السابق ، ص : ٢١ .

(٣) د . محمد عبد الغني سعودي ، مشكلة جنوب السودان ، ص : ٢٢ .

خريطـــــة رقم (٤٥)



المصدر: د. محمد عبد الغني سعودي، وآخرون، مشكلة جنوب السودان، مركز بحوث الشرق الأوسط، جامعة عين شمس، سنة: ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

لا بد أولاً من تمكين سبل الانتقال بين شطري البلاد ، عن طريق تشييد الطرق البرية ، ثم مد شبكة خطوط داخلية ، تربط أجزاء الأقاليم المختلفة . ولا بد من تحسين أسطول النقل النهري ، والجوي ، والعمل على استمرار قطار(الخرطوم - واو) ، والعمل على مد هذا الخط من (واو) إلى (جوبا) ،ثم (ملكال) . وبهذا يمكن ربط أجزاء الجنوب ببعضها ببعض ، ثم ربط الجنوب كله بالشمال.(١)

انظر : الخريطة رقم (٤٦) .

كما أنه بالاهتمام بخدمات المواصلات ، وَصْلٌ للجفاء الذي يصيب العلاقات بين أبناء الوطن الواحد ، والذي سعى الاحتلال ومعاونوه إلى تفريق شمله ، وإضعاف قوته .

ثانياً : التعليم :

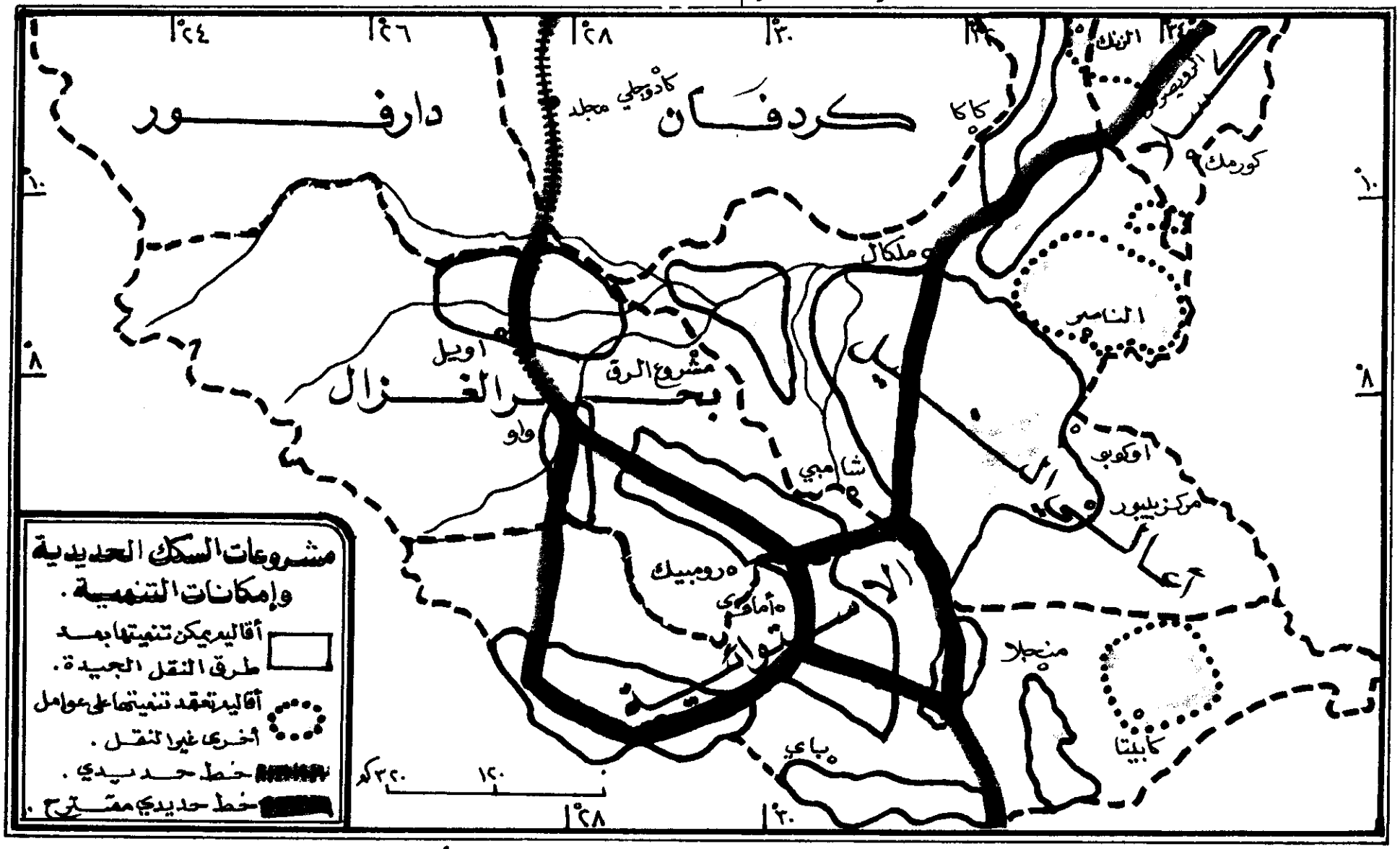
منذ انفتاح جنوب السودان على العالم ، والتعليم فيه محتكر لدى الإرساليات التنصيرية ، التي رأت فيه إكمالاً لبرنامج التنصير، البادئ من الدخول في الكنيسة . وسوف نعرض له عند حديثنا عن نشاط الإرساليات التنصرية .

وفي سنة : ١٣٢١هـ - ١٩٠٣م : تم فتح أول مدرسة في جنوب السودان ، في مدينة " واو " ، وصارت المدرسة الوحيدة التي تتكفّل

---

(١) السابق ، الصفحة نفسها .

خريطـــــة رقم (٤٦)



المصدر: محمد عبد الغني سعودي، وآخرون، مشكلة جنوب السودان، مركز بحوث الشرق الأوسط، جامعة عين شمس، سنـــــة: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

الحكومة بنفقاتها . وقد رفض المستر جيمز كري[1] اعتمادها ، ومنحها أية موازنة ، لأنها أداة لإسلام الطلاب الجنوبيين . وقد ضمّت إلى الكنيسة الكاثوليكية ، في سنة : ١٣٢٣هـ - ١٩٠٥م .[2]

ويجب علينا أن نشير : إلى أن احتكار الإرساليات للتعليم، قد أدى إلى مشكلتين ، عانى المجتمع السوداني منهما كثيراً ، وهما :

١- إن إسناد التعليم إلى تلك الإرساليات التنصيرية ، حرم أبناء المسلمين من التعليم ؛ إذ تخوف الآباء من تنصير أبنائهم، كما طرد أكثر المسلمين المتمسكين بدينهم من المدارس .

٢- إن القائمين على أمر هذه المدارس ، كانوا يتكلمون باللغة الإنجليزية ، وقد كان الأهالي عازفين عن تعلم هذه اللغة ، ولكن جعل الإنجليزية اللغة الرسمية للتخاطب أدى إلى رضوخهم تحت هذا الطلب .[3] انظر: الخريطة رقم (٤٧) .

وبعد رحيل الاحتلال العسكري ، بقيت له بصمات كثيرة في الجانب الفكري والثقافي في جنوب السودان ، فازداد الأمر سوءاً .[4] ولم يتخلص

---

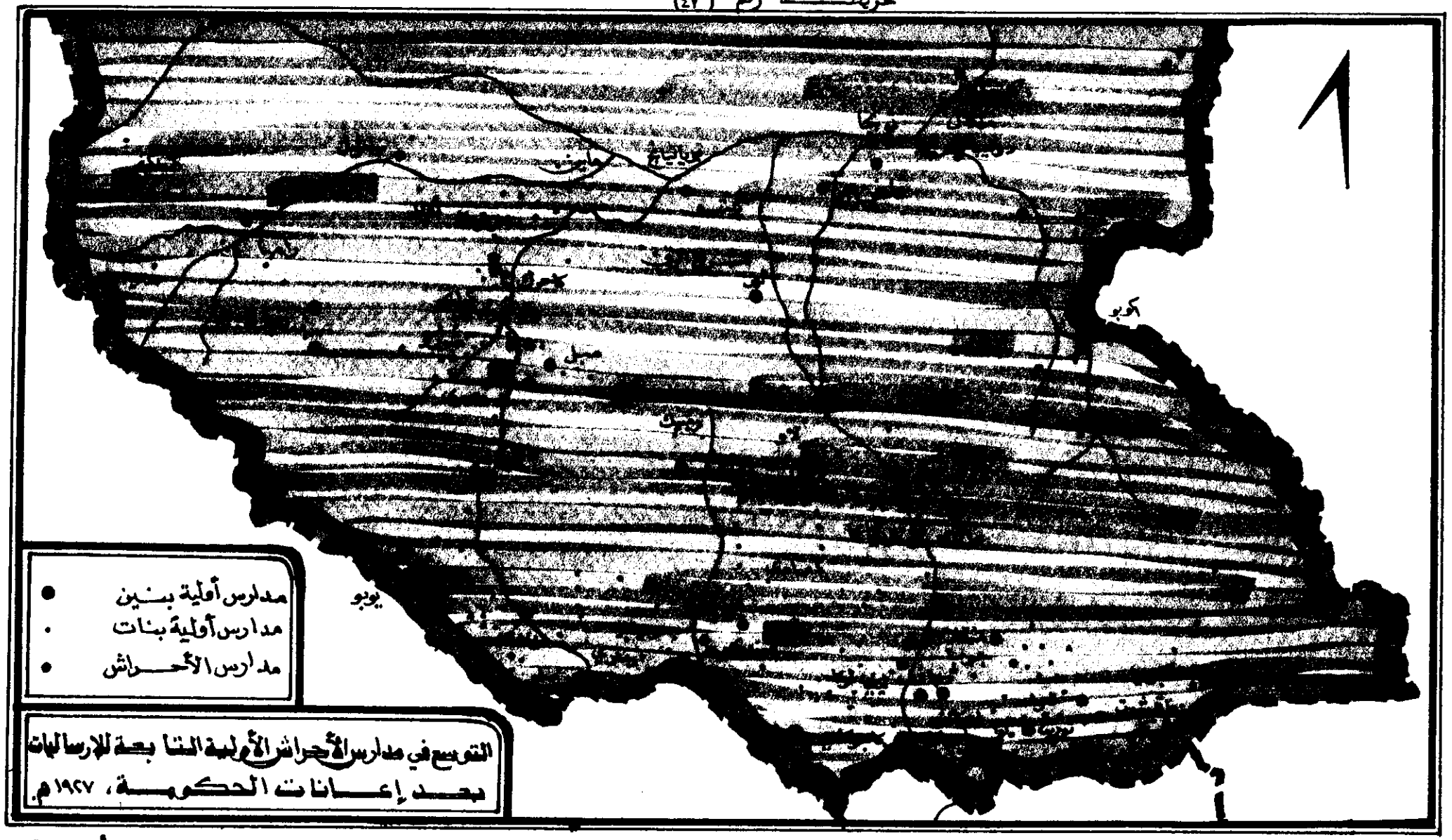
(١) هو : بريطاني الجنسية ، عمل مديراً للتعليم في الحكومة السودانية، في تلك الفترة ، وقد عمد إلى عرقلة انتشار التعليم الإسلامي في جنوب السودان .
علي حسن عبدالله ، الحكم والإدارة في السودان ، ص : ١٧٦ .

(٢) علي حسن عبدالله ، الحكم والإدارة في السودان ، ص : ١٧٧ .

(٣) د . حسن مكي محمد أحمد ، السياسة التعليمية ، والثقافة العربية في جنوب السودان ، ص : ١٧ - ١٨ .

(٤) محمد عمر موسى ، النشاط التبشيري الكنسي ، ص : ٧٧ .

خريطـــــة رقم (٤٧)



المصدر: د. فيصل محمد موسى، الكنيسة ودورها في السياسة التعليمية في جنوب السودان، تحت الإدارة البريطانية، مجلة "دراسات أفريقية"، ص: ٩٧، المركز الإسلامي الأفريقي، العدد: الأول، رجب، ١٤٠٥هـ - أبريل، ١٩٨٥م.

الرجل الجنوبي من عقدته ، وهي : الفصل بين سياسة الرجل الأبيض ، ودين الرجل الأبيض .(١)

وفي سنة : ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م : أنشأت وزارة المعارف السودانية معاهد لإعداد وتدريب المعلمين ، في " التونج " ، و" ملكال" ، و" ياي " . وبدأ تدريس المعلمين مادة اللغة العربية . كما نشط مكتب التأليف والنشر في جوبا ، في تأليف وطباعة مواد اللغة العربية للمدارس الابتدائية .(٢)

وقد قامت الحكومة السودانية في شهر رمضان ، سنة : ١٣٧٦هـ - الموافق : أبريل ، سنة : ١٩٥٧م . بضم مدارس القرى والأوليات ، ومعاهد التدريب إليها ، وتركت مدارس البنات ؛ لعدم وجود مدرسات سودانيات مؤهلات للعمل في جنوب السودان .(٣)

وفي سنة : ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م : بدأت المعاهد الدينية في " جوبا " ، و" واو " ، وقد كان عدد طلابها : سبعة وخمسين طالباً ، ثم قفز هذا العدد في سنة : ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م ، إلى خمسمائة طالب ،

---

(١) حسن مكي محمد أحمد ، السياسة التعليمية والثقافة العربية في جنوب السودان ، ص : ٢٧ .

(٢) السابق ، الصفحة نفسها .

(٣) Sanderson, Edcuation , Religion and politics in Sudan , page : 103 , printed in: London , at: 1401 H. - 1981 A.D.

منهم ثلاثون طالباً في القسم العالي ، وأربعمائة وسبعون طالباً في الأوسط.[1]

وقد شهدت الفترة من سنة : ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م ، حتى سنة : ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م محاولات جادة لتغيير الواقع الذي فرضته الإرساليات، في فترة احتكارها للتعليم لمدة خمسين عاماً . ومع هذا : فقد كانت الثانوية العالية ،وما بعدها ، تجعل الإنجليزية لغة التدريس . وقد كان عدد المدارس الثانوية ، في جنوب السودان ثلاث مدارس ؛ ثنتين في جوبا ، والثالثة في روسبيك ، وهي التي تمد جامعة الخرطوم بالطلاب من أبناء الجنوب . وفي سنة : ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م / ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م كان هناك خمسة وخمسون طالباً جنوبياً ، من أصل : ألف وخمسمائة وثلاثة وثمانين سودانياً ، في جامعة الخرطوم ، علماً بأن سكان جنوب السودان يعادلون في ذلك الوقت ، ما يقارب : ٢٠٪ من سكان السودان.[2]

وحينما باشرت وزارة التربية الإقليمية مسئولياتها في جنوب السودان ، في سنة : ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م ، كانت جميع مدارس المرحلة الابتدائية والمتوسطة تتعلم باللغة العربية .[3]

وبعد اتفاقية " أديس أبابا " سنة : ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م ، حدث في جنوب السودان ، جو نفسي مشحون ضد الدين الإسلامي ، واللغة

---

(١) د . حسن مكي محمد أحمد ، السياسة التعليمية والثقافة العربية في جنوب السودان ، ص : ٢٩ .

(٢) السابق ، ص : ٣١ .

(٣) السابق ، الصفحة نفسها .

العربية ، أدى إلى عرقلة مسيرة التعليم الحكومي في جنوب السودان.[1]

تقويم الحركة التعليمية في جنوب السودان :

إن هناك في جنوب السودان ، ما يشبه الانهيار التام في حركة التعليم ، وقد عبّر عن هذا " فيليب أوبانق "[2] بقوله : " لقد انهار النظام التعليمي في الإقليم ، إلى حالة من الفوضى ، ونمى في الطلبة روح عدم الاحترام لأساتذتهم . ولتدخل السياسيين كثيراً في أنظمة المدارس ، فقد صار الطلاب آذاناً صمّاءً ، لا تسمع القوانين التي تعرضها الإدارات . وقد برزت هذه المظاهر في حركات الإضراب المتواصل عن الدراسة ، وهجرة الأساتذة ، وعزوفهم عن التدريس . وفي وسط هذه الفوضى ، ظهر الصراع القبلي فيما بين الطلاب ، كما أصبح لسان حال الطالب الجنوبي : " أنا سياسي ، إذاً أنا موجود " .[3]

لقد شهد واقع المدارس في جنوب السودان ، في أوائل الثمانينات ، من هذا القرن ، مزيداً من التدهور لأسباب كثيرة ، منها : عدم وجود سياسة تعليمية محدّدة ، بدليل تنوع لغات التعليم ، فنجد الإنجليزية في المدارس العليا ، كما نرى العربية والإنجليزية يتشاركان

---

(١) السابق ، ص : ٣٨-٣٩ .
(٢) هو : وزير التربية في إقليم " جنوب السودان " بعد اتفاقية السلام. د . حسن مكي محمد أحمد ، السياسة التعليمية ، ص : ٤٦ .
(٣) حسن مكي ، السياسة التعليمية ، ص : ٤٧ .

في المدارس المتوسطة ، ومدارس القرى تستخدم اللهجات المحلية المختلفة .[1]

مكان التربية الإسلامية واللغة العربية في التعليم :

لا يكاد يوجد في جنوب السودان معلمون للتربية الإسلامية ، في الغالبية العظمى ، من مدارس الإقليم . ولوجود أغلبية طلابية إسلامية فإن بعض أساتذة اللغة العربية ، يقومون بتدريس هذه المواد ، وفي بعض المدارس ، يقوم الطلاب المسلمون بحضور حصص الدين النصراني وامتحاناته ؛ لانعدام أساتذة وكتب التربية الإسلامية ، مع وفرة ضدها ، وهو : توفر أساتذة الدين النصراني ، وكتبه الكثيرة .[2]

كما أن الجو النفسي مشحون ضد المسلمين الموجودين هناك ، ونفور المجتمع منهم ، بوصفهم عملاء للشمال ؛ مما جعل بعض الطلبة الضعاف يخفون انتماءهم إلى الدين الإسلامي ، ويسايرون موجات الطلاب العامة ، التي تسيطر عليها الإرساليات . وبهذا نرى كثرة من الطلبة يروحون ضحية عدم وجود الكتاب ، والمدرس المُسْلِمَين .[3]

فنرى مثلاً : في مدرسة " جوبادي "[4] ، والتي كان فيها

---

(١) السابق ، ص : ٤٧ .
(٢) السابق ، ص : ٤٨ .
(٣) السابق ، الصفحة نفسها .
(٤) هي : مدرسة مجاورة لجامعة جوبا ، افتتحت في : ٢٠ من شهر ذي القعدة ، سنة : ١٤٠١هـ - الموافق : ١٨ من شهر سبتمبر ، سنة : ١٩٨١م ، وهي أول مدرسة ثانوية للبنين تفتح في جوبا .
حسن مكي ، السياسة التعليمية والثقافة العربية في جنوب السودان ، ص : ٥٨ .

سبعة وعشرون معلّماً ، لا يوجد بينهم معلم واحد للتربية الإسلامية . ويوجد فيها معلّمان للغة العربية ، أحدهما : معه دبلوم في الإلٰهيات ، والآخر: في الاجتماع . ويوجد في كل مدارس جنوب السودان عشرة معلمين في اللغة العربية فقط .(١)

ثالثاً : الخدمات الصحية والاجتماعية :

من الواضح أن جنوب السودان يعاني من قلة الخدمات وندرتها في كل مرفق ونطاق ؛ لوقوعه ضحية لسياسة المحتل الحاقد ، الذي يريد أن تكون له يد في قلب أفريقيا ، ومن هذه الخدمات التي تعاني من النقص الكبير : الخدمات الصحية والاجتماعية .

١- الخدمات الصحية :

إن رسالة الطب والعلاج رسالة نزيهة عن كل غرض دنيء ، ولكن المنصرين في جنوب السودان ، قدموا تلك الرسالة ؛ لتحقيق أهداف بعيدة عن النوايا الحسنة ، والخدمات النزيهة .

أنشأ بعض المنصرين مستوصفاً في بلدة " الناصر " ، في أعالي النيل ، وقد كانوا لا يعالجون مريضاً إلا بعد أن يحملوه على الاعتراف بأن الذي يشفيه هو المسيح . ويقال : إن أمّاً سودانية حضرت

---

(١) الحكومة الإقليمية في جوبا ، التقرير السنوي عن التعليم للثنويات العليا في الإقليم الجنوبي ، سنة : ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ، ص : ١٨ .

بطفلها المريض إلى هذا المستوصف ، وبين يدي الطبيب مات الطفل ، ونسي حضرة الطبيب فجيعة الأم في ابنها ، وأخذ يحمل الأم على الاعتراف بالمسيح ابناً وحيداً للرب .[1]

وعندما نتساءل : لماذا يقوم المنصرون بالخدمات الطبية؟ فستأتيك إجابتهم : بأن السيد المسيح كان معلماً ومداوياً . وقد أشار القس " صموئيل زويمر " إلى هذا قائلاً : " إن المنصر لا يكتفي بتطوير المستشفيات ، حتى ولو غطت خدماتها جميع أطراف الإقليم . إن الهدف من وجودها هو : أن نجعل من الرجال والنساء نصارى ".[2]

ولم تظهر أهمية العلاج في دفع عملية التنصير ، إلا في الربع الأخير من القرن التاسع عشر ، عندما تكونت الجمعيات الطبية في أوربا وأمريكا ، التي تقوم بتأهيل الأطباء والممرضات ، في مراكز التنصير ؛ومن ثم أصبحت الإرساليات العلاجية من وسائل التنصير الكبرى ؛ وبخاصة في جنوب السودان .[3]

ولم تقتصر الخدمات الصحية في جنوب السودان على المستشفيات التي تقيمها الإرساليات ؛ بل إن عدداً من المنصرين ، كان يحفظ معه

---

(١) د . إبراهيم عكاشة ، التبشير النصراني في جنوب سودان وادي النيل ، ص : ١٦١ - ١٦٤ .

(٢) محمد عمر موسى ، النشاط التبشيري الكنسي في جنوب السودان ، ص : ٨٦ .

(٣) د . إبراهيم عكاشة ، التبشير النصراني ، ص : ١٦٣ .

كميات من العقاقير الطبية ، ليعالج بها الأهالي ، دون مؤهلات طبية تسمح لهم بهذا ، إنما الدافع هو التنصير فقط .(١)

وبهذا نرى : أن أكثر المرافق الصحية في جنوب السودان استخدمت لتكون معوناً لانتشار الإسلام ، عن طريق الإرساليات التنصيرية ، التي تمتلك جهوداً ، ومرافق كثيرة . إلى الجانب الآخر : ضعفت همة الحكومة في هذا الجانب ، وقصّرت كثيراً في هذا المجال ، ممّا عرّض حياة أبناء جنوب السودان للخطر المحدق بهم . فإما الموت من وطأة المرض ، أو الدخول في النصرانية ، والإعراض عن الإسلام .

٢- الخدمات الاجتماعية :

وهذا مرفق حيوي مهم ، استولت عليه الإرساليات التنصيرية في جنوب السودان ، فقامت بتقديم الخدمات الاجتماعية الكثيرة ؛ وذلك لإيجاد الثقة القوية بينهم والأهالي . فقامت باحتضان الأيتام والضعاف ، لتقوم بتنشئتهم ، وتربيتهم تربية كنسية .

ويقوم في " الرجاف " بالقرب من مدينة " جوبا " ملجأ تديره الإرسالية الكاثولوكية . وهناك في الجنوب : المراكز الكثيرة المؤقتة ، التي تستقبل اللقطاء ، ومن على شاكلتهم .(٢)

---

(١) محمد عمر موسى ، النشاط التبشيري الكنسي ، ص : ٩٠ - ٩١ .
(٢) السابق ، ص : ٩٢ .

ولا ريب في أن هذه الخدمات الاجتماعية ربطت بين المنصرين والأهالي ، وكانت ثوباً يخفي الممارسات التنصيرية ؛ ولهذا عندما فقدت الهيئات التنصيرية سيطرتها على التعليم ، وجد المنصرون العوض عنه في الخدمات الاجتماعية .(١)

وإلى جانب التركيز الهائل للمنصرين على هذا المرفق ، نجد الإهمال الكبير للحكومة لهذا الجانب ، وهذا عرّض سياسة الحكومة للسخط من أبناء جنوب السودان ، الذين ينتظرون اليد الحانية ، التي تمد لهم يد العون في مجال حياتهم المعيشية والاجتماعية .(٢)

وفي منتهى هذا المطلب (الخدمات العامة في جنوب السودان) أعرض أبرز النتائج التي توصلت إليها ، ومنها :

الأولى : إن إهمال الحكومة لجوانب كثيرة من الخدمات العامة ، أدى إلى عدد من المشكلات ، ومنها : بقاء أبناء جنوب السودان مهملين متروكين ، دون ما يوجد ما يرعى حاجاتهم ، ولا ما يحقق أمنهم ، ولا ما يزيل جهلهم ، وهذا أمر في غاية الخطورة ، لما ترتب على هذا الإهمال من نتائج .

---

(١) د . حسن مكي محمد أحمد ، السياسة التعليمية والثقافة العربية في جنوب السودان ، ص : ٤٠ .

(٢) السابق ، الصفحة نفسها ، بتصرف .

الثانية : لقد وجد المنصرون من هذا الإهمال ، منفذاً يدخلون منه إلى أبناء جنوب السودان ، فأقاموا مراكز التعليم ، لتستوعب أبناء الجنوب ، وما يقدم فيها من مناهج تخدم المصالح النصرانية ، إضافة إلى المراكز الصحية ، التي تقدم الدواء والدين . والمراكز الاجتماعية ، التي تقدم المال لشراء الذمم والرقاب .

الثالثة : إن استيلاء المنصرين على هذه الخدمات ، واستغلالهم لها ، أدى إلى إلغاء وجودها ، لأن أبناء المسلمين من أهل جنوب السودان ، لن يذهبوا إليها ، وإذا ذهبوا إليها ، فلن يخرجوا منها سالمين ، ولهذا ستبقى هذه الفئة الطيبة بلا خدمات لصالحها . . أمّا الوثنيون فإذا ذهبوا إليها ، وتعاطوا معها ، فلن يكونوا وثنيين ، وهم يرفضون هذا - أي : الدخول في النصرانية - ممّا يؤدي إلى عدم استفادتهم منها . ويبقى النصارى من أبناء الجنوب ، وهم خارج رسالة تلك الخدمات التنصيرية ، التي تهدف إلى الاصطياد .

الرابعة : ولا زالت مسيرة التعليم في جنوب السودان محفوفة بعدد من المخاطر والآثار ، التي ولدها الاحتلال البغيض ، وبقيت مشكلات قائمة بذاتها ، ولن تحل هذه المشكلات إلا بنسف الخطط التعليمية السابقة ، وإقامة خطط جديدة لسياسة تعليمية جديدة ، في جنوب السودان . كما يجب على الحكومة أن توفر

المدارس التعليمية ، الخالية من كل شبهة ، وعليها أن توفر المدرس المتخصص ، والوسائل التعليمية الأخرى .

الخامسة : أمّا الخدمات الصحية ، فلا مناص للحكومة عن توفير كل خدماتها ، وبخاصة أن الإقليم الجنوبي إقليم صالح لانتشار الأوبئة والأمراض ، حتى صار أبناؤه لقمة سائغة للموت الذي افترس كثيراً منهم ، ومنهم من ينتظر ، وبات الخيار أمامهم ، إمّا الموت ، وإمّا الارتماء بين أيدي المنصرين القذرة .

السادسة : لجأ المنصرون إلى إقامة مراكز لرعاية الأيتام والمشردين ، وصرف المعونات المالية لأبناء جنوب السودان ، وإنشاء عدد من لجان الإحسان ، وهذه الخدمات ، إنما هي لخدمة أهداف التنصير الجليلة الواضحة . والخطر فيها : هو القبول الكبير الذي لقيته هذه الخدمات ، من أبناء جنوب السودان ، لأنهم رأوا أيدياً تمتد إليهم بالمعونة والرعاية ، غافلين عن الغرض الذي مدها ، والهدف منها . وهذا كان في صالح المنصرين ومن يتبعهم ؛ إذ أعانهم هذا على الحكومة ، التي واجهت غضباً قوياً من أبناء جنوب السودان .

السابعة : إن قصور خدمات المواصلات في جنوب السودان ، عائد إلى كثرة المستنقعات والأحراش الكثيفة ، والتعرجات المائية ، وهذه عوامل طبيعية ، يجب أن تطوع ، وجبال يجب أن تسهل ، كل ذلك في

سبيل أن يتواصل الجنوب كله ؛ ومن ثم يتواصل مع الشمال .

الثامنة : لنا أن نقول : إن من أبرز مشكلات جنوب السودان ، هي : انقطاع المواصلات بين أجزائه ، وانقطاعه عن شقيقه الشمال ؛ فترى أبناء الإقليم الواحد لا يحصل بينهم أي نوع من الخلطة واللقاء ؛ ليحصل التأثير ، كما أن وسائل الدعوة الإسلامية ، عانت كثيراً من سبل الوصول إلى مناطق دونها بيد عظيمة ، وأوابد كثيرة .

* * *

المبحث الثالث

النشاطات المضادة للإسلام

وفيه أربعة مطالب، هي:

المطلب الأول: التنصير:

١- الإرساليات التنصيرية

٢- وكالات الإغاثة الأجنبية

المطلب الثاني: العلمانية

المطلب الثالث: العنصرية ضد الإسلام والعرب

المطلب الرابع: التدخلات الخارجية

المطلب الأول

التّنصير

ويشمل :

١- الإرساليّات التّنصيريّة

٢- وكالات الإغاثة الأجنبيّة

المبحث الثالث

النشاطات المعادية للإسلام

المطلب الأول : التنصير:

دخول التنصير جنوب السودان:

لقد كان للدخول المصري ، سنة : ١٢٣٦هـ - ١٨٢١م الفضل في ربط الجنوب السوداني بالعالم الخارجي . وقد أدى هذا الكشف إلى إرسال ثلاث بعثات إلى الجنوب ، لتقوم بتوطيد الحكم فيه .(١)

ومما مهد لعمليات التنصير في الجنوب : أن ممثلي الخلافة الإسلامية العثمانية في جنوب السودان ، كانوا كلهم من النصارى ، أمثال : صموئيل بيكر ، وتشارلس جوردون ، وجيسي باشا ، وشنتزر اليهودي الألماني ، الذي ادعى الإسلام ، وسمى نفسه : أمين باشا ، والنمساوي : سلاطين باشا ؛ وبذلك كانت سياسة الحكم في جنوب السودان من مسئولية الأوربيين ، الذين أراقوا كثيراً من الدماء ، لأجل استتباب الأمن ، وإخضاع الجنوبيين لرغباتهم . وقد فتحوا الباب أمام الكنائس ، لتعمل من أجل تنصير أبناء جنوب السودان .(٢)

---

(١) د . حسن مكي محمد أحمد ، السياسة التعليمية والثقافة العربية في جنوب السودان ، ص : ١٤ .

(٢) الجبهة القومية الإسلامية ، مسألة جنوب السودان ، مجلة (السياسة الدولية) ، العدد : ٩١ ، ص : ١٥٢ .

ومـمّـا ساعد على إنجاح جهود المنصرين : أن الإسلام الذي دخـل جنوب السودان ، كان في وقت انحطاط الخلافة الإسلامية العثمانيـة ، التي باتت تتهاوى أمام ضربات الأوربيين الكفرة الحاقدين .(١)

وقد ازداد التفات المنصرين إلى السودان خلال فترة الحكم التركي المصري . وقد تبينوا أهمية السودان ، الذي يعد مجمعاً للطرق المؤدية إلى غرب أفريقيا ، وجنوبها ، وشمالها ، وشرقها . كمـا كان الإنجليز يسعون إلى العثور على طريق تصل بين أوغندا ، والأصقاع الشمالية ، عـبر جنـوب السـودان .(٢)

وقد شجع المنصرين السياسة المتسامحة التي اتبعها محمد علـي إزاءهم ، فأقاموا مدرسة كاثولوكية في الخرطوم ، ثم أنشأ بابا روما " جريجوري الرابع عشر " ، في سنة : ١٢٦٢هـ - ١٨٤٦م كرسياً رسولياً لأفريقيا الوسطى ، جعل مركزه الخرطوم ، وهدفه : إدخال الزنوج في النصرانية . ولم يلبـث هـذا الكرسي أن مدّ نشاطه إلى الجنوب ، فأنشأ مركزين للتنصير ، أحدهما : في غندكرو ، في سنة : ١٢٦٦هـ - ١٨٥٠م ، والآخر : في كاكا ، في سنة : ١٣٨١هـ - ١٨٦٢م .(٣)

---

(١) د . حسن مكي محمد أحمد ، السياسة التعليمية والثقافة العربيـة في جنوب السودان ، ص : ١٣ .

(٢) Proffessor Bashir M.O., The Southern Sudan , Background to conflict , Horst and Co., page:36-37.

(٣) د . إبراهيم عكاشة ، التبشير النصراني في جنوب سودان وادي النيـل ، ص : ٣٨ .

وقد قدم الجنرال جوردون مساعدات كثيرة للمنصرين ؛ عندما عيّن حاكمًا عامًا للاستوائية . كما كان يدعو عددًا من الكنائس ، للإسهام في حركة التنصير في مديريته .

ومما ينبغي الإشارة إليه : إلى أن التنصير الحاقد في بداية عمله في جنوب السودان قد واجه فترات حرجة ؛ نظرًا لقسوة المناخ ، وسطوة الأمراض ، التي أودت بحياة كثير منهم . إضافة إلى ما كان يعصف في بعض الأقطار الأوربية في ذلك الوقت من حروب شتى . وقد أدت هذه الظروف إلى إغلاق مراكز التنصير ، في سنة : ١٢٧٩هـ - ١٨٦٢م .(١)

وقد أدى نشر " سبيك " لكتابه ؛ " النيل الأبيض" إلى توضيح : أن النيل هو الأداة الموصلة إلى أراضي شرق أفريقيا الخصبة ، والمزدحمة بالسكان .(٢) وأصبح لجنوب السودان أهمية كبرى لدى المستكشفين الأوربيين ، والمنصرين ، إضافة إلى التجار ، الذين قدموا بحثًا عن الثروات الهائلة ، التي يضمها ذلك الإقليم .(٣)

وعندما احتلت القوات البريطانية الأراضي المصرية ،في سنة :

1- Proffessor Bashir M.O., The Southern Sudan ,Background to conflict , Horst and Co., page: 37.
2- Gray R., A history of the Southern Sudan :(1839 - 1889 A.D.), page: 168, printed in : London, at : 1961 A.D.
3- Proffessor Bashir M.O., The Southern Sudan , Background to conflict, Horst and Co., page: 53.

١٢٩٩هـ - ١٨٨٢م : انفتحت الطريق أمام التدخل المباشر لانجلترا في شئون جنوب السودان .(١)

وقد قالت بعض الجمعيات التنصيرية : إن الإسلام والتربية الإسلامية لا يتفقان مع التطور اللازم ، لأهالي جنوب السودان ، وإنه لهذا ينبغي السماح للمنصرين ، بالقيام بالأعمال التربوية فيه .(٢)

وفي شهر شوال ، من سنة : ١٣١٦هـ - الموافق : شهر فبراير ، من سنة : ١٨٩٩م : تم تقديم مشروع قرار إلى البرلمان الإنجليزي ، يقضي بأنه من الواجب على بريطانيا النصرانية : أن تعمل على مساعدة النشاط التنصيري ،في السودان ، بما فيه النشاط التعليمي .(٣)

وعندما سافر كتشنر إلى انجلترا في سنة : ١٣١٨هـ - ١٩٠٠م ، توجه إلى مقابلته مثلو جمعية منصري الكنيسة ، بل إن رئيس الكنيسة البريطانية قدّم إليه مذكرة تنتقد سياسة كتشنر إزاء المنصرين ،ووصفت تصرفاته بأنها انتهاك سافر لمبادئ حرية الأديان .(٤)

---

(١) السابق ، ص : ٥٤ - ٥٥ .

(٢) Zetlan , the Marquess of Lord Cromer , page : 249 - 255 , printed in : London , at: 1351 H. - 1932 A.D.
O.O. Cash , Sudan Developed , page : 29 ,printed in: London, at: 1349 H. - 1930 A.D.
Proffessor Bashir M.O., The Southern Sudan, Background to conflict, Horst and Co., page: 66 - 69.

وتحت هذا الضغط سمحت الحكومة للمنصرين بالعمل في جنوب السودان ، وفتحت أبوابه أمام جحافلهم ، التي قدمت إلى جنوب السودان بكثرة هائلة .[1]

انظر : الجدولين ، رقمي (٣) ، (٤) .

وقد كان الاتفاق قائماً بين جمعيات المنصرين والحكومة ، على أنه يجب التخلص من الوجود الإسلامي ، في جنوب السودان ، في أقرب وقت . وقد عمدت هذه الجمعيات إلى تقسيم مناطق جنوب السودان فيما بينها ، متناسية النظر إلى الخلافات فيما بينها ، مجتمعة تحت لواء محاربة الدين الإسلامي ، وإجلاء وجوده من جنوب السودان .[2] انظر : الخريطة رقم (٤٨) .

لقد وجد التنصير مجالات واسعة ، ومساعدات لا حدود لها ؛ لينتشر في جنوب السودان . وقد بدأت مرافقه تعمل تحت مظلات كثيرة ، على بث دعاياتها التعصبة الحاقدة ، ضد الدين الإسلامي . وسعت بشتى الوسائل إلى جذب أبناء جنوب السودان ، وخاصة الصغار ، لاعتناق النصرانية ، مستعملة كل وسائل الإغراء والترغيب . وإن تعذر ذلك فلا بد من الإرهاب والتعذيب .[3]

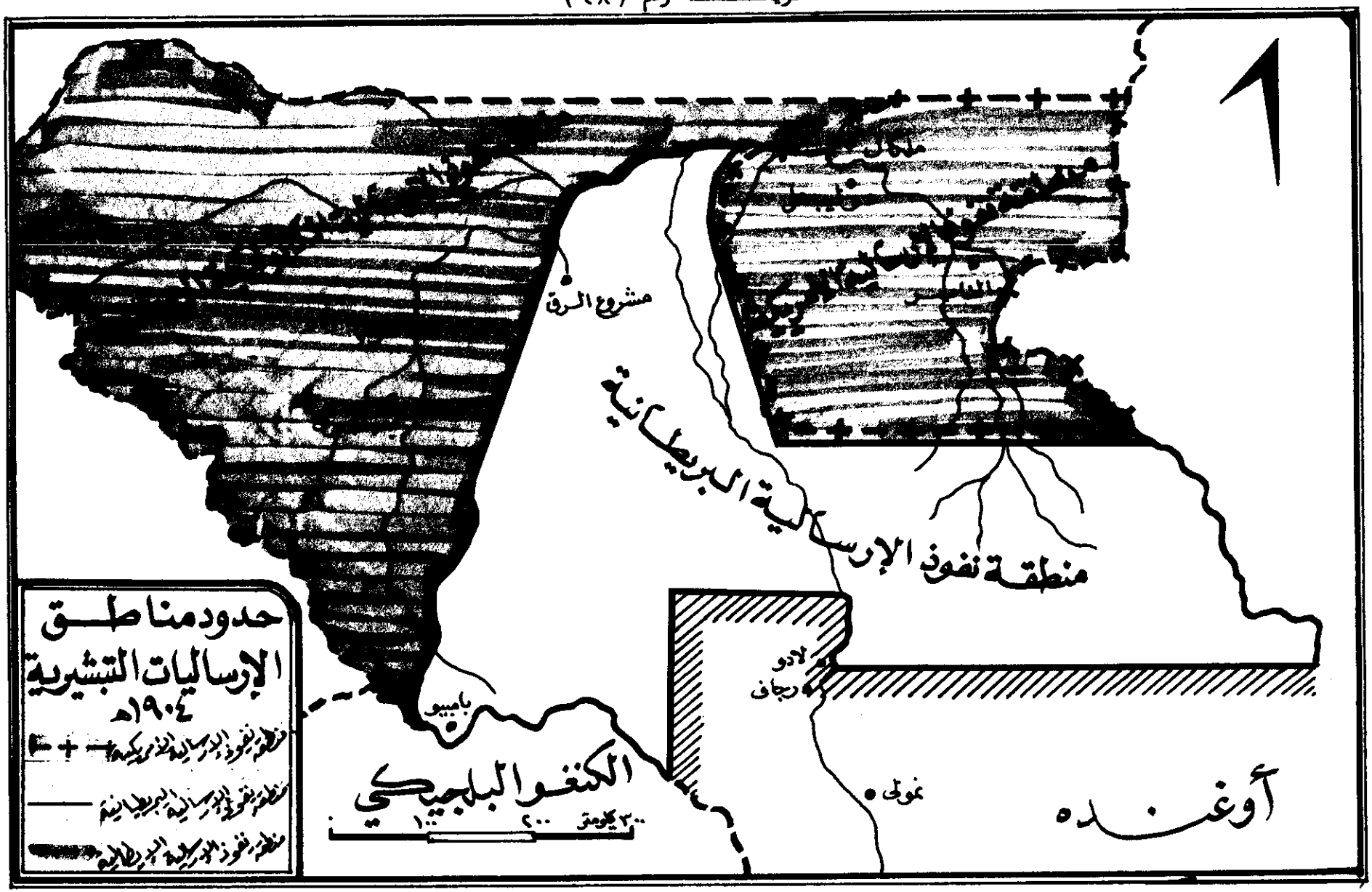
---

(١) د . محمد عبدالغني سعودي ، وآخرين ، مشكلة جنوب السودان ، ص : ٧٥ .

(٢) علي حسن عبدالله ، الحكم والإدارة في السودان ، ص : ١٧٦ - ١٧٧ .

(٣) محمد عمر موسى ، النشاط التبشيري الكنسي في جنوب السودان ، ص : ٦٤ - ٦٥ .

خريطـــــة رقم (٤٨)



المصدر: فيصل محمد موسى ، الكنيسة ودورها في السياسة التعليمية في جنوب السودان ، تحت الإدارة البريطانية ، مجلة " دراسات أفريقية " ، ص : ٩٨ ، الخرطوم ، العدد : الأول ، رجب ، سنة : ١٤٠٥هـ - أبريل ، سنة : ١٩٨٥م.

جدول (٣)

إحصائية تبين مراكز التنصير البريطانية ، وعدد المنصرين والعاملين فيها في بعض السنوات

مجموع مراكز التنصير الرئيسية	مجموع مراكز التنصير الفرعية	العاملون في مراكز التنصير								مجموع النصارى	الأسر النصرانية	السنة
		المنصرون الأجانب بما فيهم الأطباء والممرضات .				المنصرون الوطنيون						
		القساوسة	الوعاظ	المبشرات المتزوجات	المبشرات غير المتزوجات	المجموع	القساوسة	الوعاظ	الواعظات	المجموع		
٧	١٠	٥	٣	-	-	٨	-	٢١	٢	٢٣	٢٠٣	٤	١٩٢٣م ١٩٢٤م
١٠	٤٩	١٣	٤	١٠	١	٢٨	-	٧٤	٣	٧٧	٢ر٣٢٧	٤	١٩٣٢م ١٩٣٣م
١١	٩٩	١٣	٤	١٠	٢	٢٩	-	١٤٤	٢٠	١٦٤	٦ر٤٨٤	٤	١٩٣٥م ١٩٣٦م
١٥	١٩٦	١٢	٨	١٣	٩	٤٢	٣	٤٢٩	١٧	٤٤٩	١٨ر٢٢٢	٢٠٤	١٩٤٧م ١٩٤٨م

(١)

(١) د . إبراهيم عكاشة ، التبشير النصراني في جنوب سودان وادي النيل ، ص : ٣٠٠ .

جـدول (٤)

إحصائية تبين مراكز التنصير الإيطالية ، وعدد المنصرين والمتنصرين في سنة : ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م

الوحدة الإكليركية	العاملون في مراكز التنصير الكاثولوكية						المواطنون الكاثوليك			مجموع مراكز التنصير	مجموع مراكز التنصير الملاجئة
	المنصرون الأجانب			المنصرون الوطنيون		السيمنياريون					
	قساوسة	إخوات	إخوة	قساوسة	إخوات	الصف الأول	الصف الثاني	الملقنون	مجموع المواطنين الكاثوليك	الأسر الكاثوليكية	
بحر الجبل	٣١	٣١	١٨	٤	—	١٠	٣٩	٣٧٢	٢٨ر٠٠٩	٤٤٥	١٥	٩
بحر الغزال	٣٢	٣٣	١٦	٢	١	٣	١٧	٤٦٢	٣٨ر٣٨٧	١٠٤	٢١	١٢
ملكال	١٨	١٦	٢	—	—	—	—	٩	٢ر٣٨٣	٩٤	٩	٣
المجموع	٨١	٨٠	٣٦	٦	١	١٣	٥٦	٦٤٥	٦٨ر٧٧٩	٦٤٣	٤٥	٢٤

(١)

(١) د . إبراهيم عكاشة ، التبشير النصراني في جنوب سودان وادي النيل ، ص : ٣٠١ .

وقد أدت سيطرة الكنائس على التعليم ، إلى حرمان أبناء المسلمين منه دهرًا طويلاً ؛ ذلك لأن الآباء آثروا الابتعاد بأبنائهم عن هذه المدارس ، خوفًا عليهم من سلطة التنصير ؛ لا سيما أن بعض المدارس جعلت الدخول في مدارسها مشروطًا بالتعميد.(١)

كما سلكت البعثات التنصيرية مسالك أدت إلى إثارة الاضطرابات التي نتج عنها عدم استقرار جنوب السودان ، وإعاقة عمليات نشر الإسلام والوعي الحضاري ، والانصهار فيه.(٢)

وإن كان النشاط التنصيري قد هدأ في أثناء الحكم العسكري بعد الاستقلال ، لكن المؤسسات العالمية التنصيرية نشطت بالضغط على الحكومة ؛ لتعود إلى ممارسة أنشطتها مرة أخرى بعد اتفاقية "أديس أبابا" ، سنة : ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م . فبدأ توافد المنصرين بشكل كبير.(٣)

كما نشط - بعد هذه الاتفاقية - مجلس الكنائس العالمي ، وكل الكنائس التي تتبعه ، نشطت وأصبحت أكثر فاعلية . وقد تولت مهمات تنفيذ وإدارة تلك المؤسسات ؛ لكي تمارس دورها ، تحت ستار طبي

---

(١) د . حسن مكي محمد أحمد ، السياسة التعليمية والثقافة العربية في جنوب السودان ، ص : ١٨ .

(٢) محمد عمر موسى ، النشاط التبشيري الكنسي في جنوب السودان ، ص : ٦٣ - ٦٤ .

(٣) السابق ، ص : ٦٥ .

أو تعليمي ، أو رياضي ، أو اجتماعي ، أو في مجال الإغاثة والتوطين .[١]

ولقد وجد المنصّرون في جنوب السودان أرضاً خصبة لزرع أفكارهم ، مستغلين حالات المرض ، والجهل والجوع . فأنشأوا المستشفيات والمزارع ، والمؤسسات الثقافية ، والكنائس ، ودور الأيتام ، ورياض الأطفال .[٢]

كما قاموا بشراء عدد من أبناء جنوب السودان ، مقابل شيء من الغذاء يقدم إلى أسرهم ، فيقومون بإنشائهم إنشاء نصرانياً ، ثم يرسلونهم إلى الغرب ، لإكمال تربيتهم النصرانية ، ثم يعودون إلى بلادهم ليمسكوا بزمام الحكم والإدارة فيها ، وهم يدينون لأولئك المنصرين بصنوف الولاء والاتباع .[٣]

ولقد أنشأت الهيئات التنصيرية مؤسسات مضادة للأنشطة الإسلامية ، تكون موازية لها ، لكنها ذات إمكانات ضخمة ، جعلتها تنجح في أداء أكثر مما طلب منها . وسنلقي الضوء على خليتين كبيرتين من خلايا التنصير ، هما : الإرساليات ، ووكالات الإغاثة ، لنعرف مدى الحشود الهائلة ضد الوجود الإسلامي في جنوب السودان .

---

(١) مجلة (رابطة العالم الإسلامي) ، السنة : ٢٢ ، العدد : ٣ ، ص : ٨٥ ، شهر ربيع الثاني ، سنة : ١٤٠٤هـ - الموافق : شهر يناير ، سنة : ١٩٨٤م .

(٢) علي حسن عبدالله ، الحكم والإدارة في السودان ، ص : ١٧٨-١٧٩ .

(٣) محمد عمر موسى ، النشاط التبشيري الكنسي في جنوب السودان ، ص : ٦٧ .

١- الإرساليّات التّنصيريّة

أولاً : الإرساليـــات :

لقد كان من رأي الحكومة أن تقام في جنوب السودان جمعيات تنصيرية ، تهدف إلى : محاولة نشر الحضارة ، بين القبائل الوثنية . ومن هنا كانت الحكومة تنتظر أن تهتم الإرساليات بالعمل الاجتماعي التربوي ، أكثر من اهتمامها بالتنصير . غير أن الإرساليات جعلت من مهمة نشر الحضارة المهمة الأخيرة ، وجعلت هدفها الرئيس هو: تنصير تلك القبائل الغافلة . ولم تغفل تلك الإرساليات الاهتمام بالتعليم ؛ إذ كان إنشاء المدارس النصرانية مرتبطاً بإنشاء الكنائس هناك ، مع الحرص على أن يضمهما مبنى واحد . وغير خاف أن الاهتمام بالتعليم ليس بدعوى السعي إلى التحضر ؛ إنما هو لإكمال مسيرة الإنسان النصراني المتدين .(١)

وقد بدأت الإرساليات الكاثولوكية ، بالوفود إلى جنوب السودان ، بعد أن أنشئت لها بالخرطوم رئاسة لعموم أفريقيا الوسطى ، في سنة : ١٢٦٢هـ - ١٨٤٦م . وفي سنة : ١٢٦٦هـ - ١٨٥٠م : تم فتح مركز للإرسالية في غندكرو ، في المديرية الاستوائية ، ثم تلاه مركز للإرسالية نفسها ، في مدينة " كاكا " ، في جنوب السودان - أيضاً - ، وقد لقيت هذه الإرساليات دعماً كبيراً .(٢)

---

(١) د . محمد عبد الغني سعودي ، وآخرين ، مشكلة جنوب السودان ، ص : ١٢٧ - ١٣١ .

(٢) Professor Bashir M.O., The Southern Sudan, Background to Conflict, Horst and Co., page:36-37.

ولقد رأت الإرساليات التنصيرية أن النصرانية لن تبقى في جنوب السودان ، مالم تكن لها دعائم تثبتها طويلاً ؛ لهذا رأت أن تقيم عدداً من مراكز التعليم ، التي توثق عرى النصرانية في قلوب أبناء جنوب السودان ، وتسعى إلى تحقيق عدد من الأهداف السياسية والدينية ، عن طريق وسائل التعليم .(١)

ومن الإرساليات التنصيرية التي اشتركت في أعمال التعليم، في جنوب السودان (جمعية آباء فيرونا الإيطالية) التي تميزت بتعصب كبير من أجل النصرانية ، أدى بها إلى السعي الحثيث من أجل التنصير بشدة وضراوة .(٢)

ومن الإرساليات التي اشتركت في أعمال التنصير والتعليم في جنوب السودان (الإرسالية الإنجيلية) و (الإرسالية الأمريكية المتحدة) . ولحقت بهما (الإرسالية الاسترالية والنيوزيلندية) في سنة : (١٣٣١هـ - ١٩١٣م) .(٣)

ثم جاء تقسيم جنوب السودان إلى مجالات نفوذ بين الإرساليات ، وتم إصدار القرارات المنظمة للعمل التنصيري ، في سنة : ١٣٣٣هـ - ١٩١٥م ، فتقرر أن يكون في كل منطقة إرسالية واحدة ، ونظام تعليم موحد .(٤)

---

(١) السابق ، ص : ٥٣ .
(٢) السابق ، ص : ٦٦ .
(٣) السابق ، الصفحة نفسها .
(٤) السابق ، ص : ٦٧ .

وقد كان طراز التعليم ، ومدى انتشاره في كل منطقة يتوقف على الموارد المالية ، والسياسية ، والتعليمية لكل إرسالية .

انظر : الخريطة رقم (٤٩) .

ونظراً لما كان للإرسالية الكاثولوكية من خبرات في جنوب السودان ، ولما يتوافر لديها من موارد مالية كبرى ، فقد تمكنت من إنشاء عدد كبير من الكنائس والمدارس . وكانت سياستهم التعليمية تقوم على مبدأ : أنه إذا أراد أحد السكان المحليين أن يتعلم القراءة والكتابة ، فعليه أن يقبل المعمودية .(١)

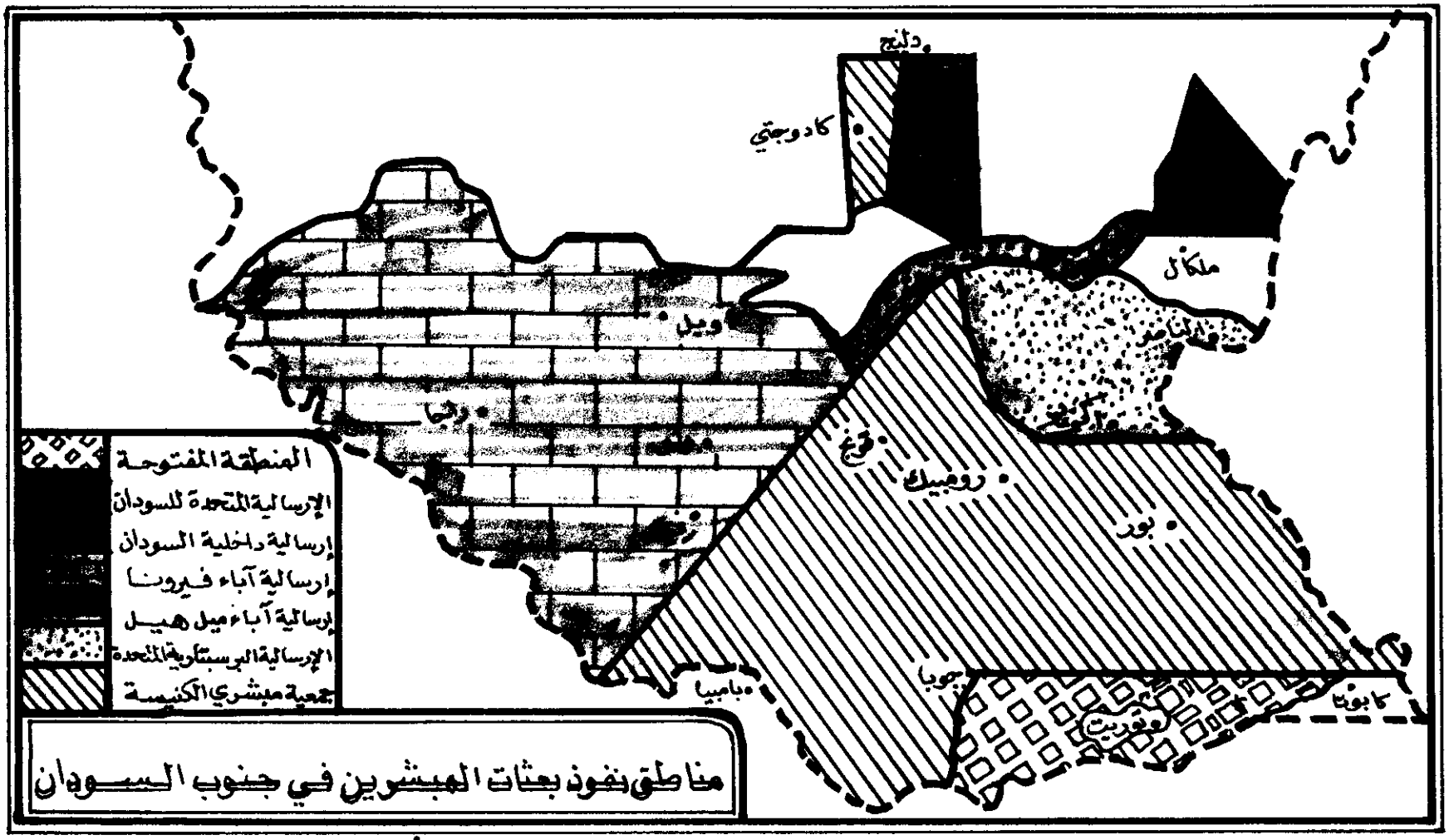
وقد رأت الإرساليات الكاثولوكية : أن تهتم بالتعليم الصناعي والمهني ؛ رغبة منهم في أن يهتم الداخل في النصرانية بأمور حياته ومعيشته ، بعد أن ينهي التعليم فيها ، إضافة إلى ما في هذا من دعوة إلى ديانتهم الباطلة . وقد كان من رأيهم العمل على جمع وتدريب الراغبين في الدراسة غير الدينية ؛ للنهوض بالأعمال العلمانية .(٢)

ومن الجانب الآخر : اهتمت الإرساليات البروتستانتية بالتعليم الأدبي ، وقد جعلت القساوسة هم القائمين بهذا التعليم . ولم توجه

1- Cox Chirstopher, Report on Education in the south Sudan , page: 29, printed in : Khartoom , at : 1356 H.- 1937 A.D.

2- Oliver R., The Missionary factor in East Africa, page:213 , printed in: London, at:1371 H.-1952 A.D.

خريطة رقم (٤٩)



د . محمد عبد الغني سعودى ، وآخرون ، مشكلة جنوب السودان ، مركز بحوث الشرق الأوسط ، جامعة عين شمس ،

سنة : ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

الإرساليات اهتمامها إلى التعليم الصناعي والفني ، إلا في وقت متأخر، وذلك بسبب قلة حصيلتها من المدربين الفنيين.(١)

وقد رأت الإرساليات الكاثولوكية : أن التعليم الفني ،قد آتى ثماراً ناجحة ، وتجارب مفيدة ؛ إذ هو يمثل سعياً إلى الاهتمام بالشعوب عن طريق حياتهم وصناعاتهم ؛ ومن هنا يكون نشر العقيدة النصرانية ؛ إذ هو مكان قبولها.(٢)

أمّا الإرساليات البريطانية والأمريكية البروتستانتية ، فقد كانت توجه جل اهتماماتها إلى تعليم القراءة والكتابة ، بشرط أن يتم تعميد هؤلاء التلاميذ . وقد ركزت تلك الإرساليات على الاهتمام بالجوانب الدينية في التعليم ، دون الجوانب الفنية . وقد كانت مواردها المحدودة من الدوافع التي حدت بها إلى الاهتمام بهذا التعليم ، الذي لا يكلف نفقات كثيرة . ولن كانت مدرسة " تل دولیب "(٣) ، التي أنشئت تحت إشراف الإرسالية الأمريكية قد وضعت بين مناهجها ، سنة: ١٣٢١هـ-١٩٠٣م تدريس مبادئ فلاحة البساتين ، وزراعة القطن ، وانشاء

---

(١) Professor Bashir M.O., The Southern Sudan , Background to Conflict , Horst and Co.,page:67.

(٢) السابق ،ص : ٨٣ - ٨٤.

(٣) هي : مدرسة أخذت اسمها من اسم المركز الذي تتبعه ، والذي يقع جنوب مدينة " الطكال" ، عاصمة أعالي النيل .

Professor Bashir M.O., The Southern Sudan , Background to Conflict, Horst and Co., page:87.

المهانـــي .[١]

وقد كان أغلب التلاميذ في مدارس المنصرين الأولى ، إمّـا من أبناء العبيد الذين أعتقوا ، أو من أبناء رؤساء القبائل ، الذين أسرتهم الحكومة ، وأرسلتهم إلى مدارس المنصرين . وقد التزم في التعليم أن يكون باللغة الإنجليزية .[٢]

هـــذا جانب من وسائلهم ، أمـــا من جانب آخر : فقد تعددت وسائلهم ؛ إذ قاموا بشن هجوم شرس على الدين الإسلامي ؛ وذلك من خلال عرض مبادئ الإسلام بطرق محرفة ؛ لينالوا منه ، من داخل أبنائه ، بعد أن عجزوا عن التغلب عليه من الخارج .[٣]

وقد أتيح لتلك الإرساليات أفضل المواقع في المدن ؛ لبنـــاء مؤسساتها الاقتصادية ، والاجتماعية ، والتعليمية . وإذا ما نظرنا إلى هذه الإمكانات ، فإننا سنراها كبيرة جداً ، إلى جانب مـا تنتجه هـــذه الإرساليات .[٤]

---

(١) Sanderson Lillian , Educational Development in the Sudan:(1900 - 1948 A.D), Sudan Notes and Records , page : 105 - 112 , Vol: 43, at : 1382 H. - 1962 A.D.

(٢) Professor Bashir M.O., The Southern Sudan , Background to conflict, Horst and Co., page:68.

(٣) السابق ، ص : ٧٠ .

(٤) محمد عمر موسى ، النشاط التبشيري الكنسي في جنوب السودان ، ص : ٦٨ - ٦٩ .

وقد عهد الاحتلال إلى الإرساليات ، باحتكار الخدمات الصحية والاجتماعية ، إلى جانب احتكار التعليم ؛ لتعمل تلك الإرساليات من أجل إبعاد المؤثرات الإسلامية ، عن جنوب السودان . وقد كان هذا أحد أهم أسباب تخلف الجنوب ، وحرمانه من النهضة والتقدم الحضاري ؛ لهذا نرى أن الإرساليات بالتعاون مع الحكومة البريطانية قد خلفت في جنوب السودان قيادة نصرانية متمردة ، تقوم على إبعاد كل مسلم عن جنوب السودان .(١)

ومن الملحوظ : أن الإرساليات وجهت عملها التنصيري ؛ ليكون عملية متكاملة ؛ وإن كانت دينية في ظاهرها ، غير أنها في الحقيقة سياسية . فالدين واللغة والاقتصاد والسياسة لديهم ترتبط برباط واحد . وبفضل تحركاتهم على خطط مدروسة ، حققوا نجاحاً لا يستهان به .(٢)

ولقد أعلن الحاكم العام للسودان" السير جون مافي" في التقرير السنوي ، سنة : ١٣٤٨هـ - ١٩٢٩م ، إذ قال : " إن الإرساليات النصرانية ، هي حصننا الحصين ، ضد الإسلام في الجنوب ".(٣)

ولا يمكن أن ينسى متتبع أحداث جنوب السودان ؛ ذلك الدور البشع الذي قامت به الإرساليات النصرانية ، في حوادث تمرد ، سنة : ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م ، وما بعدها إلى الآن ، حتى إنها اعتقدت أنها

---

(١) السابق ، ص : ١١٣ .
(٢) السابق ، ص : ٦٩ .
(٣) علي حسن عبدالله ، الحكم والإدارة في السودان ، ص : ١٧٩ .

٢- وكالات الإغاثة الأجنبيَّة

المسئولة ، بل المتكلمة باسم الجنوبيين ، والراعية لمصالحهم.[١]

لقد أرادت الهيئات الصليبية الوثنية العالمية إضفاء صبغة السودنة على إرسالياتها التنصيرية ، مثل :

١- إرسالية السودان المتحدة ، وقد تكونت في بريطانيا ، سنة : ١٣٢٢هـ - ١٩٠٤م .

٢- إرسالية السودان الداخلية ، ومقرها الرئيس في " تورنتو" في كندا .

بمعنى : أن الإرساليات التنصيرية تكونت في دولة صليبية وثنية حاقدة متعصبة ، ثم انتشرت في السودان ، فهي : سودانية الاسم ، ربيبة لقوى نصرانية خارجية.[٢]

ثانياً : وكالات الإغاثة :

لقد استحدث التنصير وسائل حديثة ، تتمشى مع العصر ؛ خصوصاً أن العمل التنصيري في جنوب السودان قد وضع خططاً بعد سنة : ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م ، كان من أهمها : استحداث أنجع السبل والوسائل الحديثة ، لدفع نشاط التنصير . عن طريق هيئات الإغاثة والتوطين ، دون الاعتماد على الوسائل التقليدية . قال أحد القساوسة :"إن المعضلة الرئيسة -الآن- هي كيفية الحفاظ على كيان المجتمعات النصرانية ، وذلك باستحداث وسائل متطورة تلائم حياة السود".[٣]

---

(١) محمود شاكر ، السودان ، ص : ٩٨ .
(٢) د . حسن مكي ، التبشير المسيحي في العاصمة المثلثة ، ص : ٦ .
(٣) السابق ، الصفحة نفسها .

ولقد تم النجاح عند قيام الحكم الذاتي الإقليمي ، سنة: ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م ، وفتح الباب أمام المؤسسات المختلفة ؛ لتسهم في مشاريع التوطين والإغاثة والتنمية ، وتدعي أنها هيئات خيرية ، لكنها في حقيقة الأمر تهدف إلى نشر النصرانية بين أبناء جنوب السودان (١).

ومن المؤتمرات الكنسية التنصيرية المهمة ، التي عقدت بعد اتفاقية سنة : ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م ، مؤتمر " فندق السليسبوري " ، في الخرطوم ، في الفترة من : ١ حتى ٣ من شهر صفر ، سنة: ١٣٩٣هـ - الموافق : ٥ - ٧ من شهر مارس ، سنة : ١٩٧٣م . تحت إشراف مجلس الكنائس السوداني . وكان من أهم توصياته : وضع خطة تتعلق بالإغاثة والتوطين ، وتكوين لجنة متخصصة في ذلك ، وإنشاء لجان تتابع هذه الأعمال . وبالفعل تحقق هذا الطلب لهم ، وقد كان معظم جهدهم منصباً على الاستوائية ، التي كانت بحكم موقعها الجغرافي ، مركز العمليات الحربية للحكومة ، وحاملي السلاح ضد الحكومة (٢).

لقد شجعت الكنائس المحلية هيئات الإغاثة والتوطين ، على العمل في مناطق نفوذها . وقد حظيت الاستوائية بنصيب وافر من الخدمات المقدمة من تلك الهيئات ؛ ولعل الدافع وراء ذلك ، هو

---

(١) محمد عمر موسى ، النشاط التبشيري الكنسي في جنوب السودان ، ص : ١٦٦ - ١٦٧ .

(٢) السابق ، ص : ١٦٧ .

جعل المديرية الاستوائية منطقة ذات سمة أوربية ، وتكون النصرانية أبرز معالمها .[1]

ومن أبرز الهيئات التنصيرية ، التي تعمل في مجال الإغاثة والتوطين :

١- مجلس كنائس استراليا .

٢- هيئة كنائس فنلندا .

٣- كنيسة أيسلندا .

٤- مجلس خدمات الكنيسة العالمية .

٥- الوكالة المركزية لتنمية الخدمات في العالم .

٦- وكالة خدمات الكنائس البروتستانتية .

٧- هيئة الكنائس النرويجية .

٨- الكنيسة الألمانية .

٩- هيئات أفريقية أخرى ، من كينيا ، وملاوي ، وبتسوانا .[2]

ويعمل في جنوب السودان المجالس الكنسية الثلاثة الآتية :

١- مجلس الكنائس السوداني :

وهو : مجلس ديني كنسي ، يضم في عضويته كل الكنائس النصرانية في السودان . وقد أنشئ سنة : ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م ؛ ليؤدي

---

(١) السابق ، الصفحة نفسها .
(٢) السابق ، ص : ١٦٨ .

وظائف تهدف إلى نشر النصرانية . ومن أبرز أعماله : ما يقوم به من برامج تتعلق بالإغاثة والتوطين ، ومشاريع التنمية .

وقد تعددت قنوات اتصال هذا المجلس ، بالمجلسين الآخرين ، بهدف وضع خطط مشتركة ، تتناول المشروعات التنموية ، والمساعدات المالية ، التي تغذي تلك المشروعات .(١)

٢- مجلس كنائس عموم أفريقيا :

وهو : مجلس كنسي ، يهتم بأمور رعايا الكنائس الأفريقية ، بهدف تحقيق الجمهورية النصرانية . ويقوم هذا المجلس بأعمال كبيرة في مجال الإغاثة والتوطين . كما يقوم بالربط بين الكنائس الأفريقية ، والكنائس العالمية الأخرى ، التابعة لمجلس الكنائس العالمي .(٢)

٣- مجلس الكنائس العالمي :

وهو : عصبة الأمم الكنسية ، إذ يضم أكثر من ثلاثمائة كنيسة ، تمثل أربعمائة مليون نسمة ، من مائة قطر . وهي منظمة ذات إدارة متخصصة عالمية ، تمتاز بسرعة الانتشار ، والتحرك السريع ، بفضل كوادرها المذهلة .(٣)

---

(١) السابق ، ص : ١٦٩ - ١٧١ .
(٢) السابق ، ص : ١٧٠ - ١٧٢ .
(٣) السابق ، ص : ١٧٢ - ١٧٣ .

ويسعى مجلس الكنائس العالمي جاهداً ، من أجل وضع ترتيبات لحماية استمرار التنصير في أفريقيا ، وذلك باستثمار قضايا الساعة ، كالمجاعة ، والتصحر ، والجفاف ، والحروب . ولإنجاح هذا الهدف عمل المجلس على إيجاد مرتكزات له في أفريقيا ، كان من أهمها : إنشاء مجالس وطنية ، لها أعضاء محليون ، يخدمون مصالح الكنيسة .(١)

وقد تكونت في شهر شوال ، سنة : ١٣٩٢هـ - الموافق : شهر نوفمبر ، سنة : ١٩٧٢م لجنة من المجالس الثلاثة ، تعمل في مجال الإغاثة والتوطين ، وقدمت مساعدات بلغت ما يقارب ستمائة ألف دولار ، لجنوب السودان .(٢)

وقد اعتمد مجلس الكنائس العالمي ، والوكالات المساعدة ، موازنة لجنة الإغاثة والتوطين ، سنة : ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م ، وقد بلغت مليوني دولار ، وزعت في بناء المراكز لاستقبال اللاجئين ، وفي إقامة منشآت تعليمية وصحية ، ومبان عامة لمراكز التجمعات . إضافة إلى الخدمات الطبية والاجتماعية ، وتخزين وترحيل وتوزيع مواد الإغاثة ، إلى مناطق اللاجئين .(٣)

---

(١) د . حسن مكي محمد أحمد ، التبشير المسيحي في العاصمة المثلثة ، ص : ٧٠

(٢) محمد عمر موسى ، النشاط التبشيري الكنسي في جنوب السودان ، ص : ١٧٢ .

(٣) السابق ، ص : ١٧٢ - ١٧٣ .

وإلى جانب تلك المجالس الثلاثة ، ظهرت هيئات تنصيرية أخرى ، تعمل في مجال الإغاثة والتوطين ، ومنهـــا :

١- الكنيسة النرويجية :

هي : من أبرز الهيئات الكنسية العاملة في مجال الإغاثـــة ، وقد بدأت نشاطها في جنوب السودان ، بعد اتفاقية " أديس أبابـــا " ، سنة : ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م . وقد قامت بتشييد طرق المواصلات ، فـــي شرق الاستوائية ؛ لتسهيل نقل سواد البناء المختلفة ، ولربـط أجـــزاء المنطقة ، بعضها ببعض ؛ توطئة لربط جنوب السودان بالأقطار النصرانية الأفريقيـــة ؛ حتى يبتعد عن المؤثرات الإسلامية الآتية من الشمال .

كمـــا تسهم دولة النرويج سنة في هيئاتها الخيرية ، في دعـم أعمال الإغاثة والتوطين . ومن هـذه الهيئات :

أ - الوكالـة النرويجية العالمية للتنمية .

ب - الصليب الأحمر النرويجي .

جـ - المجلس النرويجي للوقاية من العمى .(١)

٢- أكـــــــروس :

وهي : هيئة غير حكومية ، تابعة لإرسالية السودان الداخليـــة ، وقد وقعت مع الحكومة عقد برنامج عمل ، في سنة : ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م ؛

---

(١) د . كمال حمزة ، التبشير المسيحي وبعض أساليبه وآثـــــاره ، ص : ٩ - ١٠ .

وذلك بهدف المشاركة في أعمال الإغاثة والتوطين والتنمية . وقد كثفت نشاطها في غرب وشرق الاستوائية (معقل التمرد والنصرانية) . وتشارك "أكروس" في أعمالها هيئات خيرية أخرى ، إضافة إلى جمعيات تتبع الإرساليات التنصيرية .(١)

ومن الهيئات الخيرية التي برزت إلى حيز الوجود ، بعد اتفاقية السلام ، سنة : ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م : الفرقة الطبية الألمانية ، وأكسفام ، وأكسلش ، وخدمات الجامعة الكندية لما وراء البحار ، وخدمات المتطوعين البريطانيين لما وراء البحار .(٢)

وقامت تلك الهيئات بإسهامات كبرى ، في مجال الإغاثة ، وفي مجالات أخرى ، تحت شعار العمل الخيري ، وإن كان الهدف الرئيس ، هو : التنصير . ويمكن أن نلقي بعض الضوء على تلك الهيئات :

أولاً : الفرقة الطبية الألمانية :

هي : هيئة خيرية ألمانية ، قدمت إلى جنوب السودان ، سنة : ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م ، وبدأت نشاطها ، في سنة : ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م ؛ إذ أسهمت في مشروعات إغاثة اللاجئين ؛ وذلك بالإشراف الطبي ، وما يلحقه من خدمات علاجية أخرى .(٣)

---

(١) السابق ، ص : ٩ .
(٢) محمد عمر موسى ، النشاط التبشيري الكنسي ، ص : ١٧٨ .
(٣) السابق ، ص : ١٧٨ - ١٧٩ .

ثانياً : أكسفـــام (لنـدن ، ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م) :

هي : هيئة خيرية مستقلة ، رئاستها بالمملكة المتحدة ،بأكسفورد ، وهي : تعد هيئة عالمية ، أسهمت وتسهم في أكثر من ثلاثين مجـــــالاً من مجالات الإغاثة والتوطين والصحة . . . الخ .(١)

ثالثاً : أكسبلـــش :

هي : هيئة خيرية ، سودانية الأصل ، عرقية الطابع ، تمثـــل جماعات النذري(٢) ، بهدف تطوير منطقتهم عن طريق الدعـــم الذاتـــي . ولهذه الهيئة علاقات قوية مع الهيئات التنصيرية ، إيماناً بأن الكنيسة هي هادية الشعوب إلى طريق تنمية سبل حياتها .(٣)

رابعاً : خدمات المتطوعين لما وراء البحار :

هي : هيئة خيرية مستقلة ، تسهم في محاولة تنميـــــة دول العالم الثالث . لها مكتب في لنـدن ، وفتحت لها مكتباً في الخرطـــوم ،

---

(١) السابق ، ص : ١٧٩ .

(٢) هو : مجتمع بشري ، يقع في جنوب السودان ، حتى الحدود مع زائير . وهو غني الموارد . يبلغ سكانه ما يقارب خمسين ألـــف نسمة ، يبلغ عدد النصارى منهم : ما يقارب عشرة آلاف . . أمّـــا المسلمون : فيبلغون ما يقارب خمسة آلاف . وفي المنطقـــة عشـــر كنائس كاثولوكية ، في مقابل مسجدين فقط .
محمد عمر موسى ، النشاط التبشيري الكنسي في جنوب السودان ، ص : ١٨٠ .

(٣) محمد عمر موسى ، النشاط التبشيري الكنيسي ، ص : ١٨٠ .

سنة : ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م ، وفي جوبا ، سنة : ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م . وقد أسهم مكتبها هذا في مجال الإغاثة والتوطين في جنوب السودان.[١]

خامساً : الوكالة الكندية العالمية للتنمية :

هي : هيئة خيرية عالمية ، تسهم في مشروعات التنمية في الدول الفقيرة . وقد حصرت نشاطها في صيانة الطرق ، في إقليم الاستوائية ، في جنوب السودان .[٢]

سادساً : خدمات الجامعة الكندية إلى ما وراء البحار:

هي : هيئة خيرية ، تقوم بدعم مشروعات الخدمة المختلفة بالكفاءات المدربة . ومن أبرز أنشطتها : المشاركة في برنامج الإغاثة والتوطين ، في إقليم الاستوائية ، وفق اتفاقية وقعت بعد سنة : ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م ، وجدّدت في سنة : ١٤٠٢هـ - ١٩٨٤م .[٣]

وإذا ألقينا النظر إلى العلاقة بين الكنيسة في الجنوب ، وهذه الهيئات ، فسنرى أن الكنيسة هي المحرك الأول لها .

وبعد هذا الحديث الذي وصلنا إليه في مطلب (التنصير) نخلص إلى النتائج الآتية :

---

(١) السابق ، الصفحة نفسها .
(٢) السابق ، ص : ١٨١ .
(٣) السابق ، ص : ١٨٢ .

الأولى : لقد كان التنصير أقوى المعوقات التي عملت ضد انتشار الإسلام، وهذا عائد إلى الشراسة في أعمال أولئك المنصرين ، والجد والإخلاص ؛ من أجل منع هذا الدين من الوصول إلى عامة الناس .

الثانية : وقد ساعد هذا التنصير على إنجاح أعماله ومساعيه ، ما يلقاه من مساندات حكومية كبرى ، وتسهيلات إدارية مهمة ، أعانته على البذل السخي ؛ من أجل محاربة الإسلام .

الثالثة : مارس التنصير أعماله عن طريق خلايا كثيرة ، كان من أبرزها : الإرساليات ، التي كانت تحوي مجموعات كبيرة من خبثاء المنصرين وخبرائهم ، واستطاعت أن تكوّن لها مراكز كثيرة في أجزاء كثيرة من جنوب السودان .

الرابعة : ومما أنجح تلك الإرساليات في أعمالها ، هو : استيلاؤها على عدد كبير من المرافق المهمة ، التي فقدت عنها الحكومة ، وتركتها لها ، كالتعليم ، والخدمات الصحية ، والاجتماعية ، وغيرها ؛ مما يساعد على إقبال الناس على الدخول في تلك الكنائس .

الخامسة : ومن أكبر خلايا التنصير الأخرى ، برزت هيئات الإغاثة والتوطين ، في بلاد يكثر فيها المنكوبون والهاربون من المجاعات ، وجحيم القحط إلى ملاجئ المنصرين ، التي أقيمت وهيئت لتكون كنيسة أخرى ، لا يخرج منها إلا النصارى .

السادسة : لقد كانت ولاية الحكام الإنجليز على السودان أكبر من جر الويلات العظمى إليه ، وأكثرها هذه الحشود الهائلة من المنصرين ، الذين عرفوا كيفية تطويع السلطة ؛ لتكون تحت إمرتهم وحكمهم.

السابعة: إن غرس الإرساليات أنيابها في التعليم ، وتسميمها له بالأفكار النصرانية ، وتمكينها بسبل توافد المجموعات الطلابية إليه ، أدى كل ذلك إلى انتشار النصرانية ؛ بل رسوخ قدمها في الثقافة السودانية الجنوبية . الأمر الذي جعل الحكومة المسلمة تعاني كثيراً من هذا الترسخ ، وصعوبة إزالته .

الثامنة : لكم يتملكك العجب عندما تقرأ عن التنافر والتدابر بين أولئك النصارى ، لكنهم عندما يعملون في التنصير ، فإنهم يعملون بيد واحدة ، وكأنهم على قلب رجل واحد . ليس هذا لصفاء قلوبهم ، وبياض ضمائرهم ؛ إنما هو الاجتماع على القوي لإضعافه ، وعلى الأشد خطراً للإجهاز عليه ، وبعده يلتفت إلى جوانب الاختلاف.

التاسعة: ويمتلكك العجب ـ أيضاً ـ إذا رأيت الحشود الهائلة ، التي قدمت من أطراف الدنيا ، لتقوم بالتنصير ؛ بل بمحاربة الإسلام ؛ فترى منهم الأطباء ، والعلماء ، والأدباء ، والمكتشفين وغيرهم ، متّحدهم الهدف ، وجمعتهم الكراهية .

العاشرة : ولعل ممّا زاد في إنجاح مرامي تلك المؤامرات الكبرى ، هو عطفها تحت ستار الإنسانية ، وتقديم الدواء والأعمال الخيرية ، وهي في حقيقة أمرها مراكز كبرى للتنصير .

* * *

المطلب الثاني

العلمانيّة

المطلب الثاني

العلمانيـــــــــة

لم يعـرف جنوب السودان الإسلام بوجـهـه المشرق ؛ وإنما كانت أول معرفته بـه علـى يد التجـار المسلمين ، الذين قدموا إلى الجنـوب ، ولم يكونوا من ذوي العلم والمعرفة التامة بالإسلام . ومع أنهم ساعـدوا على انتشـار الإسلام بشكل كبير ، إلا أن ما قاموا به لم يكـن كافيـاً لترسيخ تلك المبادئ الواضحة السمحة .

ولا يعـني هذا أنـني أنقص من قدر عمل أولئك التجار ، غير أنـني أؤكد على أهمية أن يتبع ذلك الجهد بعدد من علماء الإسلام البارزيـن ، الذين يتولـون مهمة نشر تعاليم الإسلام ، ومبادئه ، والـتي تؤدي إلـى ترسيخه ، ونشره في أحسن صورة .

أمّـا الجهد العثماني (التركي) في جنوب السودان ، فقـد كان جهداً يمكن أن يسمى بالعلمانية ، الـتي تقـوم على فصـل الـديـن عن الدولـة ، وأكبر دليل عليه هـو : تولية عدد من النصارى الأوربيين المراكز المهمة في جنوب السودان ، وهـذا إخلال كبير بأنظمة الإسـلام وتعاليمه ، مع وجود عدد من القادة المسلمين الصالحين لهـذه المناصب الكثـيرة .[1]

---

(١) د . حسن مكي محمد أحمد ، السياسة التعليمية والثقافة العربيـة في جنوب السودان ، ص : ١٣ - ١٤ .

وعندما فرض الاحتلال نفسه على السودان ، فرض معه العلمانية ؛ لهذا لم يكن الإسلام بذي أهمية في السياسات السودانية الحديثة ، حتى منتصف الستينات ، لهذا بقي الإسلام أسيراً في ظل تلك العلمانية التي حدت من انتشاره . كما أن الزعماء العلمانيين - سواء في أثناء الحكم البريطاني ، أم في الفترة الأولى لنظام الأحزاب - كيفوا أنفسهم ومبادئهم للتعايش مع الدولة العلمانية ، ونشر قوانينها وتعاليمها.(١)

ولئن كان لهذه العلمانية تأثير كبير في الشمال ، فلها تأثير أشد في الجنوب ، الذي يعاني انتشار الإسلام فيه من كثرة المعوقات والمحبطات الفاتكات.(٢)

وقد حدث تغير عندما ظهرت الجبهة القومية الإسلامية ، ولفت الصدارة في سياسات منتصف الستينات ؛ ذلك في كفاحهم لتخليص السلطة من القيادة العلمانية ، التي سيطرت على سياسات السودان ، على مدى نصف القرن الأخير . وقد حرصت تلك الجبهة على وضع الدين الإسلامي الحنيف في مركز الصدارة ، في الساحة السياسية . وقد لوقي هذا التحرك بأسلوب المداهنة والتملق من قبل العلمانيين ؛ إذ أشاروا

---

(١) د . منصور خالد ، الأزمة السياسية في السودان وطريق المستقبل ، مجلة (السياسة الدولية) ، العدد : ٩٤ ، القاهرة ، شهر ربيع الأول ، سنة : ١٤٠٩هـ - أكتوبر ، سنة : ١٩٨٨م ، ص : ١٨٢ .

(٢) السابق ، ص : ١٨٣ .

إلى الإسلام في صورة فقط ، وذلك في دستور سنة : ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م ، ولا يحتاج الأمر إلى التذكرة بأن هذا الدستور لم ير النور أبداً بسبب المعارضة الصلدة من الجنوبيين وأتباعهم.(١)

وإذا كان السودان قد استطاع التوصل إلى شيء من الاستقرار في السبعينات ، فإن الأمر لم يرجع لاتفاقية " أديس أبابا " فحسب ، بل إلى ما تلاها من إجراءات ؛ إذ تبع هذا الاتفاق ، سنة : ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م إصدار دستور يعترف بكل الأديان ، ويعزل الدين عن السياسة ، تاركاً الدين لله ، والوطن للجميع ، متمثلاً بكل مبادئ العلمانية.(٢)

ومن المفارقات أن تجد أن الذي أرسى قواعد العلمانية في السودان ، هو نفسه الذي ألغاها ، وهو " جعفر نميري " ، وقد وضع قوانين سماها : القوانين الإسلامية ، في شهر ذي الحجة ، سنة : ١٤٠٣هـ - سبتمبر ، سنة : ١٩٨٣م ، وهذه أثارت أبناء جنوب السودان النصارى على الحكومة ، ومن أبرزهم : جون قرنق ، الذي أعلن الحرب على الحكومة السودانية بانضمامه إلى متمردي الجنوب ، وتمسكه برفض قوانين شهر سبتمبر ، سنة : ١٩٨٣م (ذي الحجة ، سنة : ١٤٠٣هـ) انطلاقاً من إصراره على أن السودان الجديد هو : سودان علماني ، ولا مجال فيه للخلط بين الدين والسياسة.(٣)

---

(١) السابق ، ص : ١٨٤ .
(٢) السابق ، الصفحة نفسها .
(٣) د . منصور خالد ، جون جارنج يتحدث ، مجلة (السياسة الدولية) ، العدد : ٩١ ، ص : ١٤٣ .

ولا ريب في أن الذي أودى بالسودان إلى التخبط في العلمانية، هو : الجهل بالإسلام أولاً ، ثم تعضيد المحتل الحاقد المتعصب للعلمانية، ثم دور القيادة السياسية التي لم تهتم إلا بالأمور الدنيوية ، وابتعدت عن تبني نشر الإسلام ، والمحافظة على وجوده.[1]

وبعد هذا العرض السريع لمطلب (العلمانية) ، نخلص إلى النتائج الآتية :

الأولى : إن اتصاف أي حكومة بالعلمانية ، فإن ذلك يعني عدم الحفاظ على الوجود الإسلامي في بلد تلك الحكومة ؛ بل يترك أبناء ذلك الدين ضحية لمؤمرات الحاقدين على الإسلام ، ولا حامي لهم ولدينهم إلا الذي خلقهم .

الثانية: كما تجني العلمانية على انتشار الإسلام ؛ بعدم تطبيق أنظمة الشريعة الإسلامية السمحة ، ذات المنزل الرباني ، والمبادئ العظمى ، والتي تكسب الإسلام بتطبيقها مكسباً ضخماً ، يتجلى في حمايتها للإنسان ، وعدالتها في الحكم، وسعيها لخيري الدنيا والآخرة .

الثالثة: لقد عني السودان بالمحتل البريطاني ، الذي طبق سياسة

---

(١) الجبهة القومية الإسلامية ، مسألة جنوب السودان ، مجلة (السياسة الدولية) ، العدد : ٩١ ، ص : ١٥٥ .

خبيثة ماكرة ، تدعي بأنها تسوي بين الأديان ، وهي تتآمر مع عملائها ، من أجل قتل الدين الإسلامي ، وعندما رحل ذلك المحتل الحاقد المتعصب ، لم يرحل إلا بعد أن اطمأن إلى أن ثمة ناعقين ، وخلفاء له في السودان .

الرابعة: لم يصل إلى جنوب السودان الإسلام بكل تعاليمه وألقه ، وإنما الذي وصلهم في بدايته بعض المعاملات والأخلاق الإسلامية ، وهذا - وإن كان حسناً - إلا أنه كان يجب أن يردف بمن يرسّخ مبادئ الإسلام ومفاهيمه كلها في أعماق أولئك المسلمين ، بأن يجهز ويعد لذلك دعاة ناجحين ، وعلماء مخلصين ، منكرين لذاتهم ، مبتغين وجه الله تعالى .

الخامسة: لقد رسخ المنصرون في أذهان عدد من أبناء جنوب السودان مبدأ عدم قبول الحكم بالإسلام ، ووجوب اللجوء إلى العلمانية ، التي تدعو إلى حرية الأديان - كما يزعمون أو يتوهمون - ، وهذا ما دعاهم إلى الثورة على الإسلام ، ووجوب التخلص منه ، ومن وجوده ، بحجة أنه دين حاكم ، لا محكوم ، ولا يدعو إلى حرية الأديان .

* * *

المطلب الثالث

العنصريّة ضدّ الإسلام والعرب

المطلب الثالث

العنصرية ضد الإسلام والعرب

لقد تجمعت قوى الإدارة البريطانية في السودان ، مع الإرساليات التنصيرية في جنوب السودان ، من أجل اتخاذ سياسة عنصرية في الجنوب السوداني ، ضد الإسلام والعرب . وقد ارتبطت محاربة الإسلام ، والوجود العربي في جنوب السودان بالمخطط العام للإرساليات التنصيرية ، والرامي إلى محاصرة الوجود الإسلامي ، وتجديد النشاط النصراني في البلاد النامية.(١)

وقد قال الدكتور روبسون : إن من الخطوات العاجلة ، التي ينبغي اتخاذها لصالح النصرانية في أفريقيا ، هو تكوين أكبر عدد من البعثات التنصيرية ، ودفعها فوراً إلى أفريقيا ، لإعاقة تقدم الإسلام.(٢)

وقد أكد أحد المنصرين المؤسسين لبعض تلك الإرساليات ، بعد زيارته لجنوب السودان ، القول السابق ، فقال : "إن من أقوى الدوافع التي تحركنا من أوطاننا للعمل في السودان ، هو : الخوف من وقوع الوثنيين في شبكة الإسلام".(٣)

---

(١) د . إبراهيم عكاشة ، التبشير النصراني في جنوب سودان وادي النيل ، ص : ١٠٣ - ١٠٤ .

(٢) د . حسن مكي محمد أحمد ، التبشير المسيحي في العاصمة المثلثة ، ص : ٦ - ٧ .

(٣) د . إبراهيم عكاشة ، التبشير النصراني ، ص : ١٠٥ .

وقد عثر على مذكرة كتبها اللورد كتشنر في شهر صفر، سنة : ١٣١٠هـ - الموافق : شهر سبتمبر ، سنة : ١٨٩٢م ، قال فيها : " ليس من شك في أن الدين الإسلامي يلقى ترحيباً من أهالي تلك البلاد ، والذين يصبحون بعد ذلك متعصبين . وإذا لم تقبض القوى النصرانية على الأمر في أفريقيا ، فأعتقد أن العرب سيخطون هذه الخطوة ، وسيصبح لهم مركز في وسط القارة ، يستطيعون منه طرد كافة التأثيرات الحضارية إلى الساحل ".(١)

كما أعدّ مانلي مذكرة مهمة ، رسم فيها السياسة التي يجب أن تتبع في جنوب السودان . وقد أكد في مذكرته أنه من أهم ما يستوجب التركيز عليه هو الإسلام ؛ لأن جميع العاملين في الحكومة من الأهالي ، هم من المسلمين ، أو ممّن هم في طريقهم إلى الإسلام . وتعد هذه المذكرة الدليل الذي حدّد سياسة ممارسة التخلص من الوجود الإسلامي والعربي في جنوب السودان بمختلف الوسائل.(٢)

وإلى جانب الحكومة وقفت الإرساليات التنصيرية ، بكل معاول هدمها ، محاولة التخلص من الوجود الإسلامي ، بدافع الكره والحقد السرير ، على هذا الدين الكريم . وقد قاموا بتنفيذ عدد من السياسات التي رمت إلى إقصاء الوجود الإسلامي والعربي عن جنوب السودان .

---

(١) د . محمد عبدالغني سعودي ، مشكلة جنوب السودان ، ص : ٦٩ .
(٢) د . إبراهيم عكاشة ، التبشير النصراني في جنوب السودان وادي النيل ، ص : ١١٣ - ١١٤ .

وقد تمثلت هذه السياسات فيما يأتي[١]:

أولاً : التخلص من التجار المسلمين :

وصلت قوافل التجار المسلمين إلى جنوب السودان ، وقد أتاحت لهم طبيعة عملهم الاتصال بعدد كبير من القبائل الوثنية ، ممّا أهلهم لأن يكونوا أداة مؤثرة في نشر الإسلام ، واللغة العربية بين الوثنيين[٢].

وقد أعادت الإدارة البريطانية النظر في أمر جنوب السودان ، بعد أن رأت أن خطر الإسلام بدأ يتزايد فيه ، لهذا أصدرت عدداً من القوانين ، في سنة : ١٣٤٠هـ - ١٩٢٢م ، وسنة : ١٣٤٣هـ - ١٩٢٥م[٣] ، وتم تطبيق هذه السياسة بصورة شاملة في الخامس والعشرين من شهر شعبان ، سنة : ١٣٤٨هـ - الموافق : الخامس والعشرين من شهر يناير ، سنة : ١٩٣٠م[٤]. وقد أريد من تلك القوانين التخلص من الوجود الإسلامي ؛ لذلك اشتملت على الأوامر الإدارية الآتية :

١- نقل جميع الموظفين المسلمين من أبناء الشمال إلى الشمال .

٢- حرمان التجار المسلمين من الرخص التجارية ، وتشجيع اليونانيين ، والسوريين النصارى على العمل في التجارة في جنوب السودان .

---

(١) د . محمد عبد الغني سعودي ، مشكلة جنوب السودان ، ص : ٦٨-٧٦ .

(٢) السابق ، ص : ١١٧ .

(٣) Professor Bashir M.O., The Southern Sudan , Background to Conflict, Horst and Co., page: 84 - 85.

(٤) د . حسن مكي ، السياسة التعليمية ، ص : ١٨ - ١٩ .

٣- إجلاء الشماليين المسلمين من جنوب السودان .

٤- إلغاء تدريس اللغة العربية .

٥- إخماد حماسة المسلمين في نشر الإسلام ، وذلك بتهجير بعض القرى التي أسلم أهلها ، ومنع المسلمين الجنوبيين من أداء شعائر دينهم الظاهرة ، وإيجاد منطقة حرام بين دارفور ، وبحر الغزال خالية من الوجود الإسلامي ، مليئة بالكنائس والمنصرين . إضافة إلى تهجير القبائل الجنوبية التي تتعامل مع المسلمين .

٦- منع استخدام اللغة العربية ، حتى ولو كانت ركيكة ، وتحريم لبس الأزياء الإسلامية ، ومنع التسمي بالأسماء العربية .

٧- استخدام الإنجليزية ، واللهجات المحلية في التعليم والإدارة ، وتوظيف الذين يتعلمونها -أي : الإنجليزية- ، ليكون هذا حافزاً لنشرها .[1]

وقد رأينا ضمن هذه القوانين ما يلغي ممارسة التجار المسلمين للتجارة ، وليس في هذا غرض غير ترحيل الوجود الإسلامي من جنوب السودان ، حتى لا ينتشر الإسلام بين أبناء جنوب السودان ، ويصبح الجنوب كله أمة مسلمة واحدة .

---

(١) د . حسن مكي محمد أحمد ، السياسة التعليمية ، والثقافة العربية في جنوب السودان ، ص : ١٩ - ٢٠ .

ثانياً : التخلص من الجنود المسلمين الشماليين :

لقد كانت القوات التابعة للجيش المصري البريطاني من عوامل الوجود الإسلامي ، في جنوب السودان ؛ وذلك للأسباب الآتية :

١- لأنها قوات مسلمة ، بيدها السلاح ، وتمثل السلطة الحاكمة ، والقادرة على الحد من أية أعمال تنافي انتشار الإسلام .

٢- لأنها تمثل مجتمعاً مسلماً متماسكاً ، قادراً على بث تأثيره بين أبناء جنوب السودان ، وقد كان من بينهم متعلمون من أبناء الجنوب ، تأثروا بهم كثيراً .

٣- ما كانت تحتاج إليه تلك القوات من إنشاء مساجد ، كما حدث للحامية القابعة في " واو " ، وإنشاء مدارس لأبنائها ، كمدرسة القوات الحربية ، ومدرسة أبناء الشرطة ، في الاستوائية.(١)

ولهذا اغتاظ الحاقدون على الإسلام من هذا الحشد الهائل ، وقد اقترحت الإرسالية البريطانية إنشاء فرقة استوائية مكونة من أبناء جنوب السودان ؛ لتحل محل هذه القوات المسلمة . وقد تم في سنة : ١٣٣٥هـ - ١٩١٧م إخلاء جنوب السودان من القوات المسلمة .(٢)

---

(١) د . إبراهيم عكاشة ، التبشير النصراني في جنوب سودان وادي النيل ، ص : ١٢٣ .

(٢) د . محمد عبد الغني سعودي ، وآخرين ، مشكلة جنوب السودان ، ص : ٨٩ .

ثالثاً : استقبال الموظفين الشماليين المسلمين :

وقد كان التخلص منهم متمثلاً في نقلهم إلى الشمال ، وإحلال الموظفين النصارى من الشام ، أو من أقباط مصر محلهم ، مع أنهم ليسوا من الجنوب ، ولا من السودان .(١)

وقد أدى هؤلاء الموظفون المسلمون دوراً مهماً في نشر الإسلام في جنوب السودان ، عن طريق التأثير والمخالطة ؛ مما أغاظ عليهم النصارى ، فقاموا بتصفية وجودهم من جنوب السودان ، كما فعلوا بكل وجود إسلامي .(٢)

ولا شك في أن هذه التصفيات قد أضرت كثيراً بانتشار الإسلام ، وكانت معوقاً له ؛ لأنها وقعت على عوامل مهمة في انتشاره ، وفي وجوده .(٣)

رابعاً : التخلص من اللغة العربية :

لقد صار وجود اللغة العربية يعني : وجود الإسلام ؛ إذ هي لغة كتابه ، ولغة ناشريه الأوائل . وقد شقت اللغة العربية طريقها نحو جنوب السودان عن طريق الحكم التركي (العثماني) ، والتجار والجنود والموظفين ، حتى أصبحت رابطة قوية تربط بين المسلمين ، وأبناء

---

(١) د . إبراهيم عكاشة ، التهشير النصراني في جنوب سودان وادي النيل ، ص : ١٢٦ - ١٢٧ .
(٢) السابق ، ص : ١٢٧ .
(٣) السابق ، الصفحة نفسها .

الجنوب ، الذين دخلوا في الإسلام .

وقد كان هذا كفيلاً بأن يثير تعصب وحقد النصارى ، ويدفعهم إلى السعي من أجل التخلص من هذه اللغة ؛ ولهذا عمدوا إلى إحلال الإنجليزية محلها ، وإحياء اللهجات المحلية ، وطباعة الإنجيل بتلك اللغات المحلية . كما تم عقد عدة مؤتمرات لإحياء اللهجات المحلية ، ووضع العوامل من أجل انتشارها .(١)

وإلى جانب تلك السياسة الرامية إلى تلك التخلصات ، سعت الكنيسة إلى القضاء على القيادات الإسلامية في الجنوب ؛ وذلك بحبك الدسائس والفتن بينهم والمسئولين الحكوميين ؛ بل بينهم وبين المسلمين أنفسهم . كما سعت إلى عرقلة أي مسعى تقوم به تلك القيادات. كما حاولت الكنيسة فصل المسلمين في جنوب السودان عن إخوانهم في الشمال .(٢)

ولم تتورع تلك الكنيسة عن ممارسة أسلوب التصفية الجسدية للقيادات الإسلامية ، فقامت بسلسلة اغتيالات لعدد من أئمة ومؤذني المساجد ، في مدن : " واو " ، و" روميك " ، و" التونج ". إلى جانب القتل الجماعي للمصلين في مساجد تلك المدن .(٣)

---

(١) السابق ، ص : ١٣٠ - ١٣١ .

(٢) محمد عمر موسى ، النشاط التبشيري الكنسي في جنوب السودان ، ص : ٢٠٣ .

(٣) هيئة إحياء النشاط الإسلامي ، تقرير عن وضع الجنوبيين المسلمين ، أصدر في يوم ٨ من شهر شوال ، سنة : ١٤٠٣هـ - الموافق : ١٨ يوليو ، سنة : ١٩٨٣م ، ص : ١ - ٦ ، بتصرف واختصار .

ومن أبرز تلك الحوادث البشعة ، حادثة التاسع عشر من شهر رمضان ، في سنة : ١٤٠٠هـ - الموافق : ٣١ يوليو ، سنة : ١٩٨٠م ، والتي وقعت في مدينة " واو " . إلى جانب عدد من المذابح التي حدثت في منطقة أويل .(١)

ولم تسكن الكنيسة على هذا ، بل ألبت الشعب الغافل على الإسلام وأهله ، ممّا أدى إلى ظهور عدد من المظاهرات المختلفة ، منها : مظاهرة في " واو " ، في سنة : ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م ، قام بها المواطنون والطلبة ، هاتفين : لا إسلام في هذا البلد . كما خرجت مظاهرات صاخبة أخرى ، في المدينة نفسها ، يقودها مجموعة من الطلبة ، قاموا فيها بالحرق والتخريب ، مردّدين : لا فلاتة ، لا جلابة ، لا إسلام . تلتها مظاهرات ضخمة أخرى ، أضخمها تلك التي حدثت في " جوبا " ، عقب إعلان التشريعات الإسلامية في السودان ، في سنة : ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.(٢)

وبعد أن وصلنا إلى هذا الحد في مطلب (العنصرية ضد الإسلام والعرب) نخلص إلى النتائج الآتية :

الأولى : اتحدت القوة الحاكمة ، مع الأداة التنصيرية بدافع الحقد الدفين من أجل التخلص من هذا الدين القويم ، وقد أدى هذا الاتحاد

---

(١) د . حسن مكي محمد أحمد ، التبشير المسيحي في العاصمة المثلثة ، ص : ٢١ .

(٢) محمد عمر موسى ، النشاط التبشيري الكنسي في جنوب السودان ، ص : ٢٠٤ .

إلى بروز عدد من الأعمال القوية التي أعاقت تقدم انتشار الإسلام .

الثانية: لقد كشفت الأوراق الخفية والظاهرة لأولئك النصارى ، عن ذلك الحقد الأعمى ، والكره المقيت للدين الإسلامي ؛ مما جعلهم يسعون بكل ضراوة وخبث للحد من انتشاره .

الثالثة : جعلت الحكومة بالتعاون مع المنصرين لها سياسة طويلة المدى ، ترمي إلى التخلص من الوجود الإسلامي في جنوب السودان ؛ وذلك بطرد أي عامل يساعد على انتشار الإسلام ، ونصب أي معوق يقف أمام انتشاره .

الرابعة: لقد رأى أولئك المنصرون أن وجود فئة من المسلمين تميزت بالخلق الحسن ، والمعاملة الطيبة الكريمة يساعد على انتشار الإسلام ؛ لإعجاب أولئك الأهالي بهذه الصفات الحميدة ؛ مما حتم عليهم وجوب التضييق على هؤلاء التجار ، ثم ترحيلهم من جنوب السودان .

الخامسة: ولم يدخر أولئك الحاقدون أي جهد في سبيل قتل وجود هذا الدين في جنوب السودان ؛ فقاموا بالتضييق ، ثم المجاهرة بالعداء ، ثم بث شعارات الفرقة والفتنة بين المسلمين ، ثم القتل والاغتيال المجرم ، ثم التهجير والترحيل ، والتعذيب ، كل ذلك من أجل ترهيب الناس من الدخول في هذا الدين

الحنيف ، وردع من تسوّل له نفسه الدخول فيه ، وترحيل كل وجود له .

السادسة : كما أيقن أولئك الحاقدون أن وجود الجيش المسلم في قلب جنوب السودان ، خطر عظيم عليهم ؛ لما يمثله هذا الوجود من تعزيز للوجود الإسلامي ، وتمكين لأبناء هذا الدين ؛ ولهذا سعوا إلى سرعة إقصاء هذه الجيوش ، وإحلال جيش نصراني مكانها ، ليزيل عنهم الخطر ، ويفتح أمامهم الباب .

السابعة: وبعد أن قام أولئك الحاقدون بترحيل كل وجود إسلامي ، وجدوا أن العربية ما زالت باقية ، واللغة العربية لها نصيب كبير من الحقد في قلوبهم ؛ لذلك مارسوا حق المصادرة لهذه اللغة ؛ بوأدها ، وإحلال الإنجليزية ، واللهجات المحلية محلها ؛ ليزول كل أثر للوجود الإسلامي .

* * *

المطلب الرابع

التدخلات الخارجيّة

المبحث الرابع

تقصير المسلمين، وضعفهم

وفيه مطلبان، هما:

المطلب الأول: تقصير المسلمين

المطلب الثاني: ضعف المسلمين

المطلب الأول

تقصير المسلمين

ويشمل :

أولاً.. : الجهل

ثانيًا : التفرق "كالفرق الصوفية، والأحزاب الوطنية"

ثالثًا : الركون إلى الدنيا

رابعًا : مداراة المنصرين، ومن وراءهم

أولاً

الجـــهل

المطلب الرابع

التدخـــلات الخارجيـــة

لقد تعرض جنوب السودان لعدد من التدخلات الخارجيـــة الكبرى ، التي أخذت بحالحه ، وأضاعت موارده ، ومن أبرز هـــذه التدخلات : التدخل البريطاني ، الذي رسم له سياسات تجاه جنـــوب السودان ، تهدف إلى فصل الجنوب عن بقية البلاد ، ثم ضمه إلى ممتلكات بريطانيا المجاورله ، في سبيل إقامة اتحاد أفريقي شرقي تحت سيطـــرة الحكم البريطاني.(١)

وقد كانت تلك السياسة البريطانية الأرض الخصبة ، التي أنبتت بذور الفرقة ، والتعسف ، والتعصب ضد الإسلام وأهله . وقد كانت بداية تلك السياسة ، بث المنصرين ، ومنحهم كل الحقوق ، ثم تأجيج النار الحاقدة بإثارة شعار تجارة الرقيق ، وما سواها من زيف الادعـــاء ، ثم بداية حرب شعواء ، تتكفل بإيقاف الزحف الإسلامي ، ومـــا يأتي به من تقدم ورقي.(٢)

وبعد الاحتلال أكبر تدخل خارجي في جنوب السودان ، أراد إيقاف المد الإسلامي إلى هنـاك ، وقد مثل هذا مذكرة " مانلي " ، في

---

(١) محمد عمر موسى ، النشاط التبشيري الكنسي في جنوب الســـودان ، ص : ٧٩-٨٠ .

(٢) د . عبدالغفار محمد أحمد ، السودان والوحدة في التنوع ، ص : ٢٤ .

سنة : ١٣٣٤هـ - ١٩١٦م . كما تم التخطيط للتخلص من الوجود الإسلامي بالتآمر مع الإرساليات التنصيرية ، فبدأوا بالتخلص من التجار المسلمين ، ثم من الجنود المسلمين ، ثم من اللغة العربية .(١)

كما سعى ذلك المتدخل إلى وضع فجوة تنموية بين الشمال والجنوب ، أدت إلى أمراض يصعب شفاؤها ، لما فرست في نفوس بعض أبناء الجنوب من الحقد على أبناء الشمال .(٢)

ثم أشارت أصابع الاتهام للإرساليات التنصيرية ، وقوى الاحتلال الضخمة ،إلى تخطيطها لإحداث التمرد الذي قامت به الفرقة الاستوائية في شهر ذي الحجة ، سنة : ١٣٧٤هـ - الموافق : شهر أغسطس ، سنة : ١٩٥٥م ، والتي كانت متمركزة في " توريت "(٣) ، وكان هذا قبل أربعة أشهر من إعلان خلاص البلاد من المحتل . وهنا صارت بذور الفرقة نباتاً سامقاً ، عميق الجذور ، استخدمتها قوى عدة ؛ لإقامة حاجز قصد منه أن يكون سداً منيعاً بين أي وجود إسلامي ، والقارة الأفريقية .(٤)

---

(١) د . إبراهيم عكاشة ، التبشير النصراني في جنوب سودان وادي النيل ، ص : ١١٤ ، بتصرف .

(٢) د . عبد الغفار محمد أحمد ، السودان والوحدة في التنوع ، ص : ٢٨ .

(٣) هي : إحدى مدن جنوب السودان ، تقع في المديرية الاستوائية ، وتقترب من حدود أوغندا ، وهي أحد معاقل المتمردين في الجنوب ، واشتهرت بتمرد سنة : ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م .
د . حسن مكي ، السياسة التعليمية في جنوب السودان ، ص : ٢٨ .

(٤) محمود شاكر ، السودان ، ص : ٨٧ - ٩٠ ، بتصرف واختصار .

إن القوى التي تتدخل في جنوب السودان ، بشكل مباشر ، أو غير مباشر ، هي : إما دول محيطة ، كأثيوبيا ، وأوغندا وكينيا ، وغيرها ، أو قوى كبرى بعيدة عن السودان ، لكنها تتبع سياسة " فرق تسد " . خوفاً من نهضة الدول الصغرى . وهناك جمعيات التنصير ، في أوربا وأمريكا ، إضافة إلى العدو الصهيوني ، الذي أصبح له باع في تلك المنطقة .(١)

ويمكننا - على سبيل التمثيل - إلقاء الضوء على بعض هذه التدخلات الخارجية ، ومدى تأثيرها في إعاقة انتشار الإسلام ، في جنوب السودان :

١- أثيوبيا :

تعد أثيوبيا من أكبر مراكز العداء للإسلام والمسلمين ، وهي دولة ذات سياسات توسعية ، على حساب جيرانها ، فقد التهمت أجزاء كثيرة من الصومال ، وضمت إليها سلطنة " هود " المسلمة ، إضافة إلى إريتريا ، وتنتظر أن ينضم إليها جزء من السودان .(٢)

وكانت أثيوبيا القاعدة التي ينطلق منها المحتل الحاقد

---

(١) د . أحمد بهاء الدين ، السلام على وحدة العرب إذا انفصل جنوب السودان ، مجلة (المستقبل)، العدد : ٤٤٦ ، الصادر بتاريخ ٢٢ من شهر ذي الحجة ، سنة : ١٤٠٥هـ - الموافق : ٧سبتمبر سنة : ١٩٨٥م، ص : ٩٠

(٢) عيسى محمد جليل ، جيبوتي ، دراسة في الجغرافيا السياسية ، ص : ٢٨٥ - ٢٨٦ .

المتعصب المتربص ؛ لتنفيذ أهدافه ، وهي : تضم عدداً من مراكز التنصير التي فتحت لها فروعاً في جنوب السودان . وهي تساعد متمردي جنوب السودان ضد الحكومة .[١]

كل هذا سعي منها لإيقاف المد الإسلامي ، حتى لا يمس الجانب المريض في تلك البلاد ، بالعلاج الشافي ، والنور الأسنى .

٢- أوغندا :

لقد كان لأوغندا إسهام كبير في تغذية التمرد في جنوب السودان ؛ وبخاصة قبل حصول التقارب مع عيدي أمين - رئيسها الأسبق - . فقد كانت موطئ قدم للمتمردين ، ومنفذاً لمساعداتهم وإعاناتهم .[٢]

٣- إسرائيل :

ولإسرائيل في جنوب السودان ملعب كبير ، لعبت فيه دوراً مهماً ؛ إذ كانت ترمي إلى إخراج السودان من ميزان القوى العربية ؛ وذلك بإشغاله بالتمرد الجنوبي ، والحروب الأهلية ؛ فانهالت على المتمردين المساعدات العسكرية ، وفتحت أبوابها أمام متمردي الجنوب للتدريب على الأعمال الإرهابية في كيانها المغتصب ، وقدمت السلاح لهم ، وزودتهم الخبراء والخبرات .[٣]

---

(١) محمود شاكر ، السودان ، ص : ١٢٥ .
(٢) السابق ، ص : ١٢٤ - ١٢٥ .
(٣) السابق ، ص : ١٣٠ - ١٣١ .

وإضافة إلى ما سبق : فقد كانت إسرائيل تهدف إلى مناضة العرب المسلمين في أفريقيا ، فتتخذ كل الوسائل التي تقربها من الحكام الأفريقيين ، وتقوم بمساعدة الثورات التي تقوم ضد الدول المسلمة .[١]

٤- الاتحاد السوفيتي :

قدم الاتحاد السوفيتي مساعدات كثيرة للمتمردين ، لأن للمتمردين صلة قوية بأثيوبيا الماركسية ، ومن مصلحتهم قيام كيان ماركسي في تلك البقعة ، حتى وإن كان بمعونة النصرين ، الذين يجمعهم هدف واحد ، هو : الوقوف أمام انتشار الإسلام ، بكل سبيل ، وبكل مساعدة .[٢]

٥- الولايات المتحدة الأمريكية :

لقد قامت الولايات المتحدة الأمريكية بمساندة إرسالياتها في جنوب السودان ، وأوعزت إلى تلك الإرساليات ببذل كل ما لديها ، من أجل التصدي لانتشار الإسلام ،الذي يمثل لها الخطر الأكبر ، والعدو الأول .[٣]

---

(١) د . عبد الغفار محمد أحمد ، السودان والوحدة في التنوع، ص : ٩٨ - ٩٩ ، بتصرف .
(٢) السابق ، ص : ١٠٨ .
(٣) السابق ، ص : ١٠٩ .

٦- الهيئات التنصيرية :

لقد استحدثت الهيئات التنصيرية عدة طرق للحفاظ على كيانها النصراني ، فدخلت من باب الإغاثة والتوطين ، وهذا التدخل الخارجي ، يراد منه : الوقوف أمام انتشار الإسلام ، في جنوب السودان . كما كان فتح الإرساليات في جنوب السودان وبثها تدخلاً خارجياً ، يريد تكوين جنوب غير مسلم ، يدين للنصارى بالولاء.(١)

وبعد هذا العرض لمطلب (التدخلات الخارجية) أعرض أبرز النتائج التي توصلت إليها ، وهي :

الأولى : لقد تعرض جنوب السودان لعدد كبير من التدخلات الخارجية ، في شئونه الخاصة ، حتى لقد صار دمية تتقاذفها الأيدي والأرجل ، إلى حيث توجد المصالح والمنافع ، ولقد كان لتلك التدخلات الجائرة الأثر الكبير في عدم الاستقرار فيه ، والاطمئنان في أمنه وإيمانه .

الثانية : ولقد كان أبرز من مارس لعبة الدس والتدخل في الجنوب السوداني الحكومة البريطانية ، التي بذرت الشقاق والتمرد في أجزائه ، وزرعت المنصرين في كل بقاعه ، وسعت إلى إيجاد

---

(١) محمد عمر موسى ، النشاط التبشيري الكنسي في جنوب السودان ، ص : ١٦٦ .

فجوات تنموية وتاريخية بينه وبين شقيقه الشمال .

الثالثة: ولم يكف الحقد المتأجج النصرانية في أثيوبيا عن ممارسة إحياء التمرد في جنوب السودان ، والسعي وراء الأطماع الطاغية ، لنهب خيرات تلك البلاد ، وحماية نفسها من أي وجود إسلامي هناك ، يمكن أن يسبب لها أي خطر ، كما يتوهمون أو يزعمون .

الرابعة: إن انفتاح باب جنوب السودان أمام الإرساليات التنصيرية ، وتدخلاتها المستمرة في أموره ، وعزلها لكل وجود إسلامي ، أمدها كل ذلك باليقين الصادق في أحقيتها بالتدخل في الشئون الداخلية لجنوب السودان ، والتحدث باسمهم . ولعل خير شاهد على هذا : أن المؤثرات والمعاهدات التي تخص جنوب السودان لا بد أن يكون أحد أقطابها الإرساليات التنصيرية .

الخامسة: لقد أشارت أصابع الاتهام - دائماً - إلى الإرساليات التنصيرية بأنها وراء أية أحداث للعنف ، أو التمرد ، أو التظاهر ضد المسلمين في جنوب السودان .

السادسة: إن قضية جنوب السودان قضية داخلية تخص أبناء السودان كلهم ، وكان يمكن حلها بأيسر الحلول ، لولا التدخلات الخارجية ، التي عقّدت الرؤى ، وأطرت الساحة

بوابل من المشكلات والسدود ، التي تمنع حلها ، طمعاً منها في أن تنال الغنيمة من الفائز ، ورحى الحرب تدور على أبناء الجنوب الغفل من كل معرفة بهذا ، وبهذا نوقن بأن حل قضية جنوب السودان لن يكون إلا إذا رفعت تلك القوى الخارجية يدها عن كاهل الجنوب ، وتركت الأمر لأبناء ذلك البلد ، ويكفيها ما نالت من مكاسب ، وما نال ذلك البلد من مآس ونوائب .

* * *

المبحث الرابع

تقصير المسلمين وضعفهم

وفيه مطلبان ، هما :

المطلب الأول : تقصير المسلمين .

ويشمل :

١- الجهل .

٢- التفرق (كالفرق الصوفية والأحزاب الوطنية) .

٣- الركون إلى الدنيا .

٤- مداراة المنصرين ومن وراءهم .

المطلب الثاني : ضعف المسلمين .

ويشمل :

١- قلة الدعاة .

٢- قلة الإمكانات المادية .

٣- قلة المدارس الإسلامية (وندرتها) .

٤- عدم استثمار (أو عدم وجود) وسائل العصر الحديث .

المطلب الأول

تقصير المسلمين

ويشمل :

١- الجهل .

٢- التفرق (كالفرق الصوفية ، والأحزاب الوطنية) .

٣- الركون إلى الدنيا .

٤- مداراة المنصرين ومن وراءهم .

أولاً : الجهـــــل :

لقد كان الجنوب يعيش تخلفاً كبيراً ، وفقراً مزرياً ، وجـــواً تسيطر عليه الخرافات والأساطير المتوارثة عن الأسلاف . كما كانت معظم الأنشطة الاجتماعية واقفة عند حد إشباع الرغبات ، وممارسة النزوات .(١)

وعندما قدم الإسلام إلى جنوب السودان ، لم يدخل على أيدي العلماء والفقهاء الذين يملكون القدرة على زرع جذور الإسلام ، بعد قلع كل خرافة ، ونبذ كل أسطورة ؛ إنما دخل على أيدي تجار وأطباء ، لم يكونوا من أهل العلم والفقه ، ولم يكن لديهم من القدرة ما يجعلهم يجتثون كل نبتة من بقايا الجهل المطبق على أهل تلك البلاد .(٢)

وقد أدى هذا إلى انتشار الإسلام مصحوباً بعدد من الخرافات التي ما زالت مترسخة في أذهان كثير من الجنوبيين ؛ ولعل أكبر دليل على هذا ظهور مجموعات من الطرق المختلفة التي تمارس كثيراً من البدع المرذولة ، المخالفة لشريعة الإسلام الغراء .(٣)

---

(١) حسن مكي محمد أحمد ، السياسة التعليمية والثقافة العربية في جنوب السودان ، ص : ٥٥ .

(٢) حسن مكي محمد أحمد ، حركة الإخوان المسلمين في السودان ، (١٩٤٤ - ١٩٦٩ م) ، ص : ١٣٢ .

(٣) حسن مكي محمد أحمد ، السياسة التعليمية والثقافة العربية في جنوب السودان ، ص : ٣٥ .

وقد كان لاحتكار الإرساليات التنصيرية للتعليم أثر كبير في تدعيم أسس الجهل بين أبناء المسلمين في الجنوب ؛ ذلك لحرمانهم من التعليم . فقد تخوّف كثير من الآباء من تنصير أبنائهم بدخولهم هذه المدارس إلى جانب أن تلك المدارس قامت بطرد عدد كبير من أبناء المسلمين ، لرفضهم ترك دينهم ، وهذا يعد شرطاً رئيساً لقبول أي متقدم إلى هذه المدارس.(١)

ولعل مما وطد الجهل - أيضاً - في الجنوب : أن أبناء المسلمين ظلوا أسرى قيود تعليمية وسياسية واقتصادية ، تهدف إلى تحجيم أثر الإسلام ، وهذا أدى إلى تضاؤل انتفاعهم بموارد التعليم . كما أدى إلى ضعف اتصالهم بالمسلمين خارج الجنوب ، عبر قنوات الحج والرحلات الدراسية ، ومن طريق ما يكتب باللغة العربية ؛ ومن ثم انعدام التفاعل الفكري ، والنمو العلمي في الجنوب ؛ بل تفشى الجهل بصوره المختلفة ، التي كان من أبشعها متابعة الناعقين في أبواق زيف الفكر الأوربي السيء.(٢)

كما قامت الحرب الأهلية بترسيب مفاهيم خاطئة عن الإسلام والمسلمين في نفوس بعض ضعفاء المسلمين وغيرهم ؛ مستغلة عدم وجود موارد العلم الحق ، في ذلك المكان الملتهب.(٣)

---

(١) السابق ، ص : ١٨ .
(٢) السابق ، ص : ٥٦ .
(٣) محمد عمر موسى ، النشاط التبشيري الكنسي في جنوب السودان ، ص : ٢٠٣ .

ومـمّـــا لا شك فيه : أن عوامل ترسيخ الجهل هذه أسهمت إسهاماً كبيراً في حجب الإسلام عن الانتشار ، بمـــا زرعته في نفـــوس أبناء المسلمين من مفاهيم مغايرة لتعاليم الدين الحنيف ، وشوهة لوجهه المشـــــرق (١).

ولكي تحبط تـــلك المؤمرات الرامية إلى : هـدم بناء الإســـلام في جنوب السودان ، فإنه يجب أن يدعم الجنوب بكثير من الدعـــاة الضالعين في فقه الدعوة والعلم ، والذين يملكون القدرة على طمـــس كل أثر للخرافة والأسطورة ، في أذهان أبناء الجنوب . كمـــا يجـب أن تكون المدارس ملك المسلمين ، يضعون مناهجها ، ويملكون تدبيرها ، ونزعهـا من أيدي المنصرين الذين يسعون إلى القضاء على الوجـــود الإسلامي في جنوب السودان (٢).

وفي نهاية هذا الحديث أعرض أبرز ما يمكن أن يستخلص منه من نتائـج :

الأولى : إن تفشي الجهل بين أبناء المسلمين في جنوب السودان حقيقة يجب أن نقر بها ،أسهم في رعاية نباتها عوامل ، من أبرزها :

أ - عدم وجود الدعاة المتفهمين لأمور الدعوة الصحيحة ، الـــتي تقوم على هدم كل خيط من خيوط الخرافة ، وأشباح الماضي ؛ لكي تبنى مكانها دعائم شامخة الفضاء ، راسخة الأوتـــاد ،

---

(١) السابق ، ص : ٢٠٤ .

(٢) د . عبدالغفار محمد أحمد ، السودان والوحدة في التنوع ، ص : ٢٥ ، بتصرف واختصار .

بالغة الصفاء . وهذا يريد علماء وفقهاء لهم باع طويل في مجال الدعوة والبناء .

ب- تسلط الإرساليات التنصيرية على التعليم ، واشتراطها خلع الدين عند دخول أبوابها ، وقذفه في لفافات النسيان ،أدى إلى حرمان عدد كبير من أبناء المسلمين من دخولها .

جـ- انقطاع كل اتصال بين المسلمين في الجنوب ، ومن هم في خارجها ، وعدم وجود أي احتكاك بهم ؛ لكي يسهم في طرد وتبديد مرادل الجهل تلك .

الثانية : وقد كان من آثار ذلك الجهل قعود كثير من المسلمين عن الدعوة إلى الإسلام ، ليس هذا فحسب ؛ بل أدى إلى ظهور فرق تقوم على أسس من البدع التي تنافي معالم الدين الإسلامي ،وانتشار حمأتها بين أبناء الجنوب ، وهذا معوق كبير يؤدي إلى انحسار الإسلام من بين أيدي المسلمين .

الثالثة : وإلى جانب الجهل ظهر التفرق الذي يودي بكل نشاط إسلامي . وقد سعى وراء هذا التفرق أيد ماكرة من المنصرين ومن وراءهم، الذين أرادوا شق الصف الواحد ، ونشر التناحر والبغي بينهما ؛ لكي تكون الغنيمة نصيباً لهم .

ثانيًا

التّفرّق

"كالفِرق الصّوفيّة، والأحزاب الوطنيّة"

ثانياً : التفرق (كالفرق الصوفية والأحزاب السياسية) :

إن الوحدة في تأدية العمل الإسلامي مطلب مهم ، ينبغي الحرص عليه ؛ لأن في الوحدة قوة دافعة ، وحصناً منيعاً ، يعزز الدعوة الإسلامية ، ويدفع دفة الانتشار إلى العلاء . كما أن التفرق يوهن الهمم ، ويصرف عن الاشتغال بالأهم إلى ما دونه ، كما أنه باب يدخل منه من يريد الإضعاف للأمة المسلمة .

ولقد كان منتظراً من أبناء السودان المسلمين : أن يكونوا صفاً واحداً ؛ من أجل نشر الإسلام في الجنوب ، وبذل كل الجهود في هذا السبيل ، ولكن الذي حدث أن انشغل أبناء الشمال المسلمين في الأحزاب السياسية التي مزقت الصف الواحد ، وصرفت أنظار المسلمين عن قضية الإسلام في الجنوب ؛ إذ أصبح هم المشتغلين في الحكومة هو أمر هذا الحزب ، ومن معك ومن هو ضدك ، وهذا أمر أشغل كثيراً من المسلمين ، ليس في السودان فحسب ؛ بل في عدد من بلدان العالم المسلم ، التي تعمل بمثل هذه التشتيتات.[1]

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ؛ بل تعداه إلى ما هو أشد خطراً ، وأعظم فتكاً ، ألا وهو التفرق في أمر الدين ؛ إذ انتشرت الطرق الصوفية المختلفة ، والتي ينافر بعضها بعضاً ، ويسعى كل منها

1- Holt P.A., A modern history of Sudan , page : 8 .

إلى نيل أكبر المؤيدين والأتباع . ولا ريب في أن هذا قد أشغل المسلمين وصرفهم عن قضية انتشار الإسلام في الجنوب ، وما يحدق به من مخاطر وتحديات.[١]

وقد كان موقف الإرساليات التنصيرية من هذا الأمر بالغ الوضوح ؛ إذ هو مطلب مهم تسعى إليه ؛ لتصرف نظر المسلمين عن الجنوب ؛ لهذا أمعنت في سد حواجز هذا التفرق ، وأمدته بنيران الحقد والضغينة ، إلى أن صار التفرق قضية مهمة يجب النظر فيها ، حتى لا تمس الوجود الإسلامي في الجنوب بالضرر.[٢]

وقد زاد التفرق جذوة ، وأشعل من جمره ، الجهل الذي كان عاماً بين المسلمين في الجنوب ، وهو السبب الرئيس الذي حدا بكثير منهم إلى سلوك طريق مخصوصة به ، ومعاداة من يناوئه فيها .[٣]

ولكي يزال هذا التفرق : فإنه يجب أن يزال الجهل المطبق في الجنوب ، كما يجب أن يتم تزويد أبناء الجنوب بالقيادات الإسلامية الواعية ، التي عرفت تعاليم الشريعة وأصول الدين ، وتتقن التعامل مع القضايا المعاصرة لها . وبهذا ينجلي التفرق بعد أن تنتشر صفحة البيان الإسلامي المشرق ، الذي يوحد الصف ، ويلم شعث الشمل.[٤]

---

(١) محمد عمر موسى ، النشاط التبشيري الكنسي في جنوب السودان ، ص : ٢٠٤ ، بتصرف واختصار شديد .
(٢) السابق ، الصفحة نفسها ، بتصرف واختصار .
(٣) السابق ، ص : ٢٠٦ ، بتصرف .
(٤) السابق ، ص : ٢٠٧ ، بتصرف واختصار في الأسلوب والمعنى .

وبعد هذا الحديث الذي قدمته في موضوع (التفرق) أصل إلى النتائج الآتية :

الأولى : لقد عرفت العصور المتقدمة لانتشار الإسلام كيف تكون الوحدة عاملاً مهماً في دعم العمل الإسلامي الواحد . ولكي يكرر ما كان ماضياً ، فإنه يجب أن يوحد الصف مرة أخرى ، وتزال كل حواجز التفرق ، ولا يبقى أمام المد الإسلامي أي شبهة من خلاف .

الثانية : إن أمر الأحزاب الوطنية ، التي انتشرت في العالم الإسلامي ، يجب أن يعاد فيها النظر ؛ فهو تفريق وتمزيق لشمل الأمة المسلمة ، وصرف لها عن الاشتغال بنشر الإسلام ؛ ولعل خير دليل على هذا ما يحدث في السودان ، من انشغال الشعب المسلم بتوزيع أفراده إلى أحزاب متحزبة ، وفرق متفرقة ؛ مما يدعو إلى التمزيق والتقسيم الداعي إلى التنافر والتناحر .

الثالثة : إن من أخطر ما يواجهه انتشار الإسلام بعامة ، هو : التفرق الذي يبتلى به تابعوه ، والذي يمس إلى حد كبير أمر العقيدة الإسلامية الصحيحة ، وقضايا الشريعة ؛ مما يدعو إلى التنافر والتناحر ، وبثت الهمم إلى الاشتغال بنصرة رأي طي آخر ؛ ولعل هذا ما حدث مثله في السودان ؛ عندما انتشرت فيه الطرق الصوفية المختلفة ، التي لم تقم على أسس صحيحة ؛

ثالثًا

الرّكون إلى الدّنيا

بل على أغراض مشبوهة ، تهدف إلى تمزيق الصف الواحد ، وطعن المسلمين بعضهم ببعض في رحى التفرق والتشتت .

الرابعة: لن تحل هذه المشكلة إلا بإزالة ما ألح على خروجها ، ألا وهو الجهل ، الذي أصيبت به تلك الأمة ، فيجب إبراز ضرر مثل هذه السبل ، وإيضاح الصراط المستقيم ، وتجاوز تلك العقبة إلى العمل في صف واحد ، لا يعرف أفراده شيئاً اسمه التفرق .

* * *

ثالثاً : الركون إلى الدنيا :

إن العمل من أجل نشر الإسلام يستلزم من الدعاة ، ومن كل مسلم: أن يجعل الدنيا تحت حكم الإسلام ، وألا يجعل لها سبيلاً إلى الحكم على الإسلام ؛ لأن الإسلام جاء لينظمها ، وليجعل منها سبباً إلى الحياة الأخرى ، فجدير بكل مسلم ألا يركن إلى ظلها المنحسر ، وساطها المطوي ، ويترك أمر الدعوة إلى الله أسمى ما يحمل من مبادئ ، ألا وهي مبادئ الإسلام .

ولقد ارتبط انتشار الإسلام في جنوب السودان بالتجار والعاملين المسلمين في الجنوب ، ولم يكن هؤلاء متفرغين للعمل الدعوي الإسلامي ؛ بل كانوا منشغلين بأمور دنياهم ، راكنين إلى أسباب رزقهم ، تاركين أمر الدعوة في مراحل متأخرة من اهتماماتهم[1].

وإلى جانب هذا : كانوا يرون أصناف الاضطهاد والتضييق لكل من يعمل على نشر الدعوة الإسلامية ، وهذا أدى بهم إلى الخنوع والخضوع للذل الدنيوي ، في سبيل السلامة ولقمة العيش[2].

ولقد ساعد على تساقط كثير من المسلمين عن القيام بالدعوة الإسلامية ظهور الحكم العلماني الذي يظهر ويعلي شأن الدنيا ، ويشجع

---

(١) حسن مكي محمد أحمد ، حركة الإخوان المسلمين في السودان ، ص : ١٣٢ .

(٢) الجبهة القومية الإسلامية ، مسألة جنوب السودان ، مجلة (السياسة الدولية) ، العدد : ٩١ ، ص : ١٥٤ .

على التصارع والتسابق في سيادتها الخانقة ، ورحابها القاسطة . ولا يقوم بتشجيع أمر الدعوة الإسلامية.[١]

ولن نغفل عن ممارسات الإرساليات التنصيرية ، التي سعت فيها من أجل عزل المسلمين عن القيام بمهمات دينهم ، عن طريق شغلهم بالدنيا ؛ لكي يتركوا عظائم الأمور إلى الكسل والراحة ، والسعي وراء الشهوات ؛ حتى تصبح هذه الشهوات الدنيئة هدفه وغايته من تعلم العلم ، وكسب المال وغيره ، من سفاسف الدنيا.[٢]

وقد عطلت الإدارة البريطانية على مؤازرة الإرساليات التنصيرية في مكرها هذا ضد الإسلام ؛ فأصدرت القوانين المبيحة لشرب الخمر ، وغضت النظر عن الدعارة ، وتساهلت في عقوبة الزنا ؛ لتخطب ود شباب الجنوب ، وتنسيهم أمر إسلامهم ودعوتهم.[٣]

ولقد بات من المسلم به أن ازدهار النشاط التنصيري في جنوب السودان ، ونجاح سياساته المبرمجة ، دلالة واضحة على مدى تقاعس المسلمين في الجنوب ، وقعودهم عن إيقاف هذه الحملات الشرسة.

---

(١) د . محمد بشير حامد ، نشر السلطة والتكامل القومي في جنوب السودان ، مجلة (السياسة الدولية) ، العدد : ٩١ ، ص : ٩٣ .

(٢) محمد عمر موسى ، النشاط التبشيري الكنسي في جنوب السودان ، ص : ٨٤ .

(٣) د . جعفر علي بخيت ، الإدارة البريطانية والحركة الوطنية في السودان (١٩١٩ـ ١٩٣٩م) ترجمة : هنري رياض ، ص : ٩٤ ، ط : مكتبة عطية ، بالخرطوم ، سنة : ١٣٩١هـ - ١٩٧١م .

وليس هذا خاصاً بهم وحدهم ؛ بل يعم أكثر المسلمين في مختلف أقياء العالم ، الذين يملكون القدرة على تقديم العون ، واتخاذ الأساليب الماثلة ، لإيقاف ضربات المنصرين .(١)

وبعد هذا العرض لموضوع (الركون إلى الدنيا) أسرد ما يمكن أن يتوصل إليه من نتائج في هذا الصدد :

الأولى : إن حكمنا على جهود التجار المسلمين والعاملين في جنوب السودان في مجال نشر الإسلام ، لا يعني إقلالاً من شأن أعمالهم في هذا المجال ؛ بل هو سعي إلى تقدير ذلك العمل بمقداره الصحيح ؛ فقد كان أمر الدعوة إلى الإسلام ليس بهمهم الأول - في الغالب منهم - ؛ بل هو التجارة وطلب الرزق .

الثانية : برزت عوامل مختلفة ، ساعدت على تمكن هذا الداء من كثير من أبناء المسلمين في جنوب السودان ، منها :

أ - عدم رسوخ المعتقد الإيماني في قلوبهم بصورته المشرقة ، ولو كان كذلك ؛ لما آثر عرضاً من زائل على خير دائم .

ب - عدم وجود ما يبعث الحماسة لنشر هذا الدين في محيط مجتمعهم ؛ إذ عكفت الحكومة لإعلاء شأن أمر الدنيا ولذاتها ، غير ناظرة إلى أمر نشر هذا الدين .

---

(١) د . كمال حمزة ، التبشير المسيحي وبعض أساليبه وآثاره ، ص : ١٢ - ١٣ ، بتصرف .

جـ - نصب ألـواح الاضطهاد ، وخنـادق العذاب ، لكل من يسعى من أجل نشـر هذا الدين ، أشاعت الرعب في قلوبهـــم ، وصرفتهم عن النظر في أمره ، إلى الركون إلى وجه الدنيا الآخـــر .

د - فتح الباب الواسع لملذات الدنيا وشهواتها ، أمام شـباب الجنـــوب ، أنستهم كلياً النظر في أمر دينهم .

الثالثة: لم يكن الركون إلى الدنيا مقتصراً على أبناء الجنوب المسلمين ؛ بل تعداه إلى كثير من مالكي العون في معظم أنحـــاء العـــالم الإسلامي ؛ إذ وقعوا في متاهات الغفلة عن مخاطـــر نشاطـات المنصرين في جنوب السودان ، مع أنهم يملكون من الأساليـب ما يمكن أن يعطل تلك المؤامرات .

الرابعة: لا سبيل إلى القضاء على هـذا المعوق الفتاك ، إلا ببث الدعاة المخلصين لوجه اللـه - تعالى - ؛ ليقوموا بإحياء نشاطهم ، وبعـث مواتهم ، وحثهم على نبذ كل ما يعارض ويقف أمام نشرهم للـدين الإسلامي الحنيف .

* * *

رابعًا

مُداراة المنصرين، ومَن وراءَهُمْ

رابعاً : مداراة المنصرين ومن وراءهم :

مما لا يخفى : أن النصارى قد تمكنوا من الاستيلاء على كثير من المؤسسات الحكومية في السودان ، في فترة من الوقت ، حتى صارت لهم قوة يعمل لها حساب كبير ، ولم يكن الجنوب بمعزل عن هذا ؛ إذ كان السودان في وجهة النظر الأوربية ، ينقسم إلى : شمال مسلم ، وجنوب نصراني . وهذا يدل على مدى تمكنهم من الجنوب .(١)

وفي الجهة المقابلة : يتعرض المسلمون إلى الاضطهاد الإداري ، من قبل الحكومة الإقليمية ، وإلى الكيد من قبل المتمردين . وقد وصل الأمر إلى حرق المساجد ، وقتل عدد من المسلمين ، في أثناء تأديتهم الصلاة .(٢)

كما تعرضوا لحالات كثيرة من التضييق الحكومي ، الذي يحد من أنشطتهم الإسلامية ، مثل : نزع قطع الأراضي المخصصة لإنشاء المساجد . كما يتعرضون للحرمان من ممارسة حقهم في أن يشاركوا في حقهم الإداري والسياسي والتنفيذي ، على الرغم من تفوقهم العددي على النصارى .(٣)

ولقد عملت المؤسسات التنصيرية على ابتزاز خيرات الدولة ،

---

(١) محمد عمر موسى ، النشاط التبشيري الكنسي في جنوب السودان ، ص : ١٤٤ - ١٤٥ .

(٢) هيئة إحياء النشاط الإسلامي ، تقرير عن وضع المسلمين المهاجرين من جنوب السودان ، ص : ٣ - ٥ ، بتاريخ ٨ من شهر شوال ، سنة : ١٤٠٣هـ - الموافق : ١٨ من شهر يوليه ، سنة : ١٩٨٣م .

(٣) د . حسن مكي محمد أحمد ، التبشير المسيحي في العاصمة المثلثة ، ص : ٣ - ٤ .

واستغلال فقر المواطنين وضعفهم ، وحاجتهم إلى التعليم والعلاج . وقامت ببث الرعب في قلوب هؤلاء المسلمين الضعفاء ؛ ممّا حطهم على مداراة المنصرين ومن وراءهم ؛ ليسلموا من ضربات الاضطهاد ، والقتل والسلب والتعذيب ، من قبل المنصرين ، والجهات الأمنية والإدارية .(١)

وكان ضعف المسلمين من أبناء الجنوب ظاهرًا ، عندما قاموا بمداراة الشرذمة المتمردة ، سنة : ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م ؛ فقد انضم عدد من المسلمين إلى الفئات المشاركة في الاضطرابات التي حدثت في المديرية الاستوائية ضد السلطات الشمالية المسلمة .(٢)

وقد أشار أحد المفكرين إلى هذا قائلاً : إن الصراع لا يمكن تفسيره على أنه صراع ديني - أي : تمرد نصراني ضد المسلمين - ولكن الدين استخدم فيه لتغذية الصراع . ولكن إن كان الصراع دينيًا ، أو الدين لتغذية الصراع فالموقف يوضح أنه مداراة الضعيف لصالح القوة ، وهذا يرجع إلى تقصير الشمال ، والقوى الإسلامية جمعاء .(٣)

وممّا يجدر بالذكر: أن المداراة وصلت الآن إلى حد إلغاء الأسماء العربية ، والتسمي بأسماء نصرانية ، كما وصل هذا الأمر

---

(١) د . كمال حمزة ، التبشير المسيحي وبعض أساليبه ، ص : ٢ .

(٢) د . مختار عجوبة ، مشكلة جنوب السودان ، وأثرها على مستقبل العلاقات العربية الأفريقية ، ص : ٧٢ .

(٣) Professor Bashir M.O., The Southern Sudan, Background to Conflict, Horst and Co., page:148-150.

إلى حد إهمال جانب كبير من التعاليم الإسلامية ؛ وذلك لحاجتهم إلى هذه الشرائع ، ولخوفهم من قوة بطشهم .(١)

وأعرض الآن أبرز نتائج هذا الحديث عن (مداراة المنصرين ومن وراءهم) :

الأولى : إنه ليمكننا القول : بأن أبرز أسباب المداراة : إحساس المسلمين هناك بأن أواصر قوتهم قد تقطعت ، لمّا تقطعت الصلات بينهم وإخوانهم المسلمين في كل مكان ؛ ممّا جعلهم يحسون إحساساً مريراً بوطأة الوحدة القاسية ، والوقوع في فك مفترس ، تمكن من الإحاطة بكل مصالحهم ، وألهب سوط التعذيب من خلفهم ؛ ممّا جعلهم يميلون إلى المداراة .

الثانية : ولا يعني هذا الإقرار لهم ؛ بل هذا هو الخضوع للذل ، والإسلام لكيد الكافر ، وهذا لا ينبغي للمسلم ما دام قادراً على أن يخلص من هذا الذل . وإن سبيل الخلوص منه يسير جداً ، يتطلب جهداً وصفاً واحداً ؛ يتمثل في عدم الإقرار للمستذل بما يريد . والثورة لتحقيق العزة . وقبل هذا : يجب أن يشعر كل مسلم أنه قد صار عزيزاً مكيناً لمّا تمكن هذا الدين من شغاف من قلبه ، وليعلم أنه لا سبيل أمام الكافر لإذلاله (.. وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ)(٢) .

---

(١) محمد عمر موسى ، النشاط التبشيري الكنسي في جنوب السودان ، ص : ٦٩ - ٧٠ ، بتصرف واختصار .

(٢) سورة المنافقون ، آية : ٨ .

(. . . وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾) .[1]

الثالثة : إن لجوء المسلمين إلى المداراة حجبهم عن القيام بالدعوة الإسلامية ، بل منعهم من إقامة كامل شعائر دينهم بعزة وقوة ، وهذا أمر ذو خطورة بالغة ، يجب أن يتخلص منه ، لأنه يعني : الرضوخ الكامل للكافرين ، ولهذا ظلت هذه المداراة معوقاً كبيراً أمام انتشار الإسلام .

* * *

(١) سورة النساء ، آية : ١٤١ .

المطلب الثاني

ضعف المسلمين

ويشمل:

أولاً.. : قلة الدعاة

ثانيًا: قلة الإمكانات المادية

ثالثًا: قلة المدارس الإسلامية وندرتها

رابعًا: عدم استثمار (أو وجود) وسائل العصر الحديث.

أولاً

قِلّة الدّعَاة

أولاً : قلة الدعاة :

إن من أكبر ما يستلزم نجاح الدعوة ، هو : وجود الدعاة المخلصين الذين يعلمون مبادئ الدعوة وأصولها ، وكيفية القيام بها ، والذين يملكون حصيلة كبيرة من العلم بالشرع الإسلامي الحنيف ، ولكي يدعم الوجود الإسلامي في جنوب السودان : فإنه يجب أن يبث فيه كثير من هؤلاء الدعاة . ولكن الذي حدث كان عكس هذا ، إذ عانى الجنوب طويلاً من قلة الدعاة ، وهذا أدى إلى انحسار الوجود الإسلامي فيه.(١)

وإذا أردنا تقويم جهود الحكومات السودانية في مجال تزويد الجنوب بالدعاة ، فإننا سنجده ضئيلاً جداً ، قياساً إلى غيرها من البلدان المسلمة الأخرى . غير أنه في سنة : ١٣٥٥هـ-١٩٣٦م - وهو العام الذي عقدت فيه المعاهدة بين مصر وانجلترا - : حدثت حركة مناهضة للأعمال التنصيرية في مصر والسودان ، تم فيها التنديد عبر وسائل الإعلام بنشاط الإرساليات التنصيرية في جنوب السودان ، إذ تمكنوا فيه من الاستيلاء على عصب الحياة ، وتصدوا للدعوة الإسلامية ، التي تنتشر بجهود تطوعية ، على خلاف الإرساليات التي تلقى الدعم المادي والمعنوي الكبير من قبل أولياء السياسة ، إضافة إلى كثرة المنصرين الذين يعدّون بالمئات ، وإلى جانبهم آلاف من أبناء جنوب السودان

---

(١) دليل منظمة الدعوة الإسلامية ، ص : ٤ ، ط : الثانية ، جمادى الأولى ، سنة : ١٤٠٧هـ - الموافق : يناير ، سنة : ١٩٨٧م.

الذين تم إعدادهم حديثاً[١].

وقد ألهب هذا شعور الغيورين على الدين الإسلامي ، الحريصين على انتشاره : ممّا جعلهم يقومون بمراسلة الأزهر ، يستنكرون فيها الممارسات التنصيرية في جنوب السودان ، ويطالبون الأزهر بإرسال بعثات إسلامية إلى الجنوب ، على أن يكون لها من الحقوق والامتيازات مثل ما لتلك الإرساليات .[٢]

وردّاً على هذا : قررت الحكومة المصرية تكليف شيخ الأزهر بالقيام بالدور الكامل في هذه المسألة ، ووضعت تحت تصرفه اعتمادات مالية ،[٣] ولكن خبث الطوية المنعقدة في قلب حاكم السودان " سايمز " جعلته يهب لتفادي حدوث هذا العمل الذي يمس سياسته الاحتلالية مساً مباشراً ؛ ممّا حدى به إلى التأثير على شيخ الأزهر ، وصرفه نهائياً عن النظر في قضية جنوب السودان .[٤]

ولعل هذا جلي في تصريح شيخ الأزهر لمجلة " العصور " في شهر جمادى الآخرة ، سنة : ١٣٥٨هـ - الموافق : أغسطس ، سنة : ١٩٣٩م ؛ إذ قال : " إن إرسال بعثات إسلامية إلى جنوب السودان

---

(١) د . إبراهيم عكاشة ، التبشير النصراني في جنوب سودان وادي النيل ، ص : ٢٢٧ .
(٢) السابق ، ص : ٢٢٨ .
(٣) السابق ، ص : ٢٧٩ .
(٤) السابق ، ص : ٢٨١ .

ليست مسألة سهلة ، وإن العمل يتطلب إمكانات هائلة لمواجهة الحياة القاسية في تلك الأجزاء ".[1] وبهذا تمكن "سايمز" من إضعاف حركة التصدي الأزهري للسياسة المعادية للإسلام في جنوب السودان ؛ وذلك قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية ، التي شغلت الرأي العام العالمي والمحلي ، والتي كانت سبباً في إخماد تلك الحركة ولو مؤقتاً.[2]

ولقد كان المنتظر من الأزهر : أن يقوم بتزويد الجنوب بعدد كبير من الدعاة ، لكن هذا لم يحدث ؛ احتجاجاً بقسوة الظروف التي تخيم على أرض جنوب السودان ، والتي تجعل من مثل هذا الأمر شيئاً مستحيلاً.[3]

وفي الجانب الآخر : كانت الإرساليات التنصيرية تعمل على سودنة كنائسها ، وملئها بأجيال من دعاة النصرانية من أبناء جنوب السودان.[4]

وبعد ضغوط كثيرة على الحكومة في هذا المجال ، رأت أن تدخل التعليم الإسلامي في الجنوب ؛ فأنشأت الحكومة معاهد دينية في "جوبا" و"واو" ابتدأت بسبع وخمسين طالباً ، تزايد حتى بلغ في سنة: ١٣٨١هـ - ١٩٦١م خمسمائة طالب . وفي سنة : ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م : أنشأت مدارس

---

(١) نقلاً عن : د . إبراهيم عكاشة ، التبشير النصراني في جنوب سودان وادي النيل ، ص : ٣٨٢ .
(٢) السابق ، ص : ٣٨٣ .
(٣) السابق ، الصفحة نفسها .
(٤) السابق ، ص : ٢٩١ .

تكميلية تأخذ طلابها من مدارس القرى وتعدهم للابتدائيات بمنهج تركز فيه على التربية الإسلامية ، واللغة العربية . كما قام عدد من أبناء الجنوب المسلمين بإنشاء عدد من الكتاتيب تساعد المدارس الإسلامية . وقد غطت المعاهد الدينية كل مدن الجنوب ؛ وذلك لتخريج جيل كبير من الدعاة المسلمين ، إلا أنه لم يكتب لتلك المعاهد الاستمرار والنجاح ؛ فقد حوربت تلك المعاهد على أيدي الإرساليات التنصيرية ومن وراءها ، وقد تم الاستيلاء على تلك المرافق ، وطرد من فيها من طلاب ، واستخدامها في أغراض عسكرية وتعليمية ذات طابع مغاير تمامًا (١) .

ونتيجة لما قامت به الإرساليات التنصيرية من طغيان في الجنوب ، وما مارسته كنائسها من نشاط واسع فيه ، برزت صحوة إسلامية على الوجود للوقوف أمام تلك المجهودات ؛ وذلك بعد اتفاقية سنة : ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م ، تمثلت في ظهور هيئات ومنظمات إسلامية . اختصاصها : إعداد الدعاة وإرسالهم إلى المناطق التي تحتاج إليهم ، مثل : هيئة إحياء النشاط الإسلامي ، ومنظمة الدعوة الإسلامية .

وقد قامت تلك الهيئات والمنظمات بمجهودات كبرى في مجال الدعوة الإسلامية في السودان ، وفي القارة بأسرها ، لكن تلك المجهودات المنظمة لم تظهر آثارها في الجنوب ؛ وذلك لحداثة تلك الهيئات ،

---

(١) د . حسن مكي محمد أحمد ، السياسة التعليمية والثقافة العربية في جنوب السودان ، ص : ٣٠ .

التي تواجه منظمات تنصيرية ذات جذور قوية في المنطقة ، لها ما يقارب من قرن من عمر الزمان تمرست فيه على مختلف أساليب التنصير بطرق علمية مختلفة .(١)

هذا إلى جانب أن تلك المنظمات الإسلامية بعيدة عن أرضية الأحداث ، إذ توجد مراكزها الرئيسة خارج جنوب السودان ، إلى جانب صعوبة الاتصال بين الشمال والجنوب(٢) ، فضلاً عن صعوبة التحرك داخل الأقاليم الجنوبية نفسها ، وافتقار الدعاة إلى روح المغامرة والفدائية كما هو الحال عند المنصرين . إضافة إلى وجود تيار كنسي ضاغط ، ومؤامرات وفتن واغتيالات على مستوى كبير تقوم به الإرساليات ، لتصفية الدعاة المسلمين .(٣)

وقبل الانتقال إلى حديث آخر ، أسرد أبرز ما توصلت إليه من نتائج في هذا العرض لموضوع (قلة الدعاة) :

الأولى : مع أن إعداد الدعاة المؤهلين هو أول خطوات انتشار الإسلام فإن الجنوب يشهد معاناة كثيرة من خلو ساحته من مثل هؤلاء الدعاة ، ولهذا انحسر وجود الإسلام فيه .

---

(١) محمد عمر موسى ، النشاط التبشيري الكنسي في جنوب السودان ، ص : ٢٠٣ .

(٢) الجبهة القومية الإسلامية ، مسألة جنوب السودان ، ص : ١٥٤ .

(٣) محمد عمر موسى ، النشاط التبشيري الكنسي في جنوب السودان ، ص : ٢٠٢ .

الثانية : لم تسهم الحكومات السودانية العلمانية في مجال تزويد الجنوب بالدعاة إلى الإسلام ، وهذا خلل كبير في بنيانها ، أدى إلى ترك عمل هذا إلى الجهد الفردي التطوعي .

الثالثة : كان منتظراً من الأزهر أن يكون له إسهامات كبيرة في مجال تزويد الجنوب بالدعاة من أبنائه ، لكنه لم يقم بهذا محتجاً بالعوامل الطبعية ، التي لا يمكن أن يتكيف أولئك الدعاة معها .

الرابعة : لمّا كان وجود المدارس الإسلامية يعني ظهور دعاة مسلمين ؛ لذلك سعت الأيدي التنصيرية إلى هدم بناء تلك المدارس من كل النواحي ، على أن يبقى بنيانها هو الباب الوحيد المفتوح أمام من يريد التعليم .

الخامسة : إن لظهور المنظمات والهيئات الإسلامية أثراً كبيراً في تطوير ميدان الدعوة والدعاة ، لكن برزت عوامل حالت دون بروز ذلك الأثر في جنوب السودان بشكل كبير ؛

أ - ظهورها في وقت متأخر ، ثم مواجهتها للحملات التنصيرية التي باتت ذات قدم راسخة في جنوب السودان .

ب - بعدها عن الجنوب مع وجود وعورة المسالك بين الشمال والجنوب، بل بين أرجاء الجنوب نفسه .

جـ - اشتعال نيران الحرب الأهلية ، والتي فصلت الشمال مركز المنظمات والجنوب ميدان العمل .

ثانيًا

قِلّة الإمكانات المادِيّة

ثانياً : قلة الإمكانات المادية :

إن شأن الدعوة الإسلامية ، في أرض مثل جنوب السودان ، تحتاج إلى إمكانات مادية كثيرة ، تجعل من صعبه سهلاً ، ومن كؤوده ذليلاً . وإن الحديث عن قلة الإمكانات المادية لدى المسلمين في الجنوب ، لمما ينفطر له القلب حزناً ، وبخاصة إذا تحدثنا عن الإمكانات التي في أيدي المنصرين . وهذا عائد إلى التقصير الكبير من جانب من يملكون هذه الإمكانات من أبناء المسلمين ، وقلة ذات اليد من جانب آخر .

ففي مدة الحكم الثنائي لم ينشأ في جنوب السودان سوى ثلاثة مساجد ، ولم تكن بعثة دعوية من جانب الحكومة إلى جنوب السودان ، احتجاجاً بقلة الإمكانات المادية ، مع أن هذه الحجة لا تظهر إلا في هذا الشأن[1] .

وإذا أخذنا بمجال المقارنة في ميدان واحد له أهميته البالغة ، وهو : التعليم ، فسنجد ما يحز في النفس ، ويؤذن بصدق ذلك الحكم . انظر: الجدول رقم (١) .

---

(١) حسن مكي محمد أحمد ، السياسة التعليمية والثقافة العربية في جنوب السودان ، ص : ١٩ - ٢٠ .

جـــدول رقم (١)

عـــدد المـــدارس	التنصيرية	الحكومية	المجموع
عدد المدارس الموجودة سنة : ١٩٥٠م	٤٥	٦	٥١
عدد المدارس المراد بلوغها سنة : ١٩٥٦م	٥٦	٣٢	٨٨
العدد الذي تم إنجازه .	٦٢	٢٢	٨٤

(١)

وعندمـــا تسلم المحتل الحاقد أزمة الأمر ، كان منتظرًا ألا يجـــد أمر الدعوة الإسلامية أي عناية أو اهتمام ؛ لهذا شهدت الدعوة الإسلامية أسوأ الظروف في هذه الفترة .(٢)

وفي فترة الحكم العسكري ظهر اهتمام بتنشيط الدعوة الإسلامية في الجنوب ، كمـــا شهدت هذه الفترة جهودًا بارزةً بذلهـــا " طي بلـــدو " ـ سبق أن عرضنا لها ـ ، ولكن مع هذا التنشيط فإنه كان ينقص تمامهـــا قلة الإمكانات ، المتمثلة في : نقص القدرات المؤهلة ، والمرافق الصالحة للعمل الدعوي الإسلامي .(٣)

---

(١) Ssndorson N. , Education , Religion and politics in South of Sudan, : (1877 - 1967 A.D), page:304, printed in : London, at:1981 A.D.

(٢) السابق ، ص : ٣٠٦ ، بتصرف .

(٣) حسن مكي محمد أحمد ، السياسة التعليمية والثقافة العربيـــة في جنوب السودان ، ص : ٢٣ .

وظلت قلة الإمكانات المادية ظاهرة بارزة في العمل من أجل نشر الإسلام ، فسترى قلة المساجد إزاء كثرة الكنائس ، وقلة المدارس الإسلامية إزاء المدارس التنصيرية ، وكذلك أماكن السكنى ، والمستوصفات ، والمطابع ، ومراكز التأهيل ، إلى ما سوى ذلك ؛ ممّا يعزى إهماله إلى قلة الإمكانات المادية .(١)

ولقد ساعدت وفرة الإمكانات المادية الإرساليات التنصيرية على أن تقدم أعمالها التنصيرية بأساليب مختلفة ، وفي مرافق حديثة . سبق لنا أن سردنا أكثرها فيما مضى .

أمّا العمل الإسلامي : فقد ظل قليل الإمكانات ، ضئيل التأثير ، إلى أن ظهرت بعض المنظمات والهيئات الدعوية الإسلامية ، والتي تخصص كل أنشطتها من أجل دعم العمل الدعوي الإسلامي في كل مكان ، بكل الطاقات البشرية والمادية . ومن أبرزها : منظمة الدعوة الإسلامية ، وهيئة إحياء النشاط الإسلامي ، وجمعية رعاية حديثي العهد بالإسلام ، وغيرها . فهذه المنظمات قد أولت دعم الدعوة الإسلامية في جنوب السودان بالغ اهتمامها في كافة ميادينه .(٢)

غير أنه مع هذا الجهد المقدم من قبلها ، ظل متأثراً

---

(١) محمد عمر موسى ، النشاط التبشيري الكنسي في جنوب السودان ، ص : ١٦٦ - ١٦٧ .

(٢) دليل منظمة الدعوة الإسلامية ، ص : ٥ - ٦ .

بالموازنات المالية التابعة لها ، والتي كانت تعتمد فيها على الإعانات والمساعدات من فاطي الخير من العالم الإسلامي ، والتي كانت تصل أحياناً ، وتنقطع أحايين كثيرة ، إضافة إلى ندرة وسائل ترحيل العاملين ، والإمكانات إلى الجنوب ، وانعدام المواصلات في ذلك الموقع المتأزم . أمّا الإرساليات التنصيرية : فلديها الدخل المادي الثابت والوفير ، ولديها شبكة مواصلات منظمة ومحكمة تربطها بمؤسساتها المختلفة.(١)

هذا من جانب المنظمات الدعوية الإسلامية ، أمّا من جانب الحكومة فقد كان لاشتعال نار الحرب الأهلية ما أودى بكل المقومات المادية لدى الحكومة في الجنوب ، فأصيبت بالضعف والوهن في اقتصادها ومواردها ، وما قدمته من إمكانات مادية لدعم الدعوة الإسلامية في الجنوب ، فهو ضعيف جداً ، قياساً إلى قلة ثمراته .(٢)

وبعد أن وصلنا إلى هذا الحد في الحديث عن :(قلة الإمكانات المادية) نخلص إلى النتائج الآتية :

الأولى : إن العمل من أجل نشر الإسلام في منطقة مثل منطقة جنوب السودان ، يحتاج إلى إمكانات مادية كثيرة ، نظراً لعدم توفر سبل المواصلات ، ووعورة أراضي تلك المنطقة ، وحاجتها إلى عدد كبير من المرافق المهمة .

---

(١) السابق ، ص : ٦ .
(٢) الجبهة القومية الإسلامية ، مسألة جنوب السودان ، مجلة (السياسة الدولية) ، العدد : ٩١ ، ص : ١٤٧ .

الثانية : لقد اشتكى العمل الإسلامي في جنوب السودان كثيراً من قلة الإمكانات المادية ، والتي كان السبب فيها ، هو : الضعف العام الذي أصاب المسلمين في السودان ، وظل هذا معوقاً مهماً من معوقات انتشار الإسلام في الجنوب .

الثالثة : سعت المنظمات الدعوية الإسلامية إلى تغطية هذا النقص الهائل في مثل تلك الإمكانات ، ولكنها كانت بحاجة شديدة إلى من يدعمها هي ، فلقد كانت معتمدة على إيرادات مالية غير ثابتة من فاعلي الخير من العالم الإسلامي ، مما آذن بعدم زوال تلك الشكاية .

الرابعة : إلى جانب ذلك الضعف الكبير الذي أصيب به المسلمون ، كانت الإرساليات التنصيرية تعمل بجد ونشاط ، إذ كانت إمكاناتها المادية ميسرة ، وفي أحسن الأحوال مما هي عليه عند المسلمين .

* * *

ثالثًا

قِلّة المدارس الإسلاميّة وندرتها

ثالثاً : قلة المدارس الإسلامية [وندرتها]

إن لوجود المدارس الإسلامية أهمية كبرى في إعداد المسلم، الخالص من كل شوائب الشرك والفتن ، والداعية إلى دينه في مستقبل الأيام .

وقد عانى جنوب السودان كثيرًا من قلة المدارس الإسلامية فيه، وهذا أدى إلى إعاقة انتشار الإسلام عن طريق هذه القناة المهمة من قنواته المختلفة . وهذا يبدو لنا جلياً إذا استعرضنا التعليم في جنوب السودان ؛ وبخاصة التعليم الإسلامي فيه .

فقد بدأت المدرسة الإسلامية الأولى في الجنوب بالكتاتيب التي كونها الفلاتة والدارفوريون ، وقد قامت تلك الكتاتيب بدور مهم في نشر الإسلام واللغة العربية في تلك الأصقاع المتباينة. وما زال هذا الدور مستمراً .(١)

وقد تم فتح أول مدرسة في جنوب السودان في مدينة " واو "، سنة : ١٣٢١هـ - ١٩٠٣م ؛ لتعليم أبناء الجنود والإداريين ، وقد كانت تلك المدرسة ذات مناهج إسلامية ، وجميع طلابها مسلمون .(٢)

وقد عدها مدير التعليم في السودان " جيمز كرى " أداة لإسلام

---

(١) د . حسن مكي محمد أحمد ، السياسة التعليمية والثقافة العربية، في جنوب السودان ، ص : ١١ .

(٢) علي حسن عبدالله ، الحكم والإدارة في السودان ، ص : ١٧٧ .

الطلاب الجنوبيين ، لهذا رفض اعتمادها ، ومنحها موازنة حكومية ، حتى لا تتصدى لأعمال التنصير . وقد قرر " ريجنالد ونجت " - حاكم عام السودان - ضم تلك المدرسة الإسلامية إلى الكنيسة الكاثولوكية ، سنة : ١٣٢٣هـ - ١٩٠٥م .(١)

وبعد الاستقلال ، بدأت النظرة إلى التعليم الإسلامي تتغير ، ففيها بدأت حركة إدخال التعليم الإسلامي في الجنوب ، وبشكل رسمي .(٢)

ثم أنشئت المعاهد الدينية ، وأقيمت المدارس التكميلية ، وفق المناهج الإسلامية ، إلى جانب ما أقيم من كتاتيب كثيرة لتعليم القرآن الكريم وغيره من مواد إسلامية ، حتى غطت تلك المدارس الإسلامية معظم مدن الجنوب المهمة .

ففي الاستوائية افتتحت المعاهد الدينية في كل من : توريت ، ياميو ، وجوبا ، وموديري ، وياي .

وفي مديرية أعالي النيل افتتحت معاهد في كل من : ملكال ، وكدوك ، وفنجاك .(٣)

---

(١) Sanderson N., Education , Religion and Politics in South of Sudan, :(1899-1964 A.D), page:50, printed in : London.

(٢) د . جعفر حسن ، (طي بلدو) العهد الذهبي للإسلام ، مجلة (البشير) ، العدد : الخاص ، ص : ٢٢ - ٢٣ .

(٣) Professor Bashir M.O., The Southern Sudan , Background to Conflict , Horst and Co., page: 58.

وفي مديرية بحر الغزال تم فتح المعاهد في كل من " واو " و " راجا "، و " أويل " .

ومع كثرة هذه المعاهد والمدارس ، فإنه لم يكتب لها الاستمرار والنجاح ، باستثناء تلك التي في رئاسة المديريات ، وحتى هذه المعاهد قامت الحكومة الإقليمية والجيش بالاستيلاء عليها ، والاستفادة منها في الأغراض العسكرية .(١)

وقد عمل مدير الاستوائية " طي بلدو " على دفع الحركة التعليمية الإسلامية في مديريته ، فقام بإنشاء اثنين وثمانين كتّاباً ، ونظراً لعدم وجود المعلمين المؤهلين لها ، فقد شجع الفلاتة وأبناء العرب على إدارة تلك الكتاتيب ، مع تكفله بإسكانهم وتأمين أمور معيشتهم .(٢)

وقد أدت الحرب الأهلية التي اشتعل أوارها إلى خلو الريف من الشماليين ، مما أضعف بل قضى على المراكز التعليمية الإسلامية الأولى ، وهي : الكتاتيب . كما تم هدم المساجد والكتاتيب التي في الريف .(٣)

وفي سنة : ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م : رأت الحكومة أنه من الأنسب

---

(١) د . حسن مكي محمد أحمد ، السياسة التعليمية والثقافة العربية في جنوب السودان ، ص : ٣٠ .
(٢) السابق ، ص : ٣٣ - ٣٤ .
(٣) السابق ، ص : ٣٥ .

نقل طلاب وتلاميذ المعاهد التي في المديريات الجنوبية إلى الشمال ، كالآتي :

١- معهد جوبا الأوسط	٣٢	طالباً .
٢- معهد جوبا الثانوي	٢٨	طالباً .
٣- معهد مريدي الأوسط	٢٣	طالباً .
٤- معهد توريت الأوسط	١٨	طالباً .
٥- معهد واو	٢٨	طالباً .
٦- معهد كدوك	٢٨	طالباً .
٧- معهد راجا	٢٦	طالباً .
٨- معهد ياميو الأوسط	٢٣	طالباً .

غير أن معظم هؤلاء الطلاب قطعوا دراستهم ، ورفضوا الانتقال ، لعدم وضوح الرؤية حول مستقبل مصيرهم .(١)

وبعد اتفاقية " أديس أبابا " تم تعيين "جوزيف أودهو" وزيراً إقليمياً للتربية والتوجيه ، وقد كان نصرانياً متعصباً ضد الإسلام تعصباً مقيتاً ، كما كان داعية إلى استخدام اللهجات المحلية ، بدلاً من اللغة العربية ، لهذا انحطت مناهج التعليم في جنوب السودان .(٢)

وبهذا انهارت المدارس الإسلامية ، وأغلقت الكتاتيب ، ولم يبق

---

(١) السابق ، ص : ٣٦ .
(٢) السابق ، ص : ٤٤ .

منهـا إلا قليل ممّا نجا من تدمير الحرب الأهلية ، مع عـدم وجـود من يقـوم بالتدريس فيهـا من مدرسي التربية الإسلامية ، واللغة العربية(١) .

وإذا كان هنـاك قلة طلابية إسلامية ، فإنها تعاني كثـيراً من عدد من المشكلات ، التي من أبرزهـا : قلة من يقوم بتدريس المـواد الإسلامية ، فقد يكون ممّن لا صلة لتخصصه بهـا . أضف إلى هـذا : المعاناة الكبرى التي يعانيها المدرس في أثناء وجوده في الجنـوب من نظرات الازدراء والاحتقار ، وبخس الحقوق ، والمضايقات الكثيرة ، ممّـا جعلهم يشعرون بالسأم والملل ، والرغبة في الانتقال إلى الشمال(٢) .

ولعل من أبرز مشكلات التعليم في جنوب السودان : انعدام الكتاب الإسلامي ، نتيجة للإهمال المتعمد . ونتج عن هذا وذاك : أن أجـبر الطلاب المسلمون على حضور حصص الدين النصراني ، لانعدام أساتـذة وكتب التربية الإسلامية ، مع توافر مقابلهـا(٣) .

وقد بات من المؤكد أن كثيراً من أبناء المسلمين يروحون ضحية عـدم وجود كتاب مسلم ، ومعلم مسلم مدرب . وعلى سبيل المثـال : انظر: إلى مدرسة (جوبادى) التي بها سبعة وعشرون معلماً ، لا يوجد بينهـم معلم مسلم واحد ، وطلبتهـا يقاربون الألف . . أمّـا معلمو اللغة العربية

---

(١) السابق ، ص : ٤٧ .
(٢) السابق ، ص : ٤٨ .
(٣) السابق ، الصفحة نفسها .

المؤهلون ، فلا يوجد في الجنوب كله منهم إلا عشرة ، هذا مع أن نسبة الطلاب المسلمين ليست قليلة مقارنة بغيرهم.(١)

وإذا ذهبنا إلى تقويم مسيرة التعليم الإسلامي في جنوب السودان ، فإننا سنجده قد مرّ بسلبيات كثيرة ، كانت سبباً في عدم نجاحه . ومن أبرز هذه السلبيات : أن عملية تأسيس مدارس إسلامية حدثت في وقت متأخر ، ممّا جعل حدودها ضعيفة ، خلاف مدارس الإرساليات التنصيرية ، التي تصل إلى المئات ، مع تنويع أساليب التدريس وإدخال المهن والحرف.(٢)

ومع بزوغ شمس الصحوة الإسلامية ، ونشاط الدعوة الإسلامية ، واعتمادها على استحداث أساليب حضارية ، في المجالات الاجتماعية والاقتصادية ، والصحية ، مثل : منظمة الدعوة الإسلامية ، وهيئة إحياء النشاط الإسلامي ، والمركز الإسلامي الأفريقي وغيرها.(٣)

وقد أولت تلك الهيئات عناية مخصوصة بالتعليم ، وأعطته مساحة كبيرة من اهتماماتها ، وأضحت إدارة التعليم أهم إدارة في تلك المنظمات ؛ وذلك وصولاً إلى إعداد المسلم الداعية ، المدرك لحقيقة عقيدته ؛ وبخاصة في هذه الأوقات التي تشهد أعاصير من تيارات مختلفة.(٤)

---

(١) د . عشاري محمد أحمد ، العربية في جنوب السودان ، ص : ٩٣ ، ١٠٥ .
(٢) د . كمال حمزة ، التبشير المسيحي وبعض أساليبه وآثاره ، ص : ١٥ - ١٧ .
(٣) دليل منظمة الدعوة الإسلامية ، ص : ١١ - ١٢ .
(٤) السابق ، ص : ١٤ - ١٥ .

وقد سبق أن أشرت إلى جهود تلك الهيئات في هذا المجال ، ممّا لا يترك مجالاً لإعادته .

وبعد هذا الحديث عن (قلة المدارس الإسلامية وندرتها) أعرض أبرز ما توصلت إليه من نتائج فيما يأتي :

الأولى : إنه لمن الواضح : أن الفترة من سنة : ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م ، إلى سنة : ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م . تعد من أحسن الفترات التي مرت على مسلمي جنوب السودان ، وذلك لعدد من العوامل المهمة ، والتي منها :

أ - تشجيع الدولة - ولأول مرة - على بناء المساجد في الجنوب، على مستوى المديريات الثلاث .

ب - تطوير وتنمية الأوقاف للاستفادة منها في تمويل حركة تنشيط الدعوة الإسلامية في جنوب السودان .

جـ - تأسيس الكتاتيب ، لتكون المؤسسات التعليمية الأولى ، التي تقوّم صغار السن ، وتحميهم من تسلط المنصرين .

الثانية : غير أنه يؤخذ على تلك الفترة الأمور الآتية :

أ - تسرعها في تنفيذ خططها ، جعل معظم ما أنجزته غير ناضج .

ب - لها أعمال تفتقر إلى إعادة التخطيط والتنظيم والتنسيق .

جـ - عدم ارتباط الدعوة الإسلامية بخطة تنموية عامة في جنوب السودان ، لتكون الدعوة قائمة على أساس متين .

د ـ النقص الكبير في القدرات المؤهلة ، التي تستطيع القيام بمهمات الدعوة الإسلامية .

هـ ـ أقحمت الحكومة نفسها ـ وبدون مقدمات ـ في صراع وعداء واضح مع الكنيسة ؛ ممّا أدى إلى وجود ظروف ، وهبوب أعاصير كانت الدعوة الإسلامية في غنى عنها ؛ بل في حاجة إلى ركودها .

و ـ الأعمال المرتجلة والعنيفة التي قامت بها الحكومة أدت إلى صحوة الكنيسة على المستوى المحلي والعالمي .

الثالثة : إن معاناة جنوب السودان من قلة المدارس الإسلامية معاناة واضحة تمثلت في كثير من المشكلات ، منها :

أ ـ ندرة المدارس التي تعمل بالمناهج الإسلامية .

ب ـ ندرة وجود المدرس المسلم المهيأ لتدريس مواد التربية الإسلامية واللغة العربية .

جـ ـ عدم وجود الكتاب الإسلامي .

د ـ المضايقات الكثيرة التي يلقاها المدرسون والطلبة المسلمون .

الرابعة : وقد تجلى لنا مدى حرص الإرساليات التنصيرية ومن وراءها على مصادرة كل مدرسة إسلامية ؛ لإدراكها أهمية تلك المدرسة في بناء الدعاة المسلمين .

رابعًا

عَدَم استثمار (أو وجود) وَسَائِل العَصر الحَدِيث.

رابعاً : عدم استثمار (أو عدم وجود) وسائل العصر الحديث :

إنه لمما يسهل عمل الداعية هو : أن تهيأ له السبل ، وتذلل أمامه كل الصعوبات ، وتتاح أمامه كل الوسائل ؛ ليقوم بأعماله في جو مطمئن . ولن إحاطته بأساليب العصر الحديث وانتفاعه منها ، لمما يخدم دعوته خير خدمة ، ويعينه على أداء مهمته ، ويساعد على سعة انتشارها .

ولقد قامت الإدارة البريطانية بمنح الإرساليات التنصيرية تسهيلات كبرى لإنجاح مهماتها ، فمن ذلك : منحها الأراضي الشاسعة في أحسن المناطق وبأبخس الأثمان ؛[1] وأعطتها حرية التصرف كيف تشاء ، متيحة لها كل سبل العمل التنصيري .

وإذا اتجهنا بأنظارنا نحو الأساليب التي تستخدمها ، فإننا سنجد أنها قد استخدمت كل أساليب العصر الملائمة لأداء أعمالها ؛ فقد استخدمت المزارع والمستوصفات والمدارس والوحدات الاجتماعية ، وهيأتها ؛ لكي تكون منطلقاً للعمل التنصيري .[2]

وقد أدى هذا الاستخدام والاستثمار لوسائل العصر إلى إحساس

---

(١) د . إبراهيم عكاشة ، التبشير النصراني في جنوب سودان وادي النيل ، ص : ١٦١ .

(٢) فيصل محمد موسى ، الكنيسة ودورها في السياسة في جنوب السودان تحت الإدارة البريطانية ، ص : ٧٥ - ٨١ ، ط : المركز الإسلامي الأفريقي بالخرطوم ، شهر رجب ، سنة : ١٤٠٥هـ - الموافق : أبريل ، سنة : ١٩٨٥م .

الأهالي بأن هؤلاء المنصرين يعملون لصالحهم ، وهذا وسّع نفوذهم، وجعلهم ألصق بالسكان ، وربّى هذا الاطمئنان في نفوسهم التصور بأنهم جـــزء لا يتجزأ من هذه المنطقة.(١)

هـــذا من جانب الشعب . . أمّـــا من جانب الإدارة البريطانية: فلقد كانت في غاية الرضا من المجهودات التي تقوم بها الإرساليات، والتي كفت الإدارة من الاهتمام بالشئون التعليمية والصحية والاجتماعية، والتي تكفلت بها الإرساليات.(٢)

أمّـــا الوسائل التي كانت بين أيدي الدعاة المسلمين ، فلم تكن بذلك المستوى الذي كانت به لدى المنصرين ؛ إذ كانت معدومة ، وإن كانت موجودة فهي غير مستثمرة في مكانها الصحيح . والسبب في هذا : عائد إلى انعدام من يمدّهم بمثل تلك الامتيازات التي حصلت عليها الإرساليات، ومن بينها تلك الوسائل والتسهيلات المختلفة.(٣)

وفيمـــا يلي تناول لتلك المجالات التي كان مفترضًا أن يكـــون للدعوة الإسلامية فيها الأثر البارز ، ولكن ذلك لم يكن والسبب هو عدم وجود الأساليب العصرية لتستثمر في تلك المجالات :

---

(١) محمد عمر موسى ، النشاط التبشيري الكنسي في جنوب الســودان، ص : ٧١ .
(٢) السابق ، الصفحة نفسها .
(٣) علي حسن عبدالله ، الحكم والإدارة في السودان ، ص : ١٧٨ .

أولاً : مجال التعليم :

ولعلنا في أحاديث سابقة قد عرضنا لمدى استغلال الإرساليات لهذا المجال واحتكارها له . ومدى الضعف الكبير الذي أصيب به التعليم الإسلامي هناك ؛ سواء أفي أستاذه ، أم في كتابه ، أم في منهاجه ، ولا ريب في أنه مجال مهم إذا أتيح استخدامه في مجال الدعوة الإسلامية ، ولكن عدم توفر وسائله المختلفة أدى إلى تخلفه كثيراً عن التعليم التنصيري .

ثانياً : مجال الخدمات الصحية :

وهذا مجال مهم من مجالات الدعوة لا يمكن استغلاله إلا بوجود الأساليب الحديثة فيه ، والتي كانت تعوز المسلمين .

أما الإرساليات : فلقد فطنت إلى أهمية هذا المجال في التنصير ، فقامت بتكوين الجمعيات الطبية في أوربا وأمريكا ، التي تقوم بتأهيل الأطباء والممرضين ، وإعداد الأدوية ؛ لإمداد تلك الإرساليات.(١)

ومن أبرز منجزات الإرساليات الصحية : مستشفى مدينة " لوفن " التابعة لإرساليات غوردون ، والتي لقيت دعماً عالمياً كبيراً ، وهي في حقيقتها وكر تنصيري ماكر ، وإلى جانب هذه المستشفى أنشئت

---

(١) د . إبراهيم عكاشة ، التبشير النصراني في جنوب سودان وادي النيل ، ص : ١٦٢ - ١٦٣ .

مستشفيات أخرى ، ابتداء من الثلاثينات من القرن العشرين تابعة لتلك الإرساليات.(١)

ومن أبرز المستوصفات - أيضاً - مستوصف " بامبو " ، ومستوصف " الناصر " في مدينة الناصر ، خلافاً لكثير منها التي تزخر بوسائل كثيرة ونشاط حافل.(٢)

وفي الجانب المقابل : فإن لجوء الدعوة الإسلامية إلى استغلال هذا المجال قد جاء متأخراً وغير كاف . فقد أنشئ مستشفى الصباح للأطفال في جوبا ، الذي تقوم منظمة الدعوة برعايته.(٣) كما تم إنشاء مستشفى في " لوى " ، إلى جانب المستشفى التنصيري بتبرع من بنك التنمية الإسلامي . ولمنظمة الدعوة الإسلامية عدد من المستوصفات تابعة للبعثات الإقليمية.(٤)

وهنا نرى محاولة لمجاراة الأعمال التنصيرية في أساليبها ، وهذا حسن ، إلا أنه قد جاء ذا مستوى منخفض عن مستوى عمل الإرساليات

---

(١) السابق ، ص : ١٦٦ .
(٢) السابق ، ص : ١٦٧ .
(٣) مجلة (البشير) ، مستشفى الصباح عمل إنساني ، العدد : الخامس ، ص : ٢٦- ٢٧ ، شهر ربيع الأول ، سنة : ١٤٠٥هـ - الموافق : شهر ديسمبر ، سنة : ١٩٨٤م .
(٤) دليل منظمة الدعوة الإسلامية ، ط : الثانية ، ص : ٢٣ ، شهر جمادى الأولى ، سنة : ١٤٠٧هـ - الموافق : أبريل ، سنة : ١٩٨٧م .

التنصيرية التي تمكنت من حسن استغلال الدواء في تنصيرها .

ثالثاً : مجال الخدمات الاجتماعية والتنموية :

وقد قامت الإرساليات باستغلاله أحسن ، مسخرة كل ما لديها من إمكانات في سبيل جذب الشعب إليه وإقناعهم به . فقد قامت باحتضان الأيتام والمشردين ، ومنح بعض الأهالي مساعدات مالية مجزية .(١)

أمّا في مجال التنمية : فقد قامت الإرساليات بإعداد مراكز للتأهيل المهني لأبناء الجنوب ، تعلمه فيها بعض المهن التي تكفل له رزقه مستقبلاً . كما قامت بالمشاركة في قطاع الزراعة واستصلاح الأراضي مع الأهالي ، وقد كانت تقوم بتقديم الحبوب والتقاوي ، وإنشاء الطرق والجسور ، ويلتبس المنصرون المزارعون بلباس الخفية ؛ إذ يعيشون عيشة الفلاحة وسط الفلاحين من أبناء الجنوب ، وفي أثناء هذا يمارسون أعمالهم التنصيرية .(٢)

وإلى جانب تلك الأعمال كانوا يقومون بطباعة الأناجيل وتوزيعها على أبناء الجنوب ، الذين علموا القراءة والكتابة لأجل هذا الغرض . كما يقومون باستغلال وسائل الإعلام ، كالصحافة اليومية ، وإذاعة جوبا ؛

---

(١) محمد عمر موسى ، النشاط التبشيري الكنسي في جنوب السودان ، ص : ٩٣ .

(٢) السابق ، ص : ٩٦ .

إذ إنه لمجلس الكنائس السودانية أستوديو خاص في الإذاعة، وهو يفوق الأستوديو التابع لوزارة الثقافة والإعلام الإقليمية من حيث الإمكانات والحداثة.(١)

أمّا من ناحية العمل الدعوي الإسلامي في هذا المجال: فقد كان معدوماً، مع أن الدين الإسلامي يحث على التكافل الاجتماعي، إلا أن قصر ما في اليد هو الذي عطل مثل هذه الأعمال الجليلة، إلا ما كان من بعض الكتاتيب التي كانت تقوم بتقديم الغذاء والكساء لأبنائها من الطلبة الجنوبيين. وما قامت به منظمة الدعوة الإسلامية من فتح مراكز لتأهيل بعض أبناء الجنوب للعمل المهني وكسب الرزق، إضافة إلى مركز الأمومة والطفولة التي ترعى من خلالها الأسرة الجنوبية من التشرد والموت.(٢)

ومع كل ما قدم.. إلا أن هذا الجانب ضعيف جداً، وبخاصة إذا ما قورن بما تقوم به الإرساليات، وهذا عائد إلى عدم وجود وسائل العصر الحديث، وعدم استثمار الموجود منها.

وبعد هذا الحديث عن (عدم استثمار أو وجود وسائل العصر الحديث) أعرض النتائج الآتية:

---

(١) حسن مكي محمد أحمد، السياسة التعليمية والثقافة العربية في جنوب السودان، ص: ١٧.

(٢) دليل منظمة الدعوة الإسلامية، ص: ٢٣ - ٢٩، بتصرف.

الأولى : إن استخدام الداعية لوسائل العصر الحديث في دعوته أمر مهم، ومطلب ملح ، يجب عليه السعي إليه ، ولقد عانى كثير من الدعاة المسلمين في جنوب السودان من نقصان هذه الوسائل بين أيديهم وندرتها ؛ ممّا عطل استثمارهم لها ، وهذا ظل معوقاً لانتشار الإسلام في جنوب السودان .

الثانية : أمّا الإرساليات التنصيرية : فلقد هيئ لها حسن استغلال مثل تلك الوسائل ، فأدت أنشطتها بها ، ونجحت فيها ، وقد ساعدها على ذلك : الدعم المادي والمعنوي الذي يأتيها من القوى الخارجية الكافرة من التسهيلات الكبرى التي تعطى لها من جانب الإدارة البريطانية وغيرها .

الثالثة : ولقد برزت وسائل العصر الحديث وأثرها في مجالات التعليم والصحة والخدمة الاجتماعية والتنموية ، والذي تفوقت فيه الإرساليات التنصيرية تفوقاً كبيراً ، واستغلته بكل أسلوب ممكن . وآتت لها ما تريده منها .

* * *

خاتمة
للباب الثالث

دراسة تطبيقية
على جنوب السودان

خاتمة للباب الثالث

((دراسة تطبيقية على جنوب السودان))

وبعد هذه المسيرة التي تناولت فيها جنوب السودان بدراسة تطبيقية لعوامل انتشار الإسلام فيه ومعوقاته ، أكون قد جمعت أشتاتاً كثيرةً ، وحصيلة وفيرة تعزّز فيها الدراسة التطبيقية ما سبق أن قمت بتسطيره من دراسة نظرية .

أمّا دراستي التطبيقية : فقد قمت فيها بعرض تاريخي له من الأهمية نصيب وفير في الدخول إلى دراسة العوامل والمعوقات، جعلتها كالتمهيد الموطيء ، والسبيل الموصل إلى فهم المؤثرات في انتشار الإسلام في جنوب السودان .

ومع أنها دراسة تمهيدية ، إلا أنني قد حكمت فيها لعظم تأثير المحتل البريطاني ، الذي فرض سياسات معادية للإسلام ، ضيقة على المسلمين ، وما نشأ نتيجة لهذه السياسة من إعانة لانفصال الجنوب ، وإحياء لنيران التمرد ، وإشعال للحرب الأهلية التي دمّرت كل معطيات الجنوب ، وقضت على رقي السودان بأسره .

وتبعاً لذلك الفصل التمهيدي انتقلت إلى الحديث عن عوامل انتشار الإسلام في الجنوب ، مقسّماً إياها إلى عوامل أساس ، وعوامل مساعدة ، وما هذا التقسيم إلا بيان لمدى تأثير تلك العوامل ،

وترتيب لأهمها وأكثرها إسهاماً في انتشار الإسلام من غيره .

وقد وجدت أن منظمة الدعوة الإسلامية كانت صرحاً عظيماً في ميدانها ، وطوداً شامخاً في وجه عدو هذا الدين ، وكان منتظراً منها أن تؤدي أعمالاً بارزةً في جنوب السودان ، بما تشطه من مرافق ضخمة ، وقدرات مؤهلة ، وخطط متأنية ، وبالفعل باشرت المنظمة أعمالها في الجنوب ، وكانت تمد نشاطها بالجد والحركة ، إلا أن ثمة معوقات أعاقتها عن تكميل مسيرتها ، ومن أبرزها : استعار نار الحرب التي أكلت الأخضر واليابس ، والتي جعلت من أي عمل ذرًا لا حركة له .

وفي مصاف المنظمة وقفت هيئة إحياء النشاط الإسلامي ، والمركز الإسلامي الأفريقي ، وقد كان لهما الأثر البارز في هذا المجال ، إلى جانب منظمة الدعوة الإسلامية .

وقد عرضت في العوامل للحديث عن موقف الحكومة من قضية الجنوب ، فقد كانت الحكومة المسلمة تريد أن تحل تلك المشكلة ، وأن يكون الجنوب مثل شقيقه الشمال المسلم ، لهذا حاولت أن تزيل أساس المشكلة ، وأن تضيّق على الأيدي التي غزلت القضية ، ألا وهم المنصرون ، كما قامت بدعم وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، وقامت بتنظيم أمر الدعوة الإسلامية ، إذ كانت ترى أن حل مشكلة الجنوب لا يكون إلا بتطبيق النظام الإسلامي .

ومن بين العوامل يبرز التجار المسلمون الذين تحلّوا بأخلاق

هذا الدين الحنيف ، فكانوا خير دعاة له في تلك الأقاليم ، فقد أعجب الناس بأخلاقهم ، وحسن تعاملهم ، فقلدوهم ، وحذوا حذوهم ، إلى أن دخلوا في الإسلام ، وهذا خير عمل ، وأفضل قربى . غير أن كون هؤلاء التجار غير متعلمين ولا متفقهين في الدين ، ولم يكن منهم من هو كذلك ، جعل أولئك الداخلين في الإسلام غير واعين حقيقة هذا الدين ، وغير متفقهين منهاجه القويم ؛ مما نتج عنه ظهور بعض البدع والمخالفات الشرعية ، امتزج فيها الدين بالوثنية ، وظهرت الخرافات والأساطير ، وتنامت حتى أصبحت أمراً خطيراً يشوه مرآى الدين ورواءه .

ثم انتقل الحديث إلى المعوقات التي برزت معالمها أوضح البروز مع السياسة البريطانية الحاقدة ؛ فقد أمدّت تلك السياسة المنصرين بحق العمل الشرعي في الجنوب ، وذللت لهم السبل ، وتركت لهم الحبل على الغارب ، فعاثوا في الأرض فساداً ، وما تركوا سبيلاً إلا طرقوه ، ولا طوداً إلا ركبوه ، ولا غائطاً إلا نزلوا فيه ، فابتنوا المدارس ، ووضعوا خطط التعليم التنصيري ، وخطوا المستشفيات ؛ لتقديم الدواء مع التعميد ، وبنوا دور الرعاية الاجتماعية ، وهي مراكز لتلقين النصرانية . . .

أما تعاملهم مع العمل الدعوي الإسلامي فقد كان بالتصفية الجسدية ، وبث الفتن ، وإيجاد الضيقات ، حتى يرحلوا بإسلامهم ، ويبقى الجنوب نصرانياً .

وإلى جانب هذا التيار الضخم من المعوقات برزت المعوقات

الطبعية ، التي تمثلت في وعورة سبل الاتصال ، وعدم ملاءمة المناخ بالسكنى في بعض البقاع .

وإلى جانب هذه المعوقات الخارجية ظهرت معوقات داخلية من جانب المسلمين ، منها : ما كان تقصيراً منهم ، كالجهل والتفرق ، وترك الدعوة ، ومداراة المنصرين ، ومنها : ما كان ضعفاً أصابهم ، فعطلهم عن القيام بواجب نشر الإسلام كقلة الدعاة المؤهلين ، وقلة الإمكانات المادية ، والمدارس الإسلامية .

هذا ، وأرجو أن أكون قد وفقت في عرض هذه الموضوعات ، وفي إبداء الرأي ، فإن كنت قد أصبت الحق فهو بفضل الله ومنه عليّ ، وإن كنت قد أخطأت فإني أنتظر التوجيه السديد ، وأستغفر الله العظيم .

* * *

فهرس موضوعات المجلد الرابع

فهرس موضوعات المجلد الرابع

الموضوع :	الصفحة :
الباب الثالث	
دراسة تطبيقية على جنوب السودان	
أهمية هذه الدراسة	١٥١٤
الفصل الأول : خلفية تاريخية عن السودان	
(فصل تمهيدي)	
المبحث الأول : دخول الإسلام في السودان	١٥٢١
أولاً : انتشار القبائل العربية في السودان	١٥٢١
ثانياً : أهم الطرق التي سلكتها الهجرات العربية .	١٥٢٤
ثالثاً : اتجاهات الهجرة إلى السودان	١٥٢٨
١- هجرات من الشرق	١٥٢٨
٢- هجرات من الشمال	١٥٢٨
٣- هجرات من الغرب	١٥٢٩
رابعاً : المجموعات العربية التي هاجرت إلى السودان .	١٥٣٠
١- مجموعة القبائل الجعلية	١٥٣٠
٢- قبائل الكواهلة	١٥٣٠
٣- مجموعة قبائل فزارة	١٥٣٠
٤- مجموعة قبائل جهينة	١٥٣٠
خامساً : سبب عدم اتجاه تلك الهجرات إلى الجنوب .	١٥٣٣

الموضوع :	الصفحة :
سادساً : كيفية انتشار الإسلام في السودان ...	١٥٣٥
سابعاً : الممالك الإسلامية التي قامت مقـــام الدولة النصرانية	١٥٤٩
أولاً : مملكة الفونج	١٥٥١
ثانياً : مملكة دارفور	١٥٥٣
ثالثاً : مملكة تقـــلا	١٥٥٦
ثامناً : دخول الإسلام جنوب السودان	١٥٥٧
المبحث الثاني : السودان في عهد الخلافة الإسلامية العثمانية	١٥٧٦
حملات الدفتردار الانتقامية	١٥٨٦
التوسعات العثمانية في السودان	١٥٨٨
تطور الإدارة العثمانية في السودان	١٥٩١
ـ الضرائب	١٥٩٢
ـ القوات المسلحة	١٥٩٣
ـ إشراك السودانيين في الحكم	١٥٩٤
ـ إدارة عباس الأول ، ومحمد سعيد	١٥٩٧
ـ إبطال تجارة الرقيق	١٦٠٠
ـ الإدارة في عهد إسماعيل باشا	١٦٠٢
جنوب السودان في عهد الخلافة العثمانية ...	١٦٠٤

الموضـــوع :	الصفحة:
المنطقة الغربية من السودان (سلطنة دارفور) .	١٦٠٧
تعيين الجنرال جوردون باشا حاكماً عاماً علـــى السودان	١٦٠٩
تقويم أعمال الزبير باشا	١٦١١
سياسة الخوف وعدم الاستقرار	١٦١٣
نتائج سياسة صموئيل بيكر وجوردون والإداريـين الأوربيين	١٦١٦
الإصلاحات في عهد إسماعيل باشا خديو مصر..	١٦١٧
المبحث الثالث : السودان في عهد الثورة المهديـة	١٦٢٩
أولاً : العوامل التي ساعدت على قيام الثـــورة المهدية	١٦٣١
١- حالة الإسلام على وجه العموم	١٦٣١
٢- حالة الإسلام في أفريقيا	١٦٣٢
٣- حالة السودان بصورة خاصة	١٦٣٣
ثانياً : اتجاهات ومبادئ دعوة المهدي	١٦٣٤
١- الاتجاه الفكري العام	١٦٣٤
٢- الاتجاه الروحي	١٦٣٨
٣- الاتجاه السياسي	١٦٣٩
٤- الاتجاه الاقتصادي	١٦٣٩
٥- الاتجاه الاجتماعي	١٦٤٠

الموضوع :	الصفحة :
ثالثاً : إصلاحات المهدي ومقاومته للاحتلال ..	١٦٤٤
رابعاً : تأثر المهدية بالحركات الإصلاحية ...	١٦٤٩
خامساً : انتصارات المهدي ومواقعه المشهورة .	١٦٥٦
واقعة راشد	١٦٥٩
واقعة الشلالي	١٦٦٠
تصدير الثورة لأرجاء السودان	١٦٦٢
صدى الهزائم في لندن والقاهرة	١٦٦٥
واقعة شيكان (حملة هكسي باشا)	١٦٦٧
الموقف في مديرية بحر الغزال	١٦٦٩
موقف مديرية خط الاستواء	١٦٧٠
سادساً : التأييد الإسلامي للحركة المهدية ..	١٦٧١
سابعاً : التعايشي وسيرة الحركة المهدية ...	١٦٧٣
ثامناً : الظروف التي أحاطت بالدولة المهدية .	١٦٧٨
أولاً : الظروف الداخلية	١٦٧٩
ثانياً : الظروف الخارجية	١٦٨٠
١- الأطماع البلجيكية في السودان .	١٦٨١
٢- الأطماع الإيطالية في السودان الشرقي	١٦٨٣
٣- الأطماع الفرنسية في السودان .	١٦٨٣
٤- الغزو الاحتلالي البريطاني للسودان	١٦٨٤

الموضـــوع :	الصفحة :
تاسعاً : المهدية والوضع في جنوب السودان ...	١٦٨٦
المبحث الرابع : سياسة المناطق المغلقة أيـــام الاحتلال البريطاني	١٦٩٤
الوضع قبل سيطرة بريطانيا ، سنة : ١٣١٧هـ - ١٨٩٩م	١٦٩٥
السياسة البريطانية إزاء جنوب السودان	١٦٩٨
إجراءات في الوضع الاقتصادي	١٧٠٣
إجراءات في العطية التعليمية	١٧٠٤
النشاط الاقتصادي في المديريات الجنوبيـــة في دائرة المناطق المغلقة	١٧٠٥
النشاط التجاري	١٧٠٧
مراحل المخطط الاحتلالي لإغلاق المنطقة أمـــام المد العربي والإسلامي	١٧٠٨
المبحث الخامس : الوضع الحالي لسكان الجنوب	١٧١٦
المطلب الأول : الهوية والثقافة	١٧١٨
المطلب الثاني : التنمية والسياسة	١٧٢٦
أولاً : التنمية	١٧٢٦
ثانياً : السياسة	١٧٢٨
المبحث السادس : التوزيع الجغرافي لسكان جنوب السودان	١٧٣٥
جنوب السودان .. الموقع والحدود	١٧٣٥

الموضـــوع :	الصفحة :
الحدود .. والجيران	١٧٣٦
١- أثيوبيـــا	١٧٣٦
٢- أوغنـــدا	١٧٣٦
٣- زائـــير	١٧٣٧
أفريقيا الوسطى وتشاد	١٧٣٧
المقومات الطبعية البشرية لجنوب السودان ...	١٧٣٨
المنـــاخ	١٧٤٠
المجموعات الحضارية في جنوب السودان وتصنيفهم لغويـاً	١٧٤١
النيليـــون	١٧٤٣
الشـــلك	١٧٤٥
النيليون الحاميون	١٧٤٦
القبائل العربية وجنوب السودان	١٧٤٧
وسائل الاتصال	١٧٤٨
النشاط الاقتصادي للسكان	١٧٥٠
السياسة الإدارية والتوزيع السكاني	١٧٥١
الفصل الثاني : عوامل انتشار الإسلام في جنوب السودان ..	
المبحث الأول : العوامل الأساس	١٧٥٩
المطلب الأول : وسائل الدعوة الرسمية	١٧٥٩
أولاً : منظمة الدعوة الإسلامية	١٧٥٩

الموضـــوع :	الصفحة :
إنشاؤهـــا	١٧٦٠
أهداف المنظمة	١٧٦١
إدارة المنظمة	١٧٦٢
الأمانة العامة	١٧٦٢
مهام الأمانة العامة	١٧٦٣
المكاتب الخارجيـة والبعثات الإقليمية التابعـة لمنظمة الدعوة الإسلامية	١٧٦٣
أ ـ المكاتب الخارجية	١٧٦٤
ب ـ البعثات الإقليمية	١٧٦٤
الإدارات التابعة للمنظمـة	١٧٦٥
أولاً : إدارة التعليم	١٧٦٦
أ ـ قسم التعليم	١٧٦٦
معهد البحوث الإسلامية	١٧٦٧
أنشطتها الأخرى	١٧٦٨
ب ـ قسم الشباب	١٧٦٨
جـ ـ قسم الطلاب	١٧٦٩
ثانياً : إدارة الدعـوة	١٧٧٠
أ ـ وحدة المساجد	١٧٧١
ب ـ وحدة الحج	١٧٧٢
جـ ـ وحدة المرأة	١٧٧٢

الموضـــوع :	الصفحة :
ثالثاً : إدارة الإعلام والنشر	١٧٧٣
رابعاً : إدارة الشئون الإدارية	١٧٧٥
١- قسم الإدارة العامة	١٧٧٦
٢- قسم شئون الأفـراد	١٧٧٦
٣- قسم العلاقات العامة	١٧٧٦
٤- قسم التخليص والترحيل والتخزين .	١٧٧٦
خامساً : إدارة الشئون الصحية والرعايـــة الاجتماعية	١٧٧٦
سادساً : إدارة الشئون المالية	١٧٧٧
سابعاً : إدارة المشروعات والموارد	١٧٧٧
أ - قسم الأشغال الهندسية	١٧٧٧
ب- قسم تنمية الموارد	١٧٧٨
المؤسسات التابعة للمنظمة	١٧٧٩
أولاً : الجمعية الخيرية الأفريقية لرعاية الأمومة والطفولـة	١٧٨٠
ـ أهداف الجمعية	١٧٨٠
ثانياً : المجلس الأفريقي للتعليم الخاص	١٧٨٣
ثالثاً : مؤسسة (دان فوديو) الخيرية للتجارة والمقاولات	١٧٨٥

الموضـــوع :	الصفحة :
١- إدارة المقاولات	١٧٨٥
٢- الإدارة التجارية	١٧٨٦
٣- إدارة المشروعات	١٧٨٦
رابعاً : معهد الدراسات والتدريب	١٧٨٦
نشاط المنظمة في جنوب السودان	١٧٨٧
البعثات الإقليمية للمنظمة في جنوب السودان .	١٧٨٨
أولاً : في مجال الرعاية التعليمية	١٧٨٨
ثانياً : في مجال الدعوة	١٧٩٠
ثالثاً : في مجال الرعاية الصحية والاجتماعية.	١٧٩١
١- مستشفى الصباح للأطفال في " جوبا " في جنوب السودان .	١٧٩١
٢- مستشفى (لوا) في جنوب السودان.	١٧٩٢
رابعاً : في مجال المشروعات التنموية	١٧٩٢
ثانياً : المركز الإسلامي الأفريقي	١٧٩٦
تعريف بالمركز الإسلامي الأفريقي وبأنشطته المختلفة.	١٧٩٦
- إنشاؤه	١٧٩٦
- أهدافه	١٧٩٧
- وسائله من أجل تحقيق أهدافه	١٧٩٧
أ - التعليم	١٧٩٧
ب - الدعوة	١٧٩٨
جـ - البحوث والنشر	١٧٩٨

الموضـــوع :	الصفحة :
د ـ الاتجاه الإعلامي	١٧٩٩
مجلة (دراسات أفريقية)	١٧٩٩
إدارة المركز الإسلامي الأفريقي	١٨٠٠
أ ـ مجلس الأمناء	١٨٠٠
ب ـ المجلس	١٨٠١
جـ ـ اللجنة العلمية	١٨٠٢
د ـ المديـــر	١٨٠٣
نشاطات المركز في جنوب السودان	١٨٠٣
دراسة وافية للسياسة التعليمية والثقافة العربيـة في جنوب السودان	١٨٠٤
ثالثاً : جامعة جوبا أساتذةً وطلاباً	١٨٠٨
تعريف بالجامعة	١٨٠٨
نشاط الجامعة في نشر الإسلام في جنوب السودان .	١٨٠٩
المطلب الثاني : الوسائل غير الرسمية	١٨١٣
أولاً : هيئة إحياء النشاط الإسلامي	١٨١٣
أغراض الهيئة	١٨١٤
تكوين الهيئة	١٨١٦
مصادر دخل الهيئة	١٨١٧
اللجان التابعة للهيئة	١٨١٨
نشاط الهيئة العام في نشر الإسلام .	١٨١٩
نشاط الهيئة في جنوب السودان	١٨٢٠

الموضـــوع :	الصفحة :
ثانياً : الجمعيات الإسلامية	١٨٣١
١- جمعية الإخوان المسلمين ...	١٨٣١
- دخول حركة الإخوان المسلمـــين من مصر في السودان	١٨٣٣
- فروع الإخوان المسلمين بالسودان .	١٨٣٦
- تطور حركة الإخوان في الفترة من : (١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م/١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م)	١٨٣٦
- مساندات الإخوان لحركات التحرر.	١٨٣٩
- ظهور الجبهة الإسلامية	١٨٣٩
دستور الجبهة القومية الإسلامية	١٨٤١
أولاً : الأهداف السياسية	١٨٤١
ثانياً : الأهداف الاقتصادية	١٨٤٢
ثالثاً : الأهداف الاجتماعيـة	١٨٤٢
رابعاً : الأهداف الثقافيـــة	١٨٤٣
الحركة الإسلامية وجنوب السودان	١٨٤٣
حل مسألة الجنوب لدى الإخوان المسلمين	١٨٤٥
أولاً : العامل الجغرافي والتاريخ والثقافي .	١٨٤٦
ثانياً : التنمية والخدمات	١٨٤٧

الموضوع :	الصفحة :
رأي الجمعية في شكل الحكم في جنوب السودان .	١٨٤٨
٢- جمعية رعاية حديثي العهد بالإسلام .	١٨٥٢
ـ أهدافها	١٨٥٣
ـ تكوين الجمعية	١٨٥٤
ـ أموال الجمعية	١٨٥٤
نشاط الجمعية في جنوب السودان	١٨٥٥
المطلب الثالث : موقف وسائل الدعوة الرسمية،	
وغير الرسمية من النشاطات التنصيرية	١٨٥٩
أولاً : مزاحمتها بالوجود الدعوي الإسلامي .	١٨٥٩
موقف النشاطات التنصيرية من الوجود الدعوي	
الإسلامي	١٨٦٩
دوافع الإرساليات إلى تقويض النشاط الدعوي	
الإسلامي	١٨٧٠
الأولى : الصراع بين الحكومة والإرساليات	
في الشمال	١٨٧٠
الثانية : إعاقة تقدم الإسلام داخل أفريقيا .	١٨٧١
الثالثة : عودة إقليم اللادو إلى السودان ..	١٨٧٣
تنافس الإرساليتين الإيطالية والبريطانية على مزاحمة	
الوجود الدعوي الإسلامي	١٨٧٥
مذكرة مانلي (١٣٣٤هـ-١٩١٦م) للتخلص من	
الوجود الإسلامي في الجنوب	١٨٧٨

الموضوع :	الصفحة :
المبادرات التي تقوم بها الإرساليات للتخلص من الوجود الإسلامي في الجنوب	١٨٧٩
ثانياً : استشعار الخلاف بين طوائف إرسالياتهم وأهدافهم التربوية	١٨٨٨
الجمعيات التنصيرية الكاثولوكية التي تعمل في جنوب السودان	١٨٩٠
١- جمعية أفريقيا التنصيرية بفيرونا	١٨٩٠
٢- جمعية سانت جوزيف	١٨٩٠
الهيئات التنصيرية البروتستانتية	١٨٩١
١- الجمعية البريطانية لتنصير أفريقيا والشرق	١٨٩١
٢- جمعية أنصار الإنجيل التنصيرية	١٨٩٢
٣- إرسالية السودان المتحدة	١٨٩٢
٤- الإرسالية الأمريكية	١٨٩٢
٥- إرسالية أراضي أفريقيا	١٨٩٢
٦- إرسالية السودان الداخلية	١٨٩٣
٧- جمعية طبع الإنجيل البريطانية	١٨٩٣
٨- جمعية طبع الإنجيل الأمريكية	١٨٩٣

الموضـــوع :	الصفحة :
المبحث الثاني : العوامل المساعدة	١٩٠٠
المطلب الأول : علاقة الجنوب بالحكومة المركزية .	١٩٠١
١- مشروع قناة جونقلي	١٩٠٧
٢- مشروع إنتاج البترول	١٩٠٨
أولاً : تنظيم الدعوة الإسلامية ودعمها ..	١٩٠٩
ثانياً : الحد من النشاط التنصيري	١٩١٤
ثالثاً : حل مشكلة جنوب السودان	١٩٢١
الخطوات التي اتخذتها الحكومة لحل مشكلة الجنوب.	١٩٢٢
أولاً : الحلول المتعلقة بالجوانب التاريخية	
والثقافية والجغرافية	١٩٢٢
ثانياً : الحلول المتعلقة بالتنمية والخدمات .	١٩٢٥
ثالثاً : حل مشكلة الحكم	١٩٢٨
رابعاً : حل مشكلة القانون العام لجنوب السودان .	١٩٣٠
المطلب الثاني : الوضع الديني	
الإسلام والتجانس الاجتماعـــي	
والثقافي	١٩٣٦
أولاً : وجود بعض المسلمين	١٩٣٨
ثانياً : كثرة الوثنيين واستعدادهم لتقبـــل	
الإسلام	١٩٤٧

الموضـــوع :	الصفحة :
الأديان والجنوب السوداني	١٩٤٧
الدين الإسلامي ومدى استعداد الوثنيين لتقبله.	١٩٥٠
المطلب الثالث : التجار المسلمون	١٩٥٧
محاولات التخلص من التجار المسلمين	١٩٦٠
المطلب الرابع : الوكالة الإسلامية الأفريقية للإغاثة.	١٩٦٩
الأسباب التي أدت إلى ظهور الإغاثة الإسلامية .	١٩٧٠
أهداف الوكالة الإسلامية الأفريقية للإغاثة	١٩٧٣
وسائلها في تحقيق أهدافها	١٩٧٤
مصادر دخل الوكالة	١٩٧٥
بعض المشروعات العامة التي قامت الوكالة بتنفيذها .	١٩٧٥
١- منطقة شرق أفريقيا	١٩٧٥
٢- منطقة غرب أفريقيا	١٩٧٥
٣- الصومـــال	١٩٧٦
٤- باكستـان	١٩٧٦
٥- أوغندا	١٩٧٦
٦- السودان	١٩٧٧
جهود الوكالة في جنوب السودان	١٩٧٨
الفصل الثالث : معوقات انتشار الإسلام في جنوب السودان ..	١٩٨٢
المبحث الأول : الوضع الجغرافي والسياسي	١٩٨٤
المطلب الأول : المناخ والتضاريس	١٩٨٤

الموضـــوع :	الصفحة :
أولاً : المنـــاخ	١٩٨٤
ثانياً : التضاريس	١٩٨٦
المطلب الثاني : التخلف والبدائية	١٩٩٣
المطلب الثالث : الواقع شبه الانفصالي	٢٠٠٢
أولاً : العوامل الجغرافية	٢٠٠٣
ثانياً : العوامل السياسية	٢٠٠٦
المبحث الثاني : الحالة الاقتصادية والتنموية	٢٠١١
المطلب الأول : سوء استغلال الموارد الاقتصادية.	٢٠١٣
المطلب الثاني : الخدمات العامةفي جنوب السودان.	٢٠٢٨
أولاً : المواصلات	٢٠٢٨
ثانياً : التعلـــيم	٢٠٣٠
تقويم الحركة التعليمية في جنوب السودان	٢٠٣٤
مكان التربية الإسلامية واللغة العربية في التعليم .	٢٠٣٥
ثالثاً : الخدمات الصحية والاجتماعية	٢٠٣٦
١- الخدمات الصحية	٢٠٣٦
٢- الخدمات الاجتماعية	٢٠٣٨
المبحث الثالث : النشاطات الخادمة للإسلام	٢٠٤٣
المطلب الأول : التنصير	٢٠٤٣
دخول التنصير جنوب السودان	٢٠٤٣

الموضوع :	الصفحة :
أولاً : الإرساليات	٢٠٥٢
ثانياً : وكالات الإغاثة	٢٠٥٨
١- مجلس الكنائس السوداني	٢٠٦٠
٢- مجلس كنائس عموم أفريقيا	٢٠٦١
٣- مجلس الكنائس العالمي	٢٠٦١
١- الكنيسة النرويجية	٢٠٦٣
٢- أكروس	٢٠٦٣
أولاً : الفرقة الطبية الألمانية	٢٠٦٤
ثانياً : أكسفام (لندن ، ١٣٦٩هـ-١٩٥٠م)	٢٠٦٥
ثالثاً : أكمليش	٢٠٦٥
رابعاً : خدمات المتطوعين لما وراء البحار .	٢٠٦٥
خامساً : الوكالة الكندية العالمية للتنمية ..	٢٠٦٦
سادساً : خدمات الجامعة الكندية إلى ما وراء البحار	٢٠٦٦
المطلب الثاني : العلمانية	٢٠٧٠
المطلب الثالث : العنصرية ضد الإسلام والعرب .	٢٠٧٥
أولاً : التخلص من التجار المسلمين	٢٠٧٧
ثانياً : التخلص من الجنود المسلمين الشماليين .	٢٠٧٩
ثالثاً : استئصال الموظفين الشماليين المسلمين .	٢٠٨٠
رابعاً : التخلص من اللغة العربية	٢٠٨٠

الموضوع :	الصفحة :
المطلب الرابع : التدخلات الخارجية	٢٠٨٥
١- أثيوبيا	٢٠٨٧
٢- أوغندا	٢٠٨٨
٣- إسرائيل	٢٠٨٨
٤- الاتحاد السوفيتي	٢٠٨٩
٥- الولايات المتحدة الأمريكية	٢٠٨٩
٦- الهيئات التنصيرية	٢٠٩٠
المبحث الرابع : تقصير المسلمين وضعفهم	
المطلب الأول : تقصير المسلمين	
أولاً : الجهل	٢٠٩٣
ثانياً : التفرق (كالفرق الصوفية والأحزاب الوطنية).....	٢٠٩٧
ثالثاً : الركون إلى الدنيا	٢١٠١
رابعاً : مداراة المنصرين ومن وراءهم ...	٢١٠٥
المطلب الثاني : ضعف المسلمين	
أولاً : قلة الدعاة	٢١٠٩
ثانياً : قلة الإمكانات المادية	٢١١٥
ثالثاً : قلة المدارس الإسلامية (وندرتها) .	٢١٢٠
رابعاً : عدم استثمار (أوعدم وجود)وسائل العصر الحديث	٢١٢٨

الموضـــوع :	الصفحة :
أولاً : مجال التعليم	٢١٣٠
ثانياً : مجال الخدمات الصحية	٢١٣٠
ثالثاً : مجال الخدمات الاجتماعية والتنموية .	٢١٣٢
خاتمـــة الباب الثالث : دراسة تطبيقية على جنوب السودان .	٢١٣٥

